

التفسير البسيط

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الحادي والعشرون
من سورة النجم إلى سورة الطلاق

تحقيق

الدكتور فاضل بن صالح بن عبد الله الشهري

دقيقه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تُرْكِي بن سَهْوَن بن زَيْد بن العَيْتُونِي

الأستاذ الدكتور

عَبْدُ الْعَزِيزِ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السَّعُودِي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدى، أبو الحسن علي أحمد

التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد

الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ-٢٥م.

٤٧٨ ص: ١٦, ٥ X ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٤٤-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٢١)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).

٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سظام.

العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٣٢٧, ٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ + فاكس: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سظام بن عبدالعزيز آل سعود. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ : اختلفت الروايات عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، فقال في رواية الكلبي : أقسم بالقرآن إذا نزل نجوماً على رسول الله ﷺ أربع آيات وثلاث آيات ، والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة . ونحو هذا روي عن عطاء^(١) ، وهو قول مقاتل ، والضحاك ، ومجاهد في رواية الأعمش عنه ، واختيار الفراء^(٢) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٩٠/٥ ، والوسيط ١٩٢/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٤/٤ .
 (٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠أ ، ومعاني القرآن للفراء ٩٤/٣ ، وجامع البيان ٢٧/٢٤ . قال الشنقيطي : أظهر الأقوال عندي وأقربها إلى الصواب في نظري أن المراد بـ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هنا في هذه السورة و﴿يَمُوقِعُ التُّجُورِ﴾ في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً ، وذلك لأمرين : أحدهما : أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى أن النبي ﷺ على حق ، وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجم ، وهو قوله : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ .

والثاني : أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم ، وهو أنسب لقوله بعده : ﴿وَلَئِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ، انظر : أضواء البيان ٧/٧٠٠ ، ٧٠١ .

وعلى هذا القول سُمِّي القرآن نجماً لتفريقه في النزول ، والعرب تسمي التفريق تنجيماً ، والمفرق نجوماً ، ومنه نجوم الدين ، ونجوم الكتابة ، وتقول : جعلت مالي على فلان نجوماً منجمة يؤدي كل نجم في شهر كذا .

وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها ، فيقول إذا طلعت النجم وهو الثريا : حل عليك مالي ، وكذلك سائرهما ، ومن هذا قول زهير في ديات جعلت نجوماً على العاقلة^(١) :

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مَخْجَمٍ^(٢)
هذا الذي ذكرنا هو الأصل ، ثم جعل كل تنجيم تفريقاً وإن لم يكن مؤقتاً بطولوع نجم .

ويدل على صحة هذا التأويل الذي ذكرنا في الآية قوله عز وجل : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ [الواقعة : ٧٥] . قال عبدالله : يعني القرآن . فلما ذكر القسم به هاهنا ذكر أيضاً هناك .

وقوله : (هَوَى) معناه على هذا القول : نزل .

قال الأصمعي : هَوَى يَهْوِي هَوِيّاً إذا سقط من علو إلى أسفل ، وقال أبو زيد : هَوَتِ الْعُقَابُ تَهْوِي هَوِيّاً بِالْفَتْحِ إِذَا انْقَضَّتْ عَلَى صِيدٍ أَوْ غَيْرِهِ . فهذان ذكرنا المصدر بفتح الهاء ، ونحو ذلك قال ابن الأعرابي ، وفرّق بين الهَوِي والهَوِي ، فقال : بالفتح في السريع إلى أسفل ، والضم في السريع إلى فوق ، وأنشد :

وَالدَّلْوُ فِي إِصْعَادِهَا عَجَلَى الْهُوِيِّ^(٣)

(١) العاقلة : قبيلة الرجال ، ولا يُحملون من الدية ما لا يطيقونه . اللسان (عقل) ٨٤٥ / ٢ .

(٢) انظر : ديوان زهير ١٧ ، وتهذيب اللغة ١١ / ١٢٩ ، واللسان (نجم) ٣ / ٥٨٩ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٦٤ . والمُحْجَم : آلة الحجام ، والمعنى أنها لم يريقوا مقدار ما يملأ محجماً من الدماء .

(٣) لم أجدّه منسوباً ، وانظر : الأضداد لقطرب ١٢٠ ، وفيه : (إتراعها) بدل (إصعادها) .

بالضم . وقال الليث : العامة تقول : الهَوِي في مصدر هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا . وأمَّا الهَوِي فالحين من الزمان ، يقال : جلست عنده هَوِيًّا . هذا كلام أهل اللغة^(١) .

وبأن أن معنى (هَوَى) سقط كسقوط النجم في مغاربه من الأفق ، ولما سُمِّي القرآن نجماً سُمِّي نزوله هَوِيًّا ليتجانس اللفظ .

وقال في رواية علي بن أبي طلحة وعطية : يعني والثريا إذا سقطت وغابت ، وهو قول مجاهد في رواية ابنه ، ومنصور ، وابن أبي نجيح عنه^(٢) .

والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة .

قال ساجعهم^(٣) :

طَلَعَ النَجْمُ غُدْيَهُ ابْتَغَى الرَّاعِي شُكْيَهُ^(٤)
وقال أيضاً :

طَلَعَ النَجْمُ عَشِيًّا ابْتَغَى الرَّاعِي شُكْيًّا

(١) انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤٨٨/٦ ، واللسان (هوا) ٨٤٨/٣ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٦٢٧/٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٦ .
وقال ابن جرير : «والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع الثريا» . انظر : جامع البيان ٢٧/٢٥ .

(٣) في نسخة (ك) : (سابعهم) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٢٧/١١ ، ولم ينسبه إلى قائل ، وشواهد الكشاف ٦ ، والتفسير الكبير ٢٨/٢٧٩ ، والبحر المحيط ٨/١٥٧ ، وفي ارتشاف الضرب ١/١٧٠ :

طَلَعَ النَجْمُ غُدْيَهُ وَبَعَّ لِرَاعِي كُسْيَهُ

وفي الأضداد لابن الأنباري ٦٢ :

إذا الثريا طلعتْ غُدْيَهُ فَبِعَ لِرَاعِي غَنِمٍ كُسْيَهُ

يعني الثريا ، ومنه قول الراعي يصف قدراً كثيرة الدسم :

فَبَاتَتْ تَعْدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بَأْيِدِي الْآكِلِينَ جُمُودَهَا^(١)
يريد : تَعْدُّ أنجم الثريا .

قال ابن دريد : وهي سبعة أنجم ؛ ستة منها ظاهرة ، وواحد منها خفي ،
يمتحن الناس به أبصارهم^(٢) .

وقوله : فباتت تَعْدُّ النجم يدل على أن هذا كان في وسط الشتاء حين تحلق
الثريا في وسط السماء ، وذلك في ليالي الشتاء ؛ لأنها لو كانت في أفق لم يكن عدُّها
في القدر .

وقال في رواية عكرمة : يعني الرجوم من النجوم ، وهي ما يرمى به الشياطين
عند استراق السمع^(٣) .

وهذا القول ظاهر ونحن نشاهد هوي النجم إذا رمى به .

وفيه :

إذا الثريا طلعتْ عشَاء فبغْ لراعِي غنمِ كسَاء
وفي الأضداد للأصمعي ٣٠ :

إذا الثريا طلعتْ عشِيَّة فبغْ لراعِي غنمِ كسِيَّة

(١) انظر : ديوان الراعي ١٩٤ ، والحماسة لأبي تمام ٢٠٧/٢ ، ومجاز القرآن ٢٣٥/٢ ، واللسان (نجم)

٥٩٠/٣ . المستحيرة : هي المتحيرة في امتلائها ؛ أي في مرقها . اللسان (حير) ١/٧٦٧ .

(٢) انظر : اللسان (نجم) ٥٨٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٨٢ .

(٣) انظر : الوسيط ٤/١٩٢ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٤ .

وهذا قول الحسن^(١). وقال أبو حمزة الثمالي: يعني النجوم إذا انتشرت يوم القيامة^(٢).

هذا الذي ذكرنا أقوال المفسرين .

وقال أبو عبيدة: النجم بمعنى النجوم . أقسم بالنجم إذا سقط في المغرب ، كأنه يخص الثريا دون غيرها ، واحتج بيت الراعي ، وجعل النجم فيه نجوم السماء عامة^(٣).

وعلى هذا أقسم بالنجم ليدل على ما فيها من العبرة بتصريف من يملك طلوعها وغيوبها ، ولا يملكه إلا الله وحده .

وقال الأخفش: النجم هاهنا معناه النبت الذي ليس له ساق ، وهوى سقط على الأرض^(٤) ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] ، وسنذكر الكلام في النجم بمعنى النبت إذا انتهينا إلى هذه الآية إن شاء الله . ثم ذكر جواب القسم ، فقال :

٢. قوله تعالى ﴿مَا صَلَ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ يعني النبي ﷺ ، يقول : ما ضل عن طريق الهدى وما غوى .

قال مقاتل : يعني ما تكلم بالباطل .^(٥)

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٨٢ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٤٤ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٣٥ ، وذكره الشوكاني ونسبه إلى جماعة المفسرين ، ورجَّحه . فتح القدير ١٠٤ / ٥ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٤٤ ، وفتح القدير ٥ / ١٠٥ شرحه ، ثم قال : وأما على قول من قال إنه الشجر الذي لا ساق له فلا يظهر للهوي معنى صحيح .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٥ .

٣. ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ؛ أي وما ينطق محمد بالقرآن من هوى نفسه .
قال الكلبي : قالت قريش : إن محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه ،
فنزلت هذه الآيات ^(١) .

قال أبو إسحاق : أي ما الذي يأتيكم به مما قاله بهواه .

٤. ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ؛ إن بمعنى ما . ^(٢)

قال الكلبي ومقاتل : ما القرآن إلا وحي من الله - عز وجل - يأتي به جبريل ،
فذلك قوله :

٥. ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ^(٣) . قال ابن عباس والمفسرون : يعني جبريل ^(٤)
عليه السلام ، والقوى جمع قوة .

٦. ﴿ذُومِرَقٍ﴾ . قال الكلبي : ذو شدة ^(٥) ، وقال مقاتل : ذو قوة ^(٦) .

ومعنى المِرَّة في اللغة شدة القتل وشدة أسر الخلق ، ومنه الحديث : « لا تحل
الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سوي » ^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٠ / ٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٠ / ٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ ، والوسيط ١٩٣ / ٤ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٩١ / ٥ ، وجامع البيان ٢٧ / ٢٥ ، وابن كثير ٢٤٧ / ٤ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٩١ / ٥ ، ومعالم التنزيل ٢٤٥ / ٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ ، وجامع البيان ٢٧ / ٢٥ عن ابن زيد ، ومجاهد ، وسفيان .

(٧) حديث صحيح ، أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٦٤ / ٢ ، ١٩٢ ، والترمذي في الزكاة ، باب : ما جاء من لا تحل له الصدقة ٤٢ / ٣ ، وأبو داود في الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة وحد الغنى ٤٠٧ / ١ ، وابن ماجه في الزكاة ٥٨٠ / ١ (٢٦) .

وأصل المِرَّة من أمررت الحبل ؛ أي شددت فتله ، وكل قوة من قوى الحبل مرة ، وجمعها مِرر^(١) . وتم الكلام عند قوله : ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾^(٢) ، وهو من نعت ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٣) .

ثم قال : ﴿فَاسْتَوَى﴾ . قال صاحب النظم : ﴿فَاسْتَوَى﴾ لا يحسن انتظامه بها قبله ؛ لأن دخول الفاء لو كان متصلاً بما قبله لوجب أن يكون ما قبله للاستواء ، وهو متصل بما بعده على تأويل ﴿فَاسْتَوَى﴾ ؛ أي جبريل ، ﴿وَهُوَ﴾ ؛ أي النبي ﷺ ، وعلى هذا عطف بقوله : ﴿وَهُوَ﴾ على الضمير المرفوع في ﴿أَسْتَوَى﴾ من غير تأكيد .

قال الفرّاء : وأكثر كلام العرب إذا نسقوا على المكنى المرفوع أن يؤكدوه^(٤) قبل أن ينسقوا عليه فيقولون : استوى هو وأبوه ، ولا يكادون يقولون : استوى وأبوه ، وربما فعلوا ذلك كقول الشاعر :

ألم تر أنّ النبع يصلبُ عودُهُ ولا يستوي والخروجُ المتقصفُ^(٥)

قال أبو إسحاق : وهذا عند أهل اللغة لا يجوز مثله إلّا في الشعر ، وإنما المعنى : استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على^(٦) صورته الحقيقية فاستوى ؛ لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل ، فأحب رسول الله ﷺ

(١) انظر : تهذيب اللغة (مر) ١٥ / ١٩٦ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٨٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٩٥ .

(٤) في (ك) : (يؤكدّه ، فيقول) .

(٥) انظر : معاني القرآن ٣ / ٩٥ ، والقطع والائتناف ٦٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٨٥ ، ولم أجد البيت منسوباً .

(٦) في (ك) : (على) ساقطة .

أن يراه على حقيقته ، فاستوى في أفق المشرق فملاً الأفق ، فالمعنى : فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته^(١) .

وشرح أبو علي الفارسي هذا الفصل ، فقال : قوله :

٧. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ مرتفع ﴿هُوَ﴾ فيه بالابتداء ، وليس هو وهو ، وكان قوله : ﴿بِالْأُفُقِ﴾ ظرفاً لـ (استوى) ، وليس كذلك ، ولكنه من استوى الذي هو يقتصر فيه على فاعل واحد ، كقوله : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص : ١٤] ، و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] . فقوله : ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ تأويلنا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ، وفيه ضمير للمبتدأ ، وقد تبين أنه لا دلالة لمن احتج بهذه الآية على جواز عطف الظاهر المرفوع على المضممر المرفوع من غير أن يؤكد ، ولكن يجيء في الشعر كقوله :

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزُهُرُ تَهَادَى كِنَعَاكِ الْمَلَا تَعَسَّفَنَ رَمَلًا^(٢)
انتهى كلامه^(٣) .

وعلى ما قالوا : الواو في ﴿وَهُوَ﴾ واو الحال لا العطف ، والضمير لجبريل .

وقول الفراء كما هو خطأ في العربية ، ولم يقله أيضاً أحد من المفسرين الذين يعتمدون في ما أعلم ، إنما جعلوا ﴿هُوَ﴾ ضميراً لجبريل .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٠ / ٥ .

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة كما في ديوانه ١٧٧ ، والكتاب ٣٩٠ / ١ ، والخصائص ٢ / ٢ ، والإنصاف ٤٧٥ .

(٣) لم أجده .

قال عطاء عن ابن عباس : رأى رسول الله ﷺ جبريل وهو بالأفق الأعلى في صورته له ستمائة جناح ، ونحو هذا ذكر الكلبي عنه ^(١) .

وقال مقاتل : ﴿ وَهُوَ ﴾ يعني جبريل ﴿ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾ يعني من قبل المطلع ^(٢) .

وقال الكلبي : يعني مطلع الشمس ^(٣) ، وهذا قول الجميع في الأفق الأعلى ، يعني أفوق المشرق ^(٤) . وذكرنا تفسير الأفق عند قوله : ﴿ إِيَّايَنَّا فِي الْأَفَاقِ ﴾ ^(٥) .

قال المفسرون : إن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة آدميين ، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جعل عليها فأراه نفسه مرتين ، مرة في الأرض ، ومرة في السماء ، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى ؛ وذلك أن محمداً ^(٦) ﷺ كان بحراء ^(٧) فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب ، فخر رسول الله ﷺ مغشياً عليه ، فنزل جبريل في صورة آدميين وضمه إلى نفسه ، وجعل يمسح الغبار عن وجهه ، ومثل هذا ^(٨) قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ، وأما في السماء فعند سدرة المنتهى ، ويأتي بيانه بعد ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ .

(١) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٩٣ ، وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة النجم) ٦ / ١٧٦ عن ابن مسعود بلفظ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ① فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . . . رأي جبريل له ستمائة جناح .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٩١ .

(٤) انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٨٨ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم : ٥٣ من سورة فصلت ، حيث قال : واحد الأفاق أفق ، وهو الناحية من نواحي الأرض ، وكذلك آفاق السماء أطرافها ونواحيها .

(٦) قوله : «وذلك أن محمداً» زيادة من الوسيط حيث لم تظهر في (ك) .

(٧) حراء (بالكسر ، والتخفيف ، والمد) : جبل من جبال مكة يبعد عنها نحو ثلاثة أميال . انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٣٣ .

(٨) في (ك) : (ومثل هذا) لم تظهر ، ولعل ما أثبتته العبارة .

هذا ، ولم يره أحد من الأنبياء^(١) على تلك الصورة إلا محمد ﷺ^(٢) .

وقوله : ﴿الْأَعْلَى﴾ ليس المراد به الأعلى في السماء ، وإنما المراد بالأعلى جانب المشرق ، وهو فوق جانب المغرب ، فهو أعلى منه في صعيد الأرض لا في الهواء . وقد يقال لما استعلى من البلاد آفاق تشبيهاً بآفاق السماء ، ومنه قول امرئ القيس :

فقد طوفت بالآفاق حتى رضى من الغنيمَةِ بالإياب^(٣)

ويموز أن يكون المراد بالآفاق الأعلى طرف السماء ، ويدل على صحة هذا التفسير الذي ذكرنا ، وهو أن جبريل كان بالآفاق الأعلى دون محمد ﷺ .

٨ . ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ : التدلي مطاوع التدلّية^(٤) . يقال : دلّيت الشيء في مهواه فتدلى ، فمعنى التدلي الامتداد إلى جهة السفلى . يقال : تدلى العذق تدلياً . هذا هو الأصل ، ثم يستعمل في القرب من العلو ، وهذا قول الفرّاء^(٥) .

وقال صاحب النظم : هذا من التقديم والتأخير ؛ لأن المعنى : ثم تدلى فدنا ، لأن التدلي سبب الدنو^(٦) .

(١) في (ك) : (الأنبياء) مطموسة .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٤ أب ، والوسيط ٤ / ١٩٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٥ ، وزاد المسير ٦٥ / ٨ .

(٣) تقدّم تخريجه .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٨ / ٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٤٧ ، وتفسير القاسمي ١٥ / ٥٥٥٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٩٥ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٢٨ / ٢٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٨٩ .

قال ابن الأعرابي : تدلى إذا قرب بعد علو ، وتدلى تواضع ، ويقال : تدلى فلان علينا من أرض كذا ؛ أي أتانا ، يقال : من أين تدليت علينا ؟ قال أسامة الهذلي^(١) :

تَدَلَّى عَلَيْنَا وَهُوَ زُرْقُ جَمَامُهُ لَهُ طَحْلِبٌ فِي مُتَهَى الْقَيْضِ هَامِدٌ^(٢)
وقال ليبيد :

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا وَعَلَى الْأَرْضِ غَيَايَاتُ الطَّفَلِ^(٣)
أراد أنه نزل من مر بابه وهو على فرسه راكب . ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل^(٤) . قال الكلبي : ثم دنا جبريل من محمد فتقرب منه^(٥) .

وقال الحسن وقتادة : ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ﷺ^(٦) .

وقال أبو صالح : جبريل الذي دنا فتدلى^(٧) .

(١) أسامة بن الحارث الهذلي ، يكنى أبا سهم ، كان من بني عمرو بن الحارث ، عاش في الجاهلية وصدر الإسلام . انظر : الشعر والشعراء ٤١٩ ، والإصابة ٢٠ / ١ ، وديوان الهذليين ١٥٢ / ٢ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ١٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (دال) ١٧٣ / ١٤ ، واللسان (دلا) ١٠٠٩ / ١ ، وروايتها : زرق حمامة ، وكذا ذكرها المؤلف ، وفي زيادات ديوان الهذليين ١٣٥١ / ٣ : زرقُ جمامه ، وهو الصواب ، ومعناه الماء الصافي الكثير .

(٣) انظر : ديوان ليبيد ١٤٥ . غيايات الطفل : هو ظل الشمس بالعشي . اللسان (طفل) ٥٩٩ / ٢ ، و(غيا) ١٠٣٩ / ١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (دال) ١٧٣ / ١٤ ، واللسان (دلا) ١٠٠٨ / ١ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٩٢ / ٥ ، ومعاني القرآن للقرآء ٩٥ / ٣ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥٠ ، والوسيط ١٩٣ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٦ / ٤ .

(٧) انظر : الوسيط ١٩٣ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٨ / ١٧ .

قال أبو إسحاق : معنى (دنا فتدلى) واحد ، لأن المعنى أنه قرب ، وتدلى زاد في القرب كما تقول : قد دنا مني فلان وقرب ، ولو قلت : قرب مني ودنا جاز^(١) .

قال أبو بكر بن الأنباري : معنى الآية : ثم تدلى جبريل فدنا من محمد ﷺ ، فقدم (دنا) على (تدلى) لأن الفعلين المصطحبين اللذين إذا وقع أحدهما موقع الآخر كان تقدم المتقدم كتأخره ، كقولك : دنوت فقربت ، وقربت فدنوت ، لا فرق بينهما ، وكذلك ظلمتني فأسأت ، بمنزلة : أسأت فظلمتني ، ومنه قوله : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] معناه انشق القمر ، واقتربت الساعة^(٢) .

٩ . ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ : القاب من القوس ما بين المقبض والسية^(٣) . ولكل قوس قابان ، والقاب في اللغة أيضاً القدر .

قال أبو عبيدة : قدر قوسين ، ونحو ذلك قال الفرّاء والزّجاج^(٤) .

وقال ابن السكيت : يقال : قاب قوس وقيب ، وقاد رمح ، وقيد رمح . كله بمعنى القدر^(٥) ، وهذا هو المعنى بما في الآية لا الأول ، وهو قول المفسرين جميعاً^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن ٥ / ٧٠ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٨٩ / ١٧ ، وفتح القدير ٥ / ١٠٦ ، وهو قول الفرّاء أيضاً . انظر : معاني القرآن ٣ / ٩٥ .

(٣) سية القوس : ما عطف من طرفيها ، ولها سيتان ، وقيل : رأسها ، وقيل : ما اعوج من رأسها . اللسان (سيا) ٢ / ٢٥٥ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٣٦ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥ / ٧١ ، واللسان (قوب) ٣ / ١١ .

(٥) انظر : إصلاح المنطق ٨٩ ، ولفظه : «قاب قوس وقيب قوس ، وقيس رمح وقاس رمح . . .» ، وتهذيب اللغة (قاد) ٩ / ٢٤٧ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٦ ، والقرطبي ١٧ / ٨٩ .

قال الكسائي : وهي لغة حجازية ، يقال : كان مني قاب قوسين ، وقاد قوسين ، وقيد قوسين^(١) ، وانتصب قاب على خبر كان .

قال الزَّجَّاج : المعنى كان ما بينه وبين رسول الله ﷺ مقدار قوسين^(٢) .

وقال الكلبي : ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قدر قوسين من القسي العربية ، وهو قول مجاهد ، ورواية عكرمة عن ابن عباس وعطاء ، قالوا : قدر قوسين^(٣) .

وقال الكلبي ، والحسن ، وقتادة : قيد قوسين^(٤) .

والمراد بالقوس هي التي ترمى منها في قول هؤلاء ، وخصت بالذكر على عاداتهم كما ذكره الكسائي^(٥) .

وقال عبدالله : قدر ذراع أو ذراعين^(٦) .

وروى عاصم عن أبي رزين ، قال : القاب : القيد ، والقوس : الذراع . وهذا قول شقيق^(٧) بن سلمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي إسحاق الهمداني ، قالوا : قدر ذراعين^(٨) ، وعلى هذا معنى القوس : ما يقاس به الشيء ؛ أي يقدر كالذراع .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٥ ب .

(٢) انظر : معاني القرآن ٧١ / ٥ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٢ / ٥ ، والوسيط ١٩٤ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٦ / ٤ ، وزاد المسير ٧٦ / ٨ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥٠ ، وجامع البيان ٢٧ / ٢٧ .

(٥) انظر : الوسيط ١٩٤ / ٤ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٢٧ .

(٧) في (ك) : (سفيان) ، والصواب ما أثبتته .

(٨) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٢٧ ، والوسيط ١٩٤ / ٤ ، والقرطبي ٩٠ / ١٧ . قال ابن حجر : وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح ، فقد أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : القاب : القدر ، والقوسان الذراعان ، ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها لم يمثل بذلك ، ليجتاح إلى التثنية ، فكان يقال مثلاً : قاب رمح أو نحو ذلك . فتح الباري ٨ / ٦١٠ .

قال ابن السكيت : قاس الشيء يَُقَوِّسُهُ قوساً لغة في قاسه إذا قدرته ، يقال : قَسَيْتُهُ وَقُسَيْتُهُ ^(١) .

والقوس مصدر كالقيس ، ثم سُمِّيَ ما يقاس به الشيء قوساً ، وهي لغة أهل الحجاز .

وروى الشعبي عن مسروق ، قال : قلت لعائشة - رضي الله عنها - في قوله ^(٢) : ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قال : ذاك جبريل ^(٣) ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ^(٤) .

وقوله : ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ : أو أقرب بنصف القوس ، وقال مقاتل : بل أقرب من ذلك ^(٥) .

قال أبو إسحاق : خاطب الله تعالى العباد على لغتهم ومقدار فهمهم . والمعنى : أو أدنى في ما تقدرون أنتم كما تقول في الشيء تقدّره : هذا قدر رحيم ، أو نقص ، أو أرجح ، والله تعالى عالم بمقادير الأشياء من غير شك ، ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة في ما بيننا ^(٦) ، وقد مر مثل هذا في قوله : ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ^(٧) .

(١) انظر : إصلاح المنطق ١٣٧ ، وتهذيب اللغة (قاس) ٢٢٥ / ٩ .

(٢) في (ك) : (في قوله) ساقطة .

(٣) انظر : صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ١٥٩ / ١ ، وجامع البيان ٢٧ / ٢٧ ، والوسيط ١٩٤ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥١ ، وابن كثير ٤ / ٢٤٩ ، وفتح الباري ٨ / ٦٠٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٧١ .

(٧) من الآية رقم ١٤٧ من سورة الصافات . قال : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ، قال أبو عبيدة : أو هاهنا ليست شكاً ، وقالوا هي في موضع الواو وهو قول قطرب واختيار ابن قتيبة ، ومثله (أو أدنى) ، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، وبعضهم يذهب إلى أنها بمعنى (بل) ، وبه قال الفراء ، وهو قول مقاتل والكلبي وقال الأخفش : كانوا كذلك عندكم وبه قال الزجاج .

ومعنى الآية أن جبريل مع عظمه وكثرة أجزائه حتى سد الأفق بجناحه دنا من النبي ﷺ في غير تلك الصورة حتى قرب منه بعدما رآه على الصورة الأولى ، وفي ذلك بيان قدرة الله تعالى .

١٠-١١ . قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي : أوحى جبريل إلى النبي ﷺ ما أوحى الله إليه ^(١) .

وقال قتادة : يوحى الله إلى جبريل ويوحى جبريل إلى محمد ﷺ . هذا قول الحسن ، وابن زيد ^(٢) ، واختيار الفراء ، والزجاج ، وابن الأنباري ^(٣) .

قوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ ﴾ . يقال : كذبتني فلان بالتخفيف ؛ أي قال لي الكذب ولم يصدقني ، وهذا فعل يتعدى إلى مفعول واحد ، يدل عليه قول الأخطل :

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ حَيَالًا ^(٤)
أي أرتك ما لا حقيقة له ، كما أنك إذا قلت : كذبتني عيني ، معناه : رأت ما لا حقيقة له . ومعنى الآية : كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة .

قال المفسرون : هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج .

(١) انظر : الوسيط ٤ / ١٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٦ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٢٨ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٦ ، والوسيط ٤ / ١٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٩٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٧١ .

(٤) انظر : ديوان الأخطل ١ / ١٠٥ ، والكتاب ٣ / ١٧٤ ، والخزانة ٦ / ٩ ، ومغني اللبيب ٤٥ ، والمقتضب ٣ / ٢٩٥ .

قال ابن عباس في رواية عطاء : رأى ربه بقلبه^(١) .

وقال في رواية باذان : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ ﴾ يعني فؤاد رسول الله ﷺ ، وإنما رأى محمد ربه بفؤاده ولم يره بعينه^(٢) .

وقال في رواية عكرمة : رآه بقلبه^(٣) .

وقال في رواية أبي العالية : رآه بفؤاده^(٤) ، ونحو هذا روي عن أبي ذر^(٥) وإبراهيم التيمي ، وعلى هذا القول رأى النبي ﷺ ربه بفؤاده رؤية صحيحة ، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده ، أو خلق لفؤاده بصرًا حتى رأى به رؤية غير كاذبة كما يرى بالعين^(٦) .

ومذهب جماعة من المفسرين أنه رآه بعينه ، وهو قول أنس^(٧) ، وعكرمة ، والحسن ، وكان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه^(٨) ، ونحو ذلك قال الربيع^(٩) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ : ١٥٨ / ١ بلفظ : «رآه بقلبه» . قال ابن حجر : وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضاً عن ابن عباس ، قال : لم يره رسول الله ﷺ بعينه ، إنما رآه بقلبه . فتح الباري ٦٠٨ / ٨ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٢ / ٥ ، والدرر ١٢٥ / ٦ ، وزاد نسبة تخريجه إلى ابن جرير وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير (سورة النجم) ٣٦٩ / ٥ ، وقال : هذا حديث حسن ، وابن جرير في جامعه ٢٨ / ٢٧ ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢٥١ / ٢ .

(٤) انظر : صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ : ١٥٨ / ١ ، ولفظه : «رآه بفؤاده مرتين» ، ومسند الإمام أحمد ٢٢٣ / ٢ ، والطبري ٢٩ / ٢٧ .

(٥) رواه ابن خزيمة بلفظ : «رآه بقلبه ولم يره بعينه» ، وفتح الباري ٦٠٨ / ٨ .

(٦) انظر : شرح النووي على مسلم ٦ / ٣ ، ومعالم التنزيل ٢٤٦ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٢ / ١٧ .

(٧) رواه ابن خزيمة بلفظ : «رأى محمد ربه» ، وفتح الباري ٦٠٨ / ٨ .

(٨) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٥٣ / ٢ .

(٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٦ / ٣ ، ٧ ، وفتح الباري ٦٠٨ / ٨ ، وزاد نسبة هذا القول إلى عروة بن الزبير وكعب الأحبار ، والزهرى ، ومعمر ، والأشعري ، وغالب أتباعه ، وسائر أصحاب ابن عباس ، والإمام أحمد .

وروى عكرمة أنه قال : أتعجبون أن تكون الخلقة لإبراهيم ، والكلام لموسى ،
والرؤية لمحمد ﷺ^(١) .

وروى عبدالله بن الحارث عن ابن عباس أنه قال : أمّا نحن بنو هاشم فنقول
إن محمداً رأى ربه مرتين^(٢) .

وكل هؤلاء أثبتوا رؤية صحيحة إمّا بالعين والبصر ، وإمّا بالفؤاد على ما
يبيّن^(٣) .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير تفسير (سورة النجم) ٢/ ٤٦٩ ، وقال : حديث صحيح
على شرط البخاري ، ولم يخرجاه . انظر : فتح الباري ٨/ ٦٠٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٥/ ٣٦٨ من كلام كعب ، حيث قال : فقال كعب : وإن الله قسم
رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ، فكلم موسى مرتين ، ورآه محمد مرتين . وابن جرير في تفسيره
٢٧/ ٣١ ، وذكر عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٢ قول ابن عباس ، ثم قال : فكبر كعب حتى جاوبته
الجبال ، ثم قال . . . وذكر كلام كعب .

(٣) قال ابن كثير رحمه الله : ومن روى عنه (أي عن ابن عباس) بالبصر فقد أغرب ، فإنه لا يصح في ذلك
شيء عن الصحابة رضي الله عنهم ، وقول البغوي في تفسيره : وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه ، وهو
قول أنس والحسن وعكرمة ، فيه نظر ، والله أعلم . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٠ .

قلت : وما ذكره ابن كثير - رحمه الله - عن البغوي هو كلام الواحدي ، وإننا نقله البغوي عنه .
والخلاف في هذه المسألة مشهور ، ويقول كلُّ قال أناس من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ،
والنصوص الواردة في هذا الباب لا تؤيد وجهة أحدهما ، ولهذا نقل القاضي عياض عن بعض مشايخه
التوقف ، ورَّجَّحه القرطبي . انظر : فتح القدير ٨/ ٦٠٨ ، وروح المعاني ٢٧/ ٥٣ .

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وليس
قول ابن عباس «أنه رآه» مناقضاً لهذا ، ولا قوله «رآه بفؤاده» وقد صح عنه أنه قال : «رأيت ربي تبارك
وتعالى» ، ولكن لم يكن هذا في الإسراء ، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح .

وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين» ، وعائشة
أنكرت الرؤية . فمن الناس من جمع بينهما ، فقال : عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت
رؤية الفؤاد . . . والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة . . . ولم يثبت
عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه . وكذلك الإمام أحمد . . . لكن طائفة من أصحابه سمعوا
بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه =

قال المبرّد : ومعنى الآية أنه رأى شيئاً فصدق فيه ^(١) .

وقال أبو الهيثم : أي لم يكذب الفؤاد رؤيته ، و(مَا رَأَى) بمعنى الرؤية .
يقال : ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم ^(٢) يَر ، بل صدقه الفؤاد رؤيته ^(٣) ، وعلى هذا
(مَا رَأَى) مصدر في موضع النصب ؛ لأنه مفعول كذب .

وقرأ ابن عامر (مَا كَذَّبَ) بالتشديد ^(٤) . قال المبرّد : ومعناه أنه رأى شيئاً
بقلبه ، قال : وفي هذه القراءة بُعِد ؛ لأنه إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضاً بقلبه ،
وإذا وقع العلم فلا تكذيب معه ؛ لأن القلب يكذب ويصدق . فإذا كان الشيء
في القلب معلوماً فكيف يكون معه تكذيب ، وهذا على ما قال المبرّد إذا جعلت
الرؤية للفؤاد ، فإن جعلتها للعين زال هذا الإشكال ، وصح هذا المعنى ، فيقال :
ما كذب فؤاده ما رآه ببصره ^(٥) .

رؤية العين . مجموع الفتاوى ٥٠٧/٦ - ٥٠٩ . قلت : «وهذا الكلام النفيس يتبين اتفاق الصحابة
- رضوان الله عليهم - على أنه لم يره بعينه ، والله أعلم» . انظر : زاد المعاد ٣/٣٧ ، وتفسير القرآن
العظيم ٤/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٢٢٢ - ٢٢٦ ، وتفسير ابن عباس ومروياته في
التفسير من كتب السنة ٢/ ٨٣٥ - ٨٤١ .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٨/ ٢٨٩ .

(٢) في (ك) : (أي لم) ، والصواب ما أثبتته .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٠/ ١٧٠ ، واللسان (كذب) ٣/ ٢٣٣ .

(٤) قرأ أبو جعفر ، وابن عامر في رواية هشام : (مَا كَذَّبَ) مشددة ، وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان
وبقية العشرة : (مَا كَذَّبَ) مخففة . انظر : حجة القراءات ٦٥ ، والنشر ٢/ ٣٩ ، والإتحاف ٤٠٢ .

(٥) انظر : الوسيط ٤/ ١٩٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٤ . قال ابن جرير في معنى قراءة التشديد :
«إن الفؤاد لم يكذب الذي رأى ، ولكنه جعله حقاً وصدقاً ، وقد يحتمل أن يكون معناه إذا قرئ
كذلك : ما كذب صاحب الفؤاد ما رأى لذا هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة
من قرأ بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه ، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها» .
جامع البيان ٢٧/ ٢٩ . قلت : وإذا أمكن توجيه القراء وحملها على وجه صحيح فلا مجال لردّها ،
كيف وقد صحت عن رسول الله ﷺ وعندها فلا قبول لقول أحد بعد صحتها عن أفصح العرب ﷺ
مهما بلغت درجته ومنزلته ونسأل الله له المغفرة .

وأنكرت عائشة - رضي الله عنها - رؤية محمد ﷺ ربه ليلة المعراج ، وكانت تخالف ابن عباس في مذهبه ، وتذهب بهذه الرؤية إلى رؤية جبريل ^(١) . وظاهر الآية مع ابن عباس ، وقد قال معمر : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ^(٢) .

ثم هذا الاختلاف من أدل دليل على أن الباري جازز الرؤية ؛ لأن ما لا تجوز رؤيته لا يختلف في رؤيته ، وعائشة أنكرت الرؤية في الدنيا وقبل الموت ، واحتجت بقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٣) [الأنعام : ١٠٣] الآية .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ . قال الكلبي وغيره من المفسرين : لما نزل ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ الآيات ، أتى عتبة بن أبي لهب رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد هو يكفر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ، فنزلت هذه الآية ^(٤) .

(١) انظر : سنن الترمذي في كتاب التفسير ٣٦٨ / ٥ عن مسروق ، عن عائشة ، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٩ / ٤ ، وبهذا قال ابن مسعود وأبو ذر وأبو هريرة .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥٢ .

(٣) قلت : تقدم الكلام على هذه المسألة . وفي قوله تعالى : ﴿ وَنُوحٌ بِوَمِيذٍ نَّاصِرٌ ﴾ ^(١٢) إِلَى رَجْعِهَا نَاطِرٌ ، وفي الأخبار الصحيحة المشهورة ما ثبت وقوعها للمؤمنين في الآخرة ، وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة إلى المرنى .

وقال الإمام مالك : إنما لم يُرَ سبحانه في الدنيا ؛ لأنه باق ، والباقي لا يرى بالفاني ، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رَأَوْا الباقي بالباقي . انظر : فتح الباري ٨ / ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٨٣ ، وتخريجات الكشف ١٦٠ ، وقال : « أخرجه أبو نعيم في الدلائل » ، ورواه البيهقي في الدلائل ، والطبراني من طريق سعيد ، عن قتادة مطولاً نحوه ، ورواه الحاكم في الدلائل أيضاً ، وقال البيهقي : هكذا قال عباس بن الفضل الأزرق ، وليس بالقوى ، وأهل المغازي يقولونه عتبة أو عتبة . انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٣٣٩ .

وَقُرِئَ : (أَفْتَمَرُونَهُ) ^(١) . قال عامة المفسرين وأهل التأويل ^(٢) : ﴿أَفْتَمَرُونَهُ﴾
أَفْتَجَادَلُونَهُ ، و(أَفْتَمَرُونَهُ) أَفْتَجَحَدُونَهُ ، تقول العرب : مريت الرجل حقه إذا
جحدته . قال الشاعر :

لئن هجرت أخا صدقٍ ومكرمةٍ لقد مريتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَ ^(٣)

قال المُبَرِّد : (أَفْتَمَرُونَهُ) ؛ أي أَتَدَفَعُونَهُ عما يرى ، قال : و(على) في موضع
عن ^(٤) ، و(أَفْتَمَرُونَهُ) ؛ أي أَتَدَفَعُونَهُ وتَمَارُونَهُ ، كأنه أغلب في هذا الموضع للإنكار
عليهم ؛ أي تجادلونه في ما رأى وعلم . وأمّا الجحود منهم فقد كان ذلك عاماً في ما
يأتيهم به الرسول ﷺ ، والجدال في هذا الموضع كأنه أغلب ، والمعنيان يتقاربان ؛
لأن مجادلتهم جحود فيجتمع فيه الجحود والمجادلة ، وقد كانت من المشركين
مجادلة النبي ﷺ حين أسري به ، قالوا : صِفْ لنا مسجد بيت المقدس ^(٥) ، وأخبرنا
عن غيرنا التي في طريق الشام ^(٦) ، وغير ذلك مما جادلوه به ^(٧) .

(١) قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب (أَفْتَمَرُونَهُ) مفتوحة التاء بغير ألف ، وقرأ الباقون :
(أَفْتَمَرُونَهُ) بألف . انظر : حجة القراءات ٦٨٥ ، والنشر ٣٧٩ / ٢ ، والإتحاف ٤٠٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرء ٩٦ / ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٧٢ / ٥ ، وجامع البيان ٢٩ / ٢٧ ،
والوسيط ١٩٧ / ٤ .

(٣) ورد البيت غير منسوب في الكشف ٣٨ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٣ / ١٧ ، والبحر المحيط
١٥٩ / ٨ ، وتخريجات الكشف ٨٧ / ٤ ، ومعناه : لئن ذممت أخا صدق ومكرمة ، فقد غلبته في
الجدال ، وأنفدت ما عنده ، أو جحدت حقه كأنك أخذت منه ، أو تسببت في إخراج ما عنده فيذمك
كما ذمته .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (مرى) ٢٨٣ / ١٥ .

(٥) بيت المقدس : يطلق على الأرض المباركة ، وعلى الطور الذي كلم الله موسى عليه السلام . والمراد به
عند الإطلاق المسجد الأقصى . انظر : معجم البلدان ١٩٣ / ٥ .

(٦) الشام : سميت بذلك لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فشاءوا بها إليها ، وقيل غير
ذلك . طولها من الفرات إلى العريش نحو شهر ، وعرضها نحو عشرين يوماً . انظر : معجم البلدان
٣٥٣ / ٣ .

(٧) انظر : الوسيط ١٩٧ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٧ / ٤ ، والقرطبي ٩٣ / ١٧ .

واختار أبو عبيد (أفتمرونه) ، قال : وذلك أن المشركين إنما كان شأنهم الجحود لما كان يأتيهم من الوحي ، فهذا أكثر من الممارسة^(١) .

قال أبو علي : من قال : (أَفْتَمَارُونَهُ) فمعناه : أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما هو^(٢) عليه وشاهده الوحي ، ويقوّي هذا الوجه قوله : ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ [الأنفال: ٦] ، ومن قال : (أفتمرونه) كان المعنى : أفتجحدونه ، والمجادلة كأنه أشبه في هذا ؛ لأن الجحود كان منهم في هذا وفي غيره ، وقد جادله المشركون في الإسراء به ، فكان مما قالوا : صِفْ لنا عيرنا في طريق الشام ونحو ذلك^(٣) .

وقد صح المعنيان عند^(٤) المبرّد ، وأبي علي ، على^(٥) أن الوجه قراءة العامة لا ما اختاره أبو عبيد ؛ وذلك أن الجحود كان عاماً منهم في كل ما يأتي به الرسول ﷺ ، والجدال كان في هذا خاصاً على ما ذكرنا^(٦) .

وأيضاً فإنه لا مجادل إلا وهو جاحد ، وقد يجحد الشيء من لا يجادل فيه ، فالجدال إذاً أعم .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١٧ ، وفتح القدير ١٠٦/٥ .

قال النحاس : «غير أن أبا حاتم حكى أنه قال : لم يباروه وإنما جحدوه ، قال : وفي هذا طعن على جماعة من القراء تقوم بقراءتهم الحجة . . . والقول في هذا أنها قراءتان مستفيضتان قد قرأ بها الجماعة ، غير أن الأولى من ذكرنا من الصحابة ، فأما أن يقال لم يباروه فعظيم ؛ لأن الله - جل وعز - قد أخبر أنهم قد جادلوا ، والجدال هو المراء ، ولا سبياً في هذه القصة . . . » . إعراب القرآن ٢٦٥/٣ .

(٢) (هو) ساقطة .

(٣) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٣٠/٦ .

(٤) (عند) ساقطة من نسخة (ك) ، وبها يستقيم الكلام .

(٥) (على) ساقطة من نسخة (ك) ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) انظر : الوسيط ١٩٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٣/١٧ .

١٣. معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أكثر العلماء على أن المعنى أنه رأى جبريل في صورته مرتين على ما ذكرنا^(١).

وقال ابن عباس : رأى ربه على ما ذكرنا في قوله : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ .

وعلى هذا معنى قوله : ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ يعود إلى محمد ﷺ ، وقد روي أنه كانت له عرجات في تلك الليلة لما استحط ربه من أعداد الصلوات المفروضة ، فيكون لكل عرجة نزلة ، فيحتمل أنه رأى ربه - عز وجل - في بعض تلك النزلات^(٢) .
(وهو) ؛ أي محمداً ﷺ .

١٤. ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ . والسدر في اللغة : ضرب من شجر النبق^(٣) .

قال عطاء عن ابن عباس : وإنما سميت سدرة المنتهى ؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها^(٤) ، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ حين تدلى إليه الرفرف^(٥) .

(١) وفي صحيح مسلم أن عائشة سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِآلِافٍ مَلِيٍّ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ، فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض في كتاب الإيوان ، باب : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ١٥٩/١ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٢٤٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٤/١٧ . قال ابن حجر : «وأبدى بعض الشيوخ حكمة لاختيار موسى تكرير ترداد النبي ﷺ ، فقال : لما كان موسى قد سأل الرؤية فمنع وعرف أنها حصلت لمحمد ﷺ قصد بتكرير رجوعه تكرير رؤيته ليرى من رأى» .
قال الشيخ ابن باز في تعليقه على هذه الحكمة : «ليست بشيء ، والتحقيق أن النبي ﷺ لم ير ربه . . .» .
فتح الباري ٤٦٣/١ .

(٣) في (ك) : البر ، والنَّبَق (بشديد النون ، وكسر الباء) : ثمر السدر . اللسان (نبق) ٥٧٠/٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبَةَ في المصنف ١٥٠/١٣ عن ابن عباس ، قال : «سألت كعباً . . .» ، وانظر : تنوير المقباس ٢٩٣/٥ ، وجامع البيان ٣١/٢٧ عن كعب ، والكشف والبيان ٨/١٢ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٩٥/١٧ عن كعب أيضاً .

(٥) لم أجد من قال بأن النبي ﷺ تجاوز سدرة المنتهى ، وقد نقله النووي عن الواحدي في شرحه على =

وقال الكلبي ومقاتل : هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى إليها علم كل ملك^(١) .

وقال عبدالله : سميت سدرة المنتهى ؛ لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى لا يعدوها^(٢) .

وقال أبو هريرة : لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة ، ف قيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمتك على سُنَّتِكَ ، وإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء إلى قوله : ﴿عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، والورقة منها مغطاة للأمة كلها^(٣) ، وقال عبدالله : هي شجرة عليها فضول السندس والإستبرق^(٤) .

مسلم ٢/ ٢١٤ ، ونسبه إلى ابن عباس والمفسرين ، والذي في الصحيح : «ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» . والررفرف هو المذكور في الصحيح ، حيث قال : «رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق» . يوضحه ما أخرجه النسائي والحاكم عن ابن مسعود ، قال : «أبصر نبي الله ﷺ جبريل - عليه السلام - على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض» . انظر : صحيح البخاري في كتاب الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلوات في الإسرائ ٩/ ١ ، وكتاب التفسير ، باب : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَابَتِي رَبِّيَ الْكَرِيمَ﴾ ١٧٦/ ٦ ، وفتح الباري ٨/ ٦١١ ، والمستدرک ٢/ ٤٦٩ .

- (١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أب ، وتنوير المقباس ٥/ ٢٩٣ .
- (٢) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٣١ ، والكشف والبيان ٨/ ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٨ .
- (٣) أخرجه ابن جرير والثعلبي . انظر : جامع البيان ٢٧/ ٣٢ ، والكشف والبيان ٨/ ١٢ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٩٥ ، ٩٦ .
- (٤) أخرجه ابن جرير والفريابي ، وابن أبي شيبة ، والطبراني . انظر : جامع البيان ٢٧/ ٣٢ ، والدر ١٢٥/ ٦ .

وروى قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «لما عرج بي إلى السماء السابعة رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة وإذا نبقتها مثل قلل (١) هجر (٢) وورقها مثل أذن الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل : ما هذا ؟ قال : أمّا النهران الباطنان ففي الجنة - قال مقاتل : هما السلسبيل والكوثر (٣) - وأمّا النهران الظاهران فالنيل والفرات (٤) .

وروى عكرمة عن ابن عباس ، قال : سألت كعباً : ما سدرة المنتهى ؟ قال : سدرة ينتهي إليها علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم (٥) .

فهذا ما ذكره المفسرون ورووه في سدرة المنتهى (٦) .

ومعنى المنتهى موضع الانتهاء ، وهذه الشجرة هناك وعندها تنتهي الملائكة والنبون ، فلذلك أضيفت السدرة إلى المنتهى .

١٥ . قوله تعالى : ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة (٧) .

(١) القلال : جمع قلة ، والقلة : الحب العظيم ، وقيل : الجرة العظيمة ، وقيل : الكور الصغير . انظر : النهاية ٢٧٥ / ٣ .

(٢) هَجَرَ : قرية قريبة من المدينة ، وليست هجر البحرين ، وكانت تُعمل فيها القلال . النهاية ٢٧٥ / ٣ ، ومعجم البلدان ٤٥٢ / ٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ ب

(٤) لم أجده .

(٥) انظر : جامع البيان ٣١ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٤٨ / ٤ ، والقرطبي ٩٥ / ١٧ .

(٦) المنتهى : بمعنى الانتهاء - على اختيار ابن جرير - فكأنه قيل عند سدرة الانتهاء ، وجوز العموم في كل ما روي عن المفسرين في هذا المعنى حيث لم يرد خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض ؛ فلا قول فيه أصح من القول ، الذي قال ربنا جل جلاله ، وهو أنها سدرة المنتهى . جامع البيان ٣١ / ٢٧ .

(٧) انظر : الوسيط ١٩٨ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٨ / ٤ .

وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء ^(١) .

وروى عكرمة عن ابن عباس عن كعب ، قال : جنة المأوى فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء ، وهذا قول أكثر المفسرين ^(٢) ، وقالت عائشة رضي الله عنها : هي جنة من الجنان ^(٣) ، وهو قول زر بن حبیش .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ : إذ متعلق بقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ، واختلفوا في الذي كان يغشى السدرة في ذلك الوقت ، فروي أن النبي ﷺ سئل : ما غشيها ؟ قال : « فراش من ذهب » ^(٤) ، وهو قول عبدالله ، وسعيد بن جبير ، ورواية عكرمة عن ابن عباس ^(٥) .

وروى الضحاك عنه : قال رسول الله ﷺ : « رأيتها حتى استثبتتها ثم حال دونها فراش من ذهب » ^(٦) ، وهو قول مسروق وأبي العالية ^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ ، والمصنف لابن أبي شيبة ١٣ / ١٥٠ ، والحلية ٥ / ٣٨١ ، وتنوير المقباس ٢٩٣ / ٥ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥٣ ، وجامع البيان ٢٧ / ٣٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٨ .

(٣) لم أجده .

(٤) قلت : الذي عند الترمذي في كتاب التفسير ٥ / ٣٦٧ (٣٢٧٦) . قال ابن مسعود : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ قال : السدرة في السماء السادسة ، قال سفيان : « فراش من ذهب . . . » . الحديث . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

وتقدم في الحديث الذي رواه البخاري وغيره أنه ﷺ قال : « وغشيها ألوان لا أدري ما هي . . . » . والأقوال المروية عن الأئمة إن صحت نسبتها إليهم في تفسير الآية اجتهادات منهم ، ربما لم يبلغهم الحديث الصحيح ، والله تعالى أعلم .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٣ ، والكشف والبيان ١٢ / ٩ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٥٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير . انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٣ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٨ .

وقال مقاتل : غشيتها الملائكة^(١) ، وروي عن الحسن : غشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر^(٢) .

وروي أن النبي ﷺ قال : « رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل »^(٣) .

وقال إبراهيم ومجاهد : رفر ف أخضر^(٤) .

وقال السُّدي : غشها طيور من فوقها^(٥) .

وروي مرفوعاً : « غشها نور من الله حتى ما يستطيع أحد ينظر إليها »^(٦) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد النبي ﷺ ؛ لأن الله تعالى أعطاه من القوة ما قوي به على النظر إلى الآيات^(٧) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٤٨ ، والقرطبي ١٧/ ٩٦ ، ولم أجده في تفسير مقاتل .

(٢) انظر : الوسيط ٤/ ١٩٨ ، وذكر غيره من المفسرين هذا القول منسوباً إلى الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة ، وذكروا قول الحسن بلفظ : « غشها نور رب العالمين فاستنارت » . انظر : الكشف والبيان ١٢/ ٩ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٢ .

(٣) قال ابن حجر : أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : قيل يا رسول الله : أي شيء رأيت يغشى تلك الشجرة ، فذكره وأتم منه . وعبد الرحمن ضعيف ، وهذا معضل . تخريجات الكشف ٤/ ٣٣٥ ، وأخرجه الثعلبي بلفظ : ويروى أن رسول الله ﷺ . . . من دون سند . الكشف والبيان ١٢/ ٩ ب . وانظر : جامع البيان ٢٧/ ٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٢ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٩٧ ، وفتح القدير ٥/ ١٠٧ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٤٨ .

(٦) لعل مراد المؤلف - رحمه الله - ما ورد في الصحيح ، وقوله ﷺ : « فلما غشها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . . . » صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله ﷺ . . . ١٤٦/ ١ .

(٧) لم أقف عليه .

فعلى هذا القول معنى الآية : ما ملَّ بصره من رؤية الآيات خوفاً وجزعاً .

وروى مسلم عن ابن عباس : ما زاغ البصر يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به ^(١) ، ونحو ذلك روى الكلبي ، وهو قول مجاهد والمفسرين . قال الكلبي : ما قلب بصره يميناً ولا شمالاً ، وما جاوز ما رأى ^(٢) .

وعلى هذا معنى الآية : وصف أدب النبي ﷺ في ذلك المقام ؛ إذ لم يلتفت جانباً ، ولم يمد بصره إلى غير ما أرى من الآيات واستقبله من العجائب ؛ فمعنى زيغ البصر التفاته من الجانبين وطغيانه أنه يمد بصره أمامه إلى حيث ينتهي يقول : لم يفعل ذلك .

١٨ . قوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ : يجوز أن تكون الكبرى من صفة الآيات وحدث لتوافق الفواصل ، ويجوز نعت الجماعة بنعت الأثنى الواحدة ، كقوله : (مَارَبُّ أُخْرَى) [طه : ١٨] ، معنى قول عطاء والكلبي ^(٣) ، يعني الآيات العظام التي رآها تلك الليلة . وقال مقاتل : يعني ما رأى تلك الليلة ^(٤) ، ويدل على صحة التأويل قوله : ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا﴾ [الإسراء : ١] .

(١) انظر : جامع البيان ٣٤ / ٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٧ / ١٧ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤٦٩ / ٢ عن مجاهد عن ابن عباس ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ، وزاد الذهبي : وعلى شرط مسلم أيضاً .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٣ / ٥ ، والوسيط ١٩٨ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٩ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٥٢ / ٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٤ / ٥ ، والتفسير الكبير ٢٩٥ / ٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٩٨ / ١٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ ب ، ومعالم التنزيل ٢٤٩ / ٤ .

ويموز أن تكون ﴿الْكُبْرَى﴾ نعت محذوف على تقدير: لقد رأى من آيات ربه الكبرى^(١).

واختلفوا في تلك الآية، فروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: رأى جبريل قد طبق الأفق في صورته التي خلق فيها له ستمائة جناح^(٢)، وهذا قول ابن زيد، وابن حيان، ومحمد بن كعب، قالوا: جبريل من آيات ربه الكبرى^(٣).

قال عبدالله: رأى رفرفاً أخضر^(٤).

وقال الضحاك: هي سدرة المنتهى^(٥).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٧. ولعل في العبارة سقط، واستقامتها: «لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى»، والله أعلم.

(٢) انظر: الوسيط ١٩٨/٤، وفتح القدير ١٠٧/٥.

(٣) انظر: جامع البيان ٣٤/٢٧، والكشف والبيان ١٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٩٨/١٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ١٧٦/٦، وجامع البيان ٣٤/٢٧، ومعالم التنزيل ٢٤٩/٤، وروى النسائي والحاكم عن ابن مسعود، قال: «أبصر نبي الله ﷺ جبريل - عليه السلام - على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض». قال ابن حجر: «فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل، والصفة التي كان عليها». فتح الباري ٦١١/٨، والمستدرک ٤٦٩/٢. قلت: وبهذا تجتمع الأقوال في أن المراد بالآيات الكبرى هو جبريل عليه السلام، حين رآه النبي ﷺ في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض. انظر أيضاً: سنن الترمذي ٣٧٠/٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: الكشف والبيان ١٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٩٨/١٧، وفتح القدير ١٠٧/٥.

قلت: لعل ما ذكر عن السلف في تفسير هذه الآية هو من باب ذكر بعض ما رآه ﷺ. قال القرطبي: «وقيل: هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه، وهو أحسن، دليله ﴿لِئُرِيَهُ مِنْ أَيْنِ بُنِيَ﴾». الجامع ٩٨/١٧، ونحوه ذكر ابن كثير في تفسيره ٢٥٢/٤، وحمل الآية على عموم ما رآه أولى. قال ابن جرير: «لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى». جامع البيان ٣٤/٢٧.

١٩ . قال أبو إسحاق : لما قص الله هذه الأقاصيص قال للمشركين : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ كأن المعنى والله أعلم : أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ، هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء ^(١) ؟

ومعنى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾ على ما ذكر السؤال والاستفتاء كقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنَّ أَتَّكُمُ عَذَابُهُ ﴾ ، وقد مرَّ ^(٢) .

وتتنظم الآية بما قبلها على المعنى الذي ذكره .

قال صاحب النظم : معنى الآية أفرايتم هذه الآلهة التي تعبدونها ، أأوحى شيئاً إليكم كما أوحى إلى النبي ﷺ ^(٣) ؟ والتقديران اللذان ذكراهما يستدل عليهما بفحوى الكلام ، وقد قال أبو إسحاق أيضاً : أفرايتم هذه الإناث ، الله هي وأنتم تختارون الذكران ؟ وذلك قوله : ألكم الذكر وله الأنثى ^(٤) ، وهذا الوجه أجود الثلاثة وسنزيده وضوحاً عند قوله : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ ﴾ إن شاء الله .

(١) انظر : معاني القرآن ٥ / ٧٢ .

(٢) من الآية رقم : ٥٠ من سورة يونس .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٧٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٦٨ .

قال أبو علي الفارسي : أرأيتم هنا بمنزلة أخبروني لتعدي أرأيت إلى المفعول ووقوع الاستفهام في موضع المفعول الثاني . والمعنى : أرأيتم جعلكم اللات والعزى بنات الله ، ألكم الذكر ؟ وجاز الحذف لأن هذا قد تكرر في القرآن كقوله : ﴿ وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ [النحل: ٥٧] ، ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾ [الزخرف: ١٩] ، فكان الحذف بمنزلة الإثبات ، ألا ترى أن سيبويه جعل كلاً في قوله :

ونارٍ توقد بالليلِ نارا^(١)

بمنزلة المذكور في اللفظ للعلم به وإن كان محذوفاً ، وقد دلّ قوله : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ على المحذوف ، وأدّعوا هذا في هذه الآلهة كما ادّعوه في الملائكة^(٢) .

فأمّا اللات فروى عطاء عن ابن عباس ، قال : هي صنم^(٣) .

قال قتادة : هي بالطائف^(٤) . قال الكلبي : هي صخرة كانت بالطائف لثقيف^(٥) يعبدونها^(٦) .

(١) البيت لأبي دود الإيادي ، وهو جارية بن الحجاج . انظر : ديوانه ٣٥٣ ، والكتاب ١/ ٦٦ ، والكامل

١/ ٢٨٧ ، والإنصاف ٧٤٣ ، وأمالى ابن السجري ٢/ ٢١ ، والأصمعيات ١٩١ . وصدرة :

أَكَلَّ امرئٍ تحسِينَ امرأً

(٢) انظر : المسائل الحلبيات ٧٨ ، ٧٩ ، والكتاب ١/ ٦٦ .

(٣) لم أقف على هذه الرواية ، والجميع على أن اللات اسم لصنم .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٥٣ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٠ أ .

(٥) ثقيف : بطن من هوازن من العدنانية ، اشتهروا باسم أبيهم ، فيقال لهم ثقيف ، وكانت منازلهم بالطائف على مرحلتين من مكة . انظر : نهاية الأرب ١٨٦ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٠ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٠٠ .

وقال ابن زيد : اللات بيت بنخلة^(١) كانت قريش تعبد^(٢) .

وقال أبو عبيدة : هي صنم في جوف الكعبة لقريش^(٣) .

واختلفوا في اشتقاق اللات ، فأكثر المفسرين^(٤) ذكروا أنه بتشديد التاء من اللّت ، وهو خلط السويق بالسمن وذلكه به .

روى أبو الجوزاء عن ابن عباس ، قال : اللات رجل كان يلت السويق للمشرّكين فمات فعكفوا على قبره فعبدوه^(٥) ، ونحو ذلك روى السُّدِّي ، وذكر أنه كان بالطائف^(٦) .

(١) نخلة : موضع بين مكة والطائف . قال البكري : على ليلة من مكة ، وهي التي يُنسب إليها بطن نخلة . انظر : معجم البلدان ١ / ٤٤٩ ، وفتح الباري ٨ / ٦٧٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٣٦ ، ولفظه : «أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها» . قال ابن حجر : «وكانت اللات بالطائف ، وقيل بنخلة ، وقيل بعكاظ ، والأول أصح» . فتح الباري ٨ / ٦١٢ .

(٤) ومنهم ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، وأبو صالح ، والكلبي . انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٩ ، والجامع للقرطبي ١٧ / ١٠٠ .

(٥) صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ ٦ / ١٧٦ ، ولفظه : «كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج» . قال ابن حجر : وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ، ولفظه فيه زيادة : «كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه» . فتح الباري ٨ / ٦١٢ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٩٤ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٠٠ .

وزاد الكلبي بياناً ، فقال : كان رجل من ثقيف يقال له صرمة بن غنم ، كان يسلاً^(١) السمن فيضعه على صخرة ثم تأتيه العرب فيلت به أسواقهم ، فلما مات الرجل حوّلت ثقيف تلك الصخرة إلى منازلها فعبدها^(٢) .

ويدل على صحة هذا التأويل قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وأبي صالح : (اللَّات) بتشديد التاء^(٣) .

ووجه قراءة العامة على هذا الاشتقاق ما ذكره الفراء ، قال : القراءة بالتخفيف ، والأصل بالتشديد ؛ لأن الصنم إنما سُمِّي باسم اللات الذي كان يلت السويق عنده ، وجعل اسماً للصنم ، وعلى هذا الوقف على اللات يكون بالتاء^(٤) ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : لاتباع المصحف فإنها كتبت بالتاء^(٥) .

وقال جماعة من المفسرين : اللات من الله ، وكان المشركون يسمون أوثانهم بأسماء الله ، فقالوا : من الله اللات ، ومن العزيز العزَّى^(٦) ، وهو اختيار الأزهري ، قال : كأن المشركين الذين عبدوها عارضوا باسمها اسم الله تعالى علواً كبيراً عن إفكهم ومعارضتهم وإلحادهم في اسمه العظيم ، ويدل على صحة هذا التأويل أن الكسائي كان يختار الوقف عليها بالهاء ، وهذا يدل على أنه لم يجعلها من اللت^(٧) .

(١) قال الأصمعي : «سَلَّاتُ السَّمْنِ أَسْلَاهُ سَلًّا . قال : والسَّلاء الاسم وهو السَّمْن» . تهذيب اللغة (سلاً) ٧٠ / ١٣ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٠ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٤٩ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٠٠ .

(٣) قرأ رويس : (اللَّات) بتشديد التاء ، ويمد للساكنين ، وهي قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، ومنصور بن المعتمر ، وطلحة ، وأبي الجوزاء . والقراءة المتواترة : ﴿اللَّتْ﴾ بالتخفيف . انظر : النشر ٣٧٩ / ٢ ، والإتحاف ٤٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٠٠ ، والبحر المحيط ٨ / ١٦٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٩٧ / ٣ ، وتهذيب اللغة (لت) ٢٥٣ / ١٤ ، واللسان (لتت) ٣٤٠ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٧٣ / ٥ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٤ ، والوسيط ١٩٩ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٩ / ٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (لت) ٢٥٣ / ١٤ .

قال أبو علي الفارسي : اشتقاق اللات من لويت على الشيء ؛ أي أقمت عليه ، ولذلك أنهم كانوا يلوون على آلهتهم ويعكفون عليها عبادة لها وتقرباً إليها ، ولذلك تواصلوا في ما بينهم في ما أخبر الله به عنهم في قوله : ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦] ، فاشتق اسمها من هذا المعنى الذي كانوا يعتقدون فيها ويتدينون به لها ، فهو على هذا مثل شاه وذات ، والتاء للتأنيث في قول من خفف ، ومعنى التأنيث فيها تأنيث اللفظ ؛ إذ التأنيث الحقيقي لا يصح فيها ؛ لأنها جماد . والدليل على صحة هذا أن سيبويه قال في النسبة إليها لاي^(١) ، فحذف التاء فدلَّ على أنها للتأنيث ؛ وذلك أن تاء التأنيث تحذف في النسبة ، ولما حذف التاء شبه بقلة التصرف الحروف ، فزاد على الحرف حرفاً مثله كما فعل ذلك بـ(ذا) إذا سُمِّيَ به رجل فقال : ذاء ، فلما زيدت همزة على (ذا) لما سُمِّيَ به كذلك زيدت هاهنا همزة ، وكذلك يفعلون بـ(ما) و (لا) عند التسمية بهما ، والوقف على هذا بالهاء كما اختاره الكسائي .

وقول أبي إسحاق الأجود الوقف بالتاء لاتباع المصحف . فيجوز أن تكون كتبت فيه بالتاء على الوصل دون الوقف كما كتب : ﴿وَمَنَحَ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾ [الشورى: ٢٤] ونحوه بغير الواو ، فلما كتب هذا ونحوه على الوصل كذلك يجوز أن يكون كتب في المصحف على الوصل . انتهى كلامه^(٢) .

وأما الألف واللام في اللات والعزى فذهب أبو الحسن^(٣) إلى أن اللام فيهما زائدة .

(١) انظر : الكتاب ١ / ٣٧١ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ١٥٨ .

والذي يدل على صحة مذهبه أن اللات والعزى^(١) علمان بمنزلة يغوث^(٢) ويعوق^(٣) ونسر^(٤) ومناة^(٥) وغير ذلك من أسماء الأصنام . فهذه كلها أعلام وغير محتاجة في تعريفها^(٦) إلى اللام ، وليست من باب الحارث والعباس من الأوصاف التي نقلت ، فصارت أعلاماً ، وأقرت فيها لام التعريف على ضرب من توهم روائح الصفة فيها فيحمل على ذلك ، فوجب أن تكون اللام فيها زائدة كما ذكرنا في الذي وبابه ، وهذا الذي ذكرنا كلام أبي الفتح الموصلي^(٧) .

وأما العزى فقال عطاء : هي صنم^(٨) ، وقال مجاهد والكلبي : هي سمرة من الشجر كانت بنخلة لغطان^(٩) يعبدونها ، وهي التي بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول :

يا عِزُّ كُفْرَانِكَ لا سُبْحَانَكَ إني رأيتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكَ

-
- (١) (والعزى) ساقطة من نسخة (ب) .
- (٢) يغوث : صنم كان لمذحج ، وهو اسم صنم كان لقوم نوح كما هو في سورة نوح .
- (٣) يعوق : اسم صنم لكتانة ، وقيل : كان لقوم نوح .
- (٤) نسر : صنم كان لذي الكلاع بأرض حير . وهذه الأصنام ذكرها الله تعالى في سورة نوح ؛ فهي بلا شك لقومه ، وأخذ المشركون منها أسماء آلهتهم .
- (٥) مناة : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة .
- (٦) في نسخة (ك) : (تعرفها) .
- (٧) انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٣٥٩ ، والكتاب ١ / ٢٦٧ .
- (٨) انظر : فتح القدير ٥ / ١٠٨ ، وروح المعاني ٢٧ / ٥٥ ، ولم ينسبها إلى قائل .
- وقيل العزى : شجرة قديمة قدسها العرب في بلدة نخلة الشامية إلى الشمال من مكة ، وكانت قريش وبعض قبائل الحجاز مثل غني وباهلة تعظمها . انظر : أطلس تاريخ الإسلام . وقال ابن كثير : « كانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر » . البداية والنهاية ٤ / ٣١٦ .
- (٩) غطفان : بطن عظيم متسع ، كثير الشعوب والأفخاذ ، من قيس عيلان من العدنانية ، كانت لهم منازل بنجد مما يلي وادي القرى ، وجبل طيء . انظر : معجم البلدان ٣ / ٨٨٨ .

فخرجت منها شيطانة تجر شعرها واضعة يديها على رأسها تدعو بالويل ،
فصربها خالد بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال :
« تلك العزى ولن تعبد أبداً »^(١) .

وقال قتادة : كانت العزى لقريش^(٢) ، وهو قول الحسن واختيار أبي عبيدة ،
قالوا : هذه أصنام من حجارة كانت قريش توجه إليها العبادة^(٣) .

وقال الضحاك : هي صنم من حجر لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم
الغطفاني^(٤) .

وأما تفسير العزى فإنها تأنيث الأعز ، مثل الكبرى والأكبر ، والأعز يكون
بمعنى العزيز ، والعزى بمعنى العزيزة^(٥) .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ وَمَوَدَّةٌ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : أصنام المشركين^(٦) ،
يعني هذه وما ذكر قبلها ، وهو اختيار أبي عبيدة على ما ذكرنا .

وقال قتادة : وكانت مائة للأنصار^(٧) ، وقال الضحاك والكلبي : مائة صنم
كانت لهذيل وخزاعة^(٨) .

(١) اقتصر البيهقي في دلائل النبوة ٧٧/٥ على قوله ﷺ : « تلك العزى » . وفي الطبقات ١٤٦/٢ بلفظ :
« نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً » ، وكذا الواقدي في المغازي ٨٧٤/٣ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٥٣ ، والدر ٦/١٢٧ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٣٦ ، وروح المعاني ٢٧/٥٥ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٢/١٠ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٩ .

(٥) انظر : سر صناعة الإعراب ١/٣٦١-٣٦٣ .

(٦) لم أقف على هذه الرواية ، وانظر : معالم التنزيل ٤/٢٥٠ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٥٣ ، وفتح الباري ٨/٦١٣ .

(٨) انظر : معاني القرآن للقرطبي ٣/٩٨ ، والكشف والبيان ١٢/١١ ، والوسيط ٤/١٩٩ ، ومعالم

التنزيل ٤/٢٥٠ . وهذيل : ابن مدركة بطن من مدركة بن إلياس ، من العدنانية ، كانت ديارهم =

ولم يذكروا لمناة اشتقاقاً^(١)، وكان ابن كثير يقرؤها بالمد والهمز^(٢).

قال أبو علي الفارسي: لعل (مناة) بالمد لغة، ولم أسمع بها من أحد من رواة اللغة، وقد سمّوا زيد مناة، وعبد مناة ولم أسمع بالمد. قال جرير:

أزِيدَ مناةً توعِدُ يا بنَ تيمٍ تَبَيَّنَ أَيْنَ تَأَهَ بِكَ الوَعِيدُ^(٣)

﴿الثَّالِثَةُ﴾ نعت لمناة، يعني الثالثة للصنمين اللذين ذكرهما، وهذه ثالثتهما في الذكر، و﴿الْأُخْرَى﴾ نعت لمناة أيضاً.

٢١. قوله تعالى: ﴿الْكُفْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾: مذهب جماعة من المفسرين أن هذه الآية وما بعدها معترضة بين قصة الأصنام؛ فإن هذه لا تعلق لها بما قبلها^(٤)، ومعناها الإنكار عليهم حيث جعلوا الملائكة بنات الله.

بالسروات، وسراهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف، ثم تفرّقوا بعد الإسلام. انظر: معجم قبائل العرب ٣/ ١٢١٣. وخزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، وكانوا بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليه من جبالهم الأبواء، وهو جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات. معجم قبائل العرب ٢٣٨/١.

(١) وفي الصحاح: «... من قولك منوت الشيء». اللسان (منى) ٣/ ٥٤١. وقال النحاس: «من منى الله - عز وجل - عليه الشيء؛ أي قدره». إعراب القرآن ٣/ ٢٦. «وقيل: من منى يمني: صب؛ لصب دماء النحائر عندها». الإتحاف ٤٠٣. وانظر: الكشف ٤/ ٣٩، ومحاسن التأويل ٥٥٧١/١٥.

(٢) قرأ ابن كثير: (ومناة) بهززة مفتوحة بعد الألف فيمد مداً متصلاً، وقرأ الباقر: (مناة). انظر: حجة القراءات ٦٨٥، والنشر ٢/ ٣٧٩، والإتحاف ٤٠٣.

(٣) انظر: ديوان جرير ١/ ٣٣٢، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٣٢، والبحر المحيط ٨/ ١٦١، والمححر ٢٦٧/١٥.

(٤) قال النحاس: «يجوز أن يكون مقدماً ما ينوي به التأخير». إعراب القرآن ٣/ ٢٦٨.

قال عطاء عن ابن عباس : وذلك أن المشركين قالوا : الملائكة بنات الله ، وجعلوا لأنفسهم البنين كما قال : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] ، وهذا مذهب السُّدِّي ومقاتل^(١) .

قال الكلبي : قال مشركو مكة : الأصنام والملائكة بنات الله فنحلوه البنات ، وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ بالأنثى كره ذلك ، فقال الله تعالى منكرأ عليهم : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ﴾ يعني البنين ، ﴿وَلَهُ الْأُنثَى﴾ يعني ما نحلوه من الأصنام -وهي إناث في أسمائها- والملائكة^(٢) ، وهذا اختيار الزَّجَّاج والفراء وابن قتيبة^(٣) .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَةُ ضِيزَى﴾ . القُرَّاء على ترك الهمز من (ضِيزَى) ، وقرأ ابن كثير (ضِيزَى) بالهمز^(٤) .

قال ابن السكيت : يقال : ضِيزَتْهُ حَقَّةٌ ؛ أي نقصته .

وقال أبو زيد : (ضِيزَى) جائرة ، يقال : ضاز يضييز ضيزاً ، قال : وضأز ، ييضأز مثله . وأنشد أبو زيد ، فقال :

إِنْ تَنَأَ عَنَّا نَتَقَصِّكَ ، وَإِنْ تُقِمَ فَحِظُّكَ مَضُوءٌ وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ^(٥)
وقال أبو الهيثم : ضِيزْتُ فلاناً أضيزه ضيزاً : جُرت عليه .

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٩٥/٥ ، وتفسير مقاتل ١٣٠ ب .

(٢) انظر : الوسيط ١٩٩/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٠/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٩٨/٣ ، وتفسير غريب القرآن ٤٢٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٧٢/٥ ، ٧٣ .

(٤) قرأ ابن كثير : (ضِيزَى) بهزة ساكنة ، وقرأ الباكون : (ضِيزَى) بياء مكان الهمزة . انظر : حجة القراءات ٦٨٥ ، والنشر ٣٧٩/٢ ، والإتحاف ٤٠٣ .

(٥) البيت للقطامي كما في جامع البيان ٣٦/٢٧ ، والمذكر والمؤنث ١٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٠٢ ، وتهذيب اللغة (ضاز) ٥٣/١٢ ، واللسان (ضأز) ٥٠٣/٢ .

وقال ابن الأعرابي : تقول العرب : قسمةٌ ضُؤْزَى بالضم والهمز ، وضُوزى بلا همز ، وضِئْزَى بالكسر والهمز^(١) .

قال الفرّاء : ضيزى فعلى وإن رأيت أولها مكسوراً وهي مثل بيض وعين ، كان أولها مضموماً فكرهوا أن يترك على ضمته ، فيقال : بوضٌ وعونٌ ، والواحدة بيضاء وعيناء ، فكسروا أولها ليكون بالياء ، ويتألف الجمع والاثنان والواحد ، كذلك كرهوا أن يقولوا ضُوزى فتصيرُ بالواو وهي من الياء ، وإنما قضيت على أولها بالضم ؛ لأن النعوت للمؤنث تأتي إمّا بفتح أو بضم نحو سَكْرَى وعطشى وحُبلى ، والمكسور يكون اسماً ولا يكون نعتاً كالذكرى والدُّفلى^(٢) والشَّعْرَى . انتهى كلامه^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أجمع النحويون أن أصل ضيزى ضوزى فنقلت من فُعَلَى إلى فِعَلَى لتسلم الياء كما قالوا أبيض وبيضٌ ، وأصله بُيُضٌ ، فنقلت الضمة إلى الكسرة ، وإنما لم يقل النحويون إنها على أصلها لأنهم لم يعرفوا الكلام فُعَلَى صفةً ، ونظير ضيزى في الكلام قولهم : مِشْيَةٌ حيكى ، وهي مشية يحكى فيها صاحبها . فحيكى عندهم فُعَلَى أيضاً^(٤) .

وشرح أبو علي الفارسي هذا الفصل ، فقال : قولهم قسمة ضيزى ومشية حيكى فإن النحويين يحملوه على أنه في الأصل فُعَلَى ، وإن كان اللفظ على فِعَلَى كما أن البيوت والعِصِيَّ في الأصل فعولٌ ، وإن كانت الفاء مكسورة ، وإنما حملوها

(١) انظر : تهذيب اللغة (نضم) ٥٣ / ١٢ .

(٢) في نسخة (ك) : (الدفري) ، والصواب ما أثبتته . والدُّفلى : شجر مُرٌّ أخضر حسن المنظر يكون في الأودية . اللسان (دفل) ١ / ٩٩٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٩٨ / ٣ ، ٩٩ ، واللسان (ضيز) ٥٥٩ / ٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٣ / ٥ ، والمذكر والمؤنث ١٧٥ . ومشية حيكى إذا كان فيها تبخر . اللسان (حيك) ١ / ٧٧١ .

على أنها فُعِلَ دون ما عليه اللفظ ؛ لأنهم لم يجدوا في الصفات شيئاً على فُعِلَ ، وكان القياس أن يقال ضوزى ، وأن لا يُحْفَلَ بانقلاب الياء إلى الواو وكأنهم أثروا الكسرة والياء على الضمة والواو من حيث كانت الكسرة والياء أخف عليهم ، ولم يخافوا التباساً حيث لم يكن في الصفة شيء على فُعِلَ ، فإن قلت : كيف ؟ قالوا : إن فُعِلَ لا تكون في أبنية الصفات . وقد قال أحمد بن يحيى : رجل كِصَى إذا يأكل وحده ، وقد كاص طعامه إذا أكله وحده . قيل إن سيبويه ، قال : لم تحي فُعِلَ صفة^(١) . والذي حكاه أحمد بن يحيى^(٢) بالتنوين فليس هو ما قاله سيبويه ولا يمتنع أن يحى الألف آخرًا للإحق بهجرع^(٣) ونحوه . وأما قراءة ابن كثير فلا ينبغي أن يكون أراد بضيزى فُعِلَ ؛ لأنه لو أراد ذلك لكان ضوزى ، ولم يرد به أيضاً فُعِلَ صفة ؛ لأن هذا البناء لم يحى صفة ، ولكن ينبغي أن يكون أراد به المصدر ، مثل الذكري ، فكأنه قال : قسمة ذات ظلم ، فعلى هذا يكون وجه قراءته^(٤) .

وأما التفسير فقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي وقتادة : ضيزى جائرة^(٥) ، وقال مجاهد ومقاتل : عوجاء^(٦) .

(١) انظر : الكتاب ٢ / ٣٧١ .

(٢) انظر : مجالس ثعلب ٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، وتهذيب اللغة ١٠ / ٣٠٩ ، واللسان (كأص) ٣ / ٢٠ .

(٣) الهجرع : من صنف الكلاب السلوقية الخفاف ، والهجرع : الطويل المشقوق . اللسان (هجرع) ٣ / ٧٧٤ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٣٤ ، والتكملة لأبي علي ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٩٥ ، وجامع البيان ٢٧ / ٣٦ ، والبغوي ٤ / ٢٥٠ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٣١ ، وتفسير مقاتل ١٣٠ ب .

وقال الحسن : غير معتدلة^(١) ، وقال الضحاك : ناقصة^(٢) ، وقال سفيان : منقوصة^(٣) .

والمعنى : تلك القسمة التي قسمت من نسبة البنات إلى الله وإيثاركهم بالبنين قسمة غير عادلة .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ : أخبر الله تعالى أن هذه الأصنام سَمَّوها بهذه الأسماء لا معاني تحتها ؛ لأنه لا ضرر عندها ولا نفع ، فهي تسميات ألقيت على جمادات .

قوله : ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعني اللات والعزى ومناة . يقول : ما هي إلا أسماء ؛ أي أنها لا تنبئ عن معنى . ﴿سَيَسْمُوها أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ تسمية باطلة لم يقيم بها حجة ، وهو قوله : ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ، ويجوز أن يكون المعنى : ما أنزل الله بعبادتها من سلطان . قال مقاتل : لم ينزل بذلك كتاباً لكم فيه حجة بما تقولون إنها آلهة^(٤) .

ثم رجع عن الخطاب إلى الخبر ، فقال : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ . يقول : ما لهم من علم أنها آلهة إلا ظناً يتبعون في عبادتها الظن وهوى النفس ، وهو ما زين لهم الشيطان . ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ ؛ أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول .

وهذا تعجيب من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان .

ثم أنكر على الكفار تمنيتهم شفاعاة الأصنام ، فقال :

(١) انظر : الكشف والبيان ١١/١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٥٠/٤ .

(٢) في نسخة (ك) : (ناقصة) ، ولعل الصواب ما أثبتته ، وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال : جائزة . الدر ١٢٧/٦ ، والكشف والبيان ١١/١٢ ب .

(٣) انظر : جامع البيان ٣٦/٢٧ ، وروح المعاني ٥٧/٢٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ ب ، ومعالم التنزيل ٢٥١/٤ .

٢٤. ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني الكافر (مَا تَمَنَّى) من شفاعة الأصنام ^(١) .

٢٥. ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ ؛ أي لا يملك فيهما ولا منهما أحد شيئاً إلا بإذنه ؛ لأنها ^(٢) له . وفي هذا إبطال ما يتمنى الكافر .

ثم أكد هذا بقوله تعالى :

٢٦. ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ﴾ : جمع الكناية لأن المراد بقوله : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ الكثرة ؛ وذلك أن كم يخبر بها عن العدد الكثير ، فدلّ ﴿وَكَمْ﴾ على أنه أراد جمعاً ، قاله الفراء ، والزجاج ^(٣) .

قوله : ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ يعني أنهم لا يشفعون إلا لمن يرضى الله من أهل التوحيد .

قال ابن عباس : يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه ^(٤) ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

(١) ذكر بعض المفسرين هذا القول ، ومنهم من فسر التمني بما كانوا يشتهونه من نزول القرآن على رجل من إحدى القريتين عظيم ، وقيل غير ذلك .

قال الألوسي : «وفهم من كلام بعض المحققين أن المراد السلب الكلي . والمعنى : لا شيء مما يتمناه الإنسان مملوكاً له مختصاً به يتصرف فيه حسب إرادته ، ويتضمن ذلك نفي أن يكون للكفرة ما ذكر وليس الإنسان خاصاً بهم كما قيل» . روح المعاني ٢٧/ ٥٨ . وانظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٤ ، والبحر المحيط ٨/ ١٦٣ .

(٢) في (ك) : (كأنها) ، والصواب ما أثبتته .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) انظر : الوسيط ٤/ ٢٠٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٥١ .

قال أبو علي : قوله : ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المعنى : لمن يشاء شفاعته على إضافة المصدر إلى المفعول به الذي هو مشفوع له ، ثم حذف المضاف فصار اللفظ لمن شاء ؛ أي يشاء شفاعته ، ثم حذف الهاء من الصلة ^(١) .

ثم ذم الله تعالى صنيع الكفار .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ . قال ابن عباس : لا يصدقون بالثواب والعقاب ^(٢) .

﴿لَيْسُمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ حين زعموا أنهم بنات الله ، والأنثى تسمى بنتاً ، فإذا وصفوا الملائكة بالبنات فقد سمّوها تسمية الإناث ، وتسمية الأنثى من باب إضافة المصدر إلى المفعول .

٢٨ . ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ ذلك التسمية . ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ . قال مقاتل : ما يستيقنون بأنها إناث ^(٣) .

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ . قال ابن عباس : يريد ظناً ليس بيقين ^(٤) .

﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَى مِنْ آلَاقٍ شَيْئاً﴾ . قال عطاء : يريد لا ينتفعون به ^(٥) . والمعنى لا يقوم مقام الحق ، ولا يغني من العلم . فمعنى الحق هاهنا العلم ، وهذا يدل على أن الظان غير عالم ، وأن من بنى على الظن لم يبن على أساس ^(٦) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٨ / ٣٠٧ .

(٢) وفي تنوير المقباس ٥ / ٢٩٧ ، قال : «بالبعث بعد الموت ، يعني كفار مكة» ، والمعنى متقارب .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ أ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٩٧ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٥٥ ، وهو المعتمد عندهما ولم ينسباه إلى قائل .

(٦) قال الشوكاني رحمه الله : «وهذا من الأمور التي يحتاج فيها إلى العلم ، وهي المسائل العلمية ، لا في ما =

وقال الكلبي: أي لا يدفع من عذاب الله شيئاً، وهو اختيار الفراء^(١). والحق على هذا القول معناه العذاب.

ثم أمره بالإعراض عنهم:

٢٩. قوله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾. قال ابن عباس: يريد القرآن^(٢)، وهذا مما نسخته آية القتال^(٣).

ثم صَغَّرَ رأيهم، وأزرى بهم.

٣٠. فقال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾؛ أي لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم، فاعتمدوا ذلك، وأعرضوا عن القرآن، هذا معنى قول مقاتل^(٤).

وقال أبو إسحاق: أي إنما يعملون ما يحتاجون إليه في معاشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة وراء ظهورهم^(٥)، وهذا معنى قول الكلبي، وذكر الفراء القولين^(٦).

يكتفى فيه بالظن، وهي المسائل العلمية... فإن دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية، فالعمل بها عمل بالظن، وقد وجب علينا العمل به في مثل هذه الأمور...». فتح القدير ١١٢/٥.

- (١) انظر: تنوير المقياس ٢٩٧/٥، ومعاني القرآن للفراء ١٠٠/٣.
- (٢) انظر: تنوير المقياس ٢٩٧/٥، ومعالم التنزيل ٢٥١/٤، والقرطبي ١٧/١٠٥.
- (٣) انظر: الوسيط ٢٠١/٤، ونواسخ القرآن ٢٣٣.
- (٤) انظر: تفسير مقاتل ١٣١، ومعالم التنزيل ٢٥١/٤. ومعنى الآية على ما ذكر ابن كثير، ورجَّحه الشوكاني والآلوسي: أن التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم ليس لهم غيره، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين. انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٥٥/٤، وفتح القدير ١١٢/٥، وروح المعاني ٦٠/٢٧.
- (٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٧٤/٥.
- (٦) انظر: تنوير المقياس ٢٩٧/٥، ومعاني القرآن للفراء ١٠٠/٣.

ثم عزى نبيه ﷺ قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ؛ أي إنه عالم بهم فهو يجازيهم بما يستحقون . ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ . قال ابن عباس : يريد قبل أن يخلق الخلائق ^(١) . والمعنى أنه أعلم بالفريقين لأنه علمهما قبل خلقهما فلا يذهب عليه جزاؤهما .

ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . قال صاحب النظم : هذا فصل معترض .

قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ متعلق بمعنى الآية ، وهو قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الآية . والمعنى أنه أعلم بهم فإذا كان أعلم بهم جازى كلًّا بما يستحقه .

واللام في قوله : ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لام العاقبة ^(٢) ، وهو أن علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم .

٣١ . وقوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار عن قدرته وسعة ملكه ، وهذا في ما يؤكد الجزاء ؛ لأنه إنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك واسع المقدرة ، ثم أدت هذه المعاني ، وهي علمه وقدرته وسعة ملكه ، إلى جزاء المطيع بطاعته والمسيء بإساءته ، فلذلك قلنا إن اللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لام العاقبة ، هذا معنى ما ذكره صاحب النظم ^(٣) .

(١) لم أجده .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٠٥ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٦٠٥ .

قال ابن عباس ومقاتل : ليجزي في الآخرة ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ قالوا لا إله إلا الله (بِالْحُسْنَى) بالجنة^(١) . ثم نعت المحسنين .

٣٢ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ . وقد تقدّم الكلام في تفسير الكبائر في سورة النساء^(٢) .

قال مقاتل : كبائر الإثم يعني كل ذنب ختم بالنار ، والفواحش يعني كل ذنب فيه الحد^(٣) .

وقرأ حمزة والكسائي : (كبير الإثم)^(٤) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨/٥ ، وتفسير مقاتل ١٣١ أ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم ٣١ من سورة النساء . ومما قال : اختلفوا في الكبائر ما هي قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر : كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة وقال في رواية علي بن أبي طلحة : هي كل ذنب ختمه الله - عز وجل - بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب ، وهذا قول الحسن وسعيد بن جبیر والضحاك . والصحيح أنه ليس لها حد يعرفه العباد وتتميز به الصغائر تميز إشارة ، ولو عرف ذلك لكانت الصغائر ، مباحة ولكن الله تعالى يعلم ذلك وأخفاه عن العباد ليجتهد كل أحد في اجتناب ما نهى عنه رجاء أن يكون مجتنب الكبائر .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ أ . وفي شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥/٢ قال : واختلف العلماء في الكبائر على أقوال وقيل إنها ما يترتب عليها حد ، أو تؤعد بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب ، وهذا أمثل الأقوال .

قال الألويسي : والفواحش ما عظم قبحه من الكبائر فعطفه على ما تقدّم من عطف الخاص على العام . وقيل : الفواحش والكبائر مترادفان . روح المعاني ٦١/٢٧ ، وانظر : تهذيب اللغة ١٨٨/٤ ، واللسان (فحش) ١٠٥٦/٢ .

(٤) قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (كبير) بكسر الباء من غير الألف ، ولا همزة على التوحيد ، وقرأ الباكون (كَبَائِرٌ) بفتح الباء ، وألف وهمزة مكسورة بعدها . انظر : حجة القراءات ٦٨٦ ، والنشر ٣٦٧/٢ ، والإتحاف ٤٠٣ .

وفعليل قد جاء يعني به الكثرة كما أن فعولاً كذلك في قوله : ﴿ فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ ﴾ [النساء: ٩٢] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

ومن فعييل الذي أريد به الكثرة قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ (١٠٠) وَلَا صَديقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] ، وقوله : ﴿ وَحَسُنَ أَؤْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] ، وقوله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [ق: ١٧] ، وقول الشاعر (١) :

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ البيت (٢)

فمن حيث كان لفظ الإفراد والمراد به الكثرة في هذا الموضع كذلك أفرد فعييل في قوله : (كبير الإثم) وإن كان المراد به الكبائر .

ويحسن الإفراد من وجه آخر ، وهو أن المصدر المضاف فعييل إليه واحد في معنى الكثرة ، ألا ترى أنه (٣) ليس يراد به إثم بعينه ، إنما يراد به الآثام ، فكذلك يكون المراد بالمضاف الكثرة ، وإذا كان كذلك فالإفراد فيه يفيد ما يفيد الجمع .

فإن قيل : فهلاً أفردا في النساء كما أفردا في هذه السورة ؟ قيل : إذا أتيا به على قياس ما جاء في التنزيل في غير هذا الموضع لم يكن لقائل مقال ، ألا ترى أنه قد جاء ﴿ فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ ﴾ [النساء: ٩٢] ، وقال : ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [الكهف: ٥٠] ، فأفرد ، وجمع في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾ [فصلت: ١٩] ،

(١) الشاعر هو السموأل بن غريض بن عادياة اليهودي ، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتياء . انظر : مقدمة ديوانه ٦٧ ، والأعلام ٣/ ١٤٠ ، والأصمعيات ٨٢ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ١٥٦ .

(٢) البيت ورد في ديوانه ٩٠ ، والحماسة لأبي تمام ٨٠/ ١ ، وشرح حماسة المرزوقي ١١٢/ ١ ، والحجة ٢٣٥/ ٦ . والبيت بتمامه :

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارًا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

(٣) (أنه) زيادة من الحجة .

و﴿إِنْ يَتَفَقَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ﴾ [المتحنة: ٢] فلم صنع من أفراد ذلك جمعه في المواضع التي جمع فيها^(١)، كذلك الأفراد هاهنا لا يمنع الجمع في سورة النساء . وأما من جمع فقال : ﴿كَثِيرَ الْإِنْتِرِ﴾ فلأنه في المعنى جمعٌ ، والإثم يراد به الكثرة إلا أنه أفرد كما تفرد المصادر وغيرها من الأسماء التي يراد بها الكثرة والأجناس^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا اللَّمَمُ﴾ اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أن اللمم صغار الذنوب ، مثل النظرة والغمزة والقبلة .

قال عطاء عن ابن عباس : إلا ما كان دون الزنا^(٣) ، وقال الكلبي عنه : اللمم النظرة عن غير تعمد ، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب^(٤) .

وعن نافع بن جبير بن مطعم : هو ما دون الوقاع ، وهذا قول ابن مسعود ، وأبي هريرة ، ومسروق ، والشعبي ، وطاوس ، قالوا : ما دون الزنا^(٥) .

واحتجوا بما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «إن الله - عز وجل - كتب على ابن آدم حظاً من الزنا أدركه ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ، والنفس تتمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»^(٦) .

(١) (فيها) ساقطة من نسخة (ك) .

(٢) من قوله : «وفعل قد جاء يعني به الكثرة . . .» إلى هنا من كلام أبي علي . انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٣٥-٢٣٧ .

(٣) انظر : الوسيط ٢٠١/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٢/٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للقراء ١٠٠/٣ ، وتهذيب اللغة ٣٤٨/١٥ ، والكشف والبيان ١٢/١٤ ب ، ومعالم التنزيل ٢٥٣/٤ عن الحسين بن الفضل .

(٥) انظر : جامع البيان ٣٩/١٧ ، والكشف والبيان ١٢/١٣ أ ، والوسيط ٢٠١/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٢/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٥٥/٤ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب : زنا الجوارح دون الفرج ٦٧/٤ ، ومسلم في كتاب =

فإن تقدّم فرجه كان زانٍ ، وإلا فهو اللمم .

وقال ابن الزبير ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل : هو ما بين الحدين ؛ حد الدنيا ، وعذاب الآخرة ، وكل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولم يتوعد عليه بعذاب في الآخرة فهو اللمم ، وهي رواية العوفي ، والحكم عن ابن عباس ، وهؤلاء قالوا : اللمم تكفره الصلوات وهو مغفور لمن اجتنب الكبائر^(١) .

القول الثاني في اللمم : أنه الذنب يلصق به الرجل ثم يتوب ، روى عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿إِلَّا اللَّمَمُ﴾ ، قال : يلصق بالذنب مرة ثم يتوب منه ولا يعود^(٢) قال : وكان النبي ﷺ يقول :

«إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا»^(٣)

وقال الحسن : هو الرجل يلصق بالذنب مرة ثم ينزع^(٤) .

القدر ، باب : قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ٢٠٤٦ / ٤ ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٥٣ ، والإمام أحمد في المسند ٢ / ٣١٧ .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ / ١ ، وجامع البيان ٢٧ / ٤٠ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٣ ، ومعالم التنزيل ٢٥٢ / ٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٤٠ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٢ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٠٧ .

(٣) رواه ابن جرير في جامعه ٢٧ / ٣٩ ، والترمذي في سننه في كتاب التفسير ، باب : (ومن سورة النجم) ٥ / ٣٧٠ ، وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق . وقال ابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٥٦ ، وكذا قال البزار : لا نعلمه يروى متصلاً إلا من هذا الوجه ، وساقه ابن أبي حاتم والبيهقي من حديث أبي عاصم النبيل ، وإنا ذكره البيهقي في تفسير سورة المزمل ، وفي صحته مرفوعاً نظر . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١١٥ : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، وقال القرطبي : قال النحاس : هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسناداً . الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٠٧ .

والبيت لأمية بن أبي الصلت ، كما في تهذيب اللغة ١٥ / ٣٤٧ ، واللسان (لم) ٣ / ٣٩٧ ، والخزانة ٢ / ٢٩٥ ، والمقتضب ٤ / ٢٤٢ ، والأغانى ٣ / ١٨٣ ، وليس في ديوانه .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٥٦ .

وروى الشَّدِّي عن أبي صالح ، قال : سألتني رجل عن اللمم ، فقلت : هو الرجل يلم بالذنب ثم ^(١) لا يعاود ، قال : فحدثت بذلك ابن عباس ، فقال : لقد أعانك عليها ملك كريم ^(٢) ، وهذا قول مجاهد والشَّدِّي ^(٣) .

ومعنى اللمم على هذا القول ما تيب منه وإن عظم وكبر ، وأصل معنى القولين في اللغة واحد .

وقال المبرِّد : يقال : ألم فلان بكذا إذا قاربه ولم يخالطه ^(٤) ، وألمَّ به إذا لم يمعن فيه ولكن نال منه خطأً ، وهما من أصل واحد ؛ لأنه يقال ذلك لمن لم يستحوذ على الشيء .

فعلى ما ذكر اللمم ما قارب به من الكبيرة كالنظر والقبلة واللمس ، واللمم ما ألمَّ به مرة من زنا وشرب خمر ، ثم لم يمعن فيه وتاب منه ، والعرب تقول : ألمت بفلان إلاماً ، وما يزورنا إلا لماماً .

قال جرير :

بنفسي منْ مَجْنُبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمِنْ زِيَارَتِهِ لِمَامٌ ^(٥)

قال أبو عبيدة : معناه الأحيان على غير مواظبة ولا وقت معلوم . قال الأزهري : والعرب تستعمل الإلام في المقاربة والدنو ، يقال : ألم بفعل كذا ، في معنى كاد يفعل . قال أبو زيد : كان ذلك منذ شهرين أو لمامهما ، ومنذ شهر أو

(١) في (ك) : (اللمم الخطيئة ثم) ، ولا معنى لها هنا .

(٢) أخرجه عبد بن حميد . انظر : معالم التنزيل ٢٥٢/٤ ، والدر ١١٨/٦ .

(٣) انظر : تفسير مجاهد ٦٣١/٢ ، والوسيط ٢٠٢/٤ .

(٤) انظر : فتح القدير ١١٣/٥ .

(٥) ديوانه ٥١٢ ، والقطع والائتلاف ٦٩١ ، والبحر المحيط ١٥٥/٨ .

لمه ؛ أي قراب شهر ، ومنه قوله ﷺ : « وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلِّمٌ »^(١) . قال أبو عبيدة : معناه : أو يقرب إليه .

وقال أبو زيد : في أرض بني فلان من الشجر المِلِّم كذا وكذا ، وهو الذي قارب أن يحمل .

وقال المبرِّد : فلان ميت أو مُلِّم ؛ أي قد قارب الموت ، ونخل مُلِّم قد قارب الإطعام ، وأنشد :

وَزَيْدٌ مَيِّتٌ كَمَدَ الْحَبَارَى إِذَا بَانَتْ لَطِيفَةٌ أَوْ مُلِّمٌ^(٢)
قال : يعني : أو مدانٍ للموت ، واللمة من الشعر التي أَلَمَّتْ أن تبلغ أذن ؛ أي قاربت^(٣) .

وقوله : أَلِّمٌ ، معناه اجعل لنا من زيارتك أدنى حظ ، ومنه قول الشاعر :

أَلِّمٍ بِسَلُومَةٍ أَلِّمٍ أَلِّمٍ خَلَوْنَهَا مِنَ الْخَلِيلِ وَالْحَمِيِّ^(٤)
وأما الاستثناء في قوله : ﴿ إِلَّا أَلِّمٌ ﴾ فهو على القولين جميعاً استثناءً خارجٌ .

(١) جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : فضل النفقة في سبيل الله ٣٢ / ٤ ، وكتاب الرقاق ، باب : ما يحذر من زهرة الدنيا والمتنافس فيها ١١٣ / ٨ ، ولفظه : « . . . وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلِّمٌ » ، وفي لفظ : « . . . وإنه كل . . . » ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب : تحوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٧٢٧ / ٢ ، وأحمد في المسند ٢١ ، ٧ / ٣ . والحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ، ولا يخرج عنها ما فيها .

(٢) ورد في الجمهرة لابن دريد ١ / ١٢١ ، ومقاييس اللغة ٢ / ١٢٨ ، والحيوان ٥ / ٤٥٥ . وهو لأبي الأسود الدؤلي .

(٣) لم أقف على كلام المبرِّد .

(٤) لم أجده .

قال أبو عبيدة : لم يؤذن لهم في اللّم ، وليس اللّم من الفواحش ولا من كبائر الإثم ، وقد يستثنى الشيء من الشيء وليس منه ، والتقدير : إلا أن يلم ملم بشيء من الفواحش^(١) ، فهذا على القول الأول .

وقال المبرّد : لم يباحهم اللّم ، ومعناه استثناء ليس من الأول ، وتفسيره : لكن إن ألموا تابوا كما قال : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا أَتِنَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [الليل : ١٩-٢٠] . فابتغاء وجه ربه من نعمة لأحد .

والمعنى : ولكنه يبتغي ، قال : وقال ابن أحر - وأراد أن يخدع من يخاطبه - فقال :

قَدْ قُلْتُ فِي بَعْضِ مَا أَقُولُ لَهَا قَوْلَةَ نَزَرِ الْكَلَامِ مُحْتَشِمِ
قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ كُلَّ فَاخْشَةٍ وَرَخَّصَ اللَّهُ مِنْكَ فِي اللَّمِّ
قال : وإنما قال ذلك بخلاعه لا لأنه لم يعرف أن اللّم لم يرخص فيه ، الدليل على ذلك أنه قال :

فَأَنْكَرْتَ ذَاكَ وَهِيَ صَالِحَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ لَا يُجْذَنَ بِالتُّهَمِ
انتهى كلامه^(٢) .

وقال قوم : اللَّمُّ على القول الثاني من جنس الفواحش والاستثناء وقع من الجنس ، ومعنى الآية : إلا أن يلم بالفاحشة ثم يتوب ، ويقع الوقعة ثم ينتهي . واسم اللّم يدل على التوبة والانتها ؛ لأنه إنما يسمى لمّا إذا لم يعن فيه ،

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٣٧ .

(٢) لم أقف على كلام المبرّد هذا ، ولا على أبيات ابن أحر .

والصحيح هو الأول ؛ لأن هذا يؤدي إلى إباحة اللمم^(١) . وذكر في الآية قولان آخران :

أحدهما : أن اللمم ما سلف في الجاهلية من الذنوب ؛ وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين : إنما كنتم بالأمس تعملون معنا ما نعمل ، فأنزل الله هذه الآية ، وهو^(٢) قول زيد بن ثابت ، وزيد بن أسلم ، ورواية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، قال : ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ إلا ما قد سلف في الجاهلية^(٣) ، واللمم على هذا القول ما ألوا به من الذنوب والفواحش في الجاهلية .

القول الثاني : هو قول عبدالله بن عمرو ، قال : اللمم ما دون الشرك^(٤) ، وعلى هذا القول : الكبائر والفواحش موجبات الشرك .

والناس على القولين الأولين ، واختار أبو إسحاق الثاني منهما ، قال : اللمم هو أن يكون الإنسان قد ألم بالمعصية ولم يصر ولم يُقم على ذلك ، والإمام في اللغة يوجب أنك تأتي الشيء في الوقت ولا تقيم عليه . فهذا معنى اللمم في هذا الموضع^(٥) يدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ . قال ابن عباس : لمن فعل ذلك وتاب^(٦) ، وتم الكلام هاهنا^(٧) .

(١) قال ابن جرير : « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : إلا بمعنى الاستثناء المنقطع ،

ووجه معنى الكلام : إلا الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم بما دون كبائر الإثم ، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة . . . » . جامع البيان ٢٧ / ٤١ ، وانظر :

إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٧١ ، وفتح القدير ٥ / ١١٣ ، ونسبه إلى الجمهور .

(٢) في (ك) : (على) ، والصواب ما أثبتته .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٣٨ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٥٢ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٠٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ٧٥ .

(٦) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٩٨ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٥٣ .

(٧) انظر : القطع والائتناف ٦٩٢ ، قال : والتهام عند يعقوب وجماعة معه بعد قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٥٤٣ .

ثم قال : قوله : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس : هو أعلم بكم قبل أن يخلقكم . ﴿ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . قال : يريد ما كان من خلق آدم من تراب^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ : أجنة جمع جنين ، وهو الولد ما دام في البطن ، سُمِّيَ جنيناً لأنه مستور ، ومنه سُمِّيَ المدفون جنيناً لأنه مستور بالتراب . قال عمرو :

وَلَا شَمْطَاءٌ لَمْ يَتْرَكْ شَقَّاهَا لَهَا مِنْ تَسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا^(٢)
أَيَّ إِلَّا دَفِينًا فِي قَبْرِهِ .

قال الحسن : علم الله من كل نفس ما هي عاملة ، وما هي صانعة ، وإلى ما هي صائرة^(٣) ، وقال الفراء : هو أعلم أولاً وآخر^(٤) .

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : كان ناس يقولون : صلينا وصمنا وفعلنا وفعلنا ، فأنزل الله : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٥) . قال الفراء : لا يقولن أحدكم عملت كذا وفعلت كذا^(٦) ، فعلى هذا معناه النهي عن الاعتداد بالأعمال .

(١) انظر : الوسيط ٢٠٢/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٣/٤ .

(٢) ورد في ديوانه ٣٦٧ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٩٨ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٢٥٣/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٠/١٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١٠٠/٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ ب ، والكشف والبيان ١١٤/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٥٣/٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن ١٠٠/٣ .

وقال آخرون : معناه لا تبرؤوها ولا تمدحوها ، يدل على هذا ما روي أن زينب بنت أبي سلمة^(١) قالت : سُمِّيتُ برة ، فقال النبي ﷺ : « لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بالبر منكم . قالوا : ما نسَميها ؟ قال : سُمُّوها زينب »^(٢) . والمعنى : لا تزكوها بما ليس فيها . ويجوز أن يكون المعنى على العموم ؛ وذلك أنه أقرب إلى النسك والخشوع وأبعد من الرياء والعجب . ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ؛ أي بر وأطاع . وقال الحسن : أخلص العمل^(٣) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَكَّلَ ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وهو قول مجاهد ومقاتل وابن زيد ، قالوا : كان قد اتبع رسول الله ﷺ فعَيَّرَهُ بعض المشركين وعاتبه على الإسلام ، فقال : إني خشيت عذاب الله ، فقال : إني أضمن لك أن أتحمّل عنك عذاب الله إن أنت أعطيتني كذا وكذا من مالك ، فارجع إلى ما كنت عليه ، فرجع إلى الشرك وأعطى الذي عاتبه بعض المال الذي شرط إذ هو أعطاه أن يتحمل عنه العذاب ومنعه تمام ذلك ، فأُنزل الله فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَكَّلَ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : أدبر عن الحق والإسلام^(٥) .

٣٤ . ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا ﴾ : يعني أعطى صاحبه الذي عاتبه . ﴿ وَكَذَى ﴾ . قال الفرّاء : أمسك من العطية وقطع^(٦) .

(١) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية ، ربيبة النبي ﷺ وأخت عمر ، ولدتها أم المؤمنين بالحبيشة ، توفيت سنة ٧٣ هـ ، وحضر ابن عمر جنازتها . انظر : طبقات ابن سعد ٤٦١ ، والإصابة ٣١٧/٤ ، وأسد الغابة ٤٦٨/٥ ، وتقريب التهذيب ٦٠٠/٢ ، وأعلام النساء ٦٧/٢ .

(٢) صحيح البخاري في كتاب الآداب ، باب : تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ٥٣/٨ ، وصحيح مسلم ، في كتاب الأدب ، باب : استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ١٦٨٨/٣ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١٠/١٧ ، وفتح القدير ١١٣/٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٦٣١/٢ ، وتفسير مقاتل ١٣١ ب ، وجامع البيان ٤٢/٢٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ ب ، والوسيط ٢٠٣/٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن ١٠١/٣ .

روى عمرو عن أبيه : أَكْدَى مَنَعَ ، وَأَكْدَى قَطَعَ ، وَأَكْدَى إِذَا انْقَطَعَ ، وَأَكْدَى إِذَا حَفَرَ فَبَلَغَ الْكُدَى ، وَهِيَ الصَّخُورُ ^(١) .

والمفسرون قالوا في (أَكْدَى) قَطَعَ وانْقَطَعَ وأَمْسَكَ ، وذكر سعيد بن جبير الأصل فيه ، فقال : أَلَا تَرَى إِلَى الْقَوْمِ إِذَا حَفَرُوا الْوَهْدَةَ فَأَفْضَوْا إِلَى الصَّخْرَةِ قَالُوا : أَكْدَيْنَا ^(٢) .

قال أبو إسحاق : معنى (أَكْدَى) قَطَعَ ، وأصله من الحفر في البئر ، يقال للحافر إِذَا بَلَغَ إِلَى حَجَرٍ لَا يُمْكِنُهُ الْحَفَرُ مَعَهُ قَدْ بَلَغَ إِلَى الْكُدِيَّةِ ، وعند ذلك يقطع الحفر ^(٣) .

وقال المبرِّد : (أَكْدَى) ؛ أَي مَنَعَ مَنَعًا شَدِيدًا ^(٤) ، وذكر مثل قول أبي إسحاق .

وقال ابن قتيبة : أَكْدَى مِنْ كُدِيَّةِ الرِّكْيَةِ وَهِيَ الصَّلَابَةُ فِيهَا وَإِذَا بَلَغَهَا الْحَاfer يئس من حفرها فقطع الحفر ، فقليل لكل من يطلب شيئاً فلم يبلغ آخره أو أعطى ولم يتم أَكْدَى . ومعنى أَكْدَى هَاهُنَا مَنَعَ صَاحِبِهِ تَمَامَ مَا ضَمَّنَ لَهُ ، وقال عطاء ومقاتل إن الوليد بن المغيرة كان قد مدح القرآن ثم أمسك عنه فنزل فيه : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا ﴾ ؛ أَي من الخير بلسانه ، وَأَكْدَى ؛ أَي قطع ذلك وأمسك عنه ^(٥) ، وهذا تعبير له . ثم زاد في التعبير والتوبيخ ، فقال :

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٣٢٤ ، واللسان (كذا) ٣ / ٢٣٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٤٢ عن أبي زيد . الوهدة : الحفرة ، وهي النقرة المنتقرة في الأرض أشد دخولاً في الأرض من الغائط وليس لها حرف .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٧٥ .

(٤) انظر : الوسيط ٤ / ٢٠٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٥٣ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٢٩ .

٣٥. ﴿أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ : يعني ما غاب عنه من أمر العذاب . ﴿فَهُوَ يَرَى﴾
أن صاحبه يتحمل عنه عذابه .

قال الزَّجَّاج : (فهو يرى) معناه فهو يعلم ، والرؤية تكون بمعنى العلم
كالمكفوف ، يقول : رأيت زيدا عاقلاً ، فلو كان من رؤية العين لم يجز ذلك ^(١) .
والمعنى : فهو يعلم علم الغيب حتى علم أنه غير معذب بتحمل صاحبه عنه
العذاب .

٣٦. ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ﴾ : لم يحدث ، ولم يخبر . ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ : يعني
أسفار التوراة .

٣٧. ﴿وَابْرَاهِيمَ﴾ : يعني وفي صحف إبراهيم . معنى التوفية في اللغة
الإنعام والإكمال ، يقال : وفيتَه أجره ، قال الله تعالى : ﴿لِيُوفِيَهُمْ
أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر : ٣٠] .

واختلفوا في معنى (وَقَى) هاهنا ، فقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي : بلغ
ما أمر به قومه ، وهو قول مقاتل ، واختيار الفراء وابن قتيبة ، وهو قول سعيد بن
جبير ، وإبراهيم ، ومجاهد ، وأبي العالية ، وعكرمة ^(٢) ، كل هؤلاء قالوا : بلغ
قومه وأدى إليهم عن الله هؤلاء الكلمات ، وهي قوله تعالى :

٣٨. ﴿أَلَا نُنَزِّلُ آيَاتَهُ وَزَرَأُخْرَى﴾ . وَأَنْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ فِي مَحَلِّ النِّصْبِ بِقَوْلِهِ :
(وَقَى) ^(٣) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ ب ، والكشف والبيان ١٢ / ١٤ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١١١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٧٥ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٠٠ ، وتفسير مجاهد ٢ / ٦٣٢ ، وتفسير مقاتل ١٣١ ب ، وجامع البيان
٢٧ / ٤٢ ، ٤٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١٠١ ، وتفسير غريب القرآن ٤٢٩ .

وقال آخرون : معنى (وَقَى) أكمل ما يجب لله تعالى عليه بالطاعة في كل ما أمر وامتنح به من ذبح الولد والإلقاء في النار والكلمات التي ابتلي بها في قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] الآية ، والاختتان ، ومناسك الحج التي أمر بها ، وفاها كلها ، وأتمها بالطاعة والصبر ، فأثنى الله تعالى عليه لقيامه بجميع ذلك بقوله : (وَقَى) ، وهذا قول جماعة من المفسرين ^(١) ، وهو اختيار أبي إسحاق ، وعلى هذا موضع أن في قوله : ﴿أَلَّا نَزِرُ﴾ خفض على البدل من قوله : ﴿بِمَا فِي صُحُفٍ﴾ . والمعنى : ألم ينبأ بأن لا تزر ، وقال : يجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار هو ، كأنه لما قيل : بما في صحف موسى ، قيل : ما هو ؟ فقيل : ﴿أَلَّا نَزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ ، ومعناه : أن لا تؤخذ نفس بإثم غيرها ^(٢) .

قال عكرمة عن ابن عباس : لا يؤخذ الرجل بذنب غيره ^(٣) ، وفي هذا إبطال لقول من قال للوليد بن المغيرة : أعطني شيئاً وأحمل عنك ذنوبك . أخبر الله تعالى أنه لا يؤخذ أحد بجناية غيره ، وأن هذا مما أنزل على إبراهيم وموسى ^(٤) .

وذكره ^(٥) المفسرون ^(٦) فقالوا : كان من لدن نوح إلى زمان إبراهيم يؤخذ الرجل بذنب أخيه وابنه حتى بلغهم إبراهيم ﴿أَلَّا نَزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ ، وهذا عام في الدنيا والآخرة ، وقد أخبر الله تعالى بذلك ^(٧) ، وذكره رسولنا محمد ﷺ أن من

(١) انظر : معاني القرآن للقرآء ١٠١ / ٣ .

(٢) انظر : جامع البيان ٤٣ / ٢٤ عن ابن عباس ، وإبراهيم النخعي والقرظي ، والكشف والبيان ١٥ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٥٤ / ٤ ، والدر ١٢٩ / ٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٥ / ٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٣ / ٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٦٩٤ / ٢ .

(٤) انظر : جامع البيان ٤٢ / ٢٧ ، والدر ١٢٩ / ٦ .

(٥) في (ك) : (وذكر) .

(٦) وهو المروي عن ابن عباس ، وعمر بن أوس ، والنخعي . انظر : جامع البيان ٤٢ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٥٤ / ٤ .

(٧) (بذلك) ساقطة من نسخة (ك) .

دعا إلى ضلالة كان عليه مثل أوزار من اتبعه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [النحل: ٢٥] .

قوله : ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] ، وهذا في رؤساء الكفر والضلالة يزداد لهم الوزر بسبب إضلالهم ، فأما أن تحمل نفس ذنب أخرى حتى يصير المحمول منها كأنها لم تأتِ بذنب ، فليس ذلك في شريعة .

٣٩ . قوله : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ عطف على قوله : ﴿أَلَا نُنْزِلُ﴾ ، وهذا أيضاً مما في صحف إبراهيم وموسى . والمعنى : ليس للإنسان في الآخرة إلا ما عمل في الدنيا ، قاله مقاتل^(١) .

قال أبو إسحاق : معناه : ليس له إلا جزاء سعيه ، إن عمل خيراً أُجزي خيراً ، وإن عمل شراً أُجزي شراً^(٢) ، هذا معناه في الظاهر .

ثم المفسرون مختلفون في حكم الآية ، فروى الوالبي عن ابن عباس أن هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ [الطور: ٢١] الآية . أدخل الله تعالى الأبناء بصلاح الآباء الجنة^(٣) ، ورفع درجاتهم وإن لم يستحقوها بأعمالهم ، ونحو هذا قال عكرمة : كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى ، فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم^(٤) ، بدليل حديث المرأة التي قالت لرسول الله ﷺ : إن أبي مات ولم يحج ، قال : «فحجي عنه»^(٥) . وقال العلماء من أصحابنا : هذه الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ ب .

(٢) انظر : معاني القرآن ٧٦/٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧/٤٤ ، والكشف والبيان ١٢/١٦ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٢٥٤ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٢/١٦ أ ، والوسيط ٤/٢٠٣ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٥٤ .

(٥) جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب : الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة ، وباب : حج المرأة عن الرجل ٣/٢٣ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب : الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت ٢/٩٧٤ .

كالجج^(١)، وهذا إذا قلنا إنه غير منسوخ الحكم، وعلى ما ذكر الوالبي وعكرمة :
الآية منسوخة الحكم في شرعنا .

وقال الحسين بن الفضل^(٢) : هذا من طريق العدل ليس للإنسان إلا ما سعى ، والله أن يتفضل عليه بما يشاء من تضعيف الحسنات^(٣) .

٤٠ . قوله : ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ : يُرَى من أريته الشيء . والمعنى أن سعيه يُرَى يوم القيامة حتى ينظر إليه ؛ أي يرى عمله في ميزانه ؛ وهذا قول مقاتل والزجاج^(٤) ، وقال ابن قتيبة : ﴿يُرَى﴾ يعلم . والمعنى يعلمه الناس^(٥) .

٤١ . ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ ؛ أي يجزى الإنسان سعيه ، والضمير للسعي ، يقال : جزيت فلاناً عمله وسعيه ؛ أي قضيته .

قال الشاعر^(٦) :

إِنْ أَجْزِ عِلْقَمَةَ بَنٍ سَعْدٍ سَعْيُهُ لَا أَجْزِيهِ بِبَلَاءٍ يَوْمٍ وَاحِدٍ
و ﴿الْجَزَاءُ الْآوَفَى﴾ : الأكمل والأتم . قال أبو إسحاق : أي يجزى عمله أوفى جزاء^(٧) .

(١) انظر : الأم ٢/ ١٠٤ ، والحاوي الكبير ٤/ ١٧ .

(٢) تقدّمت ترجمته في سورة البقرة .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١١٧ ، والبحر المحيط ٨/ ١٦٨ ، وروح المعاني ٢٧/ ٦٦ . قال مكي : والبين في هذا الذي يوجهه النظر وعليه أكثر العلماء أنه ليس بمنسوخ وأنه محكم الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٤٢٣ ، وانظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٤/ ١٧ ، وفتح القدير ٥/ ١١٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣١ ب ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٦ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٢٩ .

(٦) لم أجده .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥/ ٧٦ .

٤٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ؛ أي إليه منتهى العباد ومرجعهم ، هذا قول المفسرين . وروي تفسير آخر لهذه الآية مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال : «لا فكرة في الرب»^(١) .

ومعنى هذا أن الإنسان يتفكر في كل شيء ، فيحيط به علماً ، ويقف على كنهه وكيفيته حتى ينتهي إلى الله تعالى ، فلا يحيط به علماً ، ولا يدركه بفكرته ، فالإله المنتهى من هذا الوجه ، ويؤكد هذا المعنى ما روى أنس أن النبي ﷺ قال : «إذا ذكر الله فانتهوا»^(٢) .

وقال ﷺ : «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق»^(٣) .

والمنتهى معناه الانتهاء .

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ١/ ٢١٨ عن سفيان الثوري في قوله عز وجل : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ، قال : لا فكرة في الرب عز وجل ، وأخرجه الدارقطني في الأفراد ، والبخاري في تفسيره ٤/ ٢٥٥ مرفوعاً ، وأورده ابن كثير ، وذكر رواية البخاري له ، ثم عقب عليه بقوله : وليس بمحفوظ بهذا اللفظ ، وإنما الذي في الصحيح : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ ... وذكر الحديث ، ثم قال : والحديث الآخر الذي في السنن : «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله ...» . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٩ ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٩٦ .

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٢/ ١٧ ب ، وذكره بعض المفسرين عن أنس من دون سند ، وفي بعض الألفاظ : «إذا ذكر الله تعالى فانتهوا» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١١٥ ، والبحر المحيط ٨/ ١٦٨ ، وروح المعاني ٢٧/ ٦٨ .

(٣) ذكره البخاري في تفسيره ٤/ ٢٥٥ ، وعقب عليه ابن كثير بما سبق ذكره ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١/ ٢١٦ ، وزاد فيه : «فإنكم لا تقدرون قدره» ، وأخرجه أبو القاسم الأصفهاني في الترغيب والترهيب ٢/ ١٧٤ بسندين فيها انقطاع ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٢ ، وعزا إلى أبي الشيخ ، ورمز إليه بالضعف ، وفي تحريجات إحياء علوم الدين قال : أخرجه أبو نعيم في الحلية المرفوع منه بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ، ورواه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر ، وقال : هذا إسناد فيه نظر . قلت : فيه الوازع بن نافع متروك . انظر : الإحياء ٤/ ٤٢٤ ، وضعيف الجامع ٣/ ٣٨ (٢٤٦٩) .

٤٣. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾: أكثر المفسرين على أن هذا عام في كل ضحك وبكاء، يدل عليه ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: مرَّ النبي ﷺ على قوم يضحكون فقال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً»، فنزل عليه جبريل، فقال: إن الله - عز وجل - يقول: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، فرجع إليهم، فقال: «إن الله هو أضحك وأبكى»^(١).

وهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان بقضائه وإرادته وخلقه حتى الضحك والبكاء، وكذلك ما روي عن جبار الطائي^(٢)، قال: شهدت جنازة أم مصعب^(٣) وفيها ابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، وابن عباس يقاد على أتان له، فمرَّ وفي الجنازة صوارخ، فقلت: يا أبا عباس: تفعل هذا؟ قال: دعنا منك يا جبار: فإن الله هو أضحك وأبكى^(٤).

ومن المفسرين من خصَّ. وهو قول الكلبي، قال: أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار^(٥)، ومنهم من حمل الضحك والبكاء على المجاز، وهو قول عطاء بن أبي مسلم، قال: معناه أفرح وأحزن؛ لأن الضحك يجلبه السرور والفرح، والبكاء يوجبه الحزن والنزح^(٦)، ومنهم من حمل الآية على الاستعارة، وهو قول الضحاك.

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٢/١٨ أ، والواحي في أسباب النزول ٤٦١، وأخرجه ابن مردويه عنها. انظر: إحياء علوم الدين ٤/٤٥٠، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١١٦، والدر ٦/٣٠٠.

(٢) جبار بن القاسم الطائي، روى عن ابن عباس، وعنه أبو إسحاق، ضعّفه الأزدي، وذكره ابن حبان في الثقات بروايته عن ابن عباس. انظر: لسان الميزان ٢/١٢٠.

(٣) هي الرباب بنت أنيف الكلبيّة. انظر: طبقات ابن سعد ٥/١٨٢، وسير أعلام النبلاء ٤/١٤١.

(٤) لم أجده.

(٥) انظر: معاني القرآن للقرّاء ٣/١٠١، وجامع البيان ٢٧/٤٤، والبغوي ٤/٢٥٥.

(٦) انظر: الكشف والبيان ١٢/١٨ ب، ومعالم التنزيل ٤/٢٥٥.

قال : المعنى أضحك الأرض بالنبات ، وأبكى السماء بالمطر ^(١) .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ : المتقدمون من المفسرين حملوا هذا ^(٢) على الإماتة في الدنيا والإحياء للبعث ^(٣) ، والمتأخرون منهم ذكروا وجوهاً أخرى ، منها : أنه أَمَاتَ الآباء ، وأَحْيَا الأبناء ، كما ذكرنا في قوله : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية : ٢٤] ، ومنها أنه أَمَاتَ النطفة وأَحْيَا النسمة ، وأَمَاتَ الكافر بالكفر وأَحْيَا المؤمن بالإيمان ، والوجهان ذكرا في قوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم : ١٩] . ويدل على الوجه الثاني قوله : ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الجماع ، وقال في رواية الكلبي : تهراق في الرحم ، وهو قول الضحاك ، قال : تصب في الرحم ، ويقال : منى الرجل ، وأمنى من المنى ^(٤) ، وقيل في منى ^(٥) مكة سُمِّيت منى ؛ لما يمنى من الدماء ؛ أي يراق ^(٦) ، وقال الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة : ٥٨] ، هذا قول المفسرين . وقال أبو عبيدة ، والمبرد ، وابن قتيبة : ﴿تُمْنَى﴾ ؛ أي تقدر ، ويقال :

(١) بالمطر) ساقطة من نسخة (ك) ، والتصحيح من الوسيط . انظر : الكشف والبيان ١٢ / ١٨ ب ، والوسيط ٤ / ٢٠٤ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٥٥ . قلت : وهذا التفسير يخالف ما يفهم من ظاهر الآية ، وحمله على الضحك والبكاء المعروفين أولى ، والله أعلم .

(٢) في (ك) : (على هذا) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١١٧ .

(٤) انظر : المراجع السابقة .

(٥) منى : المكان المعروف من مهبط العقبة إلى محسر ، سميت بذلك لما يمنى من الدماء ، وقيل لأن الكباش تُمنى بها ؛ أي ذبح . انظر : معجم البلدان ٥ / ٢٢٩ .

(٦) قاله الليث ، وقال ابن شميل : سمي منى ؛ لأن الكباش تُمنى به ؛ أي ذبح . وانظر : تهذيب اللغة (منا) ١٥ / ٥٣٠ .

إنك لا تدري ما يَمْنِي لك الماني ؛ أي ما يَقْدَرُ لك المقدَّر^(١) . والقولان أصلهما واحد ، وهو التقدير ، يقال : منى الله لك ما يسرك ؛ أي قَدَّر ، والاسم من المنى .

وأنشد الفرَّاء ، فقال :

ولا تقولنَّ لشيءٍ سوفَ أفعله
حتى تبينَ ما يَمْنِي لك الماني^(٢)
والمنى الماء الذي يخلق ويقدر منه الولد ، ثم يقال منه : منى وأمنى إذا أصب
ذلك الماء .

فمعنى قوله : ﴿ إِذَا تُتَىٰ ﴾ إذا تُصَّب وتلقى على تقدير ولد في الرحم ، هذا هو الأصل ، ثم يقال : أمنى ومنى بمعنى صب من غير تقدير^(٣) . قوله تعالى : ﴿ يَنْشِئُ النَّشْأَ الْآخِرَةَ ﴾^(٤) .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ ؛ أي أغنى الناس بالأموال ومولهم . (وأقنى) اختلفوا فيه ، فقال أبو صالح : أعطى القنية وأصول الأموال التي تقتنى^(٥) .

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٣٨ ، وتفسير غريب القرآن ٤٢٩ .

(٢) البيت لأبي قلابة الهذلي ، وقيل : لأبي المثلث الهذلي ، كما في ديوان الهذليين ٣/ ٣٩ ، ولم أجده عند الفرَّاء . وانظر : تهذيب اللغة ١٥/ ٥٣٠ ، واللسان (منى) ٣/ ٥٣٨ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٥/ ٥٣١ ، واللسان (منى) ٣/ ٥٣٨ .

(٤) عند تفسيره الآية رقم : ٢٠ من سورة العنكبوت . انظر : البسيط ٤/ ١٢١ حيث قال : «أي ثم الله الذي خلقها وبدأ خلقها ينشئها نشأة ثانية . . . » .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٤٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٥٦ .

والأكثرهم قالوا : أقنى ورَضَى بما أعطى الفقير ، وهو قول مجاهد ومقاتل ، ورواية عكرمة عن ابن عباس^(١) ، والقول الأول اختيار أبي عبيدة والمُبَرَّد ، وابن الأعرابي . قال أبو عبيدة ، والمُبَرَّد : أغنى أقواماً ، وجعل لهم قنية ، وهي أصل المال^(٢) من أي مال كان .

وقال ابن الأعرابي : أقنى أعطاه ما يدخر بعد الكفاية^(٣) ، وأبو إسحاق ذكر القولين^(٤) ، وهما يرجعان إلى أصل واحد .

قال الليث : يقال : قنيت به ؛ أي رضيت ، وأقنيت لنفسي مالاً ؛ أي جعلته قنية أرخصه ، وأنشد للمتلمس :

وألقىته بالثني من جنبٍ كافرٍ كذلك أفنوك كلَّ قطٍّ مُضَلِّلٍ^(٥)
قال : أفنو بمعنى أَرْضَى ، وقال غيره : أفنو ألزم وأحفظ^(٦) ، فالأقناء يتردد بين أصلين :

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٠١/٥ ، وتفسير مجاهد ٦٣٢/٢ ، وتفسير مقاتل ١٣٢ أ . وفي صحيح البخاري قال : ابن عباس : (أغنى وأقنى) أعطى وأرضى ، وكتاب التفسير (سورة النجم) ١٧٥/٦ . قال ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة . فتح الباري ٦٠٦/٨ .

(٢) في نسخة (ك) : (مال) ، وانظر : مجاز القرآن ٢٣٨/٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣١٣/٩ ، واللسان (قنا) ١٧٧/٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٧٦/٥ .

(٥) البيت ورد في تهذيب اللغة ٣١٢/٩ ، واللسان (قنا) ١٧٧/٣ ، والخزانة ٢٣/٣ ، والمذكر والمؤنث ٤١٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (قنا) ٣١٤/٩ .

أحدهما : الرضا ؛ وذلك أن الإنسان لا يقتني إلا ما يرتضيه ، فعلى هذا أصل القولين الرضا ، والآخر : الحفظ وال لزوم ، ومنه يقال : قنا الحياء إذا لزمه ، ومنه قول الشاعر :

فَأَقْنَى حِيَاءَكَ لَا أَبَا لِكَ إِنِّي فِي أَرْضِ فَارِسَ مَوْثِقُ أَحْوَالاً^(١)

والقنية ما يلزمها الإنسان ويحفظها ، وعلى هذا الأصلان مختلفان . قال الضحاك والحسن وقتادة : أغنى في المال ، وأقنى في الخدم^(٢) ، وهؤلاء خصوا الاقتناء بإعطاء الخدم .

وأما ما روي عن ابن زيد أنه قال : أغنى أكثر ، وأقنى أقل^(٣) ، ولا وجه لقوله أقنى أقل في اللغة ، إلا أن يقال : معناه رضي بالقليل كما ذكره الأكثرون فترك ذلك الرضا واقتصر على القلة .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُورٌبُ الشَّعْرَى﴾ . قال جماعة المفسرين : هي كوكب خلف الجوزاء يقال لها مرزم الجوزاء ، وهي الشعرى العبور ، وكانت خزاعة تعبدها ، فقال الله : أنا رب الشعرى فاعبدوني ، وإنما سُميت العبور لأنها عبرت المجرة ، فقطعت عرضاً ، وهما الشعرتان ، يقال لأحدهما : العبور ، وللأخرى الغمضاء ، وسُميت الغمضاء ؛ لأن العرب تقول : إن سهيلاً والشعرتين كانت مجتمعاً ، فانحدر سهيل ،

(١) انظر : اللسان (قنا) ٣/ ١٧٧ ، وقال : أنشده ابن بري ، ولم ينسبه إلى قائل .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٥٤ ، وجامع البيان ٢٧/ ٤٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٤٥ ، وفي معالم التنزيل ٤/ ٢٥٦ ، والجامع للقرطبي ١٧/ ١١٩ نسبه للأخفش ، وهو قول الخضرمي أيضاً . وقال ابن كثير معقباً على هذا القول : «وهما بعيدان من حيث اللفظ» . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٩ ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ١٦٩ : وقد تكلم المفسرون على ذلك فقالوا اثني عشر قولاً كقولهم : أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه ، وكل قول منها لا دليل على تعيينه ، فينبغي أن تجعل أمثلة .

فصار يمانياً ، فتبعته الشعري العبور ، فعبرت المجرة ، وأقامت الغميضاء ، فبكت لفقد سهيل حتى غمضت عيناها ، فُسِّمَت الغميضاء^(١) .

٥٠ . قوله : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ . ذكر أبو إسحاق وغيره من النحويين في (الأولى) ثلاث لغات :

أحدها : (الأولى) بسكون لام المعرفة .

والثانية : (الولى) على تخفيف الهمزة ونقل حركتها إلى لام المعرفة .

الثالثة : (لولى) بطرح همزة الوصل ؛ لأن اللام تحركت فاستغني عنها^(٢) .

ومثله الأحمر والأحمر ولحمر ، وقراءة العامة : ﴿عَادًا الْأُولَى﴾^(٣) أجود اللغات الثلاثة ؛ وذلك أن التنوين اجتمع مع لام المعرفة وهما ساكنان ، فحرَّك التنوين بالكسر .

وقرأ أبو عمرو : (عاداً لولى) . قال أبو عثمان : أساء عندي أبو عمرو في قراءته (عاداً لولى) ؛ لأنه أدغم النون في لام المعرفة ، واللام إنما تحركت بحركة الهمزة ، وليست بحركة لازمة ، والدليل على ذلك أنك تقول : الْحَمَر . فلا تحذف

(١) انظر : الجمهرة ٢/ ٣٤٢ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩ أ ب . قال الألوسي في روح المعاني ٢٧/ ٦٩ : «وقيل زعموا أن سهيلاً والشعري . . . » ، وذكر ما هاهنا ، ثم قال : «وكل ذلك من تخيلاتهم الكاذبة التي لا حقيقة لها والمتبادر عند الإطلاق وعدم الوصف : العبور ؛ لأنها أكبر جرماً وأكثر ضياءً ، وهي التي عبدت من دون الله في الجاهلية» .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٧ .

(٣) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب : (عاداً لولى) موصولة مدغمة ؛ وذلك بإدغام التنوين في اللام بعد نقل حركة الهمزة إليها وصلأ ، وقرأ الباقر : (عاداً الأولى) بكسر التنوين وسكون اللام وتخفيف الهمزة من غير نقل . انظر : حجة القراءات ٦٨٧ ، والنشر ١/ ٤١١ ، ٤١٢ ، والإتحاف ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

ألف الوصل وإن حركت اللام ؛ لأنها ليست بحركة لازمة ، قال : ولكن كان أبو الحسن روى عن بعض العرب أنه يقول هذا الحَمَر قد جاء ، بحذف ألف الوصل لحركة اللام^(١) .

قال أبو علي : الإساءة التي نسبها أبو عثمان إلى أبي عمرو في قراءة : (عاداً لولى) لا تلزمه من وجهين :

أحدهما : أنه يقول : (لُؤلى) قبل الإدغام على لغة من يقول لَحَمَرٌ فيحذف همزة الوصل ، وعلى هذا القول اللام في حكم المتحرك ، وخرجت من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل ، وإذا خرجت من حكم السكون حسن الإدغام كما حسن في : مَنْ لك ؟ وَمَنْ لُوهُ ؟^(٢) فالإدغام في حرف متحرك غير ساكن .

والوجه الآخر : أن يكون أدغم على قول من يقول (الولى) الحَمَر ، فلم يحذف همزة الوصل مع إلقاء الحركة على لام المعرفة ؛ لأنه في تقدير السكون ، فلا يمتنع أن يدغم فيه ، وإن كان في حكم السكون كما لم يمتنع أن يدغم في نحو رَدَّ وفَرَّ وغَضَّ ، وإن كانت لاماتهم سواكن ، وتحركها للإدغام ، وإذا جاز الإدغام في الوجهين جميعاً ثبتت صحته .

وروي عن نافع (عاد لؤلى) بالإدغام والهمز ، ووجه الإدغام ما ذكرنا ، ووجه الهمز أن الضمة لقربها من الواو وأنه لم يحجز بينهما شيء صارت كأنها عليها ،

(١) قلت : قول أبي عثمان المازني : أساء أبو عمرو في قراءته . . . إلى أن قال : ولكن كان أبو الحسن -أي الأَخفش- فيه إساءة وتجاوز ، فالقراءة توأمتها عن أفصح العرب ﷺ ، وكان الأولى إثباتها وإن خالفت ما وضعه النحاة من قواعد ، وما أثر عن العرب من لغتهم ، أمّا أن تصوب القراءة لنقل الأَخفش أو غيره وجهاً لها عن العرب فرأي مردود على صاحبه وإن بلغ ما بلغ من علم وفهم كالمازني ، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الصادق المصدوق ﷺ ، والله أعلم .

(٢) في (ك) : (لزم) ، والتصحيح من الحجة .

فهمزها كما يهمز الواو ، إذا كانت مضمومة نحو أدور والغور^(١) ، وما أشبه ذلك ، وهذه لغة قد رويت وحكى وإن لم تكن بتلك الفاشية .

قال أبو عثمان : ومن قرأ : (عاداً لولي) فأظهر النون فقد أخطأ ؛ لأن النون لا تظهر على اللسان إلا مع حروف الحلق^(٢) .

قال المفسرون : عاد الأولى : قوم هود ، وهم أولى عاد أهلكوا بريح صرصر ، وكان لهم عقب ، وكانوا عاداً الأخرى .

٥١ . قوله تعالى : ﴿ وَثُمُودًا ﴾ : أهلك الله ثمود وهم قوم صالح بالصيحة ﴿ فَمَا أَتَّبَعْنَا ﴾ منهم أحداً .

٥٢ . ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾ : أهلك الله قوم نوح من قبل عاد وثمود .

﴿ إِنَّمَا كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس وقتادة ومقاتل وغيرهم : إنما وصف بأنهم كانوا أظلم وأطغى من غيرهم لطول دعوة نوح إليهم ، وعتوهم على الله في المعصية والتكذيب ، ولم يطل مقام أحد من الأنبياء في دعوة قومه كما طال مقامه^(٣) ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤] . وكان الرجل منهم يأخذ ابنه ، فينطلق به إلى نوح ، فيقول

(١) أدور جمع دار ، والهمز لكراهة الضمة على الواو . يقال : ثلاث أدور : همزت لأن الألف التي كانت في الدار صارت في الفعل في مواضع تحرك ، فألغيت عليها الصرف ولم ترد إلى أصلها . وغار القوم غوراً وغوراً : أتوا الغور ، وغار في الشيء غوراً : دخل . وغار الماء غوراً : ذهب في الأرض . انظر : تهذيب اللغة ٨/ ١٨٠ ، واللسان (غور) ٢/ ١٠٢٦ .

(٢) من قوله : قال أبو عثمان إلى هنا نقله من كتاب الحجة لأبي علي مع تصرف يسير . انظر : الحجة ٦/ ٢٣٧-٢٤٠ ، والبغداديات ١٩٠-١٩٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٥٤ ، وجامع البيان ٢٧/ ٤٦ .

له : احذر هذا فإنه كذاب ، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وأنا مثلك ، فاحذره ، فيموت الكبير على الكفر ، وينشأ الصغير على وصية أبيه^(١) .

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْنَفَكَةُ أَهْوَى﴾ . قال الفرّاء : كل شيء انهوى وانخسف فقد ائتفك^(٢) .

وقال أبو عبيدة : المؤنفكة المخسوف بها ائتفكت بأهلها^(٣) . وقد تقدّم تفسير المؤتفكات^(٤) .

وهي قرى قوم لوط رفعها جبريل بجناحه إلى السماء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصوات الدجاج ونباح الكلاب ، ثم قلبها فهوت من السماء إلى الأرض مقلوبة^(٥) ، فذلك قوله : (أهوى) ؛ أي أهلك ، وتفسيره : أسقط : هوى إذا سقط ، وأهواه : أسقطه^(٦) ، وقد مرّ في قوله : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى﴾ . والمعنى : أهواها جبريل إلى الأرض بعد أن رفعها ، وقال المبرّد : جعلها تهوي^(٧) .

وقال الفرّاء : رفعها إلى السماء ثم أهواها ، وأتبعهم الله بالحجارة ، فذلك قوله تعالى :

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢٠ ، والدر ٦ / ١٣١ .

(٢) لم أقف عليه في معاني القرآن للفرّاء ، وما قاله أبو عبيدة يؤيده .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٣٩ .

(٤) عند تفسيره الآية رقم : ٧٠ من سورة التوبة ، ومما قال : المؤتفكات ، قال المفسرون : يعني قرى قوم لوط وهي جمع مؤتفكة ، ومعنى الائتفك في اللغة : الانقلاب . وتلك القرى ائتفكت بأهلها ؛ أي انقلبت فصار أعلاها أسفلها .

(٥) انظر : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٨٠ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥ / ٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢٠ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٣٠ .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢٠ ، وفتح القدير ٥ / ١١٧ .

٥٤. ﴿فَغَشَّهَا مَا غَشَّى﴾^(١)؛ أي فغشاها الله وألبسها ما غشى ، يعني الحجارة في قول جميع المفسرين .

وأبهم ذكر ما غشاهم ؛ لأنه ذكر ذلك في قوله : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر : ٧٤] .

وقال ابن الأنباري^(٢) : تأويله فغشى الله المؤتفكات الذي غشي غيرهم من الأمم السالفة ؛ لأنه قد تقدّم ذكر عاد وثمود ، وقوم نوح ممن أهلك بالعذاب ، وكأن التأويل ما غشى الأمم السالفة ، فحذف الأمم لتقدّمهم وبيان معناهم .

٥٥. قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَى﴾ . قال أبو إسحاق : هذا خطاب للإنسان ، لما عدّد الله عليه ما فعله مما يدل على وحدانيته ، قال : بأي نعم ربك التي تدلك على أنه واحد تشك ؛ لأن المرية الشك^(٣) .

قال أهل المعاني : وإنما قيل بعد تعديد النقم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾ ؛ لأن النقم التي تحدث نعم علينا لما لنا فيها من المزاجر ، مع أنه نالهم بكفر النعم^(٤) . والمعنى : فبأي نعم ربك أنت أيها المخاطب تتماهى حتى تكون مقارناً لهم في سلوكك بعض مسالكهم^(٥) ، وهذا معنى قول قتادة : بأي نعم ربك تتماهى^(٦) يا ابن آدم^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٠٣/٣ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢١/١٧ ، وفتح القدير ١١٧/٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٨/٥ .

(٤) انظر : الكشاف ٤٣/٤ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٥ ، وفتح القدير ١١٧/٥ .

(٥) في (ك) : (مسالكه) ، والصواب ما أثبتته .

(٦) (تتماهى) ساقطة من نسخة (ك) .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٥٥ ، وجامع البيان ٢٧/٤٧ .

وقال ابن عباس : يريد تكذب يا وليد^(١) ، يعني الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ ، وهذه الآيات كلها نزلت في شأنه ، إلى قوله :

٥٦ . ﴿ هَذَا نَذِيرٌ ﴾ : يعني محمداً ﷺ . ﴿ مِّنَ النَّذِيرِ الْأَوَّلِ ﴾ : من الرسل قبله .

قال قتادة : يقول أنذر محمد ﷺ كما أنذر الرسل من قبله^(٢) .

قال أبو إسحاق : أي النبي ﷺ مجراه في الإنذار مجرى من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام ، وذكر قولاً آخر هو قول أبي مالك ومقاتل ، وهو أن يكون النذير مصدراً بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار . والمعنى : هذا إنذار لكم كما أنذر من قبلكم ، وقد أعلمتم ما قص الله عليكم من حال من كذب بالرسول ، وما وقع بهم من الإهلاك^(٣) ، وهذا معنى قول مقاتل ، يقول : هذا خبر من خبر هلاك الأمم الخالية^(٤) .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴾ . قال المفسرون : دنت القيامة ، واقتربت

الساعة ، وقد ذكرنا ما في هذا عند قوله : ﴿ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ ﴾^(٥) .

قال أبو إسحاق والمبرد : معناه قربت القربة^(٦) ، وهذا كما يقال : قتل

(١) انظر : الوسيط ٢٠٥ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٥٤ / ٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٨ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ أ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم ١٨ من سورة غافر ، ومما قال : يقال أزف الشيء يأزف إذا دنا ، ومنه يقال للقصور : متأزف ؛ لتداني أعضائه بعضها من بعض قال عامة المفسرين : الأرفة القيامة . قال ابن عباس : أزف أمرها ، وقال مقاتل : يعني اقتربت الساعة . وهذا معنى قول الضحاك ، سميت أرفة لقربها . قال أبو إسحاق : قيل لها أرفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها وما هو كائن قريب انظر : البسيط ١٧٢ ، تحقيق السحيباني .

(٦) انظر : معاني القرآن ٧٨ / ٥ .

القاتل ، وضرب الضارب ، والآزفة من أسماء القيامة ، سُمِّيت بذلك لدنوها من الناس ؛ لأن كل ما هو آتٍ دانٍ ، وإن استبعدت .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ . ذكر المفسرون فيه قولين : قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد ليس أحد من شركائكم من يرد ذلك ، ونحو هذا قال الضحاك : ليس من دون الله من آلهتهم كاشفة^(١) .

ومعنى الكشف في اللغة رفع الشيء عما يواريه . والمعنى على هذا القول أن القيامة إذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها لم يكشفها أحد من آلهتهم ؛ أي إنها لا تنجيهم منها ، ويدل على صحة هذا المعنى أن القيامة سُمِّيت غاشية ، فلمَّا كانت في غاشية كان ردها كشفًا كما يقال في الدعاء : اللهم اكشف عَنَّا الهموم والأحزان ، والكاشفة على هذا القول نعت مؤنث محذوف على تقدير : نفس كاشفة ، أو جماعة كاشفة ، وهذا معنى قول قتادة : ليس لها من دون الله راد^(٢) .

ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرًا كالخائنة والعاقبة والعافية ، فإذا قَدَّرتها مصدرًا كان المعنى ليس لها من دون الله كشف ؛ أي لا يكشف عنها غيره ، بمعنى لا يبديها ، ولا يظهرها ، ولا يزيل عنها ما يسترها ، وهو معنى قول مقاتل : لا يكشفها أحد إلا الله ، قال : يعني الساعة التي يكشفها .

ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى : ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفٌهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ، وهذا القول اختيار الزَّجَّاج^(٣) والفراء ، وهو قول الكلبي ، قال :

(١) انظر : الوسيط ٢٠٥/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٧/٤ ، والدر ١٣١/٦ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ٢٠/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٥٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٢٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٨/٥ .

ليس لها من يكشف عن علمها إلا الله^(١)، وإذا كشف عن علمها فقد كشف عنها.

قال الفرّاء: وتأنيث كاشفة كقولك له: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٢) يريد: من بقاء. والعافية والعاقبة، كل هذا في معنى المصدر^(٣).

٥٩. قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُونَ﴾. قال جماعة المفسرين: يعني القرآن.

قال أبو إسحاق: أي مما يتلى عليكم من كتاب الله تعجبون^(٤).

قال مقاتل: تعجبون تكذيباً به^(٥). والمعنى: تعجبون من إنزاله على محمد ﷺ فتكذبون به كما قال: ﴿بَلْ عَجِبُوا...﴾ [ق: ٢].

وقال أهل المعاني: يجوز أن يكون معنى الحديث هاهنا ما ذكر من حديث القيامة^(٦)، والكفار كانوا يكذبون بها، ويعجبون من وقوعها؛ أي وقعت عندهم، يدل على هذا قوله:

٦٠. ﴿وَقَضَحْكُمْ وَلَا تَبْكُونَ﴾؛ أي تستهزئون ولا تبكون خوفاً منها. وعلى قول المفسرين: ولا تبكون مما فيه من الوعيد.

(١) لم أجد هذا القول، وهو ظاهر المعنى.

(٢) في معاني القرآن للفرّاء: ما لفلان باقية، وما ذكره المؤلف هو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨٠].

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٠٣.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٨.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٣٢ ب.

(٦) انظر: التفسير الكبير ٢٩/ ٢٧.

روى أبو الخليل^(١) أن النبي ﷺ ما رئي ضاحكاً إلا تبسماً بعد نزول هذه الآية^(٢).

٦١. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾. قال الليث: السمود في الناس الغفلة والسهو عن الشيء، وهذا قول المبرّد، قال: السمود الاشتغال عن الشيء يكون لهم، أو فرح يتشاغل به، وأنشد فقال:

رَمَى الْحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمَدَنْ لَهُ سُموْدَا^(٣)

وروى عكرمة عن ابن عباس، قال: السمود الغناء في لغة حمير^(٤)، يقال: اسمدي لنا؛ أي غني لنا^(٥)، ومنه قول أبي زيد أنشده أبو عبيدة، فقال:

وَكَأَنَّ الْعَزِيفَ فِيهَا غِنَاءٌ لِلنَّدَامَى مِنْ شَارِبِ مَسْمُودٍ^(٦)

(١) هو صالح بن أبي مريم الضبي، أبو الخليل، وثقه ابن معين، والنسائي، وأغرب أبو عبد الله بن عبد البر فقال: لا يحتاج به. انظر: تقريب التهذيب ١/٣٦٣، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٧٩، وطبقات ابن سعد ٧/٢٣٧، وتهذيب التهذيب ٤/٤٠٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي شيبه في المصنف ١٣/٢٣٤، والثعلبي في الكشف والبيان ١٢/١٢١، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن العباس بإسناد ضعيف، وتخريجات الكشف ٤/١٦١، ورواه وكيع بن الجراح في الزهد ١/٢٦٦. قال محققه: إسناده ضعيف ومعناه غريب أيضاً؛ لأن الآية نزلت في مكة، وقد ثبت ضحك النبي ﷺ وتبسمه في أحاديث كثيرة.

(٣) البيت لعبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي، أو للكميث بن معروف. انظر: الحماسة لأبي تمام ١/٤٦٤، وأمالى القالي ٣/١١٥، والأضداد ٣٦، ومجالس ثعلب ٤٣٩، وتهذيب اللغة ١٢/٣٧٧، واللسان (سمد) ٢/١٩٨، ونسبه ابن كثير في البداية والنهاية ٨/١٤٤ إلى أيمن بن خريم.

(٤) حمير: بطن عظيم من القحطانية ينسب إلى حمير بن سبأ، من بلادهم في اليمن: شام، وذمار، ورفع.... قدم رسول ملوك حمير سنة تسع من الهجرة على رسول الله ﷺ. انظر: معجم قبائل العرب ١/٣٠٤-٣٠٥.

(٥) انظر: تفسير عبد الرزاق ٢/٢٥٥، وجامع البيان ٢٧/٤٨، والمصنف لابن أبي شيبه ١٠/٤٧١.

(٦) انظر: الأضداد لابن الأنباري ٣٦، والأضداد للسجستاني ١٤٤.

فالمسمود الذي غُني له ، والسامد أيضاً القائم في تحير . قال المبرد : ومما يأثر العرب من أشعار عاد^(١) :

قِيلُ قُمْ فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ دَعَّ عَنْكَ الشُّمُودَا^(٢)

ومنه حديث علي - رضي الله عنه - أنه دخل المسجد والناس ينتظرون الصلاة ، فقال : مالي أراكم سامدين^(٣) .

قال أبو عبيدة : يعني القيام ، وكل رافع رأسه فهو سامد . قال ابن الأعرابي : السامد اللاهي ، والسامد الغافل ، والسامد الساهي ، والسامد المتكبر ، والسامد القائم ، هذا كلام أهل اللغة في السمود^(٤) .

والمفسرون قالوا : لاهون غافلون معرضون ، ونحو هذا روي عن ابن عباس في جميع الروايات^(٥) إلا ما روى عكرمة أنه الغناء ، قال : وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا .

(١) عاد بن عوص من العرب العاربة البائدة ، يقال لهم عاد الأولى ، وكانت منازلهم بالأحقاف ، وهو الرمل ما بين عمان إلى الشحر إلى حضرموت إلى عدن أبين . انظر : معجم قبائل العرب ٢ / ٧٠٠ .
(٢) من شعر هزيلة بنت بكر ، وهي تبكي قوم عاد . انظر : الأضداد لابن الأنباري ٣٦ ، والأضداد : للسجستاني ١٤٤ ، والدر ٦ / ١٣٢ ، وعزاه إلى الطستي في مسائله ، وروح المعاني ٢٧ / ٧٢ ، وتهذيب اللغة ١٢ / ٣٧٨ ، واللسان (سمد) ٢ / ١٩٩ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعبد بن حميد ، وذكره المهدوي . انظر : جامع البيان ٢٧ / ٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢٣ ، والدر ٦ / ١٣٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٢ / ٣٧٧ ، واللسان (سمد) ٢ / ١٩٧ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٣٠٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٥٧ ، وزاد المسير ٨ / ٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٦٠ .

وروى شمر بإسناد عن ابن عباس أنه قال : مستكبرون ، قال : ويقال للفحل إذا اعتلّم : قد سمد^(١) ، وهذا معنى قول الضحّاك : أشرون بطرون ، وقول مجاهد : غضاب مبرطمون^(٢) .

٦٢ . قوله : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : صلوا لله ، يعني الصلوات الخمس .

﴿ وَاعْبُدُوا ﴾ . قال مقاتل : يعني وحّدوا الرب ، وقال الكلبي : أطيعوه في ما يأمركم به^(٣) .

وقال أبو إسحاق : معنى الآية : فاسجدوا للذي خلق السموات والأرض ، ولا تعبدوا اللات والعزى ومناة والشعري ؛ لأنه قد ذكر معبوداتهم في هذه السورة^(٤) .

* * *

(١) قال ابن كثير : وفي رواية عن ابن عباس : تستكبرون ، وبه يقول السّدي ، وتفسير القرآن العظيم ٢٦٠ / ٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (سمد) ٣٧٧ / ١٢ . والمراد باغتلام الفحل هيجانه للضراب .

(٢) انظر : جامع البيان ٤٩ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٥٧ / ٤ . والبرطمة : هي الانتفاخ من الغيظ والغضب . قال ابن القيم بعد ذكره لما تقدّم في معنى الغناء : فالغناء يجمع هذا كله ويوجهه . فهذه أربعة عشر اسماً سوى اسم الغناء . انظر : إغاثة اللهفان ٢٥٨ / ١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧٩ / ٥ .

تفسير

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين : نصف على أبي قبيس ، ونصف على قعيقعان ، فقال لهم رسول الله ﷺ : إن فعلت ذلك تؤمنون ؟ قالوا : نعم ، وكانت ليلة بدر^(١) ، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا ، فانشق القمر فرقتين ، ورسول الله ﷺ ينادي المشركين يا فلان يا فلان اشهدوا^(٢) ، ونحن على هذا ، قاله عامة المفسرين ، إلا ما روى عثمان بن عطاء^(٣) عن أبيه أنه قال : معناه : وسينشق القمر^(٤) ، وهو محجوج بإجماع المفسرين على خلافه ، وبالأخبار المتظاهرة في انشقاق القمر ؛ فقد روى جبير بن مطعم ،

(١) مراد المؤلف بليلة بدر أن القمر انشق ليلة أربع عشرة كما ورد في بعض الروايات .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس بلفظ أقرب من هذا . انظر : الدر ١٣٣ / ٦ .

(٣) في (ك) : (عطية) ، والصواب ما أثبتته . وهو عثمان بن عطاء بن أبي مسلم ، أبو مسعود المقدسي ، ضعيف ، توفي سنة ١٥٥ هـ . انظر : تقريب التهذيب ١٢ / ٢ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢١ ب ، والوسيط ٢٧ / ٤ .

وأنس ، وابن عباس ، وحذيفة ، وابن مسعود ، وهؤلاء الخمسة^(١) رَوَوْا أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَرَأَيْتَ الْجَبَلَ بَيْنَ فَلَقَتَيْهِ : إِحْدَاهُمَا خَلْفَ الْجَبَلِ ، وَالْأُخْرَى فَوْقَهُ^(٢) .

وَلَأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ يدل على أن هذا قد مضى وتقدّم ، وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر ؛ لأن انشقاقه من علامات نبوة محمد ﷺ ، ونبوته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة . قال أبو إسحاق منكراً قول عطاء : زعم قوم عندوا عن قصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة ، والأمر بين في اللفظ وإجماع^(٣) أهل العلم ؛ لأن قوله :

٢ . ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ، فكيف يكون هذا في القيامة^(٤) ؟ قال المفسرون : لما انشق القمر قال المشركون : سحرنا محمد ، فقال الله تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾^(٥) يعني انشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا﴾ ؛ أي عن التصديق والإيمان بها .

﴿يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ فيه قولان :

(١) قال ابن كثير رحمه الله : قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات . تفسير القرآن العظيم ٢٦١ / ٥ ، وانظر : فتح القدير ١٢ / ٥ ، وروح المعاني ٢٧ / ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) انظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة القمر) ، باب : انشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ١٧٨ / ٦ ، وصحيح مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب : انشقاق القمر ، ومسند الإمام أحمد ٣٧٧ / ١ ، والمستدرک في كتاب التفسير (سورة القمر) ، وسنن الترمذي في كتاب التفسير ٣٧ / ٥ (٣٢٨٥) .

(٣) في (ك) : (والإجماع) ، والصواب ما أثبتته .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨١ / ٥ .

(٥) انظر : الوسيط ٢٧ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٨ / ٤ ، وفتح القدير ١٢ / ٥ .

أحدهما : ذاهب ، وهو قول أنس ، ومجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، وقتادة ، واختيار الفرّاء والزّجاج^(١) ، وأصله من قوله : مرّ الشيء على وجهه واستمر ؛ أي ذهب .

القول الثاني : أن معنى المستمر : القوي الشديد ، وهو معنى قول ابن عباس : يريد يعلو كل سحر ، وهو قول أبي العالية ، والضحاك ، ورواية شيبان عن قتادة ، قالوا : محكم شديد غالب قوي^(٢) ، واختاره أبو عبيدة والمبرّد وابن قتيبة ، فقال أبو عبيدة : (مستمر) شديد^(٣) ، وقال المبرّد : هو من قولك : ذو مرة ؛ أي قوة ، ومنه أمرت الحبل إذا شددت فتله ، واستمر فلان على كذا إذا قوي واستحكم معرفته ، قال : ومرّ فلان ، هو من هذا ؛ لأن معناه على الحقيقة بعد ولم يرتدع ، كقولك : مرّ السهم^(٤) ، ونحو هذا ذكر ابن قتيبة^(٥) ، وقول الربيع بن أنس ، ويهان بن رباب : نافذ ماضٍ^(٦) يعود إلى هذا ؛ لأن نفوذه ومضاه من قوته .

٣. ثم ذكر تكذيبهم ، فقال : ﴿وَكَذَّبُوا﴾ . قال ابن عباس : كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من عظمة الله وقدرته .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٣٥ ، وتفسير مقاتل ١٣٢ ب ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٥٧ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٤ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥/ ٨٢ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ٢٢ ب ، ٢٣ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٢٧ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٥/ ١٩٥ ، واللسان (مرر) ٣/ ٤٦٦ ، ولم أجده منسوباً إلى المبرّد .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٣١ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ١٥/ ١٩٦ ، ولم ينسبه إلى قائل ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٢٧ .

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ . قال : ما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه^(١) ، وقال الكلبي : يعني عبادة الأوثان^(٢) .

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ . قال الكلبي : لكل أمر حقيقة ، ما كان منه في الدنيا فسيظهر ، وما كان منه في الآخرة فسيعرف^(٣) . ومعنى هذا ما ذكره مقاتل ، قال : هذا وعيد لهم ، يقول : لكل حديث منتهى ، يعني العذاب بعضه يقع بهم ببدر ، وبعضه في الآخرة^(٤) . وعلى هذا معنى الآية : وكل أمر مما قضاه الله من العذاب يستقر بهم في الوقت الذي قضاه ، وقال قتادة : ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ فالخير^(٥) يستقر قرار تكذيبهم ، وقرار قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقة بالشواب والعقاب .

٤ . وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ : يعني أهل مكة . ﴿مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ ؛ أي من أخبار الأمم المكذبة في القرآن . ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ . يقال : زجرته وأزدجرته وهو كالنهي عن السوء للإنسان ، ومنه قوله : (وازدجر) . وقد يوضع الازدجار موضع الإزجار فيكون لازماً ، والدال في ازدجر مقلوب عن التاء ؛ وذلك أن الدال أقرب إلى الزاي من التاء ؛ لأنها مجهوران والتاء مهموس .

قال أبو الفتح الموصلي : فالافتعال إذا كان زايًا قلبت التاء دالاً نحو ازدجر ، وازدهى ، وازدار ، وازدان ، وازدلف ، ونحو ذلك ، وأصل هذا كله التاء ، ولكن

(١) انظر : الوسيط ٢٧/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٨/٤ .

(٢) لم أجده .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٢٥٨/٤ ، وفتح القدير ١٢١/٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب .

(٥) كذا في (ك) ، وفيه سقط ، وصوابه : (أي بأهل الخير والخير وبأهل الشر الشر) ، وقال الفراء : يقول فالخير . انظر : معاني القرآن للفراء ١٤/٣ ، وجامع البيان ٥٢/٢٧ ، والوسيط ٢٧/٤ .

الزاي لما كانت مجهورة ، وكانت التاء مهموسة ، وكانت الدال^(١) أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر ، قَرَّبوا بعض الصوت من بعض ، فأبدلوا من التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي ، وهي الدال ، فقالوا : ازدجر^(٢) .

والمزْدَجَر هاهنا بمعنى الازدجار الواقع في المعنى ما فيه ازدجار لهم ووعظ ونهي ، وليس بمعنى الانزجار ؛ لأنه لو كان لهم فيه انزجار لكانوا قد انزجروا واتعظوا .

قال مقاتل : يعني موعظة لهم ، وهو النهي عن المعاصي^(٣) ، وقال السُّدِّي : ما فيه عظة^(٤) .

وجماعة من أهل التفسير والمعاني حملوا المزدجر هاهنا على المطاوع ؛ لأنهم قالوا في تفسيره : منتهى ومتناهي ومتعظ ، وهو قول الكلبي ، ومجاهد ، والفراء ، والزَّجَّاج^(٥) ، وعلى هذا لا بَدَّ من تقدير محذوف كأنه قيل : ما فيه انزجار لهم لو انزجروا ، ومنتهى لو انتهوا .

٥ . ثم قال : ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ . قال مقاتل والكلبي : يعني القرآن^(٦) .

قال أبو إسحاق : رفعت حكمة بدلاً من (ما) في قوله : ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ . المعنى : ولقد جاءهم حكمة بالغة ، وإن شئت رفعت بإضمار هو ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾^(٧) ؛ أي تامة قد بلغت الغاية في كل ما توصف به .

(١) في (ك) : (الدال) .

(٢) انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٥٩ .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٣٦ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ٨٥ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٤ ، وتفسير مقاتل ١٣٢ ب .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ٨٥ .

قوله : ﴿فَمَا تُعَيِّنُ النَّذْرُ﴾ . ذكر الفراء والزجاج أن (ما) يجوز أن تكون نفيًا على معنى : فليست تغني النذر ، ويجوز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ ، ويكون المعنى : فأَيُّ شيء تغني النذر إذا لم تؤمنوا^(١) ، وهذا كقوله : ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١١] ؛ فإن قَدَّرت ما استفهاماً كان في موضع النصب بتغني .

٦ . ثم أمره بالإعراض عنهم ، فقال : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ، وهذا مما نسخ^(٢) ، وهاهنا وقف التهام^(٣) .

قوله : ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ . قال الزجاج : يوم منصوب بقوله : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾^(٤) ، وقال المبرد : (يوم) ظرف لقوله : ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ ، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾^(٥) . قال مقاتل : هو إسرافيل ينفخ قائماً على صخرة بيت المقدس^(٦) . ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرٍ﴾ . قال : إلى أمر فظيع .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد يوم القيامة . ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرٍ﴾ . شدة العذاب وفضاعته^(٧) .

-
- (١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٥ .
 (٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ٢٣ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٥٩ ، وفتح القدير ٥/ ١٢١ . قال مكِّي : وليس في سورة القمر ، وسورة الرحمن ، والواقعة شيء ، وكذلك الحديد . الإيضاح ٤٢٤ ، وقال ابن الجوزي : وقد زعم قوم أن هذا التولي منسوخ بآية السيف ، وقد تكلمنا على نظائره ، وبيَّنا أنه ليس بمنسوخ . نواسخ القرآن ٢٣٤ .
 (٣) انظر : المكتفى ٥٤٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٦ ، وزاد المسير ٨/ ٩ .
 (٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٦ .
 (٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٢٩ ، والبحر المحيط ٨/ ١٧٤ .
 (٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب .
 (٧) في (ك) : (فضاعته) ، ولم أجد الرواية عن ابن عباس ، ولعل وضوح المعاني حال دون نسبة التفسير إلى قائل .

وقال الكلبي : يعني حين يدعى أهل النار إلى النار ^(١) .

و(نكر) معناه منكر ، وهو الذي تأباه النفس من جهة نفور الطبع ؛ وذلك أنهم لم يروا مثله قط فينكرونه استعظماً له ، وهو صفة على فُعل ، مثل : جُنُب ، وجُزُر ، وأُحُد ، ويجوز فيه التخفيف ^(٢) ، وإنما وصف بأنه نكر لغلظه على النفس .

٧ . قوله تعالى : ﴿ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ ﴾ . وقُرئ خاشعاً ^(٣) . قال الفرّاء والزّجاج : يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدّمت على الجماعة التوحيد نحو : (خاشعاً أبصارهم) ، والتأنيث نحو : ﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴾ ، وهو قراءة عبدالله ، والجمع نحو : ﴿ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ ﴾ ، ويقول : مررت بشباب حسن أوجههم ، وحسان أوجههم ، وحسنة أوجههم ، وأنشدا :

وشبابٍ حسنٍ أوجهُهُم من إِيادٍ بنِ نزارٍ بنِ معدٍ ^(٤)
وأنشد الفرّاء :

يرمي الفجّاج بها الركبانَ معترضاً أعناقَ بُزْلٍ لها مُرَخَى لها الجُدُلُ

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٤ / ٥ .

(٢) يشير المؤلّف بقوله هذا إلى قراءة ابن كثير : (نُكِر) بإسكان الكاف ، والباقون بضمها . انظر : حجة القراءات ٦٨٨ ، والحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٤١ ، والنشر ٢ / ٣٨ ، والإتحاف ٤٤ .

(٣) قرأ أبو عمرو ، وحمة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف : ﴿ خَشِيعًا ﴾ بفتح الخاء ، وألف بعدها ، وكسر الشين مخففة بالإفراد ، وقرأ الباقر : ﴿ خُشَعًا ﴾ بضم الخاء ، وفتح الشين مشددة من غير ألف . انظر : حجة القراءات ٦٨٨ ، والنشر ٢ / ٣٨ ، والإتحاف ٤٤ .

(٤) البيت للحرث بن دوس الأنصاري ، ويروى لأبي دؤاد الأنصاري . انظر : ديوان أبي دؤاد ٣٥ ، واللسان (خشع) ، والبحر المحيط ٨ / ١٧٥ ، والمحرق ١٥ / ٢٩٦ ، وشرح الأبيات للفارسي ٣٩٨ .

- فلو قال معترضات أو معترضة ومرخاة أو مرخيات لكان صواباً^(١) .
- قال أبو إسحاق : و(خشعاً) منصوب على الحال . المعنى : يخرجون من الأجدات خشعاً أبصارهم^(٢) .
- قال المفسرون : يعني ذليلة خاضعة أبصارهم عند معاينة العذاب^(٣) .
- وقال أهل المعاني : وصفت الأبصار بالخشوع ؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تتبين في نظره^(٤) كما قال عز ذكره : ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى : ٤٥] .
- قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ . قال المفسرون : يريد القبول ، واحدها جدث ، وبنو تميم^(٥) تقول بالفاء جدف^(٦) .
- قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ : تفسير الجراد قد تقدّم في سورة الأعراف^(٧) .
- قال مقاتل : فيكثرون من الكثرة كأنهم جراد حين انتشر من موضعه^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٥ ، ١٦ ، وجامع البيان ٢٧/ ٥٣ ، والبحر المحيط ٨/ ١٧٥ . الجدل : جمع الجدليل وهو الزمام . ولم أجد البيت منسوباً إلى قائل .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨٦/ ٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٥٣ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٣ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٢٩ ، وفتح القدير ٥/ ١٢٢ .

(٥) بنو تميم : قبيلة عظيمة من العدنانية ، تنتسب إلى تميم بن مرة ، منازلهم بأرض نجد ، تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربي في الجاهلية والإسلام . انظر : معجم قبائل العرب ١/ ١٢٧ ، ونهاية الأرب ١٧٧ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٦٣٤ ، واللسان (جدث) ١/ ٤١٢ .

(٧) عند تفسيره الآية رقم : ١٣٣ من سورة الأعراف .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب .

وقال الكلبي : ينبت بعضهم في بعض^(١) .

قال أهل المعاني : المعنى أنهم يخرجون فرعين لا يبتدون ، فيدخل بعضهم في بعض لا جهة لأحد منهم يقصدها ، فشبههم في هذا الوقت بالجراد ؛ لأن الجراد لا جهة لها ، فتكون أبداً مختلفة بعضها في بعض^(٢) .

٨ . قوله تعالى : ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ . قال ابن عباس : مقبلين إلى الصوت ، وقال مقاتل : مقبلين سراعاً إلى صوت إسرافيل^(٣) .

وذكر في تفسير مهطعين قولان : أحدهما : مسرعين ، والآخر : ناظرين مديمي النظر^(٤) ، وقد ذكرنا ما فيه عند قوله : ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم : ٤٣] .

قوله تعالى : ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : يوم القيامة عسر على الكافرين ، وعلى المؤمنين سهل يسير^(٥) .

قال مقاتل : يهون على المؤمنين الحشر ، والكفار ينكبون على وجوههم ، فلا يقومون مقاماً إلا عسر عليهم^(٦) ، ويقال : عَسَرَ يَعْسُرُ عَسْرًا فهو عَسِيرٌ ، وهذا كقوله : ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ . [المدثر : ٩-١٠] .

(١) انظر : الوسيط ٢٨/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٥٩/٤ .

(٢) انظر : الوسيط ٢٨/٤ ، والبحر المحيط ١٧٦/٨ ، وروح المعاني ٨/٢٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب ، والكشف ٢٣ ب ، ومعالم التنزيل ٢٦/٤ .

(٤) انظر : جامع البيان ٥٣/٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٧ ، وتهذيب اللغة ١٣٤/١ ، واللسان ٨١١/٣ .

(٥) انظر : الوسيط ٢٨/٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٢ ب .

٩. قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ ظاهر إلى قوله : ﴿وَأَزْدُجِرَ﴾ . قال ابن عباس : وانتهر ، وقال الكلبي : زجر عن مقالته ، وقالوا : مستطار الفؤاد^(١) ، يعني أنهم اتهموه بالجنون ، وقالوا : إنه لا عقل له ، وزجروه عن دعوته .

قال ابن زيد : توعده بالقتل^(٢) ، وقال الفرّاء : زجروه بالشتم^(٣) . وتفسير الازدجار قد مرّ قبيل .

والأفعال في هذه الآية مسندة إلى الفاعلين ، وبني ازدجر للمفعول لوفاق الفواصل ، وإن كان للفاعلين الذين جرى ذكرهم .

١١. قوله : ﴿مُنْهَمِرٍ﴾ . يقال : همر الماء وانهمر فهو هامر منهمر إذا سال وانصب . قال المفسرون : منصب انصباباً شديداً لم ينقطع أربعين يوماً^(٤) .

١٢. قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَى الْمَاءُ﴾ . قال المفسرون : يعني ماء الأرض وماء السماء . قال الفرّاء : ولا يجوز التقى إلا للاثنين فما زاد ، وإنما جاز في الماء لأنه يكون جمعاً وواحداً^(٥) ، يعني أنه اسم الجنس ؛ فهو يجمع ماء الأرض وماء السماء .

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٥/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٦/٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٥٤/٢٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٦/٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ أ ، والكشف والبيان ٢٤/١٢ أ ، ونسبه إلى ابن عباس والقرطبي ، ومعالم التنزيل ٢٦/٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن ١٦/٣ .

قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ﴾ فيه قولان : قال الكلبي : على أمر قد مضى عليهم^(١) ، وهو قول محمد بن كعب ، قال : كان القدر قبل البلاء^(٢) ، وقال مقاتل : إن ماء السماء وماء الأرض قدرهما الله تعالى أن يكونا سواء ؛ فذلك قوله : ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ﴾^(٣) ، والقولان ذكرهما الفراء والزجاج^(٤) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ : يعني على سفينة ذات ألواح ، وهي خشباتها العريضة التي منها هيئت وجمعت .

وقوله : ﴿وَدُسْرٍ﴾ : معنى الدُّسْر في اللغة : الدفع الشديد ، يقال دَسَرَهُ بالرمح ودسر جاريته بهنّها عند النكاح ، ومنه قول ابن عباس في العنبر : إنما هي شيء دسره البحر^(٥) ؛ أي دفعه .

وقال أبو إسحاق : الدُّسْر : المسامير والشروط^(٦) التي تشدّ بها الألواح ، وكل شيء كان نحو السَّمُر ، وإدخال شيء في شيء بقوة وشدة فهو الدُّسْر ، يقال : دَسَرْتُ^(٧) المسمار في الخشبة أدسره وأدسره دسراً ، والدُّسْر واحد دسار ، نحو حَمَارٌ وَحُمَرٌ^(٨) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٥ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٥٥ ، والكشف والبيان ١٢ / ٢٤ ب .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ أ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٨٧ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢٤ ب ، وتهذيب اللغة ١٢ / ٣٥٥ ، واللسان (دسر) ١ / ٩٧٦ .

(٦) الشروط : جمع شريطة ، وهي حبال يُربط بها .

(٧) في نسخة (ك) : (جرس) ، والصواب ما أثبتته .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٨٧ ، ٨٨ .

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي وجماعة المفسرين : يعني المسامير والشروط ، وكل ما شَدَّتْ به السفينة^(١) .

وذكر في الدسر قولان آخران :

أحدهما : أن الدسر هو دفعها الماء بكلكلها^(٢) ، حكاه أحمد بن يحيى ، ورواه معمر عن الحسن ، قال : تدر الماء بصدرها^(٣) . والدسر على هذا يجب أن يكون مصدراً .

والثاني : أن الدسر هو صدرها الذي ترفع به الماء وتدر وهو جَوْجُؤُها^(٤) ، وهذا القول يروى عن شهر بن حوشب ، ورواه عطية عن ابن عباس^(٥) ، والقول هو الأول^(٦) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : بمنظر ومرأى منا وحفظ ، وهذا كقوله : ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود : ٣٧] ، وقد مرَّ .

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٥/٥ ، وتفسير مقاتل ١٣٣أ ، ومعاني القرآن للفراء ١٦/٣ ، وجامع البيان ٥٥/٢٧ .

(٢) الكلُّل : الصدر من كل شيء ، وقيل : هو ما بين الترقوتين ، وقيل : هو باطن الزرر . اللسان (كلل) ٢٩/٣ .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٥٨ ، وتهذيب اللغة (دسر) ١٢/٣٥٥ .

(٤) الجَوْجُؤُ : عظام الصدر وجمعه الجآجئ ، وجَوْجُؤُ السفينة والطائر : صدرهما . اللسان (جأجأ) .

(٥) انظر : جامع البيان ٥٥/٢٧ ، والكشف والبيان ١٢/٢٤ ب ، ومعالم التنزيل ٢٦/٤ .

(٦) قال ابن كثير : « قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والقرظي ، وقتادة ، وابن زيد : هي المسامير ، واختاره ابن جرير . . . » . تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦٤ .

قوله تعالى : ﴿ جَزَاءُ لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ . قال مقاتل : يعني نوحاً ؛ لأنه المكفور به ^(١) .

قال الفرّاء : يقول فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم لما صنع بنوح ، قال : وفي (لمن) معنى ما ، ألا ترى أنك تقول : غرقوا النوح ولما صنع بنوح ^(٢) . هذا كلامه . والمعنى : فعلنا ذلك ثواباً لمن كفر به وجحد أمره ، وهو نوح عليه السلام .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً ﴾ : ذكر في الضمير في (تركناها) قولان :

أحدهما : أنها للسفينة المذكورة في قوله : ﴿ ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِرَ ﴾ ؛ لأن المراد بها السفينة ، وهو قول قتادة ، قال : أبقي الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركتها أوائل هذه الأمة ^(٣) .

الثاني : قال أبو إسحاق : المعنى تركنا هذه الفعلة وأمر سفينة نوح آية ؛ أي علامة ليعتبر بها ^(٤) ، يدل على صحة هذا المعنى قوله : ﴿ حَمَلْنَاكَ فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكَ تَذْكِرَةً ﴾ [الحاقة : ١١-١٢] . والتذكير يكون بالحمل في الجارية . والمعنى : لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا .

قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴾ . قال مقاتل : فهل من متذكر يعلم أن ذلك حق فيعتبر ويخاف ^(٥) ؟

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ أ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٧ / ٣ .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٨٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ أ .

قال أبو إسحاق : وأصله مُذْتَكِر ، ولكن التاء أبدل منها الدال ، والذال من موضع التاء ، وهي أشبه بالدال من التاء ، وأدغمت الذال في الدال^(١) . هذا كلامه ، وإنما فُعل ذلك ؛ لأن التاء مهموس ، والدال مجهور ، وهي من مخرج التاء ، والدال أيضاً مجهور ، والمجهور بالمجهور أشبه ، فصار كما ذكرنا في (مزدجر) .

قال أبو علي الفارسي : وقالوا الذكر بالذال ، حكاة سيويه ، وكذلك روي بيت ابن مقبل : من بعض ما يعتري قلبي من الذكر^(٢) .

وذلك لما كثر تصرف الكلمة بالدال نحو : أدكر ، وهل من مذكر أشبهت تقوى وتقية وتقاة .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ﴾ . كيف : استفهام عن تلك الحالية ، ومعناه التعظيم لذلك العذاب ، والتعجب منه للسامعين .

قوله تعالى : ﴿ وَنُذِرْ ﴾ . النذر اسم من الإنذار يقوم مقام المصدر . قال الفرّاء : النذر هاهنا مصدر معناه : فكيف كان إنذاري^(٣) ؟

وقال أبو علي : النذر والنذير مثل النكر والنكير ، وهما جميعاً مصدران ، ومنه قوله : ﴿ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴾^(٤) [المسلمات : ٦] ، ونذكر الكلام هناك إن شاء الله . والمعنى : كيف كان إنذاري إياهم ؛ إذ دعاهم نوح إلى الإيمان فلم يؤمنوا ، وفي هذا تخويف للمشرّكين .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ . اختلفوا في هذا على قولين :

-
- (١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٨٨/٥ ، وسر صناعة الإعراب ١٨٧/١ ، ١٨٨ .
 (٢) انظر : الكتاب ٤/٤٢١ ، وديوان ابن مقبل ٨١ ، وسر صناعة الإعراب ١٨٨/١ ، والخصائص ١٤/٣ ، ٣٥١/١ .
 (٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٧/٣ .
 (٤) انظر : الحجة ٦/٣٦٣ ، والبسيط ١٦١أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٣٤ .

أحدهما : أن المراد بالذكر هاهنا الحفظ والقراءة ، وهو قول سعيد بن جبير ،
وليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن^(١) .

وقال مقاتل : لولا أن الله يَسِّر القرآن ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله ،
ولكن الله يَسِّره على خلقه^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : قيل : إن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل إنما يتلوها
أهلها نظراً ، ولا يكادون يحفظون كتبهم من أولها إلى آخرها كما يحفظ القرآن^(٣) .

وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ؛ أي هل من ذاكر يذكره ،
وقارئ يقرأه ؟ ومعناه الحث على قراءة القرآن ودرسه وتعلمه وتفهم معانيه ،
وهذا معنى قول مطر الوراق : هل من طالب علم فيعان عليه^(٤) ؟

القول الثاني : أن معنى الذكر هاهنا الاعتبار والتفكير . قال مقاتل : يعني
ليتذكروا ما فيه^(٥) . والمعنى : هوّنْه بأن جعلنا ألفاظه سهلة مفهومة لا صعبة
متعقدة كما قال : ﴿ يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] ، وبَيَّنَّا فيه المواعظ والمزاجر ،
فهذا معنى ﴿ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ؛ أي من متعظ معتبر خائف ، وهذا معنى قول ابن
عباس في رواية عطاء ، قال : يريد سهّلنا القرآن لكل متعظ^(٦) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢٥ أ ، والوسيط ٤ / ٢٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٦١ ، وزاد المسير ٨ / ٩٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ أ ، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ٨ / ٢ عن ابن عباس بسند ضعيف .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ٨٨ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٥٧ ، والكشف والبيان ١٢ / ٢٥ أ ، والدرر ٦ / ١٣٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ أ .

(٦) لم أجد هذا القول منسوباً ، وانظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢٥ أ .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ ذكرنا تفسيره في قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ [فصلت: ١٦] . قال ابن عباس : كانوا يتشاءمون بذلك اليوم ^(١) .

وقال الكلبي : كان شؤم ذلك اليوم عليهم ^(٢) .

قال أبو إسحاق : قيل في يوم أربعاء في آخر الشهر لا يدور ^(٣) ، ومعنى مستمر دائم الشؤم .

قال الفراء : استمر عليهم بنحوسته ^(٤) ، وتفسير المستمر قد مرّ في هذه السورة ^(٥) .

ومعنى ﴿ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ قوي يأتي عليهم فيهلكهم حتى لا يبقى منهم أحداً .

وروي عن قتادة أنه قال : استمر بهم إلى نار جهنم ^(٦) ، وفي هذا نحتاج إلى تقدير محذوف .

(١) انظر : الوسيط ٢١ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٥ / ١٧ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٣٧ / ٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٨٩ / ٥ . قال الألوسي : على معنى أن ابتداء إرسال الرياح كان فيه فلا ينافي آتي فصلت ، والحاقة . روح المعاني ٨٥ / ٢٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١٨ / ٣ . قال ابن كثير : ومن قال إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء وتشاءم به لهذا الفهم فقد أخطأ وخالف القرآن ، فإنه قال في الآية الأخرى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ ، ومعلوم أنها ثمانية أيام متتابعات ، فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤومة . وهذا لا يقوله أحد ، وإنما المراد في أيام نحسات ؛ أي عليهم . انظر : البداية والنهاية ١٢٨ / ١ .

(٥) ذكر المؤلف معنيين لقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ ؛ أحدهما : ذاهب ، والآخر : قوي شديد ، وهذا المعنى يفسر به الاستمرار هنا دون الأول ، والله أعلم .

(٦) انظر : جامع البيان ٥٨ / ٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٦٤ / ٤ ، وروح المعاني ٨٣ / ٢٧ ، ٨٤ ، وفيه زيادة بيان وإيضاح .

٢٠. قوله تعالى : ﴿ تَزْعُمُ النَّاسَ ﴾ ؛ أي تقلعونهم . قال ابن عباس : اقتلعتهم الريح من تحت أقدامهم ^(١) ، وقال السُّدِّي : تنزع الناس من البيوت ^(٢) .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « انتزعت الريح الناس من قبورهم » ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ على تقدير ففتركونهم كأنهم أعجاز نخل ؛ وذلك أنهم إنما أشبهوا أعجاز النخل عند سقوطهم لا عند نزوعهم ، وقال الزَّجَّاج : كأنهم هاهنا في موضع الحال . والمعنى تنزع الناس مشبهين النخل المنقعر ، وهو المقطوع من أصوله ^(٤) ، وعلى ما ذكر لا إضمار في الآية .

وأعجاز جمع عَجَز ، وهو مؤخر الشيء ، وشبههم بأعجاز النخل ؛ لأن الريح قلعت رؤوسهم أولاً ثم كتبتهم لوجوههم ^(٥) .

وقوله : ﴿ مُنْقَعِرٍ ﴾ . قال ابن السكيت : يقال : قعرت النخلة إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط ، وقد انقعرت هي ؛ أي انقلعت وسقطت ^(٦) . قال الفرَّاء : يقول أَسَافِلُ نَخْلٍ مُصْرَعٌ ^(٧) ، وقال أبو عبيدة : منقلع ^(٨) . قال مجاهد : سقطت رؤوسهم أمثال الأخبية ، وتفردت أعناقهم ، فشبههم بأعجاز نخل منقعر ^(٩) .

(١) انظر : الوسيط ٢١/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١٧ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١٧ ، وفتح القدير ١٢٥/٥ .

(٣) وأورده الثعلبي في تفسيره ٢٥ ب ، والقرطبي في جامعه ١٣٦/١٧ ، وقال الشوكاني في تفسيره ١٢٥/٥ : « وقيل من قبورهم لأنهم حفروا حفائر ودخلوها » .

(٤) انظر : معاني القرآن ٨٩/٥ .

(٥) انظر : جامع البيان ٥٨/٢٧ ، ٥٩ عن قتادة ، ومجاهد ، وتفسير القرآن العظيم ٢٦٤/٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (قعر) ٢٢٨/١ .

(٧) انظر : معاني القرآن ١٨/٣ .

(٨) انظر : مجاز القرآن ٢٤١/٢ .

(٩) انظر : جامع البيان ٥٩/٢٧ .

قال المفسرون : شبههم لطول قاماتهم حين صرعتهم الريح وكبتهم على وجوههم بالنخيل الساقطة على الأرض التي ليست لها رؤوس^(١) ، والعرب تشبه الرجال إذا انكبوا على وجوههم على الأرض بالنخيل الساقطة ، ومنه قول الشاعر يزيد بن عمرو^(٢) يرثي قومه :

ألا من رأى قومي كأنّ رجلاًهم نخيلٌ أتاهها عاضدٌ فأمالها^(٣)

وتذكير المتعذر للفظ النخل ، وهو من الجمع الذي يذكر ويؤنث ، وتأنيثه قد جاء في قوله عز ذكره : ﴿ نَخْلٌ حَاقِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ٧] .

٢٣ . ﴿ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما جاءهم به صالح^(٤) ، وعلى هذا معنى النذر : الإنذار كما ذكرنا في قوله : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِ وَنُذُرِ ﴾ ، وقال مقاتل : يعني بالرسل^(٥) ، وعلى هذا النذر : جمع نذير ، وتكذيبهم صالحاً تكذيب لجميع الرسل ؛ لأن الإيمان بالجميع واجب .

ثم أنكروا أن يكونوا تبعاً لواحد منهم ، وهو قوله :

٢٤ . ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا تَتَّبَعُهُ ﴾ ؛ أي هو آدمي مثلنا ، وهو واحد فلا نكون له تبعاً . ﴿ إِنَّا إِذَا ﴾ إن فعلنا ذلك ﴿ لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ . قال الكلبي : خطأ وذهاب عن الحق^(٦) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢٥ ب ، والوسيط ٤ / ٢١ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٣٧ .

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) انظر : الحماسة لأبي تمام ٢ / ٤٧٣ ، وفيها : (قومي) بدلاً من (قوماً) ، و(عاضد) بدلاً من (عاصف) .

(٤) ذكره المفسرون لبيان المعنى ولم ينسب إلى قائل .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ ب .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢٦ أ ، والوسيط ٤ / ٢١ ، والبعوي ٤ / ٢٦١ .

قال أبو عبيدة : جمع سُعْر^(١) . والمفسرون وأهل المعاني ذكروا في السعر معنيين .

قال مقاتل : يعني شقاء وعناء ، وهو قول قتادة والكلبي^(٢) ، واختيار الفرّاء ، قال : أراد بالسعر العناء للعذاب^(٣) ، وهو قول الحسن ، قال : أراد شدة العذاب^(٤) ، ويكون المعنى على هذا القول : إنّ إن اتبعناه فنحن في ضلال وفي عذاب مما يلزمنا .

وقال عطاء عن ابن عباس : وجنون^(٥) . وأصل هذا من قولهم : ناقة مسعورة إذا كانت كأن بها جنوناً ، ومنه قول الشاعر :

تخالُّ بها سُعراً إذا العيسُ هزّها ذميلٌ وإيضاعٌ من السيرِ مُتْعَبٌ^(٦)

وذكر أبو إسحاق القولين^(٧) ، والمُبرّد ذكرهما وجمع بينهما ، فقال : سحر جمع سحير ، وهو لهب النار ، ويقال : سُعْر : جنون ، من قولهم : ناقة مسعورة ، وجمل مسعور ، ويذهبون إلى أن هذا من ذلك ، وأنه يقال للمجنون مسعور ؛ لأنه لا يستقر يذهب كذا وكذا لما يلتهب فيه من الحدة ، فتنزله مرة كذا ومرة كذا^(٨) . ثم أنكروا ، أن يكون الوحي يأتيه ، فقالوا :

(١) انظر : جامع البيان ٥٩/٢٧ ، وفتح القدير ١٢٦/٥ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ٢٦/١٢ إلى سفيان ابن عيينة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ ب ، وجامع البيان ٥٩/٢٧ ، والكشف والبيان ٢٦/١٢ أ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٨/٣ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ٢٦/١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٦١/٤ ، ٢٦٢ .

(٥) انظر : زاد المسير ٩٦/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١٧ .

(٦) لم أجده منسوباً ، وقد ورد في تحريجات الكشف ١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١٧ ، والبحر المحيط ١٨/٨ ، وفي الألفاظ اختلاف يسير . الذميل : ضرب من سير الإبل . اللسان (ذمل) .

(٧) انظر : معاني القرآن ٨٩/٥ .

(٨) لم أجده عن المُبرّد ، انظر : تهذيب اللغة ٨٧/٢ ، واللسان (سعر) ١٤٨/٢ .

٢٥. ﴿أَمْ لَيْلَى الذِّكْرِ عَلَيْهِمْ يَنِينًا﴾ . قال أبو عبيدة : يعنون أجراء الذكر ، كما يقول : ألقيت عليه المسألة ، وألقيت عليه حساباً^(١) .

قال ابن عباس . والكليبي : يقولون : أجراءته النبوة وخص بها من بيننا^(٢) ، وقال مقاتل : يعني الوحي^(٣) .

﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ﴾ : افتعل ما يقول . ﴿أَشِرُّ﴾ . قال أبو عبيدة : الأشر : المرح والتجبر والكبرياء ، وربما كان من النشاط^(٤) .

وقال المبرد : الأشر البطر ، يقال : أشر يأشر أشراً إذا طغى وعلا متبجحاً فرحاً^(٥) .

وقال الأزهري : الأشر المرح ، ورجل أشر وأشران ، وقوم أشرى ، ورجل مئسر ، وكذلك امرأة مئسر بغير هاء^(٦) .

وقال الكسائي والفرّاء : الأشر والأشر بكسر الشين وضمها ، نحو : الحذر والحذر ، والفطن والفطن ، والعجل والعجل ، والضم قراءة مجاهد^(٧) .

قال المفسرون : أشر : بطر مرح متكبر يريد أن يتعظم علينا بالنبوة .

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤١ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٣٧ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٣٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ ب ، وانظر : الكشف والبيان ١٢ / ٢٦ ب .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤١ .

(٥) لم أجده عن المبرد ، وانظر : اللسان (أشر) ١ / ٦٥ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (وشر) ١١ / ٤١ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٨ ، وجامع البيان ٢٧ / ٥٩ ، والكشاف ٤ / ٤٧ ، والبحر المحيط ٨ / ١٨ ، وزاد نسبة القراءة إلى أبي قيس الأودي ، وروح المعاني ٢٧ / ٨٩ .

قال ابن عباس : وكان صالح بن عبيد شريفاً سيداً من أشرف بطن فيهم ، فقال الله تعالى :

٢٦. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ : يعني عند نزول العذاب ، وهو تهديد لهم ، وإنما قال (غداً)^(١) للتقريب على عادة الناس ، كقوله تعالى : ﴿وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] . واسم الغد يقع على ما بعد يومك الذي أنت فيه قَرَبٌ أو بَعْدٌ ، ولكن العادة جرت إطلاقه على القريب ، وغد من الأسماء الناقصة كاليد والفم ، وأصله غدو ، وربما يستعمل على الأصل . قال الشاعر :

وما النَّاسُ إِلَّا كالدَّيَّارِ وَأَهْلِهَا بها يَوْمَ حَلُّوها وَغَدُوا بِلَاقِعٍ^(٢)
ويقال في المثل : إن مع اليوم أخاه غدواً^(٣) .

ومعنى (غداً) هاهنا يجوز أن يكون اليوم الذي نزل بهم العذاب ، هددوا بذلك اليوم .

هذا معنى قول مقاتل^(٤) ، وقال الكلبي : يعني يوم القيامة^(٥) .

وَقُرِئَ : (ستعلمون) بالتاء^(٦) ، وعلى هذا هو من كلام صالح أجابهم بهذا ، فقال (ستعلمون غداً من الكذاب الأشر) منّا .

(١) (غداً) ساقطة من نسخة (ك) .

(٢) البيت للبيد كما في ديوانه ١٦٩ ، والكتاب مع شرح شواهده للأعلم ٨/٢ ، وشرح المفصل ٤/٦ ، وأمالى ابن الشجري ٣٥/٢ ، والمنصف ٦٤/١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٧/٨ ، واللسان (غدا) ٩٦٢/٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ ب ، وانظر : الكشف والبيان ١٢/٢٦ أ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٨/٥ ، وجامع البيان ٥٩/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٦٢/٤ .

(٦) قرأ ابن عامر ، وحمة : (ستعلمون) بالتاء ، وقرأ الباكون : ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالياء . انظر : الحجة ٢٤٣/٦ ، وحجة القراءات ٦٨٩ ، والنشر ٣٨/٢ ، والإتحاف ٤٥ .

٢٧. قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ . قال ابن عباس ^(١) : وذلك أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع ، ثم ترد ماءهم فتشربه ، ثم تغدو عليهم بمثله لبناً ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا مَرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ ؛ أي باعثوها بإنشائها ، فتكون هي مرسله ولا تكون رسولاً ؛ لأن الرسول من حمل الرسالة وكلّف أدائها .

﴿ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ ؛ أي محنة واختباراً . قال أبو إسحاق : فتنه مفعول له . المعنى لنفتنهم ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ فَأَرْقَبَهُمْ ﴾ ؛ أي انتظر ما هم صانعون ، ﴿ وَأَصْطَرِبَ ﴾ على ما يصيبك من الأذى . قال الكلبي : أمره بالصبر لما سبق في علمه أنهم سيكذبونه ^(٣) .

٢٨. قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ : يعني بين ثمود وبين الناقة ؛ يوم لها ، ويوم لهم ، كما قال : ﴿ هَلْأَشْرَبُ وَلَكُمَّ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٥] ، هذا قول الجميع ، وإنما لم يقل بينهم وبين الناقة ؛ لأن الناقة داخلة في قوله (بينهم) ؛ وذلك أن العرب إذا أخبرت عن البهائم ، وعن بني آدم غلبوا بني آدم على البهائم .

قال ابن عباس : كان يوم شربهم لا تشرب الناقة فيه شيئاً من الماء وتسقيهم لبناً ، وكانوا في شيء من النعيم لا يعرف قدره ، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء

(١) انظر : جامع البيان ٦/٢٧ ، والوسيط ٤/٢١١ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٦٢ ، وزاد المسير ٨/٩٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/٨٩ .

(٣) لم أجده .

كله فلم تبق لهم شيئاً^(١)، فذلك قوله: ﴿كُلُّ شَرِبٍ تُحْضَرُ﴾ يحضر القوم يوماً، وتحضر الناقة يوماً، فيحضر الشرب من كانت نوبته، وحضر واحتضر واحد.

٢٩. قوله: ﴿فَادَا صَاحِبُهُمْ فَعَاطَى فَعَقَرَ﴾: يعني عاقر الناقة قدار بن سالف^(٢)، ويقال له أحمر ثمود. ﴿فَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ تفاعل من العطو، وهو التناول باليد، ومنه:

كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى نَاضِرِ السَّلَمِ

ومنه الإعطاء، والمعاطاة، والتعاطي، غير أن بعضهم ذكر في التعاطي أنه تناول ما لا يحل^(٣).

قال المفسرون: تعاطى الناقة وتناولها بالسيف فعقرها. ومضى تفسير العقر^(٤).

٣١. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يعني الصاعقة التي أخذتهم وهي مذكورة في مواضع من التنزيل، وقال عطاء: يريد صيحة جبريل^(٥).

﴿فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحْظَرِ﴾. قال أبو عبيدة: الهشيم ما يبس من الشجر أجمع^(٦)، وقال المبرد: الهشيم حطام البقل^(٧).

(١) انظر: معالم التنزيل ٢٦٢/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤.

(٢) في نسخة (ك): (سالم)، والصواب ما أثبتته. انظر: المعارف ٢٩، وتاريخ الأمم والملوك ١٣٩/١.

(٣) انظر: اللسان (عطا) ٨١٥، ٨١٦.

(٤) عند تفسيره الآية رقم: ٧٧ من سورة الأعراف.

(٥) انظر: معالم التنزيل ٢٦٢/٤، وزاد المسير ٩٧/١، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤٢.

(٦) انظر: مجاز القرآن ٢/٢٤١.

(٧) انظر: الوسيط ٢١١/٤.

وقال أبو إسحاق : هو ما ييس من الورق وتكسر وتحطم ^(١) . ومضى تفسير الهشيم عند قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ [الكهف: ٤٥] .

والمحتظر مفتعل من الحظير ، ومعنى المحتظر في كلام العرب : المنع ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْطُورًا ﴾ [الإسراء: ٢] ، ويقال : احتظر على نَعْمِهِ وحظر إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح عن النعم ، ويقال لذلك المانع حَظَارٌ بفتح الحاء وكسره ، وكذلك الحطب الرطب الذي يحظر به حظر ، ومنه قول الشاعر :

وَلَمْ يَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَظْرِ الرَّطْبِ ^(٢)

قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج : المحتظر صاحب الحظيرة ^(٣) .

واختلفوا في (هشيم المحتظر) ، ما هو ؟ فقال الكلبي : وذلك أن الرجل كان يجعل لغنمه حظيرة يحظرها فيها دون السباع ^(٤) من الشجر ، فما سقط من ذلك الشجر وداسته الغنم فهو هشيم ، فشبه القوم به حين تفرقت لحومهم وعظامهم ^(٥) ، وهذا القول اختيار الزجاج ، فقد قال : كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة ^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن ٩/٥ .

(٢) البيت للمالك بن أبي كعب ، وصدره :

مَنْ الْبَيْضُ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى خَيْلٍ لَأَمَةٍ

انظر : تهذيب اللغة ٤/٤٥٥ ، واللسان (حظر) ١/٦٦٦ ، والكشاف ٤/٢٩٧ ، وتفسير الماوردي ٤/٥٤٢ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٤١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩/٥ .

(٤) في نسخة (ك) : (الشمال) .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٧/٦١ عن الضحاك ، وانظر : الكشف والبيان ١٢/٢٧ عن ابن عباس ، ومعالم التنزيل ٤/٢٦٢ عن ابن عباس .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩/٥ .

وهذا يحتمل أنه أراد الذي صار هشياً مما جمعه ، ويحتمل أنه أراد أن صاحب الحظيرة ، وهو صاحب الماشية ، يجمع الهشيم لعلف ماشيته ، وقد صرح المبرّد بهذا فقال : المحتظر هو الذي يجمع الهشيم لغنمه ، فأضيف إليه ؛ لأنه يجمعه ، ونحو هذا قال ابن قتيبة : يعني الذي يجمع الحشيش في الحظيرة لغنمه ^(١) .

وقال مقاتل : شبههم في الهلاك بالهشيم البالي ، وهو الحظيرة من قصب يصيبها ماء السماء وحر الشمس فتبلى من طول الزمان ^(٢) .

وقال الفرّاء : معنى قولهم : كهشيم المحتظر ؛ أي كهشيم الذي يحتظر على غنمه ^(٣) .

قال الأزهري : أراد أنه حظر حظاراً رطباً على حظار قديم قديس ^(٤) . والمعنى أنهم بادوا وهلكوا فصاروا كيابس الشجر إذا تحطم . وقال عطاء عن ابن عباس : يريد مثل القمح الذي قد يبس وهشم ^(٥) ، وعلى هذا المحتظر الذي يتخذ حظيرة على زرعه ، والهشيم فتات السنبل وقصب القمح إذا ديس . وذكر في الآية قولان فاسدان :

أحدهما : كالتراب الذي يتناثر من الحائط ^(٦) ، وذلك لا يسمى هشياً ، والآخر : كالعظام المحترقة ^(٧) ، وهذا بعيد .

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٣٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٨/٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (حظر) ٤٥٤/٤ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/١٧ .

(٦) قاله سعيد بن جبیر . انظر : جامع البيان ٦١/٢٧ ، وانظر : الكشف والبيان ٢٧/١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٦٢/٤ .

(٧) قاله قتادة . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٥٩/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٢/١٧ .

٣٤. قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ : معنى الحصب في اللغة الرمي ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] . والحاصب الرامي ، ويكون الذي يرمى به . قال النضر : الحاصب الحصباء في الريح ، كان يومنا ذا حاصب ، وريح حاصبةٌ وحَصْبَةٌ فيها حصباء . قال ذو الرمة :

حَفِيفٌ نَافِجَةٌ عُثْنُونُهَا حَصْبٌ^(١)

وقال أبو عبيدة : الحاصب الحجارة ، وقد تكون من الجليد ، وأنشد للفرزدق^(٢) :

مستقبلينَ شمالَ الشامِ تضرُّبنا بحاصِبٍ كنديفِ القطنِ منشورِ
قال المبرِّد : يعني الثلج ؛ لأن الريح ترميهم به في قصدهم الشام ، قال : ومنه المحصب ؛ لأن فيه الحصى الذي قد رمي به ، وأنشد قول العامري :

ولم أرَ ليلي غيرَ موقفٍ ساعةٍ ببطنِ منى ترمي جمارَ المحصبِ
ويروى المحصب بكسر الصاد نسب إلى الرامي .

(١) انظر : ديوان ذي الرمة ١/ ١٢٦ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٢٦١ ، واللسان (حصب) ١/ ٦٤٩ و صدر البيت :

يَرْفُودُ فِي ظِلِّ عَرَّاضٍ وَيَطْرُدُهُ

النافجة : كل ريح تبدأ بشدة ، وقيل : أول كل ريح تبدأ بشدة . اللسان (نفج) ٣/ ٦٨٣ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤١ .

قال ابن عباس : يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة^(١) ، وقال مقاتل : يعني الحجارة من فوقهم ، ونحو هذا قال الضحاك^(٢) ، والحاصب على هذا القول الحجارة التي يحصب بها ؛ أي يُرمى .

وقال آخرون : يعني عذاباً يحصبهم ؛ أي يرميهم بحجارة من سجيل . وعلى القول الأول سُمِّي ما يحصب به حاصباً ؛ لأنه كأنه يرمي نفسه كالثلج لا يرى له رام ، فكأنه هو فاعل الرمي ، وكذلك حجارة قوم لوط لم ير لها رام ، فسُمِّي ما حصبوا به حاصباً على هذا المعنى .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ : يعني لوطاً وابنتيه .

﴿بَجَيْنَهُمْ بَسَحَرٍ﴾ . قال أبو إسحاق : سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار انصرف ، تقول : أتيت زيداً سحراً ، فإذا أردت يومك ، قلت : أتيت سحراً يا هذا ، وأتيت سحراً^(٣) .

قال الفرّاء : إنما ترك إجراؤه لأن كلامهم كان فيه بالالف واللام . تقول العرب : ما زال عندنا مذ السحر . لا يكادون يقولون غيره ، فلمّا حذفت منه الألف واللام وفيه نيتها لم يصرف^(٤) .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿نَعْمَةٌ مِنَّا﴾ منصوب مفعول له . المعنى : نجيناهم للإنعام عليهم . ﴿كَذَلِكَ﴾ أنعمنا عليهم . ﴿بَجَزَىٰ مِّنْ شُكْرٍ﴾ . قال

(١) انظر : الوسيط ٤/ ٢١١ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٣ ب ، والثعلبي ١٢/ ٢٧ ب ، والبغوي ٤/ ٢٦٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩/ ٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٩ .

مقاتل : يعني من وحّد الله لم يعذب مع المشركين في الدنيا كقوله : ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] يعني الموحّدين^(١) .

٣٦ . قوله : ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ . قال ابن عباس : عذابنا^(٢) .

والمعنى : أخذتنا إياهم بالعذاب .

﴿فَتَمَارَوْا بِالْأَنْذَرِ﴾ . قال مقاتل : شكّوا في العذاب أنه غير نازل بهم^(٣) ، وقال قتادة : لم يصدقوه^(٤) .

وقال الفرّاء : كذبوا بما قال لهم^(٥) ، وقال ابن قتيبة : شكّوا بالإنذار^(٦) .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ : ذكرنا تفسير المراودة في سورة يوسف^(٧) . والمعنى : طلبوا أن يخلي بينهم وبينهم . ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ : تفسير الطمس مذكور عند قوله : ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾ [يونس: ٨٨]^(٨) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١١٣٤ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٣١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١١٣٤ .

(٤) انظر : جامع البيان ٦٢/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٦٣/٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن ١٧/٣ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٣٤ .

(٧) عند تفسيره الآية رقم : ٢٣ من سورة يوسف . المراودة بمعنى الإرادة ، تقول : راودته على كذا مراودةً ورواداً ؛ أي أردته . اللسان (رود) ١/١٢٥٤ .

(٨) الطمس : هو الدروس والانمحاء ، وطمس الطريق وطمس طموساً : درس وأحى أثره . تهذيب اللغة (طمس) ٣٥١/١٢ .

قال عامة المفسرين : صفق جبريل أعينهم بجناحيه صفقة فأذهبتها^(١) . وهذه القصة المذكورة في سورة هود [آية: ٧٦، ٨٣] . وتم الكلام عند قوله : ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾^(٢) .

ثم قال : ﴿فَذُوقُوا﴾ ؛ أي فقلنا لهم : ذوقوا ﴿عَذَابِي﴾ ، وهو خطاب لجميع قوم لوط الذين أرسل عليهم الحاصب .

قوله تعالى : ﴿وَنَذِرْ﴾ ؛ أي وما أنذركم به لوط من العذاب ، سُمِّي ذلك بالمصدر .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ﴾ . يقال : صَبَحْتُ فلاناً وَصَبَّحْتُهُ : أتيته صباحاً ، والليل المصبح الذين أتوا صباحاً^(٣) .

قوله تعالى : ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ . قال ابن عباس : يعني نزول العذاب بهم ، وقال مقاتل : يعني استقر بهم العذاب بكرة^(٤) ، وقال الفراء : عذاب لاحق^(٥) .

والعذاب المستقر على ما ذكروا ذلك العذاب الذي نزل بهم . وقال غيرهم : معنى المستقر ؛ أي ذلك العذاب استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة^(٦) .

٤١ . قوله : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ : يعني القبط .

وفي النذر ثلاثة أقوال :

-
- (١) انظر : الكشف والبيان ٢٨/١٢ أ ، والوسيط ٢١٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤٤ .
 - (٢) انظر : الوسيط ٢١٢/٤ .
 - (٣) انظر : تهذيب اللغة ٢٦٣/٤ ، واللسان (صبح) ٤١/٢ .
 - (٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ أ ، والوسيط ٢١٢/٤ .
 - (٥) في نسخة (ك) : (لاحق) ، وانظر : معاني القرآن للفراء ١٩/٣ .
 - (٦) قاله ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة . انظر : تنوير المقباس ٣١/٥ ، وجامع البيان ٢٧/٦٣ ، والكشف والبيان ٢٨/١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٦٣/٤ .

أحدها : أن المراد به موسى وهارون ، وهذا قول ابن عباس ومقاتل والمفسرين^(١) ، وهو على تسمية الاثنين باسم الجماعة ؛ لأنه جمع نذير .

والثاني : أن المراد به الآيات التي أنذرهم بها موسى ، وكل آية منها نذير .

والآخر : أن المراد به الإنذار^(٢) .

ويدل على القول الثاني قوله :

٤٢ . ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ : يعني الآيات التسع في قول المفسرين .
﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ : بالعذاب . ﴿ أَخَذَ عَزِيزٌ ﴾ : غالب في انتقامه . ﴿ مُّقَدِّرٌ ﴾ :
قادر على هلاكهم .

٤٣ . ﴿ أَكْفَرْتُمْ ﴾ . قال ابن عباس : أكفاركم يا معشر العرب^(٣) ، وقال مقاتل : يعني كفار أمة محمد ﷺ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أشد من أولئكم^(٥) ، وقال مقاتل : يقول : أليس أهلكناهم بتكذيبهم فليسوا خيراً منهم^(٦) ؟ وهذا استفهام معناه الإنكار ؛ أي ليس الكفار خيراً من قوم نوح واثمود وعاد وقد أهلكناهم .

(١) انظر : تنوير المقباس ٣١/٥ ، وتفسير مقاتل ١١٣٤ أ ، والقرطبي ١٧/١٤٥ .

(٢) انظر : الوسيط ٢١٢/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٦٣/٤ ، وابن كثير ٤/٢٦٦ .

(٣) انظر : الوسيط ٢١٣/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ أ .

(٥) انظر : الوسيط ٢١٣/٤ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٦٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ أ .

ومعنى الخير يجوز أن يراد به الشدة والقوة كما ذكر ابن عباس ، وعليه دلَّ سائر الآي ، كقوله : ﴿ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾ [ق: ٣٦] ، ومثله كثير ، ويجوز أن يكون معناه أن كفر هؤلاء ليس دون كفرهم فليسوا خيراً منهم .

ثم خاطب الكفار ، فقال : ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أم لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب^(١) .

وقال مقاتل : يقول : ألكم براءة من العذاب في الكتب أنه لن يصيبكم من العذاب ما أصاب الأمم الخالية^(٢) ؟

وقال أبو إسحاق : أم أتاكم في الكتب أنكم مبرأون مما يوجب عذابكم^(٣) .

٤٤ . ثم عاد إلى الخبر عنهم ، فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد جماعة ينصر بعضنا بعضاً^(٤) ، وقال الكلبي : نحن جميع أمرنا نتنصر من أعدائنا^(٥) . والمعنى : بل يقولون نحن واحدة على من خالفنا نتنصر ممن عادانا فيدلون بقوة واجتماع عليك ، ووحد المنتصر بلفظ الجميع ، وهو واحد في اللفظ وإن كان اسماً للجماعة كالرھط والجيش .

٤٥ . قال الله تعالى : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ ﴾ : يعني جمع كفار مكة . ﴿ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ﴾ ؛ أي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة . والمراد بالدبر

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٤٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٦٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٩١ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : الوسيط ٤ / ٢١٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٦٤ .

الإدبار ، وهي من اسم الجنس الذي يؤدي عن الجميع كالدرهم والدينار ، قاله الفرّاء^(١) .

قال أبو إسحاق : أعلم الله نبيه ﷺ أنه يظهره عليهم وجاعل كلمته العليا ، فكانت هذه الهزيمة يوم بدر^(٢) .

قال المفسرون : ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فتقدّم في الصف وهو يقول : نحن اليوم جميع منتصر من عدونا . والنبي ﷺ يشب في درعه ويقول : ﴿ سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ ﴾ ، فما كان بأسرع من أن قتل ابن مسعود أبا جهل بسيف أبي جهل ، وولوا منهزمين^(٣) .

وقال عمر رضي الله عنه : لما نزلت هذه الآية جعلت أقول : أي جمع يهزم ؟ فلمّا كان يوم بدر عرفت أنه هو^(٤) .

قال عطاء عن ابن عباس : كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين .^(٥)

٤٦ . ثم قال عز وجل : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ : يعني أن موعد الجميع للعذاب القيامة .

(١) انظر : معاني القرآن ١١ / ٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٢ / ٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ أ ، والكشاف ٤٨ / ٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ، وعبدالرزاق ، وابن جرير ، والثعلبي ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر ، وذكر ابن حجر تخريج عبدالرزاق له في شرح حديث باب سيهزم الجمع ويولون الدبر عن ابن عباس ، وقال : فكان ابن عباس حمل ذلك عن عمر ، وكان عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٥٩ ، وجامع البيان ٢٧ / ٦٤ ، والدر المنثور ٦ / ١٣٧ ، وفتح الباري ٨ / ٦١٩ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٤٦ .

ثم ذكر فظاعتها ، فقال : ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَنُ﴾ ؛ أي أعظم في الضر . قال ابن عباس : أعظم عذاباً^(١) ، وقال مقاتل : أفضع^(٢) ، و(أدهى) من الدهاء ، وهو النكر والشدة والفظاعة ، والدَّاهِيَةُ : الشديدة من شدائد الدهر ، ودهاه أمر كذا إذا أصابه دَهْوًا ودَهْيًا ودَاهِيَةً دَهْيَاءً ودَهْوَاءً ، ذكر ذلك ابن السكيت^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ﴾ ؛ أي أشد مرارة من قولهم : مَرَّ الشيء وأْمُرُّ إذا اشتدت مرارته^(٤) .

قال أبو إسحاق : أي ليس ما نزل بهم من القتل والأسر بمخفف عنهم من عذاب الآخرة شيئاً . ومعنى (أْمُرُّ) : أشد مَرَارَةً من القتل والأسر^(٥) .

٤٧ . ثم أخبر عنهم فقال : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ . فقال عطاء عن ابن عباس : يريد بالضلال الخسران ، والسُّعُر الجنون^(٦) .

وقال الكلبي : وهو قول المفسرين : في كفرٍ بعبادتهم الأصنام وعناء من العذاب^(٧) .

(١) انظر : تنوير المقياس ٣١١/٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ أ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣٨٦/٦ ، واللسان (دها) ١٣/١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (مر) ١٩٨/١٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٩٢/٥ .

(٦) تقدّم معنى السعير عند قوله تعالى : ﴿لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ، ولم أجده هذه الرواية عن ابن عباس ، وفي تنوير المقياس ٣١١/٥ عنه : «في خطأ بين في الدنيا وتعب وعناء في النار» .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٦١/٢ ، والكشف والبيان ٢٩/١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٦٤/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٧ .

والمعنى على هذا : في ضلال في الدنيا ، وسعر في الآخرة . وإن حملت السعر على الجنون جاز أن يكونوا في الضلال والسعر في الدنيا . والكلام في السعر قد مرَّ في هذه السورة .

قال أهل المعاني : ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ ؛ أي ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة ، وفي نار مسعرة .

٤٨ . قوله : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ ﴾ : يجوز أن تتعلق هذه الآية بما قبلها على تقدير : إن المجرمين في سعر يوم يسحبون ، ويجوز أن لا تتعلق ، ويكون العامل في الظرف ما يقدر من القول مع ذوقوا ؛ لأن التقدير : يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم : ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ^(١) .

ومس سقر إصابتها إياهم بعذابه وحره ، وهذا كما يقال : ذق من الضرب ، وقاسِ مس الحمى .

قال الليث : سقر اسم معرفة للنار غير منصرف ، وكذلك لظى وجهنم ^(٢) ، ولم يصرف لاجتماع التأنيث والمعرفة ، وكذلك كل اسم مؤنث معرفة لا يُجرى وإن لم يكن فيه الهاء ؛ لأن فيه معنى الهاء ، وإن لم تظهر إلا أسماء معدودة خفت فجاز إجراؤها نحو هند و وعد و جمل ، والأصل أن لا يجرى ، ذكر ذلك الفراء ^(٣) .

قال عطاء : سقر الطبقة السادس من جهنم ^(٤) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٢ / ٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٩٨ / ٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سقر) ٤٢ / ٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١١ / ٣ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٤٧ .

وقال الكلبي : إذا ألقوا فيها لا تُبقي لهم عظماً ولا لحماً فيعادون خلقاً جديداً^(١) ، وتم الكلام .

٤٩ . ثم ابتداء كلاماً آخر ، فقال : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . قال الكلبي عن ابن عباس : إنّ كل شيء جعلنا له شكلاً يوافقُه ويصلح له ؛ فالمرأة للرجل ، والأتان للحمار ، والرمكة للفرس ، وثياب الرجال للرجال لا تصلح للنساء ، وثياب النساء للنساء لا تصلح للرجال ، وكذلك ما شاكلها على هذا^(٢) .

وقال الحسن : قدّر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي كقوله : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] ، وهذا قول الربيع^(٣) .

وقال مقاتل : يعني أنه قدّر لهم العذاب^(٤) ، وعلى هذا التفسير الآية متصلة بما قبلها . وروى محمد بن عباد المخزومي^(٥) عن أبي هريرة أن قوله : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ نزلت في القدرية^(٦) ؛ وذلك أن مشركي قريش جاءوا إلى

(١) لم أجده ، ومعناه : نفى توهم خفة عذاب النار وأنه مجرد مس ، فوضح أن مسها يصل إلى العظم واللحم ثم يعاد كما بدأ كما في قوله تعالى : ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ . . . ﴾ [النساء : ٥٦] .

(٢) انظر : الكشف والبيان ٢٩ / ١٢ أب ، ذكره عن ابن عباس من غير سند .

(٣) انظر : الكشف والبيان ٢٩ / ١٢ أ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ ب .

(٥) محمد بن عباد بن جعفر المخزومي ، المكي ، ثقة . انظر : تقريب التهذيب ١٧٤ / ٢ .

(٦) سُمُّوا بذلك لقولهم في القدر ؛ زعموا أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالاً فأثبتوا خالقاً مع الله ، ولذا سَمَّاهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ؛ لأن المجوس قالوا بإثبات خالقين : النور والظلمة ، وهم يزعمون أن الله لا يقدر على مقدرات غيره ، وهذا هو مذهب المعتزلة في القدر . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٥٤ / ١ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٢٦ .

النبي ﷺ يخاصمونه في القدر ، فنزلت هذه الآيات^(١) ، وهذا قول محمد بن كعب القرظي ، قال : نزلت تعبيراً لأهل القدر^(٢) .

وعلى هذا القول المراد بالمجرمين القدرية المشركون وإخوانهم من قدرية هذه الأمة ، يكونون في حكمهم ، يدل على ذلك ما روى زرارة^(٣) أن النبي ﷺ قرأ هذه الآيات ، وقال : «إنها نزلت في ناس يكونون في آخر أمتي يكذبون بقدر الله»^(٤) .

وروي عن أبي ذر قال : قدم وفد نجران على النبي ﷺ فقالوا : الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا ؟ فأنزل الله هذه الآيات . فقالوا : يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا ؟ فقال : «أنتم خصماء الله يوم القيامة»^(٥) .

(١) رواه مسلم في كتاب القدر ، باب : كل شيء بقدر ، وأحمد في مسنده ٤٤٤ / ٢ ، والترمذي في كتاب التفسير (سورة القمر) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والثعلبي في تفسيره ٢٩ / ١٢ ب ، والواحدي في أسباب النزول ٤٢٥ .

(٢) انظر : جامع البيان ٦٥ / ٢٧ .

(٣) في نسخة (ك) : (زارة) ، وهو زرارة بن أوفى العامري ، أبو حاجب ، قاضي البصرة ، ثقة ، عابد ، قرأ في الصبح : ﴿إِذَا نُفِرَ فِي النَّافِرِ﴾ فخرٌ ميتاً سنة ٩٣ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ١٥ / ٧ ، وأخبار القضاة ١ / ٢٩٢ ، وتاريخ البخاري ٣ / ٤٣٨ ، وصفة الصفوة ٣ / ٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٥١٥ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم والطبراني . قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه . مجمع الزوائد ٧ / ١١١ ، وانظر : أسباب النزول للواحدي ٤٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٦٧ .

(٥) انظر : أسباب النزول للواحدي ٤٦٤ عن عطاء ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٤٨ من دون سند ، وأخرجه الثعلبي عن سيار بن الحكم إلى قوله : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى آخر السورة ، ولم ينسبه ، يذكره من قول النبي ﷺ .

ويؤكد هذا ما روى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ ، قال : «ينادي مناد يوم القيامة ليقم خصماء الله ، وهم القدرية»^(١) .

ويزيد وضوحاً هذه الجملة ما روي عن كعب أنه قال : نجد في التوراة أن القدرية يسحبون في النار على وجوههم ، وهو قول عطاء عن ابن عباس أن الآيات نزلت في القدرية من المشركين الذين جادلوا رسول الله ﷺ^(٢) .

وعلى هذا معنى قوله : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴾ ؛ أي كل ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه ، يدل على هذا قوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ ، ذكر ذلك أبو إسحاق^(٣) .

وروى الوالبي عن ابن عباس ، قال : خلق الله الخلق كلهم بقدر ، وخلق لهم الخير والشر ، فخير الخير السعادة ، وشر الشر الشقاوة^(٤) .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر^(٥) .

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ١ / ١٤٨ ، باب : إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم خصماء الله تعالى ، وقال عنه الألباني : إسناده ضعيف ، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية بقية ، وهو مدلس ، وحبيب بن عمرو مجهول . انظر : مجمع الزوائد ٧ / ٢٦ ، وقال الألباني - بعد ذكره الحديث وتخريج الهيثمي وحكمه على بقية وحبيب بن عمرو - قلت : قد صرح ببقية بالتحديث عند المصنف فزالت شبهة تدليسه وانحصرت في شيخه .

(٢) انظر : تنوير المعباس ٥ / ٣١١ . قال ابن حجر : واشتهر على السنة السلف والخلف أن هذه الآية نزلت في القدرية . انظر : فتح الباري ١١ / ٤٧٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥ / ٩٢ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٦٥ ، والكشف والبيان ١٢ / ٢٩ ب .

(٥) انظر : الوسيط ٤ / ٢١٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٦٥ ، وزاد المسير ٨ / ١٢ .

وقال الكلبي عنه : وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة (إلا واحدة) كطرف البصر^(١) ، وهذا قول مقاتل ، يقول : مرة واحدة كرجوع الطرف^(٢) ، وهذا القول هو اختيار الفراء وأبي عبيد^(٣) .

وعلى هذا يختص الكلام بأمر الساعة .

ومعنى الملح في اللغة : النظر بالعجلة ، يقال : لمح البرق ولمح البصر ، ولمحه ببصره^(٤) .

والأحسن في معنى الآية أن هذا عام في كل ما يخلقه الله تعالى ويريد تكوينه . يقول : إذا أردنا أن نفعل شيئاً فمرة واحدة ؛ لأنه ليس منّا معاناة ولا علاج ولا توصل بالآلات والأسباب فيكون بمرات كما تكون أفعال العباد ، إنما هو كن فيكون .

٥١ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ : يعني أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الخالية . ومضى تفسير الأشياء^(٥) .

﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ : متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر .

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٧/٥ ، والوسيط ٢١٦/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٦٥/٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١١/٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٩٧/٥ ، واللسان ٣٩٨/٣ ، ومفردات الراغب (لمح) ٤٥٤ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم ٦٥ من سورة الأنعام ، قال : الشيع جمع شيعة ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، والجمع شيع وأشياع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً . انظر : البسيط (فيلم ٣٧٣١) . والتشيع : مقدار من العدد كقولهم : أقمت عنده شهراً أو شيع شهر ، وتشايح القوم : صاروا شيعاً ، وأشياعكم : أمثالكم من الأمم الماضية ، ومن كان مذهبه مذهبكم . يقال : هذا شيع هذا ؛ أي مثله . انظر : تهذيب اللغة ٦/٣ ، واللسان (شيع) ٣٩٣/٢ .

ثم أخبر أن جميع ما فعله الأمم قبلهم كان مكتوباً عليهم ، فقال :

٥٢. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ . قال مقاتل : يعني الأمم الخالية^(١) . ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ : مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ ، وهذا قول عطاء^(٢) ، وقال الكلبي : محصى عليهم في الكتب^(٣) ، يعني كتب أعمالهم .

٥٣. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الخلق والأعمال ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب بمعنى مسطور . قال أبو إسحاق : مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه ، ومكتوب لهم وعليهم إذا فعلوه للجزاء^(٤) .

٥٤. قوله : ﴿إِنَّ النَّفَّاثِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ : أكثر أهل التفسير والمعاني^(٥) على أنه أراد : وأنهار ، يعني أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل ، ووحد لأنه قابل الفواصل فصار كقوله : ﴿يَوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ، والواحد قد ينبئ عن الجميع فيخبر به كقوله :

وَأَمَّا جُلْدُهَا فَصَلِيبٌ^(٦)

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ ب .
 (٢) انظر : معالم التنزيل ٢٦٦/٤ ، وهو قول مقاتل أيضاً . تفسير مقاتل ١٣٤ ب .
 (٣) انظر : تنوير المقياس ٣١٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤٩ .
 (٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٢/٥ .
 (٥) انظر : معاني القرآن للقرطبي ١١١/٣ ، ومجاز القرآن ٢/٢٤١ ، وجامع البيان ١٧/٦٧ ، وزاد المسير ١٢/٨ .
 (٦) أنشده الخليل وسيبويه . والبيت لعلقمة الفحل يصف الصحراء وبها جيف الإبل التي رذحت وماتت فتصلبت بقايا جلدها وذهب لحمها فبقي عظمها أبيض . والشاهد قوله : (جلدها) أفرد ومراده الجمع . والمعنى جلودها . انظر : ديوان علقمة ٤ ، والكتاب ١/٢٩ ، والمفضليات ٣٩٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٨٣/١ ، وإيضاح الشعر للفارسي ٣٣٤ .

وقد تقدّم في مثل هذا بالاستشهادات ، وهذا قول أبي عبيدة ، والكسائي ،
والفرّاء ، والزّجاج^(١) .

وذكر قوم أن معنى (نهر) ضياء وسعة ، قالوا : ومنه النهار لضياءه ، وأنهرت
الجرح وسّعته ، وهو قول الضحاك ، وذكره الفرّاء وابن قتيبة^(٢) ، والقول هو
الأول .

٥٥ . وقوله : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ ؛ أي في مجلس حسن .

وقد ذكرنا قديماً أن العرب إذا بالغت في مدح شيء أضافته إلى الصدق ، كقوله
تعالى : ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ [الشعراء : ٨٤] ، و ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾^(٣) [يونس : ٢] . قال عطاء :
يريد في جوار الرحمن^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ ؛ أي عند ملك قادر لا يعجزه شيء ،
و(عند) إشارة إلى الزلفة والكرامة .

والمعنى في المكان الذي كرمه لأوليائه .

* * *

(١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٩٣ / ٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١١١ / ٣ ، ومجاز القرآن ٢٤١ / ٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ٦٧ / ٢٧ ، والكشف والبيان ٣١ / ١٢ ب ، ومعاني القرآن للفرّاء ١١١ / ٣ ،
وتفسير غريب القرآن ٤٣٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣٥٥ / ٨ ، واللسان (صدق) ٤٢ / ٢ .

(٤) لم أقف عليه .

تفسير

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢ . ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ . قال و^(١) مقاتل : لما نزل قوله : ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ۝﴾ [الإسراء: ١١] قال كفار مكة : ما نعرف إلا مسيلمة ، رحمان اليمامة ، وهو قوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ۝﴾ [الفرقان: ٦٠] فأنكروه ، فأخبر الله عن نفسه ، وذكر صنعه ليُعرف فيوحد ، فقال : ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾^(٢) . قال صاحب النظم : قوله (عَلَّمَ) يقتضي مفعولين ولم يحى هاهنا إلا واحد ، وهذا كما يقال في الكلام : زيد أطعم الطعام ؛ فقد يعلم أن الإطعام لا يقع إلا على من يأكل ، فكذلك قوله عز وجل : ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ واقع على من يلحق التعليم^(٣) ، وهذا معنى قول الكلبي : عَلَّمَ القرآن محمداً ، وعَلَّمه محمد ﷺ أمته^(٤) .

(١) كذا في نسخة (ك) ، ولعل في العبارة سقطاً .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٣٢٣/٥ ، وتفسير مقاتل ١٣٤ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥٢ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٨٤/٢٩ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٣١٣/٥ ، والوسيط ٢١٧/٤ ، وفتح القدير ١٣١/٥ .

قال أبو إسحاق : ومعنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ يَسَّرَهُ لَأَن يُذَكَّرَ^(١) .

٣-٤ . ثم نسق على هذا خبراً آخر مؤكداً له من غير حرف عطف ، وهو قوله :
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد محمداً ﷺ^(٢) .
﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ . قال : يريد أفصح الكلام ، يعني القرآن .

والآيتان بهذا التفسير تأكيد لما قبلهما ، وهذا قول ابن كيسان في الإنسان أنه محمد ﷺ ، إلا أنه قال في البيان أنه بيان ما كان وما يكون ؛ لأنه ﷺ كان نبي عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين^(٣) .

وقال الكلبي وقتادة : الإنسان آدم - عليه السلام - علمه أسماء كل شيء ، وهذا قول مقاتل^(٤) .

وقال آخرون : الإنسان اسم لجنس الناس جميعاً ، ومعنى ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
النطق والتمييز ، والكتابة والخط ، والفهم والإفهام ، حتى عرف ما يقول وما
يقال له ، وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به ، وجعله مميزاً حتى انفصل
الإنسان من جميع الحيوان ، وهذا قول أبي العالية ، ومرة ، وابن زيد^(٥) ، والحسن ،
والقرظي ، والسدي ، ويهان بن رباب^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن ٩٥ / ٥ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥٢ / ١٧ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ٣٣ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٦٧ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٢ / ١٧ ،
وفتح القدير ١٣١ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ ب ، وجامع البيان ٦٧ / ٢٣ ، والثعلبي ٣٣ / ١٢ ب .

(٥) في نسخة (ك) : (وبرة بن زيد) ، وهو خطأ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ٣٣ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٦٦ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٢ / ١٧ ، ١٥٣ ،
ورجحه الرازي والألوسي وغيرهما . انظر : التفسير الكبير ٨٥ / ٢٩ ، وروح المعاني ٣٩ / ٢٧ .

٥. وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾: ذكرنا معنى الحسبان في قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾^(١). قال جماعة المفسرين: يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها^(٢). والمعنى فيه أنها يدلان على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات. قال أبو إسحاق: وخبر الابتداء يدل عليه قوله: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾؛ لأن المعنى: يجريان بحساب^(٣).

وروى الشُّدِّي عن أبي مالك في هذه الآية، قال: لهما حساب وأجل كأجل الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا^(٤)، وعلى هذا معنى الحساب حساب أيام جريهما إلى الانقضاء، والقول هو الأول^(٥).

٦. قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾. قال عامة أهل اللغة والمفسرين: النجم: النبات على الأرض ليس له ساق، والشجر: ما كان على ساق، يبقى شتاء والنجم لا يبقى على الشتاء^(٦).

-
- (١) عند تفسيره الآية رقم: ٩٦ من سورة الأنعام. الحُسْبَانُ: الحساب. قال أبو العباس: حساباً مصدر كما تقول: حسبته أحسبه حساباً، وحسباناً، وجعله الأخفش وأبو الهيثم جمع حساب. انظر: معاني القرآن للأخفش ٧١/٢، وتهذيب اللغة ٣٢٨/٤، واللسان (حسب) ٦٢٩/١.
- (٢) انظر: تفسير عبدالرزاق ٢٦٢/٢، وجامع البيان ٦٧/٢٧، والكشف والبيان ٣٣/١٢ ب أ، ومعالم التنزيل ٢٦٧/٤.
- (٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٩٥/٥.
- (٤) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدرر ١٤٠/٦، وذكره الثعلبي في تفسيره ٣٤/١٢ أ، والقرطبي في تفسيره أيضاً ١٥٣/١٧.
- (٥) وهو اختيار ابن جرير، والمعتمد عند ابن كثير. انظر: جامع البيان ٦٨/٢٧، وتفسير القرآن العظيم ٢٧/٤، وتفسير القاسمي ٥٦١٣/١٥.
- (٦) انظر: معاني القرآن للقرءاء ١١٢/٣، ومجاز القرآن ٢٤٢/٢، وجامع البيان ٦٨/٢٧، ومعاني القرآن للزجاج ٩٦/٥.

قال ابن الأعرابي : النجمة نبتة صغيرة وجمعها نَجْمٌ^(١) ، ويقال : نجم النبات إذا طلع ، ونجم القرن ، ونجم النجم ، ونجم السن ، كل ذلك بمعنى طلع ، وأنشد أبو عبيدة للحارث بن ظالم^(٢) :

أَخْضَيْتِ حِمَارٍ ظَلَّ يَكْدِمُ نَجْمَةً أَتَوَكَّلُ جَارَاتِي وَجَارُكَ سَالِمٌ^(٣)

قال الأزهري : وإنما قال ذلك لأن الحمار إذا أراد أن يقلع النجمة من الأرض وكدمها ارتدت خصياه إلى مؤخره .^(٤)

وأنشد الليث :

مُورَزٌّ بِعَمِيمِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ رِيحُ الْخَرِيفِ لِصَاحِي مَائِهِ حُبُّكُ^(٥)

ذكر المفسرون في تفسير النجم : هو ما أنجمت الأرض ، يعنون أنبتت ، ولم أر لأهل اللغة أنجم بمعنى : أنبت .

وقوله : ﴿يَسْجُدَانِ﴾ . قال الفراء والكسائي : العرب إذا جمعت جمعين من غير الناس مثل السدر والنخل جعلوا فعليهما واحداً ، فتقول : السدر والنخل تنبت ، والإبل والغنم مقبلة ، ويجوز ينبتان ومقبلتان ، والأول كلامهم ، وذكر في الآية على لفظ التنبية لوفاق الفواصل^(٦) ، هذا معنى كلامهما ، وقال أهل التفسير في معنى سجود النجم والشجر أنه سجود أظلالهما^(٧) .

(١) انظر : اللسان (نجم) .

(٢) أبو ليلى ، محمد بن مرة بن ذبيان ، تقدّمت ترجمته .

(٣) ورد البيت منسوباً في الفضليات ٣١٣ ، واللسان (نجم) ٥٩/٣ ، والمنصف ١٣١/٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نجم) ١٢٩/١١ .

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في ديوانه ١٧٦ ، والمحتسب ٢/٢١٧ ، واللسان (خبك) ٥٩/٣ ، وفي الألفاظ بعض الاختلاف . والشاهد فيه : أن النجم هو نبت يمتد على وجه الأرض بلا ساق .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/١١٢ .

(٧) جمع الظلّ : أظلال وظلال وظلول . اللسان (ظلل) ٦٤٧/٢ .

وقد ذكرنا ذلك في قوله : ﴿يَنْفَيْوُا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾^(١) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ، قال : نجوم السماء . ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ بكرة وعشياً ، وهو قول قتادة في النجم^(٢) .

قال أبو إسحاق^(٣) : وهذا جائز أن يكون الله أعلمنا أن النجم يسجد كما قال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَالنُّجُومُ﴾ [النحل : ١٢] .

٧. قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ . قال مقاتل وغيره : رفعها فوق الأرض مسيرة خمسمائة عام وأمسكها أن تقع على الأرض^(٤) .

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ : الميزان : الآلة التي يوزن بها ، وفي معناه هاهنا قولان ؛ أحدهما : أنه أريد به الميزان الذي نعرفه بيننا .

قال مقاتل : يعني الذي يزن به الناس وضعه عدلاً بينهم ليتتصف بعض الناس من بعض ، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك^(٥) ، قالوا : هو الذي يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف .

قال أهل المعاني : وهذا تنبيه على النعمة فيه والهداية إليه ، ولولا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق .

(١) عند تفسيره الآية رقم : ٤٨ من سورة النحل .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٣٩ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٦٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ٩٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٤ ب .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ أ ، وجامع البيان ٢٧/ ٦٩ ، والكشف والبيان ١٢/ ٣٤ ب ، ومعالم التنزيل

القول الثاني : أن المراد بالميزان العدل ، وعبر عنه بالميزان ؛ لأنه آتته .

قال عطاء عن ابن عباس : يعني العدل في الأرض بين الناس ، وهو قول مجاهد^(١) .

قال أبو إسحاق : الميزان هاهنا العدل ؛ لأن المعادلة موازنة الأشياء^(٢) . قال صاحب النظم : على هذا القول : تأويله أمر بالعدل يدلُّ هذا قوله تعالى :

٨ . ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ ؛ أي لا تجاوزوا العدل .

و(أن لا تطغوا) يحتمل وجهين ؛ أحدهما : لئلا تطغوا كقوله : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضْلُوا﴾ [النساء : ١٧٦] ، والثاني : أن معنى (أن) التفسير ، فيكون المعنى أن لا تطغوا كقوله تعالى : ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا﴾ [ص : ٦]^(٣) ، وقد مرَّ .

وعلى القول الأول يكون (تطغوا) في محل نصب بأن ، وعلى القول الثاني يكون (تطغوا) جزماً على النهي ، ذكر ذلك الفراء والزجاج^(٤) . قال الفراء : والنهي أحب إليَّ ؛ لقوله :

٩ . ﴿وَأَقِمْوْا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾^(٥) ، وهذا أيضاً يدل على أن المراد بقوله

﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ ؛ أي في الذي يوزن به . قال عطاء عن ابن عباس : يريد لا تخونوا من وزنتم له^(٦) .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٤ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ٩٦ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٩/ ٢٩ ، والقرطبي ١٧/ ١٥٤ ، وفتح القدير ٥/ ١٣٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٦ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٣ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٥٥ .

ومعنى (لا تطغوا) : لا تظلموا ، ولا تنقصوا ، ولا تتجاوزوا القدر ، قاله أبو عبيدة والزجاج^(١) .

وقال أهل المعاني^(٢) : إنما قيل لا تطغوا ؛ لأن ما لا يضبط في الوزن موضوع عنهم ما لم يتعمدوا البخس ، فإذا تعمدوا فقد طغوا ، وإنما قال : (لا تطغوا في الميزان) ولم يقل فيه بالكناية وقد سبق ذكره لكي يكون قائماً بنفسه في النهي عنه ، ولا يكون الثاني متضمناً بالأول .

قوله تعالى : ﴿وَأَقِمْوْا لِّلْوِزْنِ إِلْقِيسَ﴾ . قال المفسرون : أقيموا لسان الميزان بالقسط ؛ أي بالعدل ، وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل^(٣) .

والأحسن إذا وزن أن يقيم اللسان بالقسط كما أمر الله تعالى ، ثم يرجح إن أراد ذلك وتبرع به . وقد روي عن علي - رضي الله عنه - أنه مرَّ على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح ، فكفأ الميزان ، ثم قال : أقم الوزن بالقسط ، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت^(٤) .

وقوله : ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : لا تنقصوا ، ولا تبخسوا^(٥) ، وهذا كقوله تعالى ذكره : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين : ٣] ؛ أي ينقصون . وروى أهل اللغة : أخسرت الميزان وخسرتة ، ومنه قراءة

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٦ .

(٢) انظر : الكشف ٥/ ٥ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٥/ ٣١٤ ، وتفسير مقاتل ١١٣٥ ، والدر ٦/ ١٤١ .

(٤) لم أقف عليه عن علي ، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي المغيرة عن ابن عباس نحوه . انظر : فتح الباري ٨/ ٦٢١ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٥/ ٣١٤ ، وجامع البيان ٧/ ٢٧ .

بلال بن أبي بردة^(١): ﴿وَلَا تُخْشِرُوا﴾ بفتح التاء^(٢)، وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِكَ يَالَ وَ أَلْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤]^(٣). وذكرنا معنى نقص الميزان وكيفيته في سورة هود.

١٠. قوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾. قال الكلبي: بسطها على الماء للأمام^(٤). قال الليث: الأنام ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ويجوز في الشعر الأنيم^(٥).

واختلف المفسرون في تفسير الأنام، فروى عكرمة عن ابن عباس: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للناس^(٦)، وعن مجاهد وقتادة والضحاك: للخلق والخلائق، وعن عطاء: لجميع الخلق.

وقال الكلبي: للخلق كلهم الذين بثهم فيها، وهذه الأقوال تدل على أن المراد بالأنام كل ذي روح، وهو قول الشعبي^(٧)، وقال الحسن: للجن والإنس^(٨)، وهو اختيار أبي إسحاق^(٩).

(١) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قاضي البصرة، مُقِلٌّ، توفي سنة نيف وعشرين ومائة. انظر: تقريب التهذيب ١٩/١.

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه ١٤٩، والكشف والبيان ٣٤/١٢ ب، والكشاف ٥/٤، والبحر المحيط ١٨٩/٨.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ١٦٢/٧، واللسان (خسر) ٨٢٩/١.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٣١٤/٥. قال الألوسي: ثم إن كونها على الماء مبني على ما اشتهر أنه - عز وجل - خلق الماء قبلها وخلقها - سبحانه - من زبدة. روح المعاني ١٣/٢٧.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (أنم) ٧٥/١٥.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥٥، والدرر ١٤١/٦.

(٧) انظر: تفسير مجاهد ٦٤/٢، وتفسير عبدالرزاق ٢٦٢/٢، وجامع البيان ٧/٢٧، والكشف والبيان ١٣٥/١٢.

(٨) انظر: جامع البيان ٧/٢٧، والكشف والبيان ٣٤/١٢ ب، والدرر ١٤١/٦.

(٩) انظر: معاني القرآن ٩٧/٥ قلت: ولعل الصواب أن المراد بالأنام جمع ذوات الأرواح من الجن =

١١. قوله: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾؛ أي في الأرض فاكهة، يعني كل ما يتفكه به من ألوان الثمار، وذكر ابن عباس منها العنب، والتين، والخوخ، والتفاح^(١).

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: معنى الكم في اللغة ما ستر شيئاً وغطاه، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، وأكمام الزرع: غلفها، وذكرنا ذلك عند قوله ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾^(٢). قال ابن عباس: يريد الطلع^(٣). قال الكلبي: ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ ذات الغلف، وثمرها في غلف الكُفْرَاء: ما لم تشق وهي كمة^(٤)، فإذا انشقت منها الكُفْرَاء فليست أكمامها، وقال الحسن وقتادة: أكمامها ليفها^(٥).

قال أبو إسحاق: ما غطى جمارها من السعف والليف فهو من أكمام النخلة^(٦).

والإنس وغيرهم؛ فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب: في النجوم، قال: قال ابن عباس: (الأنام) الخلق، وأخرجه ابن جرير في جامعه ٧/١٧ من طريق علي بن أبي طلحة.

=

(١) لم أجده.

(٢) عند تفسيره الآية رقم: ٤٧ من سورة فصلت. انظر: تهذيب اللغة ٩/٤٦٥، واللسان (كمم) ١٩٦/٣.

(٣) انظر: جامع البيان ٧/٢٧، ومعالم التنزيل ٤/٢٦٧ عن ابن زيد.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٥/٣١٤. الكافور: وعاء الطلح قبل أن ينشق، وهو الكَفَرُ، والكُفْرَى، والكُفْرَى، والكُفْرَى.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق ٢/٢٦٢، وجامع البيان ٧/٢٧، والثعلبي ١٢/٣٥ أ.

(٦) انظر: معاني القرآن ٥/٩٧. السُّجَّارُ (بضم الجيم وفتح الميم مع تشديدها)، هو جمار النخلة، وهو لحمتها التي في قمة رأسها، تقطع قمته، ثم تكشف عن جمارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة، وهي رَحْجَةٌ تؤكل بالعسل. انظر: اللسان (جمر).

والمفسرون على أن الأكمام أوعية الثمر كما ذكرنا ، قال الليث : ولكل شجرة ثمرة كم ، وهو برعومه^(١) .

١٢ . قوله : ﴿وَالْحَبُّ﴾ . قال عطاء : يريد القمح^(٢) ، وقال مقاتل والضحاك : يعني الشعير والحنطة^(٣) ، وقال الكلبي : هو الحبوب كلها مما يحرث في الأرض من الحنطة والشعير وغير ذلك^(٤) .

والوجه الرفع في قوله :

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ نسقاً على قوله : ﴿فِيهَا فَكِكَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ . وقرأ ابن عامر : ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ نصباً^(٥) ، حمله على قوله : ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا﴾ مثل خلقها للأنام ، وخلق الحب ذا العصف .

واختلفوا في تفسير العصف ، فقال الليث : العصف ما على حب الحنطة ونحوها من قشور التبن ، قال : والعصف أيضاً ما على ساق الزرع من الورق الذي ييسر فيفتت ، كل ذلك من العصف^(٦) .

وقال الفرّاء : العصف : بقل الزرع ، يعني أول ما ينبت منه وهو ورق بعد ، قال : والعرب تقول : خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه شيئاً قبل إدراكه فذلك العصف^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (كمم) ٤٦٦/٩ .

(٢) لم أجده .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ ، وجامع البيان ٧١/٢٧ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٣١٤/٥ .

(٥) قرأ ابن عامر : (والحبّ ذا العصف) بالنصب ، وقرأ الباقر : ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ . انظر : حجة القراءات ٦٩ ، والنشر ٣٨/٢ ، والإتحاف ٤٥ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ٤١/٢ ، واللسان (عصف) ٧٩٦/٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١١٣/٣ .

وقال النضر : يقال : عصفنا الزرع نعصفه ؛ أي جززنا ورقه ليكون أخف للزرع ، وإن لم يفعل مال بالزرع .^(١)

وقال ابن عباس : العصف والعصيفة ورق السنبل .^(٢)

وقال أبو إسحاق : العصف ورق الزرع ، ويقال للتبن عصف وعصيفة ، وأنشد أبو عبيدة :

يُسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حُدُورُهَا مِنْ أَتَى الْمَاءِ مَطْمُومٌ^(٣)

فحصل من هذا الأقوال أن العصف ورق الزرع ، ثم إذا يبس وديس صار تبناً ، وعلى هذا يدور كلام المفسرين .

قال مجاهد : هو ورق الزرع ، وهو قول مقاتل وابن عباس في رواية الكلبي والعيوفي^(٤) .

وقال قتادة : ﴿ الْعَصْف ﴾ التبن ، وهو قول الضحاك ، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (عصف) ٤١/٢ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥٧ ، ونسبه إلى الهروي .

(٣) البيت لعلقمة بن عبدة . المذانب : الجداول التي يسيل فيها الماء ، وطَمَّ الماء يَطْمُ طمّاً وطُموماً : علا وغمر ، وكل ما كَثُرَ وعلا حتى غَلَبَ فقد طَمَّ يَطْمُ . انظر : ديوان علقمة ١١٧ ، ومجاز القرآن ٢/٢٤٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/٩٧ ، وجامع البيان ٢٧/٧١ ، واللسان (ذنب) ١/١٨ ، و(طم) ٢/٦١٥ ، و(عصف) ٢/٧٩٦ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥/٣١٤ ، وتفسير مقاتل ١١٣٥ ، وجامع البيان ٢٧/٧١ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٦٢ ، وجامع البيان ٢٧/٧١ ، والكشف والبيان ١٢/٣٥٥ .

وروى السُّدِّي عن أبي^(١) مالك ، قال : هو أول ما ينبت^(٢) .

قال ابن كيسان : العصف : ورق كل شيء خرج منه الحب يبدو أولاً ورقاً ، ثم يكون سوقاً ، ثم يحدث الله فيه أكماماً ، ثم يحدث في الأكمام الحب^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ . قال أبو زيد : الريحان كل بقلة طيبة الريح ، يقال للطاقة منها ريحانة ، سُمِّيَتْ ريحانة ؛ لأن الإنسان يراح له رائحة طيبة إذا مسها ؛ أي يدركها ، قال : رحَت الشيء أراح إذا أردت رائحته وهو فعْلان من الرائحة والريح ، وأصل الياء فيه واو قلبوها ياء فرقاً بينه وبين الروحان ، وهو شيء له روح ، ويقال : شيء ريحاني وروحاني ، حكاهما ابن الأعرابي ، وما يتركب من الرائ والواو والحاء كثير ، والأصل في ذلك الحركة والاهتزاز ؛ فالرائحة فاعلة من راحت الريح تروح روحاناً إذا تحركت ، ذكر هذا كله أبو القاسم الزجاجي .

وقال أبو علي : ويجوز أن يكون الريحان فَيْعِلان ، والعين محذوفة كأنه كان في الأصل ريوحان فلما اجتمعت الياء والواو ، وسُبِقَتْ إحداهما بالسكون أُدْغِمَ أحدهما في الآخر فقليل ريحان ، ثم خُفِّفَ كما قلنا في سيد وميت وهين^(٤) .

قال أبو القاسم : وسُمِّيَت العرب الرزق ريحاناً ؛ لأن الإنسان يرتاح له^(٥) ، ويقوى به روحه ، واللغة العرفية في الريحان أنه يطلق على ما له رائحة من الأنوار ،

(١) في (ك) : (ابن) .

(٢) انظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة الرحمن) ١٨/٦ ، قال : وقال أبو مالك : العصف أول ما ينبت . قال ابن حجر : وليس له - أي لابن مالك - في البخاري إلا هذا الموضع . فتح الباري ٦٢١/٨ ، وجامع البيان ٢٧/٧١ عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك .

(٣) انظر : الوسيط ٢١٨/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٦٨/٤ ، وفتح القدير ١٣٢/٥ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٤٥/٦ ، ٢٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥٧ .

(٥) كذا في نسخة (ك) ، ولم تتبين لي .

وقال أبو عبيدة : الريحان الحب الذي يؤكل ، ومنه يقال : سبحانك وريحانك ؛ أي رزقك ، وأنشد للنمر بن تولب :

سَلامُ الإِلهِ وريحانُهُ ورحمتهُ وسماءُ دِرَرٍ^(١)

وقال الفراء : والريحان في كلام العرب : الرزق ، تقول : خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه^(٢) .

وقال أبو إسحاق : والعرب تقول : سبحان الله وريحانه .

قال أهل اللغة : واسترزاقه ، وأنشد بيت النمر ، قال : معنى ريحانه : رزقه^(٣) .

قال مجاهد : الريحان الرزق ، وهو رواية عكرمة والكلبي عن ابن عباس^(٤) .

قال مقاتلان : هو بلغة حمير^(٥) .

وقال الحسن وابن زيد : هو ريحانكم الذي يشم^(٦) .

واختلفوا في إعراب (الريحان) ؛ فقرأ الأكثرون بالرفع على معنى : وفيها الحب والريحان ، وقرأ حمزة والكسائي بالخفض حملاً على (ذو) كأنه والحب ذو العصف وذو الريحان ؛ أي من الحب الرزق ، وأريد بالريحان الرزق إذا خرج وخلص من

(١) انظر : المنصف ١١ / ٢ ، ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٣ ، وتفسير غريب القرآن ٤٣٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٧ / ٥ ، واللسان (روح) ١ / ١٢٤٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٧ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٤ ، وجامع البيان ٢٧ / ٧١ ، والكشف والبيان ١٢ / ٣٥ ، وصحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة الرحمن) ٦ / ٧٣ ، قال : وقال مجاهد : العصف ورق الخنطة ، والريحان الرزق .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ ، والكشف والبيان ١٢ / ٢٥ ، ونسبه إلى مقاتل بن حيان .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٧١ ، والكشف والبيان ١٢ / ٣٥ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٦٨ .

لفائفه وهو رزق للناس ، والعصف رزق للدواب ، فذكر قوت الناس والأنعام كما قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ۖ كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ ﴾ [طه: ٥٣] ، وقال : ﴿ مَنَعْنَا لَكُمُ الْوَيْلَ وَلِئَن نَّمُوتَ ۚ ﴾ [النازعات: ٧٣ ، عبس: ٣٢] ، فكذلك العصف يختص بأنه رزق الأنعام . والريحان يعم الأناسي وغيرهم ، ولا يجوز على هذه القراءة أن يكون الريحان المشموم^(١) ، واختار أبو عبيد هذه القراءة ، قال : لأن الريحان في التفسير الرزق ، والعصف الورق ، فيكون المعنى أن الحب ذو ورق ورزق ، ومن رفع الريحان على الابتداء صار التأويل في الحب أنه ذو ورق لا غير ، ولا أحب هذا المعنى .

قال المبرّد : الذي قال أبو عبيد يجوز ، ولكن فيه بُعد ؛ لأن الحب هو الرزق نفسه ليس غيره ، فيبعد أن يقال للرزق ذو الرزق ، إلا أن يحمل على ما قال مقاتل أن الريحان الرزق بلغة حمير ، وهو ما يخرج من الحب من دقيق أو سويق أو غيره ، قال : والوجه الرفع في الريحان ؛ لأنه إن أريد بالريحان الرزق كان المعنى فيها : الحب ذو العصف ؛ أي الذي معه ورقه ، وتم الكلام ، ثم قال : ﴿ وَالرَّيْحَانُ ۚ ﴾ ؛ أي الرزق المنفرد ، وإن أريد بالريحان المشموم ، ولذلك فهذه القراءة تحتل القولين في تفسير الريحان .

قال : والظاهر أن الريحان في هذا الموضع هو الذي يشم ؛ لأن الريحان إذا جاء مطلقاً وقع على ما يشم ، وهذا هو الأحسن في التفسير ؛ لأنه لما قيل : ﴿ فِيهَا فَكْهَةٌ ۖ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١١] وَلَحَبٌ ذُو الْعَصْفِ ۚ كان ذلك جامعاً لأكثر المأكولات ، ثم ذكر بعدها ما يشم مما يخرج من الأرض ؛ لأن النعمة على الناس عظيمة جليلة في المأكول والمشموم ، والريحان إذا جاء بلا دليل انطلق على المشموم ؛ لأنه اسمه الخاص ، وإذا عني بالريحان الرزق احتيج إلى أن يكون في الكلام ما يدل عليه كما قال سيبويه ، يقال : سبحان الله وريحانه ، تقديره : تسبيحاً واسترزاقاً^(٢) .

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) انظر : الكتاب ١ / ٣٢٢ .

وقرأ ابن عامر : (والريحان) نصباً اتباعاً لقوله : ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ على قراءته^(١).

قال أبو علي : وانتصب ريحان في ما حكاه سيبويه انتصاب المصادر ، وذكرنا في وزنه قولين ؛ فإن قلنا وزنه فيعلان كان هذا اسماً موضوعاً موضع المصدر ؛ لأنه ليس في أبنية المصادر شيء على هذا الوزن فيكون كقولهم : ترباً وجندلاً ، ونحو ذلك مما وضع موضع المصادر ، أو يجعله مصدراً اختص به المعتل كما اختص بكينونة^(٢) ، وإن جعلته فعلاً فيكون مثل الكيان وليس هذا كما لزمه الانتصاب من المصادر ، نحو : معاذ الله ، وسبحان الله ، ألا ترى أنه قد جاء مرفوعاً في بيت النمر ومجروراً في قراءة حمزة^(٣).

قال أبو إسحاق : وقد ذكر الله - عز وجل - في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم ، البيان ومن خلق الشمس والقمر والسماء والأرض .

ثم خاطب الجن والإنس ، فقال :

١٣ . ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ؛ أي فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة ؛ لأنها كلها مُنعم بها عليكم في دلالتها إياكم على

(١) قرأ ابن عامر : ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ بالنصب ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ بخفض النون ، وقرأ الباقون برفع النون : ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ . انظر : حجة القراءات ٦٩ ، والنشر ٣٨ / ٢ ، والإتحاف ٤٥ .

(٢) قال ابن منظور : وكان الخليل يقول : كينونة فيعولة هي في الأصل كيونونة ، التقت منها ياء وو او والأولى منها ساكنة فصيرت ياء مشددة مثل ما قالوا : الهين من هُنْتُ ، ثم خففوها فقالوا : كينونة كما قالوا : هَيْنٌ لَيْنٌ . انظر : اللسان (كون) ٣ / ٣١٦ .

(٣) تقدّم توثيقها ، وانظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٤٦ .

وحدانيته ، وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم^(١) .
وتقدّم الكلام في تفسير الآلاء في سورة الأعراف^(٢) . قال الكلبي :
فبأي آلاء ربكما يريد الإنس والجن^(٣) .

فإن قيل : على هذا إنما تقدّم ذكر الإنس في قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ ، ولم
يجر للجن ذكر حتى يدخل في الخطاب ، والجواب عن هذا ما ذكره الفراء ، قال :
العرب تحاطب الواحد بفعل الاثنين ، فيقال : ارجلاها وازجراها^(٤) ، وقد ذكرنا
هذا عند قوله : ﴿ أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ ﴾ ، وهذا الوجه اختيار ابن الأنباري .

وقال صاحب النظم : خاطب الجن مع الإنس ، وإن لم يجز لهم ذكر ، كما أنه
يكنى عن الشيء وإن لم يجز له ذكر كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾^(٥) .

وذكر الأزهري قولين آخرين ؛ أحدهما : أنه قد جرى ذكر الأنام ومعناه
الجن والإنس ، والثاني : أن الله تعالى خاطبهما قبل ذكرهما ثم ذكرهما معاً بعقب
الخطاب ، وهو قوله : ﴿ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ ، كما قال المثقب العبدى^(٦) :

وما أدري إذا يمتُّ أرضاً أريدُ الخيرَ أيُّهما يليني
أأخير الذي أنا أبتغيه أم الشرُّ الذي هو يبتغيني

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٨ / ٥ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم : ٦٩ من سورة الأعراف . آلاء : النعم ، واحدها ألى بالفتح ، وإلى ، وإلى .
اللسان (ألا) .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٣١٤ / ٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١١٤ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧ .

(٥) من الآية رقم : ٣٢ من سورة ص ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥٨ / ١٧ .

(٦) هو عائذ بن محسن بن ثعلبة ، أبو عدي الملقب المثقب ، من بني نكسة ، تقدّم ترجمته . والأبيات
وردت في مغني اللبيب ، وشرح شواهد للسيوطي : / ٦٩ ، وشرح المفصل ١٣٨ / ٩ ، والمفضليات
٢٩٢ ، وشرح شواهد الشافعية ١٨٨ .

فقال أيهما ، ولم يحِرْ للشِرِّ ذكر إلا بعد تمام البيت الثاني^(١) .

وهذا الوجه معنى قول أبي عبيدة والكسائي^(٢) .

وأما معنى تكرير هذه الآية في هذه السورة فقال أصحاب المعاني : معنى التكرير التقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة ، كأنه قيل : بأي هذه الآلاء تكذبان ، ثم ذكرت آلاء آخر ، واقتضت من التقرير بها ما اقتضت الأولى ليتأمل كل واحدة في نفسها وفي ما تقتضيه صفتها وحقيقتها التي تنفصل بها من غيرها .

وشرح ابن قتيبة هذه الجملة شرحاً شافياً ، فقال : إن الله تعالى عدّد في هذه السورة نعماءه ، وذكر عباده آلاءه ، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ، ثم أتبع ذكر كل خَلَّة وصفها بهذه الآية ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ، ويقررهم بها ، وهذا كقولك لرجل أحسنت إليه دهرك وتابعت عليه الأيادي وهو في ذلك ينكرك ويكفرك : ألم أبوئك منزلاً وأنت طريد ؟ أنتكر هذا ؟ ألم أحجج بك وأنت ضرورة ؟ ألم أحملك وأنت راجل ؟ أفتنكر هذا^(٣) ؟

وقال صاحب النظم : إن من عادة العرب الإيجاز والاختصار في بعض الأماكن ، والإشباع والتوكيد في بعض ، والتكرير والإعادة إذا أرادوا الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد^(٤) :

قَرَّباً مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مَنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ مِّنْ حِيَالِ

(١) انظر : تهذيب اللغة (نأ) ٥٨/١٥ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٤٣ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/٣٥ ، ٣٤أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٦ ، وفتح القدير ١٣٣/٥ . الصرورة : الذي لم يحج .

(٤) الحارث بن عباد البكري ، كان من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين ، وُلِدَ له عقب . توفي سنة ٥٥ هـ . انظر : الشعر والشعراء ٢٦٢ ، والكامل ٢/٢٣١ ، والأغاني ٤/٥ ، والخزانة ١/٢٢٥ ، والأعلام ١٥٦/٢ . والبيت ورد في الحيوان ١/٢٢ ، وأملاني ابن الشجري ٢/٢٧ ، والمنصف ٣/٥٩ .

وكرر ذكر قول (قرباً مربوط النعامة) في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر ، وإرادة للإبلاغ في الثنية والتحذير ، وكذلك الجعفي^(١) في قصيدته التي يقول فيها :

كتيبة لبسُها بكتيبةٍ حتى تقول نساؤهم هذا فتى
فكرر هذه الكلمة في رؤوس أبيات منها ؛ لأنه ذهب مذهب الحارث بن عباد في العناية والتأكيد ، وقال غيرهما :

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ^(٢)
فكرر كم في بيت واحد أربع مرات تأكيداً لفرط العناية بهذه الكلمة ، فكذا قوله عز وجل : ﴿فَيَأْتِيْءَ الْآءَ رَبِّكُمْ أَنْ تُكَذِّبَآ﴾ ، وقوله : ﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١] ، وقوله : ﴿وَلْيُؤْمِدْ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩] ، جاء هذا كله في التكرير والإعادة في الإبلاغ والتوكيد ؛ لأنها كلها تحرير وتذكير وتنبية^(٣) .

-
- (١) مرثد بن أبي حمران الجعفي ، يكنى أبا حمران ، شاعر جاهلي . انظر : الاشتقاق ٢٤٣ ، والمؤتلف ٤٧ . البيت ورد في الأصمعيات ١٤٢ ، ولفظه : «وكتيبة وجهتها لكتبه حتى نقول سرائهم هذا الفتى» .
- (٢) ورد البيت في تأويل مشكل القرآن ٢٣٦ ، وأمالى المرتضى ٨٤ / ١ ، والصباحي ١٧٧ ، ولم ينسب إلى قائل .
- (٣) قلت : كلام الجرجاني هذا توضيح وبيان لما قاله أهل المعاني ، وشرحه ابن قتيبة . انظر : روح المعاني ٩٧ / ٢٧ .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحجر^(١) .

قال أبو إسحاق : اختلفت الألفاظ في ما بدأ منه خلق آدم ؛ ف قيل في موضع : ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، وفي آخر : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصفات : ١١] ، وفي آخر : ﴿ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] ، وفي آخر : من صلصال ، وهذه الألفاظ راجعة في المعنى إلى أصل واحد ، وهو التراب الذي هو أصل الطين . أعلم الله - عز وجل - أنه خلق آدم من تراب جعل طيناً ، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ، ثم انتقل فصار صلصلاً كالْفَخَّارِ^(٢) ، فهذا كله أصله التراب ، وليس في شيء ينقض بعضه بعضاً . قال أبو عبيدة : والفخار ما طبخ بالنار^(٣) ، وقال المبرد : الفخار الخزف ، كأنه - والله أعلم - طين من ييسه كالخزف^(٤) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ : تفسير الجان قد سبق في سورة الحجر^(٥) . قال أبو عبيدة : مارج من خلط^(٦) من نار .

وقال الليث : المارج من النار : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد^(٧) .

(١) عند تفسيره الآية رقم : ٢٦ من سورة الحجر . الصلصال من الطين ما لم يجعل خزفاً ، سمي به لتصلصله . والصلصال الطين اليابس الذي لم تصبه النار ، فإذا مسسته النار فهو حينئذٍ فخار . اللسان (صلل) ٤٦٧ / ٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩٨ / ٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٣ .

(٤) انظر : الوسيط ٤ / ٢٢ ، وفتح القدير ٥ / ١٣٣ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم : ٢٧ من سورة الحجر . جَنَّ الشيء يجنّه جنّاً ستره . وكل شيء ستر عنك فقد جن عنه . والجانُّ : أبو الجن ، خلق من نار ، ثم خلق منه نسله . والجانُّ : الجنُّ ، وهو اسم جمع كالجامل والباقر . انظر : اللسان (جنن) ١ / ٥١٧ .

(٦) في (ك) : (خالص) ، وانظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٣ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة ١١ / ٧١ ، واللسان (مرج) ٣ / ٤٦١ .

واختلف المفسرون في المارج ؛ فذكر الكلبي أنه نار لا دخان لها ، منها تكون الصواعق^(١) ، والأكثر أن قالوا إنه الصافي من لهب النار ، وهو قول ابن عباس ومقاتل وعكرمة ومجاهد ، قالوا : إنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض : أحمر ، وأصفر ، وأخضر^(٢) .

قال المبرّد : المارج كل ما أرسل غير ممنوع^(٣) ، وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ في سورة الفرقان^(٤) ، وقوله : ﴿ فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ﴾ في سورة ق .

والمارج معناه في اللغة : المرسل والمختلط^(٥) ، وكلاهما يحسن في صفة لهب النار ، وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله عز وجل : ﴿ مَلَأْ دَافِقِي ﴾ [الطارق : ٦] ، و﴿ عَيْشَةَ رَاضِيَةً ﴾ [الحاقة : ٢١ ، القارة : ٧] . والمعنى : ذو مرج^(٦) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ : إجماع القراء على الرفع في رب المشرقين . قال أبو عبيد^(٧) : لولا إجماعهم على الرفع لكان الخفض أحب إلي على النعت للاسم قبله .

قال المبرّد : الرفع على الاستئناف على قولك : هو رب المشرقين ، وهو أحسن من البدل ؛ لأن أكثر الكلام إذا تكرر المنعوت الرفع على الابتداء كقوله :

-
- (١) انظر : تنوير المقباس ٣١٥ / ٥ .
 (٢) انظر : تفسير مجاهد ٦٤ / ٢ ، وتفسير مقاتل ١٣٥ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٣٢ ، وجامع البيان ٧٤ / ٢٧ ، والكشف والبيان ١٢ / ٣٦٠ .
 (٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦١ ، وفتح القدير ١٣٣ / ٥ .
 (٤) عند تفسيره الآية رقم : ٥٣ من سورة الفرقان .
 (٥) انظر : تهذيب اللغة ١١ / ٧١ ، واللسان (مرج) ٣ / ٤٦١ .
 (٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦١ .
 (٧) في نسخة (ك) : (أبو عبيدة) ، والصواب ما أثبتته .

﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) اللَّهُ ﴿[إبراهيم: ١-٢]، وكان ينبغي لأبي عبيد أن يعلم أن اجتماعهم على الرفع قد دلَّ على اختياره .

قال المفسرون : يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء ، وهما مشرقان : مشرق الأيام الطوال ، ومشرق الأيام القصار ، وكذلك المغرب .

١٩ . قوله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ : تفسير هذه الآية والتي بعدها قد تقدّم في سورة الفرقان (١) .

والمعنى أن الله تعالى ذكر عظيم قدرته حيث خلّى البحرين : العذب والملح يلتقيان ؛ أي يلتقيين كما تقول : تركت زيدا وعمراً يقتتلان ثم لم يختلط أحدهما بالآخر ، وهو قوله :

٢٠ . ﴿يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ؛ أي حاجز من قدرة الله تعالى ، فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ، ولا يبغي على الملح فيختلط به . والمعنى : لا يطلبان أن يخرجاً مما حُدَّ لهما ، هذا قول مقاتل وأكثر المفسرين (٢) .

وقال الحسن وقتادة : (برزخ) يعني الأرض التي بينهما ، وهي الحجاز . ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ : لا يطمان على الناس بالغرق (٣) ، والقول هو الأول ؛ لقوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ .

(١) تقدّم تخريجها .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥أ ، وجامع البيان ٢٧/٧٥ ، ٧٦ ، والكشف والبيان ١٢/٣٦ ب .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٦٣ ، وجامع البيان ٢٧/٧٥ ، ومعالم التنزيل ٤/١٦٩ .

٢٢. قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾: أكثر القراء^(١) (يُخْرِجُ) بضم الياء وفتح الراء من الإخراج؛ لأنه يخرج ولا يخرج بنفسه، ومن قرأ يُخْرِجُ فهو اتساع؛ وذلك أنه إذا أخرج خرج^(٢).

وقوله: (منهما) وإنما يخرج من أحد البحرين، وهو الملح دون العذب. قال أبو عبيدة: العرب تجمع الجنسَيْن، ثم تخبر عن أحدهما كقوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْيَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣]، وإنما الرسل من الإنس، وتقول: أكلت خبزاً ولبناً، وإنما يقع الأكل على الخبز^(٣)، وقال أبو إسحاق: إن الله تعالى قد ذكرهما وجمعهما فإذا أخرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥-١٦]. والقمر في السماء الدنيا إلا أنه لما أجمل ذكر السبع كأن ما في إحداهن فيهن^(٤).

وقال مقاتل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾؛ أي من المائنين جميعاً: العذب والملح^(٥)، وهذا القول ذكره الأخفش، فقال: زعم قوم أنه يخرج من العذب أيضاً^(٦).

وقال أبو علي: هذا على حذف المضاف كما قلنا في قوله: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَيَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١].

(١) في نسخة (ك): (القراءة).

(٢) قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُخْرِجُ) بضم الياء، وفتح الراء، وقرأ الباقر ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء، وضم الراء. انظر: حجة القراءات ٦٩١، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٤٧، والنشر ٣٨/ ٢، والإتحاف ٤٥.

(٣) انظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٤٤، والكشف والبيان ١٢/ ٣٦ ب، ونسبه إلى أهل المعاني والكلبي.

(٤) انظر: معاني القرآن ٥/ ١.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٣٥ ب.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٦٣، وفتح القدير ٥/ ١٣٤.

وأما تفسير اللؤلؤ والمرجان فقال الفراء : اللؤلؤ : العظام ، والمرجان : ما صغر^(١) ، وهو قول جميع أهل اللغة في المرجان أنه الصغار من اللؤلؤ .

قال الأزهري : ولا أدري أرباعي هو أم ثلاثي .

وقال أبو الهيثم : اختلفوا في المرجان ، فقال بعضهم : هو صغار اللؤلؤ ، وقال آخرون : هو البستند ، وهو جوهر أحمر ، يقال إن الجن تطرحه في البحر^(٢) ، وهو قول ابن مسعود في المرجان في هذه الآية ، وعطاء الخراساني . قال عطاء عن ابن عباس : اللؤلؤ يريد الكبير ، والمرجان الصغير ، وهو قول الحسن وابن رزين^(٣) وقادة^(٤) . وذكر مقاتل على الضد من هذا ، فقال : اللؤلؤ الصغار ، والمرجان العظام ، وهو قول مجاهد ، والسُّدِّي ، ومرة ، ورواية عكرمة عن ابن عباس^(٥) .

٢٤ . قوله : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ : يعني السفن ، واحديثها جارية ، كقوله : ﴿حَمَلْنَاكَ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة : ١١] .

﴿الْمُنْشَأَتِ﴾ . قال أبو عبيدة : المرفوعات المجريات^(٦) ، ففسر المنشآت تفسيرين ؛ أحدهما : المرفوعات ، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض ،

(١) انظر : معاني القرآن ٣ / ١١٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (مرج) ١١ / ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) كذا في (ك) ، وعليها (ابن زيد) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣١٦ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٦٣ ، وجامع البيان ٢٧ / ٧٧ . ولم أجد من نسب قوله : «إن الجن تطرحه في البحر» إلى أحد ، وإنما ذكره الأزهري من دون نسبة ، ولعله لا يصح ولا يستقيم .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٤١ ، وتفسير مقاتل ١٣٥ ب ، وجامع البيان ٢٧ / ٧٦ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ .

وركب حتى ارتفعت وطالت وتمت . والمعنى : أنشأ صنعتها وعليها^(١) ، الثاني : أنشأ إجراءاتها .

والقراءة المعروفة فتح الشين ، وقرأ حمزة بكسر الشين^(٢) ، والوجه الفتح ؛ لأنها أنشئت وأجريت ؛ أي فعل بها الإنشاء ولم تفعل ذلك أنفسها ، ووجه الكسر أن الفعل نسب إليها على الاتساع كما يقال : مات زيد ، ومرض عمرو ، ونحو ذلك ، مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره ، فكأن المعنى : المنشآت السير ، فحذف المفعول للعلم به .

وإضافة السير إليها اتساع أيضاً ؛ لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الصواري^(٣) .

قوله تعالى : ﴿كَأَلَّاغْلَمَ﴾ ؛ أي كالجبال ، والعَلَمُ الجبل . قال الفراء : وكل جبل طال فهو علم^(٤) .

قال جرير :

إذا قطعنا علماً بدا علم^(٥)

(١) كذا في نسخة (ك) ، ولم أتبين معناها .

(٢) قرأ حمزة ، وأبو بكر عن عاصم : (المنشآت) بكسر الشين ، وقرأ الباقر بفتحها . انظر : حجة القراءات ٦٩١ ، ٦٩٢ ، والنشر ٣٨١ / ٢ ، والإتحاف ٤٦ .

(٣) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٤٨ / ٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١١٥ / ٣ .

(٥) انظر : ديوان جرير ٥٢ ، ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٥ .

وقالت الخنساء :

وإنَّ صخراً^(١) لتأتُم الهداةُ بهِ
كأنَّه علمٌ في رأسِه نارٌ
قال مقاتل : شبَّه السفن في البحر كالجبال في البر^(٢) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد أن قلع السفينة إذا رفعت كانت كأنها الجبال ، وقال الكلبي : شبَّهها بالجبال إذا رفع شروعاتها^(٣) .

وقال مجاهد : ما رفع قلعُه من السفن فهي منشأة ، وما لم يرفع قلعها فليست منشأة^(٤) ، واختار أبو عبيد فتح الشين ، وقال إن تفسيرها التي رُفِعَ قلعها^(٥) .
قال الزَّجاج : المنشآت المرفوعات الشُّرع^(٦) ، وهذا القول تفسير ثالث للمنشآت سوى اللذين ذكرناهما .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ ؛ أي على الأرض ، وقد سبق ذكرها في قوله : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ . والمعنى أن كل من دبَّ ودرج على أرض من حيوان فهو (فانٍ) هالك . قال الكلبي ومقاتل : لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، فلما نزل : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] أيقنت الملائكة بالهلاك^(٧) .

(١) هو صخر بن عمرو السلمي ، شاعر جاهلي ، كان حليماً جواداً باراً بأخته الخنساء ، أصيب بطعنة مات على أثرها . انظر : المعارف ٨٥ ، والأغاني ٧٦ / ١٥ ، والإصابة (في ترجمة الخنساء) ٦١٤ / ٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٦١ ، وبيت الخنساء في ديوانها ٤٩ ، ومغني اللبيب وشواهد ٥٦٦ .
(٢) لم أجده .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٣١٦ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٦٤١ / ٢ ، وجامع البيان ٧٨ / ٢٧ .

(٥) انظر : حجة القراءات ٦٩٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن ١ / ٥ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ ب ، والكشف والبيان ٣٨ / ١٢ أعن ابن عباس ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٥ / ١٧ عن ابن عباس ومقاتل ، وشرح العقيدة الطحاوية ٦٢ / ٢ .

قال الشعبي : إذا قرأت : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فلا تسكت حتى تقول : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) .

وذكر أهل المعاني في الوجه هاهنا قولين ؛ أحدهما : أن المعنى : ويبقى ربك الظاهر بأدلتة كظهور الإنسان بوجهه ، فالوجه على هذا عبارة عن الظهور .

الثاني : ويبقى ربك وهو السيد المعظم ، والوجه يذكر بمعنى الشيء المعظم كقولهم : هذا وجه القوم ، ووجه التدبير ؛ أي التدبير المعظم^(٢) ، ولا يجوز أن يكون الوجه هاهنا صلة لقوله (ذو) بالرفع وهو من صفة الوجه ، ولو كان الوجه صلة لقليل ذي ، ليكون صفة لقوله ربك ، والجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح بإحسانه وإنعامه ، ويقال : جلّ الشيء ؛ أي عظم ، وأجللته : أعظمته ، والجلال اسم من جلّ ، والجلال مصدر . قال الأصمعي : ولا يقال الجلال إلا لله تبارك وتعالى^(٣) .

قال أبو علي : قد جاء الجلال في غير الله سبحانه ، وأنشد :

فلا ذا جلالٍ هبَّنه لجلالِهِ ولا ذا ضياعٍ هُنَّ يتركنَ للفقرِ^(٤)
هذا كلامه .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٦٥ ، وفتح القدير ٥/ ١٣٦ . قلت : المراد بالوجه عند أهل السنة والجماعة في هذه الآية وما يائئها : الذات ؛ أي تبقى ذاته سبحانه وتعالى . انظر : مجموع الفتاوى ٢/ ٤٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٩٧٣ ، وروح المعاني ٢٧/ ١٨ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٤٨٨ ، واللسان (جلل) ١/ ٤٨٧ .

(٤) البيت لهدبة بن خشرم العذري يصف المنايا وعمومها للخلق . وقد ورد في شواهد سيبويه ١/ ٧٢ ، والمفصل ٢/ ٣٧ ، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٥٤ .

ويجوز أن يكون البيت جاهلياً ، والأصمعي يقول : لا يقال ذلك بعد الإسلام ؛ أي لا يستحقه إلا الله سبحانه^(١) .

وللإكرام هاهنا معنيان ؛ أحدهما : إكرام الله تعالى أنبياءه فهو مكرمهم بلطفه مع جلاله وعظمته ، والآخر : إن الإكرام بمعنى الإعظام من العبد لله بعبادته والثناء عليه بإحسانه وإنعامه . والأول معنى قول الحسن : الذي يكرم أهل دينه وولايته^(٢) ، ومعنى قول الكلبي : الكريم على خلقه في عفوه عنهم ، والثاني معنى قول ابن عباس : الذي لا أكرم منه ، ولا أجل ، ولا أعظم^(٣) .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ . قال أبو صالح : يسأله من في السموات الرحمة ، ويسأله من في الأرض المغفرة والرزق^(٤) .

وقال مقاتل وابن جريج : يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة ، وتسأله الملائكة لهم أيضاً الرزق والمغفرة^(٥) ، يدل على هذا قوله : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى : ٥] .

(١) قلت : تفسير كلام الأصمعي بقول المؤلف : أي لا يستحقه إلا الله سبحانه هو الصواب إن شاء الله . وأما البيت فهو لهدي بن خشرم ، وهو شاعر إسلامي قتل ابن عمه زيادة بن زيد فأقيد به في أيام معاوية بن أبي سفيان ، ويقال أنه أول من أقيد في الإسلام ، وعليه فلا محذور في إطلاق الجلال على المخلوق ؛ فله تعالى الجلال المطلق الذي يليق به سبحانه ، وللمخلوق جلاله المناسب لحالته ، والله تعالى أعلم .

(٢) انظر : الوسيط ٢٢١ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٧ / ٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) وهو المروي عن ابن عباس أيضاً . انظر : تنوير المقباس ٣١٧ / ٥ ، والكشف والبيان ٣٨ / ١٢ ب ، والوسيط ٢٢١ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٦ / ١٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧ / ٤ ، والبحر المحيط ١٩٣ / ٨ .

والوقف على (الأرض) حسن ؛ لأن قوله : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ كلام آخر من نعت عظمته^(١) .

وقال الأخفش : لا يحسن الوقف على (الأرض) لاتصال معنى الآية ؛ وذلك أنه أخبر في النصف الأول من الآية من سؤال الخلق إياه ، والسؤال^(٢) مختلف ؛ لأن كل أحد يسأل ما يهمه ، ثم أخبر في آخر الآية أنه في شأن من إعطاء سؤالهم ، وقضاء حوائجهم ، وكفاية أشغالهم على ما يرى التدبير في ذلك .

وكل يوم ينتصب بالظرف ؛ لقوله : ﴿فِي شَأْنٍ﴾ . وقال يعقوب : انتصب ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ بالسؤال . والمعنى : «سأله من في السموات والأرض كل يوم» وهاهنا الوقف ، ثم قال : ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ؛ أي ربنا في شأن على ما يذكر من تفسير ذلك الشأن ، وهذا قول غير بعيد .

قال أبو جعفر النحاس : وقال يعقوب : ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ فهذا الوقف التام ، ثم قال النحاس : أمّا قول يعقوب فمخالف لقول الذين شاهدوا التنزيل^(٣) .

والذي يوافق ما ذكره المفسرون أن يكون ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفاً لقوله : ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ؛ لأنهم قالوا : من شأنه أن يحيى ويميت ، ويرزق ويمنع ، وينصر ويعز ويذل ، ويفك عانياً ، ويشفي مريضاً ، ويحبب داعياً ، ويعطي سائلاً ، ويتوب على قوم ، ويكشف كرباً ، ويغفر ذنباً ، إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء .

(١) انظر : القطع والائتناف ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، حيث قال : قال عيسى بن عمر : قال أبو حاتم : ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . تام ، ثم قال جل وعز : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

(٢) في نسخة (ك) : (وسؤال) .

(٣) انظر : القطع والائتناف ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

ذكر ذلك مجاهد ، والكلبي ، وعبيد بن عمير ، وأبو ميسرة ، وعطاء عن ابن عباس^(١) ، ومقاتل ، وذكر السبب في نزوله ، فقال : إن اليهود قالوا : إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً ، فأنزل الله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾^(٢) . ويؤكد ما ذكرنا ما روي عن عبدالله بن منيب^(٣) أنه قال : تلا علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ، فقلنا : «يا رسول الله : وما ذاك الشأن ؟ قال : يغفر ذنباً ، ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين»^(٤) .

ويزيده وضوحاً ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : إن مما خلق الله - عز وجل - لوحاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، ينظر الله - عز وجل - فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، يخلق ويرزق ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء ، ولا يشغله شأن عن شأن ، فذلك قوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾^(٥) .

(١) لم أقف على هذه الرواية عن عطاء ، وانظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٢ ، وجامع البيان ٢٧/ ٧٨ ، والعظمة ٢/ ٤٧٩-٤٨٨ ، ونحو هذا روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ . قال الألباني بعد ذكره طرق الحديث : حديث صحيح ، ورجاله موثقون ، وفي هشام كلام ، لكنه توبع . انظر : تخریج السنة ١/ ١٣ . وذكر ابن كثير الرواية عن أبي ميسرة وعن غيره ، ثم قال : دخل الكلام بعضهم في بعض ، وإسناد المؤلف - يعني أبا الشيخ - إلى أبي ميسرة صحيح . انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ ب ، والكشف والبيان ١٢/ ٣٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٧ .

(٣) عبدالله بن منيب ؛ ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ١٥٢ ، وذكره ابن حجر في الإصابة ٣/ ٣٧٤ ، ونقل عنه ابن السكن أنه قال : عبدالله والد منيب له صحبة .

(٤) أخرجه الطبراني ، والبزار ، وابن أبي حاتم . قال البزار : لا أعلم أسند عبدالله بن منيب إلا هذا الحديث . تخریجات الكشف ٤/ ١٦٢ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، والبزار ، وفيه من لم أعرفهم . مجمع الزوائد ٧/ ١١٧ ، واستشهد به الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٦٢٣ . لحديث أبي الدرداء ، وتعبه الألباني بقوله : عمرو بن بكر السكسكي متروك كما في التقريب ٢/ ٦٦ . قلت : فيتعجب منه كيف اعتبره شاهداً مع هذا الضعف الشديد . ظلال الجنة في تخریج السنة ١/ ١٣ ، فالحديث ضعيف جداً ؛ لأن عمرو بن بكر متروك وفيه عدة مجاهيل . العظة بتحقيق المباركفوري ٢/ ٤٨٣ .

(٥) أخرجه الحاكم ٢/ ١١٩ ، وفي سنده أبو حمزة الثمالي ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ؛ فإن أبا حمزة =

ومعنى الشأن في اللغة : خطب له عِظَم ، وجمعه شؤون .

قال أبو الجوزاء^(١) في هذه الآية : ولا يشغله شأن عن شأن^(٢) ، هاهنا^(٣) واحد والمراد به الجمع كقوله : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧] ، وإن شئت قلت : إن ما يحدثه الله تعالى كل يوم في خلقه شأن واحد ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين ما في الأخبار من سبق القضاء بالأمور ؛ وذلك أن القضاء قد سبق قبل خلق الأجسام ، والذي يحدثه الله كل يوم هو إيجاد ما سبق به القضاء ، وهذا معنى ما قال الحسين بن الفضل : هو سوق المقادير إلى المواقيت^(٤) .

ولما ذكر أنه كل يوم هو في شأن ذكر فراغه من ذلك بمعنى تركه فعله ، فقال :

الثمالي لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٧٩/٢٧ ، وأبو الشيخ في العظمة ٤٩٢/٢ ، ٤٩٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٢٦٤ ، ٤٢٦ ، موقوفاً على ابن عباس ، كلهم عن أبي حمزة الثمالي ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسنده رقم : ١٢٥١١ ، ورقم ٦٠٥ ، موقوفاً على ابن عباس ٢٩٣ .

قال الألباني في تعليقه على الطحاوية : إسناده يحتمل التحسين ؛ فإن رجاله كلهم ثقات غير بكير بن شهاب ، وهو الكوفي ، قال فيه أبو حاتم : شيخ ، وذكره ابن حبان في الثقات ٢/٣٢ ، وفي كتاب العظمة ٢/٤٩٤ قال محققه بعد ذكره طرق الحديث : «وإذا ضم إلى هذا الطريق - أي طريق أبي الشيخ - الطرق التي أوردناها وفيها ما يحتمل التحسين يرتفع عنه الضعف ويصل درجة الحسن ، والعظمة» . وفي موقع آخر قال : ولكن للحديث طريق أخرى تجعل إسناده حسناً موقوفاً من كلام ابن عباس ٢/٤٩٧ . وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقاته على الطحاوية ٢/٣٤٤ بعد ذكره تحريج الطبراني له : وسنده حسن . انظر : مجمع الزوائد ٧/١٩١ .

(١) في (ك) : (الجزء) ، وانظر : الدر المنثور ٦/١٤٣ ، ١٤٤ ، ونسب إخراجها إلى عبد بن حميد .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١١/٤١٥ ، واللسان (شأن) ٢/٢٥٨ .

(٣) كذا في (ك) ، وظاهر العبارة يدل على سقط ، لعل استقامتها : ولفظه هاهنا واحد . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/١٦٧ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٢/٣٩ أ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٧٦ ، ونسبه إلى الكلبي .

٣١. ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ . قال أبو عبيدة : سنحاسبكم ، سنجمعكم ولم يشغله شيء تبارك وتعالى^(١) ، فذكر أبو عبيدة في تفسير الفراغ المحاسبة والجمع ؛ لأن المعنى سنترك ذلك الشأن إلى هذا ، وإنما حسن لفظ الفراغ لسبق ذكر الشأن ، هذا وجه في معنى الفراغ في صفة الله تعالى ، وهذا معنى قول الكلبي : سنحاسبكم^(٢) .

قال الفرّاء : وهذا من الله وعيد ؛ لأنه لا يشغله شيء عن شيء ، وأنت قائل للرجل الذي لا شغل له : قد فرغت لي ، قد فرغت لشتمي ؛ أي أخذت فيه وأقبلت عليه . هذا كلامه^(٣) ، ومعناه أنه وعيد بالمحاسبة والمجازاة ، سيأخذ في ذلك ، وهذا قريب من قول أبي عبيدة .

وقال أبو إسحاق : الفراغ في اللغة على ضربين ؛ أحدهما : الفراغ من الشغل ، والآخر : القصد للشيء ، تقول : سأفرغ لفلان ؛ أي سأجعل قصدي إليه ، ومعنى ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ سنقصّد لحسابكم^(٤) ، وهذا قول ابن الأعرابي في الآية^(٥) ، واختيار أبي علي ، قال : وليس الفراغ ها هنا فراغاً من شغل ، ولكن تأويله القصد ، كما قال جرير :

الآن فقد فرغتُ إلى نميرٍ فهذا حينَ صرْتُ لهمْ عَذَاباً^(٦)

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٤ ، وفيه «سنحاسبكم ، لم يشغله» ، ولم يذكر الجمع .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٣١٧/٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١١٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٥/ ٩٩ .

(٥) في نسخة (ك) من قوله : «وهذا قريب» إلى هنا مكرر ، وانظر : تهذيب اللغة (فرغ) ٨/ ١١١ .

(٦) ليس البيت في ديوان جرير ، وانظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٦٨ ، واللسان (أين) ١/ ١٤٦ .

وقال بعض أهل المعاني : ومعنى الآية : سنعتمد عمد من يتفرغ للعمل لتجويده من غير تضجيع ، وهذا من أبلغ الوعيد وأشدّه .

وقال ابن قتيبة : الفراغ يكون من الناس بعد شغل ، ثم قد ينتقل فيصير في معنى القصد للشيء ؛ وذلك أنه إنما يقصد الشيء إذا فرغ مما يقطعه ، فيسمى القصد إلى الشيء فراغاً له كما كان يحصل عن فراغ من موانعه ، والله تعالى لا يشغله شأن ، عن شأن فقله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ ؛ أي سنقصد لكم بعد طول الترك والإمهال ، وهذا معنى قول قتادة في هذه الآية : قد دنا من الله فراغ لخلقه ^(١) ؛ أي قصد لحاسبتهم ، يريد أن الساعة قد أزفت .

وأما التفسير فأكثر المفسرين ذهبوا في تفسير هذا اللفظ إلى أنه وعيد وتهديد ، وهو قول مقاتل والضحاك ، وابن عباس في رواية عطاء ، قال : هذا تهديد منه لعباده ^(٢) .

وذهب قوم إلى أن المعنى : سنوفر عليكم ما وعدناكم من الحساب والجزاء بالثواب والعقاب وننجزه لكم ، وهذا قول الحسن ، وابن زيد ، وابن كيسان ^(٣) .

ويقال : فَرَعَ يَقْرَعُ وَيَفْرَعُ وَفَرَعَ يَقْرَعُ ، كل ذلك مروي عن أهل اللغة ^(٤) .

وقراءة العامة : (سنفرغ) بالنون ، وقرئ بالياء على الغيبة ^(٥) لتقدم قوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٥ ب ، وجامع البيان ٢٧/ ٧٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٧ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ٤٠ أ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٧١ ، وفتح القدير ٥/ ١٣٦ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٨/ ١٩ ، واللسان (فرغ) ٢/ ١٨٤ .

(٥) في نسخة (ك) : من قوله : «وقراءة العامة» إلى هنا مكرر . وقرأ حمزة ، والنسائي ، وخلف : (سيفرغ) بفتح الياء ، وضم الراء ، وقرأ الباقر ﴿ سَنَفْرُغُ ﴾ بالنون . انظر : حجة القراءات ٦٩٢ ، والحجة للقراءة السبعة ٦/ ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٣٨١ ، والإتحاف ٤٦ .

وقوله : ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ : يريد الجن والإنس في قول الجميع .

قال أهل المعاني : وإنما وصف الجنس والإنس بأنها ثقلان لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما ، فهما أثقل وزناً لعظم الشأن بالعقل والتمكين والتكليف لأداء الواجب في الحقوق ^(١) .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : العرب تقول لكل شيء نفيس مصون : ثَقْل ، وأصله من يبيض النعام المصون . قال ثعلبة بن صُعير المازني ^(٢) يذكر الظليم والنعامة :

فَتَذَكَّرَا ثِقْلًا رَثِيْدًا بَعْدَمَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِيْنَهَا فِي كَافِرٍ ^(٣)

ويقال للسيد العزيز : ثقل من هذا ، وسمّى الله - عز وجل - الجن والإنس الثقلين لتفضيله إياهما على سائر الحيوان المخلوق في الأرض بالتميز والعقل اللذين خُصّصا به ، ولهذا سمّى النبي ﷺ كتاب الله وعترته ^(٤) الثقلين ، فقال : «إني

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٧١/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٩/١٧ .

(٢) هو ثعلبة بن صغير المازني ، شاعر جاهلي ، وقد وقع خلط في وقت مبكر بينه والصحابي ثعلبة بن أبي صغير بن عمرو من بني عُذْرَةَ . انظر : الشعر والشعراء ٢٨٥ ، والأماشي ١٤٥/٢ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ٥٨ ، والإصابة ٤٠٦/١ ، والأعلام ٨٣/٢ .

(٣) ورد البيت منسوباً في المحتسب ٢٣٤/٢ ، والمفضليات : ٢٥٧ ، وتهذيب اللغة (ثقل) ٧٨/٩ ، واللسان (ثقل) ٣٦٦/١ ، وأماكن أخرى من الكتاب ، وهي المذكورة لاحقاً . الظليم : الذكر من النعام ، والجمع أظلمة وظلمان وظلمان . اللسان (ظلم) ٦٥٢/٢ . والرثد (بالتحريك) : متاع البيت ، واللسان (رثد) ١١٢٢/١ . وذُكَاءٌ (بالضم) : اسم الشمس معرفة لا ينصرف ولا تدخلها الألف واللام ، واللسان (ذكا) ١٠٧٣/١ . والكافر هنا هو المغيب ، ويحتمل أن يكون أراد الليل ، اللسان (كفر) ٢٧٤/٣ .

(٤) عترته في تحديدها خلاف ، والمشهور المعروف أنهم أهل بيته ، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة ، وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكور في سورة الأنفال . اللسان (عتر) ٦٧٧/٢ .

تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي^(١) لفضلهما وشرفهما ، وقال غيره : إنها سُمِّيَا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء وأمواتاً ، وقد سَمَّى الله تعالى الأموات أثقالاً في قوله : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] يعني موتاتها ، ومنه قول الخنساء :

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(٢)
أي موتاتها ؛ أي جعلته الأرض حلية أمواتها لفضله وشرفه^(٣) .

وروي عن الصادق أنه قال : سُمِّيَا ثقلين لأنها مثقلان بالذنوب^(٤) . ويدل على أن المراد بالثقلين الجن والإنس أن الله تعالى خاطبهما بعد هذا ، فقال :

٣٣ . ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ، ولم يقل : إن استطعتم ؛ لأنها إذا جمعا جمع^(٥) واحد كما قال : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ [الحج : ١٩] ، وكقوله : ﴿فَإِذَا هُم بِرِيفْقَانٍ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النحل : ٤٥] . ولو قيل : إن استطعتم لكان صواباً كما قال : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ ، ذكر ذلك الفراء والكسائي^(٦) .

قوله : ﴿أَنْ تَفْذُوا﴾ . يقال : نفذ الشيء من الشيء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية نفوذاً أو نفاذاً ، ونفذ من الشيء خرج منه ، والنفذ المخرج ، يقال :

-
- (١) رواه الترمذي في سننه ، باب : مناقب آل البيت ، وقال : هذا حديث حسن غريب .
(٢) انظر : ديوان الخنساء ١٢٠ ، والخصائص ١٧٢ / ٣ ، والأغاني ١٣١ / ٣ ، واللسان (شرد) ٢٩٦ / ٢ .
بنو الشَّريح بطن من سُلَيْم .
(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣٨ / ٩ ، واللسان (ثقل) ٣٦٦ / ١ .
(٤) انظر : الكشف والبيان ٤٠ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٣١ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٩ / ١٧ ،
وفتح القدير ١٣٧ / ٥ .
(٥) ظاهر العبارة غير مستقيم ، وفي الكشف والبيان ٤٠ / ١٢ ب : «ولم يقل إن استطعتم لأنها فريقان في حال الجمع» .
(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١١٦ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٩ / ١٧ .

لهذا الطريق نفذ إلى مكان كذا ؛ أي مخرج ، والنفاد : الجواز ، وهذا يستعمل بالباء ، يقال : نفذ بالشيء كما يقال : مرَّ بالشيء^(١) .

قوله : ﴿ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ أي من جوانبها ونواحيها ، واحدها قطر وقتر^(٢) .

وفي تفسير هذه الآية قولان ؛ أحدهما : أن المعنى : إن استطعتم أن تهربوا من الموت بأن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها . والمعنى أنكم حيث ما كنتم أدرككم الموت ، كما قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [النساء : ٧٨] ، ولن تستطيعوا أن تهربوا منه بالخروج من أقطار السموات والأرض ، وهذا قول ابن مسعود ومقاتل ، قال : إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض هرباً من الموت فانفذوا ﴿ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ ، يقول : إلا بملكي حيث توجهتم ، فثم ملكي وأنا آخذكم بالموت^(٣) ، وهذا إخبار عن عجزهم عن النفوذ من الأقطار ، وأنهم في قبضة الجبار الذي لا يفوته مطلوب أين ما كان .

ومعنى (السلطان) القوة التي يتسلط بها على الأمر ، ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان ، يدل على أنه واحد .

القول الثاني : أن الله تعالى يأمر الملائكة يوم القيامة ، فتحف بأطراف السموات والأرض ، فيكونون على أطرافها ، وتحضر جهنم ، فيسمع الجن والإنس زفيرها ، فينادون فيقال لهم : ﴿ يَمَعْشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ الآية ، فلا يستطيع

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٤ / ٤٣٦ ، واللسان ٣ / ٦٨٦ ، والمفردات (نفذ) ٥٠٠ .

(٢) أقطارها : نواحيها ، واحدها قطر ، وكذلك أقطارها ، واحدها قتر . اللسان (قطر) ٣ / ١١٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٧١ ، وأورده الطبري في تفسيره ٢٧ / ٨٠ وغيره عن الضحاك .

شيطان ولا إنس ولا جن يخرج من أقطارها . والمعنى أن تنفذوا من أقطارها هاربين من العقاب فانفذوا ، وهذا أمر تعجيز على القولين ، والقول الثاني هو قول الكلبي والضحاك^(١) ، ويدل على صحته قوله : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِّنْ نَّارٍ ﴾ في الخبر : « يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ، ثم ينادون : يا معشر الجن والإنس إن استطعتم ، وذلك قوله تعالى :

٣٥ . ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِّنْ نَّارٍ وَمُهَاسٌ ﴾^(٢) .

قال أبو عبيدة : الشواظ النار التي تأجج لا دخان فيها ، وأنشد لرؤبة فقال :

إِنَّ لَهُمْ مِنْ وَقَعِنَا أَقْيَاطًا نَارَ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظَا^(٣)
وأنشد أيضاً لحسان :

هَجَرْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ بَذْلَ نَفْسِي بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشُّوَاظِ^(٤)
قال الليث : وهو قول جميع أهل اللغة : الشواظ اللهب الذي لا دخان معه .

(١) انظر : تنوير المقباس ٣١٧/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٧١/٤ .

(٢) كذا أورده الثعلبي من دون سند . انظر : الكشف والبيان ٤١/١٢ أ .

(٣) لم أجد البيت في ديوانه ، وانظر : مجاز القرآن ٢/٢٤٤ ، وجامع البيان ٨١/٢٧ ، واللسان (شواظ) ٣٨٢/٢ . أقياظ : جمع قيط ، وهو حميم الصيف ، وهو من طلوع النجم إلى طلوع سهيل ، والمراد بالنجم هنا الثريا .

اللسان (قيظ) ٢٠٢/٣ .

(٤) انظر : ديوان حسان ١٩٣/١ ، وروايته :

مُجَلَّلَةٌ تُغَمِّمُكُمْ سَنَارًا مَضْرُمَةٌ تَأْجِجُ كَالشُّوَاظِ
وفي سيرة ابن هشام ٣٨٢/١ بدل قول المؤلف (هجرتك) قال (همزتك) .

قال ابن شميل : ويقال لحر النار شواظ ، يقال : أصابني شواظ من الشمس^(١)
إذا أصابك حرها ولم يصبك الضح^(٢) .

وقرأ ابن كثير : (وشواظ) بكسر الشين ، وهي قراءة الحسن^(٣) .

قال الفرّاء والمبرّد : وهما لغتان ، كما قالوا لجماعة البقر : صُوار ، وصِوار^(٤) .

قال أبو الحسن : وأهل مكة يكسرون الشواظ^(٥) . قال ابن عباس : يريد
اللهب الذي لا دخان فيه ، وهو قول المفسرين^(٦) ، وقال مجاهد : هو اللهب
الأخضر المنقطع من النار^(٧) .

وقوله : ﴿وَنُحَاسٌ﴾ . قال أبو عبيدة : النحاس الدخان ، وأنشد للجعدي :

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً^(٨)

(١) انظر : تهذيب اللغة ١١/٣٩٩ ، واللسان (شوظ) ٢/٣٨٢ .

(٢) كذا في نسخة (ك) ، ولعلها (الفيح) ، وهو سطوع الحر وهيجانه .

(٣) قرأ الجمهور : ﴿شَوَاطُ﴾ بضم الشين ، وقرأ ابن كثير والحسن ، وابن محيصن ، والأعمش بكسر
الشين .

انظر : حجة القراءات ٦٩٢ ، والنشر ٢/٣٨١ ، والإتحاف ٤٠٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/١١٧ ، واللسان (شوظ) ٢/٣٨٢ ، و(حور) ٢/٤٩٢ .

(٥) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/٢٤٩ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥/٣١٨ ، والكشف والبيان ٤١ أ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٧١ ، والجامع لأحكام
القرآن ١٧/١٧١ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٧/٨١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٤ .

(٨) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٤٤ . والبيت في ديوان النابغة ٧٥ ، وشواهد الكشاف ١٥٧ ، واللسان
(نحس) ٣/٥٩٦ .

السليط عند عامة العرب الزيت ، وعند أهل اليمن دهن السمسم ، ورجّح ابن منظور أنه الزيت .

انظر : اللسان (سلط) ٢/١٨٢ .

وقال الليث : النحاس الدخان الذي لا لهب له ، وهو قول عطاء ، والكلبي ، وسعيد بن جبير ، والواليبي عن ابن عباس ^(١) .

وقال مجاهد وقتادة : النحاس الصفر المذاب يصب على رؤوسهم ^(٢) .

قال مقاتل : يعني الصفر الذائب ، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار : ثلاثة أنهار على مقدار الليل ، ونهران على مقدار النهار ^(٣) ، وهذا القول في النحاس هو رواية عطية عن ابن عباس ، وهو قول ابن مسعود . قال : النحاس المهمل ، ونحو ذلك قال الربيع : هو القطر ^(٤) .

وأكثر القراءة الرفع في قوله : ﴿ وَنُحَّاسٌ ﴾ بالعطف على قوله (شواظ) . والمعنى : يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس ؛ أي يرسل هذا مرة ، وهذا مرة .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : (ونحاس) كسراً ^(٥) ، وهو ضعيف ؛ لأن معنى الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه على ما ذكره أهل اللغة والمفسرون ، فكيف يكون شواظاً من نحاس ؟ وإن جعلنا النحاس الصفر المذاب فهو أبعد ^(٦) .

قال أبو علي : وهو يجوز من وجه على أن تقدّر : يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس ، يحذف الموصوف ويقيم الصفة مقامه ، كقوله تعالى :

(١) انظر : جامع البيان ٨١/٢٧ وهو اختياره ، والكشف والبيان ٤١/١٢ ب ، والوسيط ٢٢٣/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٧٤/٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٨٢/٢٧ عن مجاهد وقتادة وسفيان ، والكشف والبيان ٤١/١٢ ب ، وزاد نسبته إلى قتادة ، ومعالم التنزيل ٢٧٢/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ أ ، والكشف والبيان ٤١/١٢ ب .

(٤) انظر : الكشف والبيان ٤٩/١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧٢/١٧ .

(٥) قرأ الجمهور : ﴿ وَنُحَّاسٌ ﴾ بالرفع ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وروح : (ونحاس) . انظر : النشر ٣٨١/٢ ، والإتحاف ٤٠٦ .

(٦) انظر : حجة القراءات ٦٩٣ .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] ، و﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦] ، ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] ، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوهُ عَلَى الْغَفَاكِ﴾ [التوبة: ١٠] ، وحذف الموصوف من هذا كله ، كذلك في الآية ، وقد جاء في الشعر :

وما راعنا إلا يسيرُ بشرطةٍ وعهدي به قيناً يفشُ بكير^(١)
فإذا قَدَّرت هذا التقدير كان الموصوف محذوفاً ، والجار أيضاً يكون محذوفاً ؛
لأن التقدير : وشيء من شواظ ، وحذف من ؛ لأن ذكره قد تقدَّم في قوله : (من
نار) ، فحسن ذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم :

على من تَنْزِلُ أَنْزِلُ

وكما أنشد أبو زيد :

فأصبحَ من أساءٍ قيسٌ كقابضٍ على الماءِ لا يدري بما هو قابض^(٢)
أي بما هو قابض عليه ، فيكون انجرار ﴿وَنُحَّاسٌ﴾ على هذا بمن المضمر لا
بالإشراك في من التي جَرَّت في قوله : ﴿مِنْ نَّارٍ﴾ ، وإذا كان كذلك لم يكن الشواظ
الذي هو اللهب قسماً من الدخان ؛ على أن أبا الحسن قد حكى عن بعضهم أنه
قال : لا يكون الشواظ إلا من النار والدخان جميعاً ، ونحو ذلك حكى عن أبي
عمرو ، وعلى هذا فالجر متجه وليس بممتنع^(٣) .

(١) البيت لمعاوية الأسدي كما في الخصائص ٤٣٤/٢ ، وشرح المفصل ٢٧/٤ ، والتصريح بمضمون
التوضيح ٢٦٨/١ ، وشرح شواهد الألفية للعيني ٤٠٠/٤ . فش الكير هو نفخه ، والكير هو زق أو
جلد غليظ ذو حافات . انظر : اللسان (فشش) ١٠٩٧/٢ ، و(كير) ٣٢١/٣ .

(٢) البيت للعجاج . انظر : ديوانه ١٢/١ .

(٣) من قوله : «قال أبو علي» إلى هنا كلام أبي علي رحمه الله ، وانظر : الحجة للقراء السبعة ٦/٢٥٠-٢٥٢ .
قلت : وما قاله أبو علي كلام حسن ، وفيه رد على من ضَعَّف قراءة ابن كثير وأبي عمرو - رحمهما الله - =

قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد لا ناصر لكم من الله تعالى ، وقال مقاتل ^(١) : فلا تمتنعان من ذلك ^(٢) .

٣٧ . وقوله : ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ . قال أبو عبيدة : لونها كلون الورد ^(٣) .

وقال الفرّاء : أراد بالوردة الفرس الورد ، يكون في الربيع وردة إلى الصفرة فإذا اشتد البرد كانت حمراء ، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة ^(٤) . قال ابن دريد : الوردة شقرة تعلوها صفرة ، يقال : فرس ورد ، والجمع وارد ، وسُمّي الذي يُسمّى ورداً لحمته . قال أبو القاسم الزجاجي : أصل الواو والراء مع الدال على هذا النظام موضوع في كلامهم للمجيء والإتيان ، يقال : وردت أرد ووروداً ، ووردت الماشية الماء ترد . ثم من الناس من يقول إن العرب تسمي الأسد الورد لجرأته وتورده على فريسته ، ومنه قول طرفة :

كسيد الغضا نبّهته المتورّد

هو المتقدم على فرسته الذي لا يدفعه شيء ، ثم شبّه لون هذا المتورد بلون الأسد ؛ لأن الغالب عليه الشقرة ، فسُمّي ورداً ، هذا قول ابن درستويه النحوي ^(٥) ، وليس بمرتضى ؛ لأنهم سَمّوا الفرس الذي هو بين الكميت الأحمر وبين الأشقر ويضرب إلى الصفرة ورداً ، والكلام على هذا من طريق التحقيق

=
وبيان لوجهها من الناحية اللغوية ، وإذا صحت القراءة عن رسول الله ﷺ كما هنا فلن نعدم من يحتاج لها من أهل العربية ، ولعل القصور في قواعد اللغة ، وليس في القراءة ، والله أعلم .

(١) في نسخة (ك) : (مقاتلا) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٢ / ٤ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١١٧ .

(٥) هو عبدالله بن جعفر بن درستويه الفارسي .

أن الورد عند العرب من الألوان لون أبيض ورد عليه لون الحمرة والصفرة ، هذا قول أبي إسحاق الزَّجَّاج^(١) ، يقال : وردت المرأة خدها إذا أوردت عليه لوناً غير اللون الأصلي ، قال : ونظير ذلك أنهم يُسَّمون الظليم^(٢) أخرج ، والنعام خرجاء إذا كان لونها يجمع السواد والبياض كأن لوناً خرج إلى لون آخر ، ورماد أخرج وبرمة خرجاء فيها حجارة سود وببيض ، وهذا استعمل فيه معنى الخروج من شيء إلى شيء كما استعمل في الأول معنى الورد .

قوله : ﴿كَالِدِهَانٍ﴾ . قال أبو عبيدة : جماعة دُهْن ، وهو قول الفراء والمبرد والزَّجَّاج^(٣) .

وفي تفسير الآية قولان ؛ أحدهما : وهو الذي عليه الأكثر أنه شَبَّه السماء في تلونها واختلاف ألوانها بالوردة ، وهي الفرس التي تتلون ألواناً . قال الكلبي : تتلون كما تتلون الفرس الورد^(٤) .

وقال الحسن : تلون ألواناً^(٥) ، ثم شَبَّه هذا الفرس الذي يتلون بالدهان بقوله : ﴿كَالِدِهَانٍ﴾ . قال الفراء : شَبَّه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل ، وشَبَّه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه^(٦) ، وهذا قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع وأبي العالية وأكثر أهل التفسير^(٧) ، واختلاف^(٨) الفراء

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠١/٥ .

(٢) الظليم هو ذكر النعام ، وقد تقدَّم .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١١٧/٣ ، ومجاز القرآن ٤٣٩/٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١٠١/٥ .

(٤) انظر : جامع البيان ٨٢/٢٧ عن ابن عباس ، ومعالم التنزيل ٢٧٢/٤ ، وفي الكشف والبيان ٤٢/١٢ أ قال : كالأديم الأحمر .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٧٣ ، وفتح القدير ١٣٨/٥ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١١٧/٣ .

(٧) انظر : تفسير مجاهد ٦٤٢/٢ ، وجامع البيان ٨٢/٢٧ ، والكشف والبيان ٤٢/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٧٢/٤ .

(٨) كذا في نسخة (ك) ، ولم يظهر لي معناها .

والزَّجَّاج ، واحتج بقوله : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج: ٥] ؛ أي كالزيت الذي قد أغلي . وذكر مقاتل السبب في تلون السماء ، قال يعني فصارت من الخوف وردة^(١) .

قال أبو إسحاق : تتلون من الفزع الأكبر كما يتلون الدهان^(٢) ، وعلى هذا يجب أن يكون الله تعالى ركب فيها عقلاً حتى يصح خوفها .

القول الثاني : أن المراد بالوردة هاهنا الحمرة ، والعرب تقول : عشية وردة إذا احمرَّ أفقها عند غروب الشمس ، وذلك علامة الجذب ، ومنه قول زهير :

عَلَوْنَ بِأَنبَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ ورَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ^(٣)
شَبَّهَ حمرة حواشيها بالدم ، والدهان بالأديم الأحمر الصرف ، ذكر ذلك أبو عبيدة والفرَّاء وابن الأعرابي^(٤) .

ومعنى الآية أن الله تعالى أخبر أن السماء تحمر حتى تصير كالأديم الأحمر ، وهذا القول اختيار قطرب وابن الأعرابي .

وذكر بعض أهل المعاني قولاً آخر ، فقال : إن السماء تذوب يوم القيامة من حر نار جهنم فتصير حمراء ذائبة كالدهن ، وعلى هذا وقع التشبيه بالدهن في الذوبان والسيلان^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ أ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠١/٥ .

(٣) من معلقة زهير بن أبي سلمى . انظر : ديوانه ، وشرح المعلقات للزوزني ٦ . والمعنى : أنه وصف الثياب الملقة على الهودج بأنها حمراء الحواشي ، يشبه ألوانها الدم في شجة الحمرة .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١١٧/٣ ، وتفسير غريب القرآن ٤٣٩ ، واللسان (ورد) ٩٠٨/٣ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٢/٤٢ أ ، ونسبه إلى ابن جريج ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٧٣ .

٣٩. وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾ الآية ، يعني : لا يسأل ليعرف ذلك بالمسألة ، وليعرف المذنب من غيره ، فلا يسأل سؤال استفهام ، ولكن يسألون سؤال تقرير وتوبيخ ، وهذا معنى قول مقاتل : لا يسأل لأن الله قد أحصى عمله^(١) ، ومعنى قول الحسن قد حفظ الله عليهم أعمالهم ، وهو قول قتادة ، ورواية العوفي عن ابن عباس ، قالوا : لا يسألون ليعرف ذلك من جهتهم ؛ لأن الملائكة قد كتبت عليهم أعمالهم ، ولا يسألون : هل عملتم كذا ؟ ولكن يسألون : لم عملتم كذا^(٢) ؟

وقال مجاهد : لا يسألون ليعرف المجرمون ؛ فإنهم يعرفون بسيماهم^(٣) ، دليله قوله : ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الآية .

وقال عكرمة : إنها مواقف يسأل في بعضها ، ولا يسأل في بعضها^(٤) .

وقال الكلبي : هذا الفراغ من الحساب^(٥) ، واختار ابن قتيبة هذا القول وشرحه ، فقال : إن يوم القيامة كما قال الله عز وجل : ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤] ؛ ففي هذا اليوم يسألون ، وفيه لا يسألون ؛ لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون ، فإذا انتهت المسألة وخبث الحجة انشقت السماء ، فكانت وردة كالدهان ، وانقطع الكلام ، وذهب الخصام ، واسودت وجوه قوم ، وابيضت وجوه آخرين ، وعرف الفريقان بسيماهم .

وقد حصل في هذا أربعة أقوال :

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ أ .
 (٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٦٥ ، وجامع البيان ٢٧/ ٨٣ ، والكشف والبيان ١٢/ ٤٢ أ ب .
 (٣) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٧٤ .
 (٤) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ٤٢ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٥ .
 (٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٧٤ ، وفتح القدير ٥/ ١٣٨ .

أحدها : لا يسألون سؤال استفهام عن ذنوبهم ، وهو اختيار الزَّجَّاج ^(١) .

والثاني : لا يسألون ليعرفوا بذنوبهم ، وهو اختيار الفراء ^(٢) .

والآخر : لا يسألون في بعض المواقف .

والرابع : لا يسألون بعد الفراغ من الحساب .

قوله تعالى : ﴿إِنْسُ وَلَا جَانٌّ﴾ . قال مقاتل : يقول إنسي ولا جني ^(٣) .

والجان هاهنا واحد الجن . قال ثعلب ، عن عمرو ، عن أبيه : الجان من الجن وجمعه جنان ^(٤) ، ويدل على صحة قول مجاهد في هذه الآية .

٤١ . قوله تعالى : ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَمْتِهِمْ﴾ . قال جماعة المفسرين : يعرف بسواد الوجوه وزرقة الأعين ^(٥) ، ودليل ذلك قوله : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، وقوله : ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه : ١٠٢] .

قال عطاء عن ابن عباس في تفسير المجرمين في هذه الآية : يريد أبا جهل والأسود والوليد والنضر .

قوله تعالى : ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ . قال الكلبي : تأخذهم الملائكة وهم على الصراط بنواصيهم فيصرعونهم في النار ^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠١/٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١١٧/٣ .

(٣) انظر : روح المعاني ٢٧/١١٤ ، وليس في تفسير مقاتل .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٠/٤٩٣ ، واللسان (جنن) ١/٥١٦ .

(٥) انظر : تفسير عبد الرزاق ٢/٢٦٥ ، وجامع البيان ٢٧/٨٣ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٢٠ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٧٣ .

وروى الأعمش عن رجل عن ابن عباس ، قال : يؤخذ بناصيته وقدميه ، فيكسر كما يكسر الخطب ، ويطرح في التنور^(١) .

وقال أبو إسحاق : نجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ، ويلقون في النار ، وذلك أشد لعذابهم والتشويه بهم^(٢) ، ويقال لهم :

٤٣ . ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ . قال الكلبي : تقول الملائكة لهم : هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها أنها لا تكون^(٣) .

ثم أخبر عن حالهم فيها ، فقال :

٤٤ . ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ . قال أبو عبيدة : (آن) بلغ إناه في شدة الحر ، وكل مدرِكٌ آن^(٤) .

وقال الفراء : هو الذي قد انتهى شدة حره^(٥) .

قال الزَّجَّاج : أي يأتي فهو آن إذا انتهى في النضج والحرارة^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور ، والدرر ١٤٥ / ٦ ، وفي تفسير ابن كثير ٢٧٥ / ٤ عن الأعمش عن ابن عباس وذكره .

(٢) انظر : معاني القرآن ١٠١ / ٥ ، ١٠٢ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٣٢٥ / ٥ ، والوسيط ٢٢٥ / ٤ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١١٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠٢ / ٥ .

قال عطاء : يريد قد انتهى غليانه كقوله : ﴿ مِنْ عَيْنٍ أِنِيَّةٍ ﴾ [الغاشية : ٥] ، يريد حارة^(١) ، وقال الحسن : قد بلغ منتهى حره ، وهذا قول الجماعة^(٢) .

ومعنى الآية أنهم يسعون بين عذاب الجحيم وبين الحميم ، فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار كالمهل ، وهو قوله : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا ﴾ [الكهف : ٢٩] الآية ، نستجير بالله برحمته منها^(٣) .

قال أهل المعاني^(٤) : وكل ما ذكر من قوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ إلى هنا مواعظ ومزاجر وتهديد ووعد وزجر وتخويف ، وهي كلها نعمة من الله تعالى بالانزجار به عن المعاصي ، ولذلك ختم كل آية بقوله : ﴿ فَإِنِّي إِلَٰهٌ رَّكِيكٌ تَكْذِبَانِ ﴾ .

٤٦ . ثم أعلم - عز وجل - ما لمن اتقاه وخافه ، قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ . وقد ذكرنا أن المقام يجوز أن يكون مصدراً وموضعاً عند قوله : ﴿ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ [مريم : ٧٣] ، وهاهنا أيضاً يجوز المعنيان^(٥) ؛ فإن جعلته موضعاً كان المعنى مقامه بين يدي ربه للحساب ؛ أي المقام الذي يوقفه فيه ربه ، وإن جعلته مصدراً جاز فيه وجهان ؛ أحدهما :

(١) لم أجده عن عطاء ، وعن ابن عباس قال : يقول : غلي حتى انتهى غليه ، ومثله عن الضحاك .

انظر : جامع البيان ٨٤ / ٢٧ .

(٢) قال ابن كثير : وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والحسن ، والثوري ، والسدي .

انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٧٦ / ٤

(٣) في (ك) : (قوله تعالى) زيادة لا فائدة منها .

(٤) انظر : الوسيط ٢٢٥ / ٤ ، والتفسير الكبير ١٢١ / ٢٩ .

(٥) في (ك) : (المعنيين) المَقَام والمَقَامَى : الموضع الذي تقيم فيه . والمَقَامَة (بالضم) : الإقامة ، والمَقَامَة (بالفتحة) : المجلس والجماعة من الناس . وأما المَقَامُ والمَقَامُ فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة . اللسان (قوم) ١٩١ / ٣ .

قيامه لربه يدل عليه قوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ، والآخر : قيام ربه عليه ؛ أي إشرافه وإطلاعه عليه بالعلم ، ويدل عليه قوله : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية .

والمفسرون على القول الأول في المقام . قال ابن عباس : يريد مقامه بين يدي ربه ، خاف ذلك المقام فترك المعصية والشهوة ^(١) .

وقال مجاهد : إذا همَّ بمعصية فذكر مقام الله عليه في الدنيا فتركها ^(٢) ، وعلى هذا المقام مصدر .

قوله تعالى : ﴿جَنَّانٍ﴾ : كلام بعض المفسرين يدل على أن كل من ترك المعصية خوفاً من الله فله جنتان على حدته لا يشاركه فيها غيره ، وكلام بعضهم يدل على أنها جنتان لكل من خاف الله تبارك وتعالى بترك المعصية على المشاركة فيها ^(٣) ، وهذا معنى قول مقاتل ، يعني جنة عدن وجنة النعيم ^(٤) ، ويدل على القول الأول ما روي أن النبي ﷺ قال في تفسير الجنتين : «هما بستانان في رياض الجنة» ^(٥) .

(١) انظر : تنوير المقياس ٣٢٠ / ٥ ، ومعالم التنزيل ٢٧٣ / ٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٨٥ ، والكشف والبيان ١٢ / ٣٤ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧٦ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢ / ١٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ ب .

(٥) أخرج ابن مردويه عن عياض بن تميم أنه سمع رسول الله ﷺ تلا . . . وذكر نحو هذا وزيادة ، وذكره القرطبي عن ابن عباس عن النبي ﷺ نحوه . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧٧ ، والدر ١١٧ / ٦ ، وهو المعنى المروي عن ابن عباس في تنوير المقياس ٣٢ / ٥ .

قال الفرّاء : وقد يكون في العربية جنة واحدة فثبت لرؤوس الآي كما قال^(١) :

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ قَطَعْنَهُ بِالْأَمِّ لَا بِالسَّمْتَيْنِ
يرد مهما وسمتا واحدا^(٢) ، ويريد بالسمت اهتداء بنجم أو بعلامة .

وأنكر ابن قتيبة ذلك أشد إنكار ، وقال : نعوذ بالله أن نجيز على الله الزيادة والنقصان في الكلام لرأس آية ، كيف يكون هذا وهو يصفهما صفات الاثنين في قوله : ذواتا ، وفيهما ؟

ولو أن قائلًا قال في خزنة النار إنهم عشرون ، وإنما جعلهم تسعة عشر لرؤوس الآي ، كما قال الشاعر^(٣) :

نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ

وهم خمسة فجعلهم للقافية أربعة ما كان في هذا القول إلا كالفرّاء^(٤) .

(١) البيت لخطام المجاشعي ، وقيل لهيان بن قحافة . انظر : الكتاب ١ / ٢٤١ ، واللسان ٢ / ١٩٧ ، وفيه : (بالأم) بدلاً من (بالسَّمْت) ، والخزانة ١ / ٣٦٧ ، وأما ابن الشجري ١ / ١٠ ، وفي ألفاظه اختلاف . والمعنى في البيت أنه قطع المفازة على طريق وحجة لا على طريقين ، وقال : قطعت ، ولم يقل : قطعتهما . السمت : السير على طريق ما لظن ، وقيل : هو السير بالحدس والظن على غير الطريق . والأم : القصد على طريق مستقيم . اللسان (سمت) ٢ / ١٩٧ ، و(مهمه) ٣ / ٥٤٤ ، و(أمم) ١ / ١٠١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١١٨ .

(٣) البيت من الرجز ، وهو للبيد ، وعجزه :

ونحن خيرُ عامر بن صعصعة

انظر : ديوانه ٣٤٠ ، والأغاني ١٤ / ٩١ ، والكتاب مع شرح شواهد للأعلم ١ / ٣٢٧ ، والخزانة ٤ / ١٧١ .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٣٩-٤٤١ . وقال النحاس : وهذا القول - أي قول الفرّاء - من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل ، يقول الله عز وجل : ﴿جَنَّاتٍ﴾ ، ويصفها بقوله : ﴿فِيهَا﴾ ، فيدع الظاهر ويقول : يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧٧ .

ثم وصفها ، فقال :

٤٨ . ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ . قال أبو عبيدة : الأفنان : الأغصان واحدها فَنَن وهو الغصن المستقيم طويلاً ، ويقال لحصل الشعر أفنان تشبيهاً لها بالأغصان ، ومنه قول حميد :

يَنْقُضْنَ أَفْنَانَ السَّيِّبِ وَالْعُدْرَ^(١)

يصف الخيل ، ويقصد حصل شعر نواصيها وعرفها ، وقال المرار :

أَعْلَاقَةٌ أَمَّ الْوَلِيدِ بَعْدَمَا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثُّغَامِ الْمُخْلِسِ^(٢)
يعني : حُصِّلَ جُمَّةُ رَأْسِهَا حِينَ شَابَتْ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : الأفنان : الألوان^(٤) ، فقال أبو الهيثم : فسره بعضهم ذواتا أغصان ، وبعضهم ذواتا ألوان ، واحدها حينئذ فن وفنن ، كما قالوا : سن وسنن ، وعن وعنن . قال الأزهري : واحد الأفنان إذا أردت بها الألوان فن ، وإذا أردت بها الأغصان فنن ، والفن الضرب من كل منها ، وجمعه فنون وأفنان .

(١) اللسان ١١٣٨/٢ ، ولم ينسبه .

السيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية . اللسان (سب) ٧٩/٢ ، والعُدْرُ : جمع عذار ، وهو ما وقع منه على خدي الدابة ، وقيل : عذارُ اللجام السيران اللذان يجتمعان عند القفا . اللسان (عذر) ٧١٨/٢ .

(٢) ورد البيت منسوباً في الكتاب مع شرح شواهد إلى الأعم ٦٠/١ ، والمقتضب ٥٤/٢ ، وتهذيب اللغة (فنن) ٤٦٦/١٥ ، وأمل الشجري ٢٤٢/٢ ، والخزانة ٤٩٣/٤ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤٦٦/١٥ ، واللسان (فنن) ١١٣٨/٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١٠٢/٥ .

وأنشد الليث^(١) :

قَدْ لَبِثْتُ الدَّهْرَ مِنْ أَفْنَانِهِ كُلَّ فَنٍّ نَاعِمٍ مِنْهُ حَيْرِ

وذكر المفسرون أيضاً القولين ، فقال مجاهد : أغصان ، وهو معنى قول الحسن : ذواتا ظلال ؛ لأنه يريد ظل الأغصان ، وقد صرح به عكرمة ، فقال : ظل الأغصان على الحيطان ، وهذه رواية عطية عن ابن عباس والكلبي^(٢) .

وقال الضحاك : ذواتا ألوان من الفاكهة ، وهو قول سعيد بن جبير^(٣) . وجمع عطاء بين القولين ، فقال : يريد في كل غصن فنون من الفاكهة ، قال : والفنون أصناف^(٤) .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة ، حصباؤها الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، تراهما الكافور ، وجماتها المسك الأذفر ، وحافاتها الزعفران^(٥) .

وقال الحسن : تجريان بالماء الزلال ؛ إحداهما السلسبيل ، والأخرى النسيم^(٦) .

(١) البيت للمرار بن منقذ العدوي كما ذكر في المفضليات ٨٢ ، وتهذيب اللغة (حبر) ٣٤ / ٥ . الحبر : النعم . وقال شمر : الحبر صفرة تركب الإنسان ، وهي الحبرة . وانظر : تهذيب اللغة ، واللسان (فنون) ١١٣٧ / ٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ٨٦ / ٢٧ ، والكشف والبيان ٤٣ / ١٢ ب ، والوسيط ٢٢٦ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٧٤ / ٤ .

(٣) انظر : جامع البيان ٨٦ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٧٤ / ٤ .

(٤) انظر : الوسيط ٢٢٦ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٧٤ / ٤ . قال ابن كثير بعد ذكره الأقوال : وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها ، والله أعلم . تفسير القرآن العظيم ٢٧٧ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧٨ / ١٧ ، ١٧٩ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ٤٣ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧٤ / ٤ .

٥٢. قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهِتٍ زَوْجَانِ﴾؛ أي ضربان وصنفان ونوعان ، كل هذا من ألفاظهم . والمعنى أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين : رطباً ويابساً ، لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب ، ولا رطبه عن يابسه في العدم^(١) كما يكون في الدنيا ، وقيل : ضربان : ضرب معروف ، وضرب من شكله غريب^(٢) .

٥٤. قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا﴾ . قال صاحب النظم : (متكئين) حال للذين ذكروا في قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾^(٣) ، و(من) ينبئ عن الجميع .

وقوله: ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بطانة ، وهي التي تحت الظهارة ، وذكرنا تفسيرها عند قوله: ﴿بَطَانَةٌ مِّنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] .
قال أبو إسحاق : وهي ما يلي الأرض^(٤) .

وقال الفراء : أراد بالبطائن الظواهر ، وقد يكون بالبطانة ظهارة والظهارة بطانة ؛ وذلك أن كل واحد منهما يكون وجهاً ، وقد تقول العرب : هذا ظهر السماء لظاهرها الذي نراه .

وحكي عن ابن الزبير أنه ذكر قتلة عثمان ، فقال : قتلهم الله شر قتلة ، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب ، يعني : هربوا ليلاً فجعل ظهور الكواكب

(١) كذا في (ك) ، والوسيط ، ولم أتبين معناها .

(٢) جامع البيان ٢٧/٨٦ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٧٤ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٣١٣ ، والبحر المحيط ٨/١٩٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥/١٠٤ ، وفتح القدير ٥/١٤١ .

بطوناً^(١)، وهذا قول مقاتل، قال: يعني ظواهرها^(٢)، ونحو ذلك قال المؤرج، قال: وهو بلغة القبط، وأنكر ذلك ابن قتيبة، وقال: هذا من عجيب التفسير، كيف تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة، والبطانة ما بطن من الثوب وكان من شأن الناس إخفاؤه، والظهارة ما ظهر وكان من شأن الناس إبدائه، وإنما يجوز ما قاله الفرّاء في ذي الوجهين المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قوماً كحائط يلي أحد صفحيه قوماً والصفح الآخر قوماً أخرى؛ فكل وجه من الحائط ظهر لمن يليه، وكل واحد من الوجهين ظهر وبطن، وكذلك وجهها الجبل وما شاكله، ويجوز أن يجعل ما يليهما من وجه السماء والكواكب ظهراً وبطناً، وكذلك سقوف البيت، فأما الثوب فلا يجوز أن يكون بطانته ظهارة، وظهرته بطانة، ولا يجوز لأحد أن يقول لوجه المصلى هذا بطانته ولما ولي الأرض ظهارته، وإنما أراد الله تعالى أن يعرفنا من حيث نفهم فضل هذه الفرش، وإنما ولي الأرض منها إستبرق، وإذا كانت البطانة كذلك فالظهارة أعلى وأشرف^(٣).

ويؤكد قول ابن قتيبة ما روي عن ابن مسعود أنه قال: أخبرتم بالبطائن فكيف بالظواهر^(٤).

وقال أبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر^(٥)، وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر، فقال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال أيضاً: الظواهر من نور جامد^(٦)، وقال

(١) انظر: معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١١٨، والكشف والبيان ١٢/ ٤٤ أ، وتفسير غريب القرآن ٤٤١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٣٦ ب، وذكره القرطبي ١٧/ ١٨ عن الحسن.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن ٤٤١، ٤٤٢.

(٤) انظر: جامع البيان ٢٧/ ٨٦، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٧٤، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٧.

(٥) انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٤٤ أ، وزاد المسير ٨/ ١٢١، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٧٩.

(٦) انظر: جامع البيان ٢٧/ ٨٦، والكشف والبيان ١٢/ ٤٤ أ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٧٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٧٩.

ابن عباس : وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر^(١) .

وقوله : ﴿مَنْ اسْتَبْرَقَ﴾ . قال المفسرون : يعني ما غلظ من الديباج ، وذكرنا الكلام فيه في سورة الكهف^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ : الجنى ما يجتنى من الثمار . قال ابن عباس : تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله إن شاء قائماً ، وإن شاء قاعداً ، وإن شاء مضطجعا^(٣) ، وقال قتادة : لا يرد يده بُعد ولا شوك^(٤) .

وقال أبو إسحاق : تدنو منهم حتى يتناولوه بأفواههم أو بأيديهم^(٥) .

قوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ﴾ . قال مقاتل : يعني في الجنتين اللتين ذكرتا بعد في قوله : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ، قال : وهي جنة عدن ، وجنة النعيم ، وجنة الفردوس ، وجنة المأوى^(٦) ، فقال أبو إسحاق : قوله (فيهن) وإنما ذكر جنيتين يعني في هاتين الجنتين ، وما أعد لصاحب هذه القصة غير هاتين الجنتين^(٧) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٧٤ ، وزاد المسير ٨ / ١٢١ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم ٣١ من سورة الكهف . انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١١٨ ، واللسان (برق) ١٩٧ / ١ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤ / ٣٢١ ، والوسيط ٤ / ٢٢٧ ، وابن كثير ٤ / ٢٧٧ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٦٥ ، وجامع البيان ٢٧ / ٨٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٠٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ ب .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٨ .

وقال غيره من أهل المعاني^(١) : الضمير يعود على الفرش ، وهي أولى بالعود عليها من الجنان لتقدم ذكرها ، قال : ويجوز أن يرجع إلى الجنان لأنها معلومة فصارت كأنها قد ذكرت .

٥٦ . وقوله : ﴿ قَصِرَتْ الظُّرْفُ ﴾ ؛ أي حور ونساء قاصرات الأطراف ، وقد تقدم تفسيرها عند قوله : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتْ الظُّرْفُ ﴾^(٢) .

قال ابن عباس : قصرت طرفها على زوجها فلا ترى أن خلقاً أكرم على الله منه ولا أجمل ولا أحسن^(٣) ، وقال ابن زيد : إنها لتقول لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي .

قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ ﴾ . قال أبو عبيدة : لم يمسهن ، يقال : ما طمث هذا البعير جبل قط ؛ أي ما مسه .

ونحو ذلك أخبرني العروضي^(٤) عن الأزهري ، قال : أخبرني المنذري ، عن ابن فهم ، عن محمد بن سلام ، أنه سأل يونس عن قوله : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ ﴾ ، فقال : تقول العرب : هذا جمل ما طمته جبل قط ؛ أي لم يمسه^(٥) .

وروى سلمة عن الفراء ، قال : الطمث الافتضاض ، وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم ، وفيه لغتان : طَمَثَ يَطْمُثُ وَيَطْمِثُ^(٦) ، وقال الليث : طمّث الجارية إذا افترعتها ، والطماث في اللغة هي الحائض . قال أبو الهيثم : يقال للمرأة

(١) قال الزمخشري : ﴿ فِيْهِنَّ ﴾ في هذه الآلاء المعهودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى ، أو في الجنتين لاشتغالها على أماكن وقصور ومجالس . الكشف ٥٤ / ٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٨٧ / ٢٧ ، والكشف والبيان ٤٤ / ١٢ ب ، والبغوي ٢٧٥ / ٤ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢٤٧ / ٢ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي الصفار ، تقدمت ترجمته .

(٥) انظر : اللسان (طمث) ٦١٢ / ٢ . ذكر المعنى ولم يورد الرواية ، ولم أقف عليها في تهذيب اللغة .

(٦) انظر : معاني القرآن ١١٩ / ٣ ، واللسان (طمث) ٦١٢ / ٢ .

طمثت تطمث ؛ أي أدميت بالافتضاض ، وطمثت على فعلت تطمث ، إذا حاضت أول ما تحيض وهي طامث ، وقال في قول الفرزدق ^(١) :

خرجن إليّ لم يطمثن قبلي وهنّ أصحُّ من بيضِ النعامِ
أي لم يمسن ^(٢) .

قال المفسرون : لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن ، هذه ألفاظهم ^(٣) ، وهم مختلفون في هؤلاء ؛ فبعضهم يقول : هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها ، وبعضهم يقول يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفن .

قال الشعبي : نساء من نساء الدنيا لم يمسن منذ أنشئن خلقاً ^(٤) .

وقال مقاتل : لأنهن خلقن في الجنة ^(٥) .

وقال عطاء عن ابن عباس : هن الأدميات اللاتي متن أبكاراً ^(٦) .

وقال الكلبي : لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان ^(٧) .

(١) انظر : ديوان الفرزدق .

(٢) انظر : اللسان (طمث) ٦١٢/٢ .

(٣) وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وابن زيد والكلبي وغيرهم . انظر : جامع البيان ٨٧/٢٧ ، والكشف والبيان ٤٤/١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧٥/٤ ، وزاد المسير ١٢٢/٨ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر . انظر : الدر ١٤٨/٦ ، ومعالم التنزيل ٢٧٥/٤ .

(٥) قاله مقاتل ومجاهد . انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٧ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : الوسيط ٢٢٧/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٧٥/٤ ، وروح المعاني ١١٩/٢٧ .

قال أبو إسحاق : وفي هذه الآية دليل أن الجني يغشى كما أن الإنسي يغشى^(١) ، وهذا مذهب ضمرة بن حبيب^(٢) ، سُئِلَ : هل للجن من ثواب ؟ فقال : نعم ، وقرأ هذه الآية ، ثم قال : الإنسيات للإنس ، والجنات للجن^(٣) .

وقال مجاهد في هذه الآية : إذا جامع الرجل ولم يُسَمَّ أنطوى الجان على إحليله فجامع معه^(٤) .

والضمير في قوله : ﴿ قَبَلَهُمْ ﴾ للمعنيين بقوله : ﴿ مُتَكِّينَ ﴾ ، وهم أزواج هؤلاء النسوة .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ . قال عامة المفسرين^(٥) : أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان ، شَبَّهَهُنَّ في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ، يدل على هذا ما قال عبدالله : إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حُلَّةً من حرير فيرى بياض ساقها من ورائهن ؛ ذلك بأن الله يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ، ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن ١٠٣/٥ .

(٢) هو ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي ، أبو عتبة الحمصي ، ثقة ، توفي سنة ثلاثين ومائة هجرية ، أخرج له الجماعة . انظر : طبقات ابن سعد ٧/٤٦٤ ، وتقريب التهذيب ١/٣٧٤ ، وتهذيب التهذيب ٤/٤٥٩ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧/٨٨ ، والكشف والبيان ١٢/٤٥ أ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٨ ، والدر ٦/١٤٨ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧/٨٨ ، والكشف والبيان ١٢/٤٤ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨١ .

(٥) ومن قال بهذا عمرو بن ميمون ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، والشَّسْدي ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ١٣٦ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٦٥ ، وجامع البيان ٢٧/٨٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٨ .

(٦) أخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : في صفة نساء أهل الجنة ، وابن جرير في تفسيره ٢٧/٨٨ ، =

٦٠. قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾: هذا استفهام معناه النفي؛ أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة، قاله الزَّجَّاج^(١).

قال ابن عباس: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بها جاء به محمد ﷺ إلا الجنة^(٢)؟ وقال مقاتل: هل جزاء التوحيد إلا الجنة^(٣)؟

وقال السُّدِّي: هل جزاء الذين أطاعوني في الدنيا إلا الكرامة في الجنة^(٤)؟

هذا معنى قول الجميع^(٥)، وروي هذا المعنى مرفوعاً، رواه ابن عمرو وابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: «يقول الله تعالى: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي»^(٦).

وابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير في تفسيره ٢٧٨/٤، وغيرهم، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ، كلهم من طريق عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب، وأخرجه الترمذي وابن جرير من طرق أخرى، وفيها عطاء بن السائب موقوفاً. وقال الترمذي: هو أصح، وعطاء بن السائب اختلط في آخر عمره. وذكر الطحاوي أن حديثه الذي كان منه قبل تغيره يؤخذ من أربعة لا من سواهم، وهم: شعبة، وسفيان الثوري، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد. انظر: الكواكب النيرات ٣٢٥.

وهذا الحديث ليس من طريق هؤلاء، وهو ضعيف بهذا الإسناد. وفي معناه ورد أحاديث صحيحة منها ما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة ١٤١/٤، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والله أعلم. انظر: العظمة ٣/١٠٨٢، ١٠٨٣.

(١) انظر: معاني القرآن ١٠٣/٥.

(٢) انظر: تنوير المقباس ٣٢٥/٥، والوسيط ٢٢٧/٤، ومعالم التنزيل ٢٧٦/٤.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ١٣٦ ب.

(٤) انظر: الكشف والبيان ١٢/٤٦ أ.

(٥) قال الرازي: وفيه - أي الآية - وجوه كثيرة حتى قيل: إن في القرآن ثلاث آيات في كل آية منها مائة قول. ومنها هذه الآية. انظر: التفسير الكبير ٢٩/١٣١.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ٨٩/٢٧، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/١٢٣، والبخاري في معالم التنزيل ٢٧٦/٤. قال محقق زاد المسير: رواه البخاري في تفسيره وفي إسناده ضعف، وقال السيوطي في الدر ١٤٨/٦: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، وضعفه عن =

٦٢. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ . قال ابن عباس : يريد أدنى من الأوليين^(١) . قال ابن جريج : هي أربع : جنتان للمقربين السابقين كما وصفنا ، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين^(٢) كما وصفنا في ما بعد ، ونحو هذا قال مقاتل^(٣) ، وهو قول أكثر المفسرين أن هاتين دون الأوليين في الفضل ، ذكر ذلك ابن زيد والكلبي وغيرهما^(٤) .

وذهب الضحاك إلى ضد ما ذكر هؤلاء ، فقال : الجنتان الأوليان من ذهب وفضة ، والأخريان من ياقوت وزمرد ، وهما أفضل من الأوليين^(٥) .

وعلى هذا قوله : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ ؛ أي ومن أمامهما وقبلهما ، وهو قول الكسائي . وذكرنا معاني (دون) عند قوله : ﴿شُهِدَ آتَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] .

٦٤. ثم نعتهما ، فقال : ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ . قال أبو عبيدة : من خضرتهما قد اسودَّتا من الري^(٦) . قال أبو إسحاق : وكل نبت اخضر ، فتمام خضرته وريته أن يضرب إلى السواد^(٧) .

ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ . . . انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٧٨/٤ . والألفاظ تختلف عما ذكره المؤلف ، وطريقته كما هو معلوم الرواة بالمعنى ، ولكثرتها لم أتطرق إلى ذكر الاختلاف فيها ، والله أعلم .

- (١) انظر : تنوير المقباس ٣٢٥/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٧٦/٤ .
- (٢) انظر : الكشف والبيان ٤٦/١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٦/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨٣ .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ أ .
- (٤) انظر : جامع البيان ٨٩/٢٧ ، والكشف والبيان ٤٦/١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٦/٤ .
- (٥) انظر : معالم التنزيل ٢٧٦/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨٤ .
- (٦) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٤٦ .
- (٧) انظر : معاني القرآن ٥/١٠٣ .

ومعنى الدَّهْمَةُ في كلام العرب السواد ، يقال : أدهم بين الدهمة وادهامً
أذهيماً ، وقال الليث : أذهامً الزرع إذا علاه السواد رياً^(١) .

قال ابن عباس : شديد الخضرة إلى السواد^(٢) .

وقال الكلبي : خضراوان قد علاهما سواد من شدة الخضرة والري^(٣) ، وهذا
معنى قول الجميع ، والأصل في ذلك أن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد ،
وسمّيت العرب الأخضر أسود والأسود أخضر ، قال ابن الأعرابي : الخضرة عند
العرب سواد ، وأنشد القطامي :

يا ناقُ خُبِّي خَبَباً زَوَّراً عارضي الليل إذا ما اخْضَرَّ
ومنه قيل لليل المظلم أخضر . قال ذو الرمة :

في ظِلٍّ أخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ^(٤)

(١) انظر : تهذيب اللغة ٦ / ٢٢٤ ، واللسان (دهم) ١ / ١٠٢٦ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٨٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٢٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٧٦ .

(٤) وصدره :

قَدْ أَعْصَفَ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْصِفُهُ

انظر : الديوان ١ / ٤٠١ ، والحيوان ٦ / ١٧٥ ، وتهذيب اللغة (خضر) . والعسف : ركوب الأمر بلا

تدبير ولا روية ٧ / ٩٩ . ورواية الديوان :

في ظِلٍّ أعْصَفَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ

ومن هذا يقال : أباد الله خضراءهم ؛ أي سوادهم هذا في الأسود الذي وصف بالخضر ، وأما الأخضر الذي وصف بالسواد فهو قول ذي الرمة أنشده ابن قتيبة في تفسير هذه الآية يصف غيثاً :

كسا الأكم بهمى غضة حبشية^(١) تؤاماً ونُنعان الظهور الأقارع^(٢)
فجعلها حبشية لما اشتدت خضرتها^(٣) ، وكذلك قوله أيضاً أنشد أبو علي في تفسير هذه الآية :

حواء قرحاء أشرافية وكفت^(٤) فيها الذهاب وحفتها البراعيم^(٥)
يصف روضة بشدة الخضرة فجعلها حواء .

قال أبو علي : وعلى ضد هذا وصف الجذب البياض ، ف قيل : سنة شهداء ، من ذلك قول أوس :

على دبر الشهر الحرام بأرضنا وما حولها جذب سنون تلمع^(٦)
فقوله : تلمع ؛ معناه أنه لا خصب فيها ولا نبات .

٦٦ . وقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾ . قال أبو عبيدة : فوّارتان . قال الليث : النضخ فور الماء من العين^(٧) ، وقال المبرّد : النضخة الرفاعة بالماء .

(١) البيت في ديوانه ، واللسان (قزع) ٦٦/٣ . الهمى : نبت تجذب به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر ، والننعان : جمع (نقع) ، وهو مجتمع الماء ، والظهور القوارع : الأراضي المرتفعة الشديدة الصلابة .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٣) انظر : الكامل ٣٦/٣ .

(٤) تقدّم تخريجه .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نضخ) ١١١/٧ .

واختلفوا في الذي تنضخ به العينان ، فقال عطاء عن ابن عباس وابن مسعود وأنس : تنضخ على أولياء الله المسك والعنبر والكافور ، وفي دور أهل الجنة كما ينضخ طش المطر^(١) ، وقال الحسن وعطاء الخراساني : تنبعان ثم تجريان^(٢) ، وهو قول سعيد بن جبير ، وزاد فقال : نضاختان بالماء وألوان الفواكه^(٣) .

وقال الكلبي : نضاختان بالخير والبركة على أهل الجنة ، وهو قول قتادة ومقاتل والضحاك^(٤) .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ، قال المفسرون : يعني ألوان الفاكهة وألوان الرمان .

قال ابن عباس : والرمانه مثل جلد البعير المقتب^(٥) ، وثمر النخلة والرمان من جملة الفاكهة ، غير أنها ذكرا على التفصيل للتفصيل ، فأخرجنا من الجملة بالذكر كقوله : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ، فأعاد

(١) انظر : الكشف والبيان ٤٦ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧٦ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٨٥ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ٤٦ / ١٢ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٨٥ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٨٥ ، والدر ١٥ / ٦ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٣٢٥ / ٥ ، وتفسير مقاتل ١٣٧ أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢٦٦ / ٢ ، واختار الطبري قول من قال بأن المراد تنضخان بالماء ؛ لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء . جامع البيان ٩١ / ٢٧ ، وأخرج البخاري عن ابن عباس في قوله : ﴿ نَضَاجَتَانِ ﴾ قال : فياضتان . صحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة الرحمن) ١٨١ / ٦ . قلت : ولا تعارض بين ما رواه البخاري وما رجَّحه ابن جرير ؛ لأن الماء هو مصدر الخير كله ، والله أعلم .

(٥) رواه الثعلبي في تفسيره ٤٧ / ١٢ أ ، من رواية أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ . وأبو هارون اسمه عمارة بن حديث ، ضعيف جداً ، وتخريجات العراقي لإحياء علوم الدين ٤ / ٥٤٢ ، وذكره القرطبي ١٧ / ١٨٦ ، وابن كثير ٤ / ٢٧٩ من حديث أبي سعيد الخدري يرفعه ، ونسباً تخريجه إلى ابن أبي حاتم .

الوسطى بعد أن ذكرها في الجملة تشديداً لها ، كذلك أعيد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة ، هذا قول الفرّاء^(١) .

وقال أبو إسحاق : قال يونس النحوي - وهو يتلو الخليل في القدم والحدق - أن الرمان والنخل من أفضل الفاكهة ، وإنما فصلاً بالواو لفضلها ، واستشهد في ذلك بقوله جل وعز : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة: ٩٨] ، قال : فصلاً بالواو لفضلها^(٢) .

وغلط أهل العراق حين لم يجعلوا الحالف أن لا يأكل الفاكهة حائناً بأكل الرمان والتمر ، وظنوا أنها لما ذكرنا بعد الفاكهة ليسا من الفاكهة^(٣) ، وهو خلاف قول جميع أهل اللغة ، ولا حجة لهم في الآية .

قال الأزهري : ما علمت أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها إنها ليست من الفاكهة ، وإنما قال من قال ذلك لقلة علمه بكلام العرب وعلم اللغة وتأويل القرآن العربي المبين ، والعرب تذكر أشياء جملة ثم تخص شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه ، قال الله عز وجل : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمِيكَالَ ﴾ ؛ فمن قال : إنها ليسا من الملائكة لإفراد الله إياهما بالتسمية فهو كافر ، ومن قال : إن ثمر النخل والرمان ليس من الفاكهة لإفراد الله إياهما بالتسمية بعد ذكر الفاكهة فهو جاهل . هذا كلامه^(٤) .

(١) انظر : معاني القرآن ٣/ ١١٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٠٣ .

(٣) قال أبو حنيفة وأبو ثور : وحجتهم أن المعطوف يغير المعطوف عليه ، وخالفهم في ذلك الجمهور من الفقهاء وأهل اللغة . انظر : المغني ١٣/ ٥٩١ ، ٥٩٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (فكه) ٦/ ٢٥ . قلت : غفر الله للأزهري في كلامه هذا ؛ إذ كان ينبغي له ، وهو أهل فضل وعلم ، أن يعرف لأهل الفضل فضلهم ؛ فأصحاب هذا القول - رحمهم الله - وإن جانبهم الصواب فيه ، فلهم من السبق والرسوخ ما يرفع من قدرهم ومكانتهم عند من جاء بعدهم ، عفا الله عن الجميع ، وجمعنا وإياهم في جنته .

٧٠. قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾: يعني في الجنان الأربع التي جرى ذكرهما^(١).

وخيرات جمع خَيْرَة، وهي في الأصل بالتشديد ثم خَفَّفَ، كما قيل: هَيْنٌ وَلَيْنٌ، وذكر الفراء فيها ثلاث لغات: خَيْرَة، وخَيْرَة، وخَيْرَة^(٢)، وكذلك في الجمع.

وقال المبرد: الخيرة الفاضلة المقدمة، ويقال: رجلٌ خَيْرٌ وامرأةٌ خَيْرَة^(٣)، وأنشد أبو عبيدة: (٤)

ولقدْ طَعَمْتُ بِجَامِعِ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتٍ هِنْدٍ خَيْرَةِ الْمَلِكَاتِ
وأنشد ابن السكيت:

تأبري يا خيرة الغسيلِ

وفرق الليث بين الخَيْرَة والخَيْرَة، قال: خَيْرَةٌ صالحة وخَيْرَةٌ في جماها وميسمها^(٥). قال الأزهري: ولا فرق عندي بينهما في المخففة من المشددة^(٦).

(١) انظر: معاني القرآن للقرّاء ١٢٠/٣، والكشف والبيان ٤٧/١٢، ونسبه إلى الكسائي، وجامع البيان ٩١/٢٧. وقال الشوكاني: قيل: وهذه الصفة عائدة إلى الجنان الأربع، ولا وجه لهذا فإنه قد وصف نساء الجنّين الأولين بأنهن قاصرات الطرف كأنهن الياقوت والمرجان، وبين الصفتين بون بعيد. فتح القدير ١٤٣/٥.

(٢) انظر: معاني القرآن ١٢/٣.

(٣) يقال: رجلٌ خَيْرٌ وخَيْرٌ، مشدّد ومخفّف. وامرأةٌ خَيْرَة وخَيْرَة. انظر: اللسان (خير) ١/٩٢٦.

(٤) انظر: مجاز القرآن ٢٤٦/٢. والبيت لرجل من بني عدي تيم، تميمي جاهلي. انظر: تهذيب اللغة ٥٤٦/٧، واللسان (خير) ١/٩٢٦.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (خار) ٥٤٦/٧. وميسمها: أي حسناتها من الوسامة، واللسان (وسم) ٣/٩٢٨.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (خار) ٥٤٦/٧، وعبارته: (عند أهل المعرفة باللغة) بدلاً من قول المؤلف: (عندي).

قال جماعة المفسرين^(١) : يعني خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه ، وهو تفسير النبي ﷺ في ما روت عنه أم سلمة^(٢) .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ : تقدّم تفسير الحور^(٣) والمقصورات المحبوسات ، ويجوز أن يكون محبوسات في الخيام ، وهو معنى قول أبي عبيدة : خدرن^(٤) في الخيام ، ونحوه قال مقاتل : محبوسات في الخيام^(٥) ، ويجوز أن يكون محبوسات على أزواجهن ، ولا يرون غيرهم وهن في الخيام ، وهذا معنى قول المفسرين : قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمحن إلى سواهم ، ذكره الفراء^(٦) .
وقال مجاهد : مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ^(٧) .

والخيام جمع خيم ، وخيم : جمع خيمة ، وهي أعواد تنصب وتظلل بالثياب في القبيظ فيكون أبرد من الأخبية^(٨) ، ذكره ابن السكيت .

-
- (١) انظر : جامع البيان ٩١ / ٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٨ / ٤ .
(٢) الحديث رواه ابن جرير ٩٢ / ٢٧ ، والثعلبي ٤٧ / ١٢ ب ، والبغوي ٢٧٧ / ٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١١٦ / ٨ . وقال محقق زاد المسير : رواه ابن جرير الطبري ، وفي سنده ضعف .
(٣) عند تفسيره الآية رقم : ٥٤ من سورة الدخان . الحورُ : أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها ، ويبيض ما حوالها . وإنما قيل للنساء حور العين ، لأنهن شبيهن بالظباء والبقر . اللسان (حور) ١ / ٧٥٠ .
(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ ، ومعناه : سترن في الخيام . والخدرُ سترٌ يمد للجارية في ناحية البيت . اللسان (خدر) ١ / ٧٣٦ .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ أ .
(٦) انظر : معاني القرآن ٣ / ١٢٠ .
(٧) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٤٤ ، وجامع البيان ٩٢ / ٢٧ ، ٩٣ .
(٨) انظر : اللسان (خيم) ١ / ٩٣٣ ، وفتح القدير ٥ / ١٤٣ .

وقال ابن الأعرابي : الخيمة لا تكون إلا أربعة أعواد ، ثم تسقف بالشَّام ، ولا تكون من ثياب^(١) ، ومنه قول النابغة :

فلم يبقَ إلَّا آلُ خَيْمٍ منصِدٍ وسُفْعٍ
على آسٍ ونُؤْيٍ مُعْثَلِبٍ

ويقال خيم فلان خيمته إذا بناها من جريد النخل ، فيها إذا أقام وتظلل بها .
قال زهير :^(٢)

وَضَعْنَ عِصْيَ الحَاضِرِ المَتَخِيْمِ

هذا معنى الخيام في اللغة . قال أبو عبيدة^(٣) : والحوادج أيضاً خيام ، وأنشد
للبيد فقال :

شَاقَتْكَ ظُغْنُ الحَيِّ يَوْمَ تَحْمَلُوا فَتَكْنَسُوا قَطْنًا تَصْرُ خِيَامُهَا^(٤)

وأما خيام الجنة فقال المفسرون : إنها من در مجوف . قال عطاء عن ابن عباس : يريد خيام الدر والياقوت والزبرجد ، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، الخيمة ما بين بصرى إلى صنعاء^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ٦٠٨/٧ ، واللسان (خيم) ٩٣٣/١ . والثَّامُ : شجر واحدته ثامة وثمة ، وهو نبت ضعيف له خوص أو شبيهه بالخوص . اللسان (ثم) ٣٧٥/١ .

(٢) وصدر البيت :

فلما وردن الماء زرقاً جامه

انظر : الديوان ٧٨ ، واللسان (خيم) ٩٩٣/١ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢٤٦/٢ .

(٤) البيت ورد في معلقة لبيد . انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني ٧٥ .

(٥) لم أجده .

وروى قتادة عن ابن عباس ، قال : الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ ، فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب^(١) .

وروي عن النبي ﷺ : «والخيمة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون»^(٢) .

٧٦ . قوله : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾ . قال صاحب النظم : قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَانٌ﴾ ، ولم يذكر لهما أهلاً كما ذكره لما قبلهما من الجنتين ، فلماً قال : ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ دلّ أنه أراد أهلها ، وإنما كفّ عن ذكر أهلها اقتصاراً على ذكر أهل الجنتين اللتين قبلهما ، واكتفاء بالذكر الأول عن الثاني ، كما قال عز وجل : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥] . قال في فصل آخر متصل بهذا الفصل : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] . والتأويل : بعثناهم ليسووا فكفّ عن ذكره اكتفاءً بالأول^(٣) .

وأما الرفرف فقال الليث : الرفرف ضرب من الثياب خضر تبسط ، والواحدة رفرقة^(٤) ، وقال أبو عبيدة : الرفارف البسط^(٥) ، وأنشد قول مقبل ، فقال :

وإنّا لنزالونَ تغشى فعالنا سواقطُ من أصنافِ ربطٍ ورفرفٍ^(٦)

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٦٧ ، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأبي الأحوص . انظر : جامع البيان ٢٧/ ٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٨ .

(٢) صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب : حور مقصورات في الخيام ٦/ ١٨٢ ، وصحيح مسلم في كتاب الجنة ، باب : ٣٣ ، مسند أحمد ٣/ ١٠٣ .

(٣) انتهى كلام صاحب النظم ، ولم أجده في ما اطلعت عليه ، وكتابه مفقود كما تقدّم بيانه .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩٠ ، وفتح القدير ٥/ ١٤٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ١٥/ ١٧١ ، واللسان (رفف) ١/ ١٢ .

(٦) لم أجده عند أبي عبيدة ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩ .

وقال أبو إسحاق : قالوا الرفرف هاهنا رياض الجنة ، وقالوا : الرفرف الوسائد ، وقالوا : الرفرف المحابس ، وقالوا : الرفرف فضول المحابس للفرش^(١) ، واختاره المبرّد فقال : هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره ، وكأن الأقرب هذا ؛ لأن العرب تسمي كسر الخباء والخرقه التي تحيط في أسفل الخباء رفرفاً ، ومنه الحديث في وفاة النبي ﷺ : «رفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة»^(٢) .

قال ابن الأعرابي : الرفرف هاهنا طرف الفسطاط^(٣) ، فشبه ما فضل من المجالس عما تحته بطرف الفسطاط ، فسُمّي رفرفاً ، يؤكد هذا ما روى هارون بن عنترة ، عن أبيه^(٤) عن ابن عباس ، قال في قوله :

﴿رَفَرَفٍ خُضْرٍ﴾ فضول المجالس والبسط والفرش^(٥) ، وهو قول الضحّاك ، ومقاتل ، والحسن ، قالوا : المحابس والبسط^(٦) .

قال الحسن : كان أهل الجاهلية يقولون هي البسط^(٧) .

قال سعيد بن جبیر : وهي الرياض ، وهو قول الكلبي^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن ١٠٥ / ٥ .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (رفرف) ٢ / ٢٤٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ، واللسان (رف ، رفف) ١ / ١٢٠٠ .

(٤) هو عنترة بن عبد الرحمن الكوفي ، ثقة ، وهَمَّ مَنْ زَعَمَ أَنْ لَهُ صَحْبَةٌ . انظر : تقريب التهذيب ٨٩ / ٢ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩ . والمحبس : المقرمة ، يعني الستر ، وهي التي تبسط على وجه الفراش للنوم ، واللسان (حبس) ١ / ٥٥١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ أ ، والوسيط ٤ / ٢٣ ، والجامع للقرطبي ١٧ / ١٩ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٩٥ ، وفيه : «هي البسط . أهل المدينة يقولون : هي البسط» .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٢٧ ، وجامع البيان ٢٧ / ٩٤ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٩٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩ .

وقوله : ﴿وَعَبْقَرِيَّ﴾ . قال أبو عبيدة : كل وشى من البسط عبقرى ، قال :
ويروى أنها أرض يوشى فيها^(١) .

وقال الليث : عبقر موضع بالبادية كثير الجن ، يقال في المثل : كأنهم جن
عبقر ، وقال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حينما ذكر عمر : « فلم أر عبقرياً يفري
فريه »^(٢) .

قال أبو عبيدة : وإنما أصل هذا في ما يقال إنه نسب إلى عبقر ، وهي أرض
يسكنها الجن ، فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع ، وأنشد لزهير^(٣) :

يُخِيلُ عَلَيْهَا جَنَّةُ عَبْقَرِيَّةٍ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يِنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا
وهذا القول هو الصحيح في العبقرى ؛ وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف
شيء نسبته إلى الجن أو شبّهته بهم ، ومنه قول لبيد^(٤) :

جَنَّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٦ . وقوله : « أرض يوشى فيها » هو ما ذكر أن عَبْقَرِيَّةَ تسكنها الجن في ما
زعموا ؛ فكلمنا رأوا شيئاً فائقاً غريباً قالوا : عبقرى . ومنه عبقرى للبسط التي فيها الأصباغ والنقوش
وشيت بها . اللسان (عبقر) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها في كتاب فضائل الصحابة ، باب :
مناقب عمر بن الخطاب ١٣/ ٥ ، ومسلم في صحيحه ، في كتاب فضائل الصحابة (١٩) ، وأحمد في
المسند ٢/ ٢٨ ، ٣٩ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٦ ، وتهذيب اللغة ، واللسان (عبقر) ٢/ ٦٧٢ . والبيت في ديوان زهير
١٠٣ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٦ .

(٤) وصدده :

غَلَبَ تَشْدُو بِالذَّخُولِ كَأَنَّهَا

ومعناه : أنهم رجال غلاظ الأعناق كالأسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم ، ثم
شبههم بجن هذا الموضع (البدى) في ثباتهم في الخصام والجدل . انظر : ديوانه ١٧٧ ، وشرح المعلقات
السبع للزوزني ٩٠ ، والإنصاف ٧٧٢ ، والخزانة ٤/ ١٥٧ .

وقال آخر يصف المرأة :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جَنٌّ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِقُوسٍ مَا لَهَا وَتَرٌّ

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة ، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ، ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم فسمّوا كل شيء مبالغ فيه إليها ، ويريدون بذلك أنه من عملهم وصنعتهم ، هذا هو الأصل^(١) ، ثم صار العبقرى اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته ، ويشهد لما ذكر بيت زهير ؛ فإنه نسب الجن إلى عبقر ، فثبت به أنها مكانهم ، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب ، كقوله ﷺ في صفة عمر : (عبقرياً) .

وروى سلمة عن الفراء ، قال : العبقرى السيد من الرجال ، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر^(٢) .

فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب إليها غير الموشى ، وإنما نسب إليها البسط الموشاة العجيبة الصنعة لما ذكرنا نسب إليها كلما بولغ في وصفه .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَّانٍ﴾ : يريد البسط والطنافس^(٣) ، وقال الكلبي : هي الطنافس المخملة^(٤) .

وقال قتادة : هي عتاق الزرابي^(٥) ، وهو قول سعيد بن جبير^(٦) .

-
- (١) انظر : اللسان (عبقر) ٢/٦٧٢ ، والجامع للقرطبي ١٧/١٩٢ .
 (٢) انظر : معالم التنزيل ٤/٢٧٨ ، والمفردات (عبقر) ، واللسان (عبقر) ٢/٦٧٢ .
 (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٢/٤٩ أ ، ولم ينسبه إلى قائل .
 (٤) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٢٣ .
 (٥) انظر : معالم التنزيل ٤/٢٧٨ .
 (٦) انظر : جامع البيان ٢٧/٩٥ ، وتفسير مجاهد ٢/٦٤٤ . معنى عتاق الزرابي ؛ أي كرام الوسائد .

وقال مجاهد : الديباج الغليظ^(١) .

وعبقرى هاهنا : جمع ، واحده عبقرية ، لذلك قال : ﴿حَسَانٍ﴾ فجمع ، وأمّا قراءة من قرأ : عباقري حسان ، وهي تروى عن عاصم الجحدري^(٢) ، ورويت أيضاً مرفوعة^(٣) ، قال أبو عبيدة : وهذا وجه لا إسناد له ، ولا أراه محفوظاً ، ولو كان له أصل لكان على ترك الإجراء ؛ لأنه وجه الإعراب^(٤) .

قال أبو إسحاق : هذه القراءة لا مخرج لها في العربية ؛ لأن كل جمع بعد ألفه حرفان لم ينسب إليه نحو مساجد ، ومجاوز الثلاثة لا تجمع بياء النسب ، لو جمعت عبقرياً كان جمعه عباقرة كما أنك^(٥) لو جمعت مهلبياً : مهالبة ، ولم يقل : مَهَالِي^(٦) .

وقال المبرّد : أخطأ القاسم في (عباقري) أنه لو كان له وجه لكان ترك الإجراء وجه الإعراب ؛ لأن ياء النسب تجعله كالواحد كقولك : مدائني فينصرف ؛ لأنه يصير إلى الواحد ، ويزول عنه بناء الجمع ، ومن نسب إلى عباقر وهو جمع لم يجز إلا عبقري كالنسب إلى مساجد : مسجدي ، وإلى الفرائض : فرضي ، وإن كان اسماً

(١) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩٢ .

(٢) هو عاصم بن أبي الصباح الجحدري البصري ، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس ، وقرأ أيضاً على نصر بن عاصم ، والحسن ، ويحيى بن يعمر ، وقراءته في الكامل والإفصاح فيها مناكير ، ولا يثبت سندها ، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءة على سلام عنه ، توفي قبل الثلاثين ومائة هجرية . انظر : غاية الرواية ١/ ٣٤٩ .

(٣) انظر : المحتسب ٢/ ٣٠٥ ، ومختصر ابن خالويه ١٥ ، والكشاف ٤/ ٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩١ ، والبحر المحيط ٨/ ١٩٩ .

(٤) قال النحاس : «وإسنادها ليس بالصحيح ، وزعم أبو عبيد أنها لو صحّت لكانت وعَبْقَرِيّ بغير إجراء ، وزعم أنه هكذا يجب في العربية ، وهذا غلط بين عند جميع النحويين ؛ لأنهم قد أجمعوا جميعاً أنه يقال : رجل مدائني ، بالصرف» . انظر : إعراب القرآن ٣/ ٣١٧ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٩ .

(٥) في نسخة (ك) : (أنكر) .

(٦) انظر : معاني الرّجّاج ٥/ ١٠٤ ، ١٠٥ .

لواحد قلت عباقرى فتصرفه ، كما تقول في كلاب^(١) ، وفي المدائن : مدائني ؛ لأنه اسم لواحد ، ولو نسب إلى جماعة الكلاب قيل : كلابي .

ثم ختم السورة بما ينبغي أن يمجّد به ويعظّم فقال :

٧٨ . ﴿ نَبِّزَكَ أَتَمُّ رَيْكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ : تقدّم تفسير الجلال والإكرام في هذه السورة .

وقرأ ابن عامر : ذو الجلال^(٢) والإكرام بالرفع إجراءً على الاسم ، وذلك دليل ظاهر على أن الاسم هو المسمى ؛ لأن (ذو الجلال) من صفة الله - عز وجل - لا من صفة التسمية .

* * *

(١) كذا في (ك) ، ولعلها : (كلاب كلابي) .

(٢) قرأ ابن عامر : (ذو الجلال) صفة للاسم ، وقرأ الباقر : ﴿ ذِي الْجَلَلِ ﴾ صفة للرب . انظر : حجة القراءات ٦٩٤ ، والحجة للقراء السبعة ٦/٢٥٣ ، والنشر ٢/٣٨٢ ، والإتحاف ٤٠٧ .

تفسير

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ . قال أهل المعاني^(١) : اذكر إذا وقعت الواقعة ، وقال (صاحب النظم) : إذا هاهنا صفة وفضل ولغو ، كما قال عز وجل : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ، وتأويله : انشقت السماء ، كما قال : ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] ، و﴿أَنَّى أَمُرُّ اللَّهَ﴾ [النحل: ١] ، ونظيره في الكلام : قد جاء الشتاء ، وجاء الصوم بمعنى اقترب ودنا ، وإنما قلنا : إن (إذا) ملغاة ؛ لأنه لم يجيء لها خبر ولا جواب ، ومنه قول الهذلي^(٢) :

حتى إذا أسلكوهم في قتائدِهم شلاً كما يطردُ الجمالُ الشرذا

(١) انظر : الكشف ٥٥/٤ ، والجامع للقرطبي ١٧/١٩٤ ، وفتح القدير ٥/١٤٧ .

(٢) هو عبد مناف بن ربع الهذلي ، جاهلي . والبيت ورد في ديوان الهذليين ٢/٤٢ ، وروايته (فتائدة) ، والأمازي لابن الشجري ٢/١٢٢ ، والإنصاف ٤٦١ ، والخزانة ٧/٣٩ ، ٤١ . انظر : اللسان (قتد) ٣/١٦ ، و(سلك) ٢/١٨٨ ، وتهذيب اللغة (سلك) ١٠/٦٣ ، ونسبه إلى ابن أحر . والقتائد : ثنية معروفة ، وقيل : اسم عقبة ، والشرد : جمع شرود .

يريد : حتى أسلكوهم . والبيت آخر القصيدة ، ولم يجئ لـ (إذا) جواب . هذا كلامه^(١) ، والأول الوجه .

قال المبرد : (وَقَعَتِ) معناه تقع ؛ لأن إذا للاستقبال ، ومعنى الوقوع هاهنا ظهور بالحدوث كظهور الساقط يحضره الرأي^(٢) .

وقال أبو إسحاق : يقال لكل^(٣) آتٍ كان يتوقع : قد وقع ، تقول : قد وقع الأمر ، كقولك : قد جاء الأمر^(٤) .

قال ابن عباس : إذا قامت القيامة^(٥) .

قال أبو عبيدة والأخفش : الواقعة : اسم للقيامة كالآزفة وغيرها^(٦) ، وهذا هو الصحيح^(٧) ؛ لأن المعنى أنها ستقع ، وأمّا ما قال مقاتل في تفسير الواقعة أنها الصيحة ، وهي النفخة الأخيرة^(٨) فبعيد ؛ لأن الله تعالى وصفها بعد بقوله : ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ ، وهي من صفة القيامة لا من صفة الصيحة .

٢ . قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَوْقَعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ : الكاذبة هاهنا مصدر بمعنى الكذب ، كالحائنة ، واللاغية ، والخاطئة ، والعافية ، والعاقبة ، عند أكثر أهل

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٥ .

(٢) انظر : الكشف ٤ / ٥٥ ، وروح المعاني ٢٧ / ١٢٩ .

(٣) في (ك) : (كل) .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٠٧ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٢٩ ، والوسيط ٤ / ٢٣١ ، وزاد المسير ٨ / ١٣٠ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٧ .

(٧) وبه قال ابن قتيبة ، واعتمده ابن كثير وغيره من المفسرين . انظر : تفسير غريب القرآن ٤٤٥ ، وابن كثير ٤ / ٢٨٢ ، وفتح القدير ٥ / ١٤٧ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ ، وفيه : « . . . النفخة الأولى » . وبقول مقاتل قال الضحاك .

انظر : جامع البيان ٢٧ / ٩٦ ، وروح المعاني ٢٧ / ١٢٩ .

المعاني^(١). والمعنى : ليس لها كذب ؛ أي إنها تقع صدقاً وحقاً ، فليس فيها ولا الإخبار عن وقوعها كذب .

وقال بعض أهل المعاني : يجوز أن تكون الكاذبة صفة والموصوف محذوفاً ، على تقدير : ليس لوقعتها قضية كاذبة ؛ أي إن كل ما أخبر الله من أحكامها وقضاياها صادقة غير كاذبة ، ويجوز أن يكون التقدير : ليس لوقعتها نفس كاذبة^(٢) ؛ أي إن كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب ، لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها .

وأما الكسائي والفرّاء والزّجاج فإنهم جعلوا الكاذبة هاهنا بمعنى التكذيب وفسّروها بالرد . قال الكسائي : كاذبة تكذيب ، وزاد الفرّاء : المكذوبة بمعنى التكذيب ، وحكاها عن أبي ثروان^(٣) .

وقال أبو إسحاق : كاذبة ؛ أي لا يردّها شيء ، كما تقول : حملة فلان لا تكذب ؛ أي لا يرد حملته شيء^(٤) ، وعلى هذا المعنى دلّ كلام ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ، قال : ليس لوقعتها رادّة ، وقال الكلبي عنه : مردودة^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٢١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) انظر : الكشف ٤/ ٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٣ .

(٣) أبو ثروان العكلي من الأعراب الذين شايعوا الكسائي على سبويه في المسألة الزنبورية المعروفة ، تعلم في البادية ، وأكثر الفرّاء من الرواية عنه ، له كتاب خلق الفرس ، ومعاني الشعر . انظر : طبقات الزبيدي ٧١ ، ومعجم الأدباء ٧/ ١٤٨ ، وجمع الهوامع ١/ ٢١٠ ، وانظر : تهذيب اللغة (كذب) ١٦٧/ ١٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٢١ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥/ ١٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩٥ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٣٢٩ ، وفيه : «راد ولا خلف ولا مثنوية» ، وانظر : جامع البيان ٢٧/ ٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩٥ .

والردة هاهنا بمعنى المصدر ؛ أي رد ، وعلى هذا القول يجب أن تكون (الكاذبة) بمعنى التكذيب ، ويكون التكذيب بمعنى الرد ، ولم أرَ الفاعلة في مصادر التفعيل ولا الكذب بمعنى الرد لغيرهم ، فالله أعلم .

ويكون كذب بمعنى ارتد وولى ، يقال : ما كذب عن قرنه ؛ أي ما جبن ولا رجع ، ومنه قول زهير :^(١)

لَيْتَ بَعَثَ يَصْطَاذُ الرِّجَالِ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

فإن صحت الكاذبة بهذا المعنى كان تفسير ليس لوقعتها ارتداد ، وهذا قول قتادة ومقاتل ، قالا : ليس لوقعتها مثنوية ولا ارتداد^(٢) .

٣ . قوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ . قال أبو إسحاق : هي خافضة رافعة^(٣) .

روى عكرمة عن ابن عباس ، قال : تخفض ناساً ، وترفع^(٤) آخرين^(٥) .

وقال عطاء عنه : تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين ، وترفع أقواماً كانوا في الدنيا متّضعين^(٦) .

وقال قتادة : خفضت أقواماً في عذاب الله ، ورفعت أقواماً في كرامة الله^(٧) . والمعنى أنها تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين في النار ، وترفع آخرين إلى أعلى

(١) انظر : ديوان زهير ٥٤ ، وشرح المفصل ٦١ / ١ ، والمنصف ١٢١ / ٣ . وقوله : بعثر ، هي موضع في

اليمن ، وقيل : هي أرض مأسدة بناحية تبالة . اللسان (عشر) ٦٨٤ / ٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٦٩ ، والطبري ٩٦ / ٢٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٠٧ / ٥ .

(٤) في (ك) : (وتضع) .

(٥) انظر : المصنف ١٣ / ٣٧٢ ، والوسيط ٤ / ٢٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٨٢ ، ونسب تخريجه إلى ابن أبي حاتم .

(٦) انظر : الوسيط ٤ / ٢٣٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٧٩ ، وزاد المسير ٨ / ١٣١ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٦٩ ، وجامع البيان ٩٦ / ٢٧ .

عليين في الجنة ، وقال أهل المعاني : تخفض بالمعصية ، وترفع بالطاعة^(١) ، وقال ابن عطاء : خفضت قوماً بالعدل ، ورفعت قوماً بالفضل^(٢) .

٤ . قوله : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾ : الوجه أن تجعل إذا مضمناً بالذكر كما قلنا في : ﴿ إِذَا وَقَعَتْ ﴾ ، وقال الجرجاني : إذا ظرف لقوله : ﴿ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ ﴾ لأنه وقت لها ؛ أي إن الواقعة تقع إذا رجت الأرض رجاً ، قال : وفي هذا دليل على أن تأويل قوله : ﴿ إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ ﴾ ستقع الواقعة إذا رجت^(٣) ، ونحو هذا قال أبو إسحاق : موضع إذا نصب . المعنى : إذا وقعت في ذلك الوقت . ومعنى (رُجَّتِ) حرّكت حركة شديدة^(٤) ، يقال : رججته فارتج ، والسهم يرتج في الغرض^(٥) . قال قتادة ومقاتل : زلزلت زلزلاً^(٦) .

وقال الكلبي وجماعة المفسرين : ترج كما يرج الصبي في المهد حتى يتهدم كل بناء عليها ، وينكسر كل ما عليها من الجبال^(٧) ، فذلك قوله تعالى :

٥ . ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾ . ذكر أهل المعاني واللغة فيه قولين :

-
- (١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٥ .
 (٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/٥٠ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩٥ .
 (٣) انظر : التفسير الكبير ٢٩/١٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩٦ .
 (٤) انظر : معاني القرآن ١٠٨/٥ .
 (٥) الرَّجُّ : التحريك ، والرجرجة : الاضطراب ، والرَّجُّ : تحريكك شيئاً كحائط إذا حركته . اللسان (رجج) ١١٢٥/١ .
 (٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٦٩ ، وتفسير مقاتل ١٣٧ أ .
 (٧) انظر : الوسيط ٤/٢٣٢ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٧٩ ، وزاد المسير ٨/١٣١ .

أحدهما : أن معنى : (بُسَّتِ) خلطت فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو الملتوت بشيء من الماء ، هذا قول أبي عبيدة والفرّاء ، وأنشدا^(١) :

لا تحبزنا خبزاً وبُسّاً بسّاً

أي اخلطنا الدقيق بالماء فكلاه . والمعنى على هذا أن الجبال تصير تراباً تخلط بعضها ببعض .

القول الثاني : أن معنى البُسّ الفُتُّ . روى عمرو عن أبيه : بَسَّ الشيء إذا فثته حتى يصير فتاتاً^(٢) .

وذكر أبو إسحاق في البُسّ قولاً آخر وهو السوق والطرْد ، ومعنى (بُسَّتِ) سيقّت ، وأنشد^(٣) :

وانبَسَّ حَيَّاتُ الكَثِيبِ الأهِيلِ

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨ ، ومعاني القرآن ٣/ ١٢١ . والبيت من الرجز ، قيل إنه للص من غطفان ، وقامه :

ولا تطيلا بمناخ حيسا

انظر : اللسان (بسس) ١/ ٢١٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٩٦ ، وفي تمامه اختلاف ، وذكره الأزهرى عن الأصمعي حيث قال : «وسمعت العرب تشد . . . » . انظر : تهذيب اللغة (بسس) ١٢/ ٣١٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٣١٥ ، واللسان (بسس) ١/ ٢١٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٠٨ . والبيت في معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٨ ، واللسان (بسس) ١/ ٢١٢ ، ومعناه أن الحيات تذهب وتنساب على وجه الأرض .

قال اللحياني^(١) : يقال بُسَّهم عنك ؛ أي اطردهم ، وانبسَّ الرجل إذا ذهب ، وانبَسَّت الحيات إذا جرت على الأرض^(٢) ، وأقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الأقسام .

قال ابن عباس في رواية عطاء : فُتَّت فتاً ، وهذا قول مقاتل ومجاهد في رواية ابن أبي نجیح^(٣) ، وروى منصور عنه : لُتَّت لُتّاً كما ييس السويق^(٤) ، وقال السُّدِّي : كسرت كسراً^(٥) ، وهذا كقول من قال : فتت .

وقال الكلبي : سيرت عن وجه الأرض^(٦) ، ونحو هذا قال الحسن : قلعت من أصلها^(٧) .

وقال قتادة : نسفت نسفاً ، وقول الكلبي والحسن وكتادة معنى قول من يفسر البَسَّ بالطرد^(٨) .

٦ . قوله تعالى : ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ : يعني صارت غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل من الكوة وهو الهباء^(٩) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (بس) ٣١٦/١٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ٩٧/٢٧ ، وتفسير مجاهد ٦٤٥/٢ ، وتفسير مقاتل ١٣٧ ب .

(٣) انظر : تفسير مجاهد ٦٤٥/٢ ، وجامع البيان ٩٧/٢٧ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ٥١/١٢ ب ، والوسيط ٢٣٢/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩/٤ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٣١/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩/٤ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ٥١/١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٢٣٢/٤ ، وفتح القدير ١٤٧/٥ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٦٩/٢ . قال الشنقيطي : وقوله تعالى : ﴿وَسَيَّ الْجِبَالُ بِسًا﴾ في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة لا يكذب بعضها بعضاً ، وكلها حق ، وكلها يشهد له القرآن . ثم ذكر الأقوال وشواهدا . انظر : أضواء البيان ٤٦٤/٧ .

(٨) في (ك) : (اللبس بالطردة) .

(٩) الهباء : التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً ، وقيل : غبار شبه الدخان ساطع في الهواء . اللسان (هبا) ٧٦٦/٣ .

والمنبث المتفرق ، هذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد^(١) .

وروي عن علي - رضي الله عنه - قال : يعني رهج الدواب الذي يسطع من حوافرها^(٢) .

ثم ذكر أحوال الناس ، فقال :

٧ . قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ . قال المفسرون : أصنافاً ثلاثة ، قال أبو إسحاق : يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أزواج^(٣) .

ثم فسّر الأزواج بقوله : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ يعني اليمين ، وجمعها الميامن ، وهي جوانب اليمين . وفي أصحاب الميمنة أربعة أقوال :

قال عطاء عن ابن عباس : هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ، وهو قول الضحاك^(٤) .

وعن ابن عباس أيضاً : هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صُلبه^(٥) .

وقال الحسن والربيع : هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم ، وكانت أعمارهم في طاعة الله عز وجل^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ ب ، ومعالم التنزيل ٢٧٩ / ٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٩٧ / ٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٨٢ / ٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٠٨ / ٥ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ٥١ / ١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٧ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ٥١ / ١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٨٢ / ٤ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ٥١ / ١٢ أ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٧ ، وفتح القدير ١٤٨ / ٥ .

القول الرابع : أنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة^(١) .

٨ . قوله تعالى : ﴿ مَا أَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ ﴾ . قال جميع أهل المعاني^(٢) : (مَا) هاهنا تفخيم لقصتهم وتعظيم لشأنهم وتعجيب منهم ، كما تقول : زيد ، ما زيد ؟ أي : أي شيء هو ؟ للتعجب منه ، وهذا كقوله : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾^(٣) مَا الْحَاقَّةُ [الحاقة : ١-٢] ، و ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾^(٤) مَا الْقَارِعَةُ [القارعة : ١-٢] .

٩ . قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَبُ الْمُشْمَةِ ﴾ : يعني أصحاب الشمال والمشيمة اليسرى ، يقال : اليد اليمنى واليد الشومى ، ومن هذا اللفظ أخذ اليُمْن والشؤم ، واليَمَن والشأم .

وفي أصحاب المشأمة أربعة أقوال تضاد الأقوال التي ذكرناها في أصحاب الميمنة^(٣) .

ثم ذكر الصنف الثالث ، فقال :

١٠-١١ . قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾^(٥) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ . قال الفراء والزجاج : يجوز أن يكون (وَالسَّابِقُونَ) ابتداء ، وخبره الثاني ، ويكون المعنى : والسابقون إلى طاعة الله السابقون إلى رحمة الله ، ويكون ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ من صفتهم . ويجوز أن يكون الأول ابتداء والثاني توكيده ، ويكون الخبر ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٤) .

(١) انظر : جامع البيان ٩٨/٢٧ ، والجامع للقرطبي ١٧/١٩٧ ، ونسبه إلى السدي .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/٧٠١ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/١٢٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١٠٨ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/٥١ ب .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/١٢٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١٠٩ .

أورد النحاس قولها أن ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ صفة ، قال : ولكن يكون بدلاً أو خبراً بعد خبر . انظر : إعراب القرآن ٣/٣٢١ .

واختلفوا في تفسير السابقين ، فقال ابن عباس^(١) : يريد الذين سبقوا إلى توحيد الله والإيمان برسوله كما قال : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ [التوبة : ١٠٠] الآية .

وقال ابن سيرين : هم الذين صلوا القبليتين^(٢) ، وهذا كقول ابن عباس ؛ لأن الذين صلوا القبليتين كانوا هم الأولين من الصحابة ، ونحو هذا قال عكرمة : السابقون إلى الإسلام^(٣) ، وهو معنى قول الربيع : إلى إجابة الرسول ﷺ^(٤) .

وقال مقاتل : إلى الأنبياء بالإيمان^(٥) ، وهذا القول يوجب تخصيص السابقين بأوائل هذه الأمة ، وقال الكلبي : السابقون إلى الرسول من كل أمة السابقون في الآخرة إلى الجنة^(٦) .

وأكثر المفسرين جعلوا هذا السبق إلى الطاعات ، فمنهم من أجملها ، وهو القرظي ، فقال : إلى كل خير ، وإلى كل ما دعا الله إليه ، وهو اختيار ابن كيسان^(٧) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٣٣٢/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٨٠/٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ٩٩/٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٨٣/٤ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ٥٢/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٨٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩٩ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ٥٢/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٨٠/٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ ب .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٣٣٢/٥ ، والوسيط ٢٣٢/٤ .

(٧) انظر : الكشف والبيان ٥٢/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٨٠/٤ .

ومنهم من فصل ، فقال سعيد بن جبير : إلى التوبة ^(١) ، وقال علي رضي الله عنه : إلى الصلوات الخمس ^(٢) ، وقال عثمان بن أبي سودة ^(٣) : إلى المسجد ، وإلى الجهاد ، يخرجون في الرعي الأول من المصلين والمجاهدين ^(٤) .

ثم وصفهم وأخبر عنهم ، فقال : ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ . قال ابن عباس : مثل النبيين والمرسلين ^(٥) ، وقال الكلبي : إلى عدن ^(٦) ، وقال أهل المعاني : جزيل ثواب الله وعظيم كرامته ^(٧) .

ثم أخبر أين محلهم ، فقال :

١٢ . ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ . وقوله : ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة : ٢٧] كله من صفة السابقين وبيان حالهم ؛ وذلك أن الله تعالى صنّف الخلق ثلاثة أصناف كما ذكر ، ثم بين هناك كل صنف وحاله في الآخرة ، فذكر صفة السابقين أولاً ، ثم وصف الفريقين الآخرين في ما بعد .

(١) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٨٠ ، وزاد المسير ٨ / ١٣٣ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٥٢ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٩ ، وروح المعاني ٢٧ / ١٣٢ .

(٣) هو عثمان بن أبي سودة المقدسي ، روى عن أبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهما ، وعنه الأوزاعي وجابر بن زيد وغيرهما ، وثقه مروان بن محمد ، وذكره ابن حبان في الثقات انظر : تهذيب التهذيب ٧ / ١٢٠ ، وتقريب التهذيب ٢ / ٩ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٩٩ ، والمصنف ٥ / ٢٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٩ ، ونسبه إلى مجاهد وغيره . قال ابن كثير بعد ذكره الأقوال : وهذه الأقوال كلها صحيحة ، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران : ١٣٣] . فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزء من جنس العمل ، وكما تدين تدان . تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٨٣ .

(٥) انظر : الوسيط ٤ / ٢٣٢ .

(٦) لم أجده ، وذكر المفسرون نحوه ، فقالوا : (عند الله) .

(٧) انظر : الوسيط ٤ / ٢٣٢ .

١٣ . قوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ . الثلاثة : الفرقة والجماعة من ^(١) الناس غير محصوري العدد في قلة ولا كثرة ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ : يعني من لدن آدم إلى زمان نبينا ﷺ ، قاله الكلبي ^(٣) ، وقال عطاء : يريد كثيراً من الأولين ^(٤) ، وقال مقاتل : يعني سابقي الأمم الخالية .

١٤ . ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ : يريد من أمة محمد ﷺ .

قال مقاتل : يعني سابقي هذه الأمة أقل من سابقي الأمم الخالية ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبي ﷺ ^(٦) .

١٥ . قوله : ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ : معنى الوضن في اللغة : النضد والنسج المضاعف ، يقال : وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون .

وقال الليث : الوضن نسج السرير وأشباهه ، ويقال : درع موضونة مقاربة في النسج مثل مرصوفة ، وقال رجل من العرب لامرأته : ضنيه (يعني متاع البيت) ؛ أي قاربي بعضه من بعض .

(١) (من) ساقطة من (ك) ، وزيادتها تستقيم العبارة .

(٢) قال أبو عبيدة : «تجيء جماعة وأمة وتجيء بقية» . مجاز القرآن ٢ / ٢٤٨ . وانظر : تهذيب اللغة ٦٣ / ١٥ ، واللسان (ثلل) ١ / ٣٧١ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٣٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٨٠ .

(٤) لم أجده ، وهو ظاهر المعنى .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ ب .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٠٩ .

قال أبو عبيدة ، والفراء ، والمبرد ، وابن قتيبة^(١) : موضونة : منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما يوضن حلق الدروع ، ومنه سُميّ الوضين ، وهو بطن من سيور منسوجة مضاعفة تنسج فيدخل بعضه في بعض ، وأنشدوا للأعشى^(٢) :

ومنْ نَسَجِ داوودَ موضونَةٌ تساقُ معَ الحيِّ عيراً فعيِراً
قال المفسرون : مرمولة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد ، وهو قول الكلبي ، ومجاهد ، ومقاتل^(٣) .

وقال الضحاك : مصفوفة ، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي^(٤) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلَدُونَ ﴾ . قال أبو عبيدة : لا يهرمون ولا يتغيرون^(٥) ، ونحو ذلك قال الفراء ، قال : والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلد ، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل : إنه لمخلد ، قال : ويقال لمخلدون : مقرّطون ، ويقال مسوَّرون^(٦) .

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٨ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٢ ، وتفسير غريب القرآن ٤٤٦ .

(٢) ديوانه ٩٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٠ ، واللسان (وضن) ٣/ ٩٤٤ ، وتفسير غريب القرآن ٤٠٩ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٣٣٢ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٦٤٦ ، وتفسير مقاتل ١٣٧ ب ، وجامع البيان ٩٩/ ٢٧ ، والمصنف ١٣/ ١٣٩ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٠٠ ، والثعلبي ١٢/ ٥٣ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٨٠ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٤٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

وأنشد غيره :

ومخلداتٍ باللجينِ كأنها أعجازُهن أقاوُزُ الكُثبانِ^(١)
وهذا قول ابن الأعرابي ، قال : مَخْلَدُونَ مَقَرَّطُونَ بالخلدة ، وجمعها خلد ،
وهي القرطة .

وروى عمرو عن أبيه : خَلَدٌ جاريته إذا حَلَّاهَا بالخلد ، وهي القرطة ، وخَلَدَ
إذا أَسَنَّ ولم يشب^(٢) .

قال ابن عباس : غلمان لا يموتون ، وهو قول مجاهد^(٣) ، وعلى هذا هو من
الخلود الذي هو البقاء بلا موت .

وقال الكلبي ومقاتل : لا يكبرون ، ولا يهرمون ، ولا يتغيرون^(٤) .

وقال سعيد بن جبير والمؤرج : مقرطون^(٥) .

والمراد بالولدان : الغلمان ، وهم وإن لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أُطلق
عليهم هذا الاسم ؛ لأن العرب تسمي الغلمان ولداناً ، وبعضهم احترز فجعل
الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون ، ولا حسنة لهم ولا سيئة ، وهذا

(١) البيت في تهذيب اللغة ٢٧٧/٧ ، واللسان (خلد) ٨٧٦/١ ، و(قوز) ١٨٦/٣ ، وتفسير غريب
القرآن ٤٤٧ ، ولم ينسب إلى قائل . اللجين هي الفضة .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (خلد) ٢٧٩/٧ .

(٣) انظر : تفسير مجاهد ٦٤٦/٢ ، وتنوير المقباس ٣٣٣/٥ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٢٨١/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/١٧ ، ولم أقف عليه في تفسير مقاتل .

(٥) الكشف والبيان ٥٣/١٢ ، ومعالم التنزيل ٢٨١/٤ ، واللسان (خلد) ٨٧٦ . قال الألويسي : أي
مبقون أبداً على شكل الولدان ، وحد الوصافة لا يتحولون عن ذلك ، وإلا فكل أهل الجنة مخلد لا
يموت . روح المعاني ١٣٦/٢٧ .

القول يروى عن علي والحسن ، قالوا : لأن الجنة لا ولادة فيها^(١) ، والقول هو الأول^(٢) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ يَا كُوفٍ وَابَارِيقَ ﴾ . قالوا : الأكواب المستديرة الأفواه ، لا أذان لها ولا عرى ، والأباريق ذات الخراطيم واحدها إبريق ، وهو الذي يبرق لونه من صفائه^(٣) . وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير ، يرى من ظاهرها ما في باطنها ، ذكر ذلك عطاء ، ومقاتل^(٤) ، والعرب تسمي السيف إبريقاً لبريق لونه ، ومنه قول ابن أحرر^(٥) :

تعلّقت إبريقاً وعلّقت جعبةً ليهلك حيّا ذا زهاءٍ وجامل^(٦)

وقال اللحياني : امرأة إبريق إذا كانت برّاقة ، وما بعد هذا مُفسّر في سورة الصافات [آية ٤٥] .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ ﴾ : تخيرت الشيء أخذت خيره .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ وَلَحَرْطِيرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما انتهى^(٧) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ٥٣ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٠٣ .

(٢) قال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ١٤٩ ، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة للقيام بهذه الخدمة .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٢٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥/ ١١٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٧ ب .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (برق) ٩/ ١٣٣ .

(٦) ورد البيت في اللسان (علق) ٢/ ٨٦٣ ، ولم ينسبه .

(٧) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٨١ ، وزاد المسير ٨/ ١٣٧ .

٢٢. قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: أكثر القراءة بالرفع، وقرأ حمزة والكسائي بالخفض^(١).

قال أبو عبيد: هي عندنا بالرفع بمعنى: وعندهم حور عِين، ولا أحب الخفض؛ لأنه ليس يطاق عليهم بالحور. هذا كلامه^(٢). ووجه الرفع على مذهب سيويوه^(٣) أن قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ دل على أن معنى الكلام: لهم كذا ولهم كذا، فحمل (حُورٌ) على المعنى كأنه قيل: ولهم حور، ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر^(٤):

إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءٌ
وَمَشَجَّجٌ

فحمل ومشجج على المعنى؛ لأن المعنى: إلا رواكد ومشجج، ذكر ذلك المبرد والزجاج وأبو علي^(٥).

(١) قرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالخفض، وقرأ الباقر برفعها. انظر: النشر ٣٨٣/٢، والإتحاف ٧٠٤-٤٠٨.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٢٤، وحجة القراءات ٦٩٥.

(٣) انظر: الكتاب ١/١٧٣.

(٤) البيت الأول بتمامه:

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَهِنَّ مَعَ الْبَلَى
وَالْبَيْتُ الثَّانِي:

وَمَشَجَّجٌ أَمَّا سِوَاءُ قِذَالِهِ
فَبَدَا وَغَيْرَ سَاوَةِ الْمَعْزَاءِ

والبيتان ينسبان إلى ذي الرمة كما في ملحقات ديوانه ٣/١٨٤٠، وينسبان إلى الشماخ كما في ملحقات ديوانه ٤٢٧، ٤٢٨، والكتاب ١/١٧٣، واللسان (شجج) ٢/٣٠٤، والحجة ٦/٢٥٦، والرواكد الأثافي. المشجج: هو الورد، وتشجيجه: ضرب رأسه ليثبت، وسواء قذاله: وسطه، والمعزاء: أرض صلبة ذات حصى.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/١١١، ١/٢٥٤، والحجة للقراء السبعة ٦/٢٥٥، ٢٥٦، والبغداديات ٢١٩، ٢٢٠.

وَأَمَّا الْخَفْضُ فَقَالَ الْفَرَّاءُ : هو وجه الكلام على أن تتبع آخر الكلام أوله ، وإن لم يحسن في آخره ما حسن في أوله ، وأنشد :

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَا^(١)

والعين لا تزجج إنما تكحل ، فردها على الحواجب لأن المعنى يعرف ، قال : وكان ينبغي لمن رفع - لأنهن لا يطاف بهن - أن يرفع ﴿ وَفَكَهَتْ ﴾ ﴿ وَلَحَرَّ طَيْرٌ ﴾ ؛ لأن الفاكهة واللحوم لا يطاف بها ، وفي ذلك بيان أن الخفض وجه الكلام^(٢) ، يعني أن الحور اتبع في الخفض اللحم والفاكهة ، فلما خفضا كذلك خفض الحور ، وَبَيَّنَ الرَّجَّاجُ هذا الوجه ، فقال : وحور مخفوض على غير ما ذهب إليه من ظن أن معنى الخفض فيه أنه يطاف به ولا يطاف بالحور ، ولكن معنى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّ مُحَمَّدُونَ ﴾^(٣) بِأَكْوَابٍ ينعمون بها ، وكذلك ينعمون بلحم طير ، وينعمون بحور عين^(٣) ، وهذا معنى قول الفرَّاء وإن لم يحسن في آخره ما حسن في أوله ، يعني : لا يحسن الطوف في الحور كما حسن في الكأس ، ولكن يعطف عليه في الظاهر ؛ لأن المعنى يعرف كما عطف الشاعر العيون على الحواجب ، وأراد : وكحلن العيون ، كذلك هاهنا يراد : ويكرمون ، أو : وينعمون بفاكهة ولحم طير وحور عين .

(١) البيت للراعي النميري . انظر : ديوانه ١٥٠ ، والخصائص ٢ / ٤٣٢ ، وشرح شواهد المغني ٢ / ٧٧٥ ، والدرر اللوامع ١ / ١٩١ ، والإنصاف ٦١٠ ، والخزانة ٩ / ١٤١ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٣ / ١٢٣ ، ١٢٤ . قلت : قوله : «لأن الفاكهة واللحوم لا يطاف بها» تعقبه النحاس بقوله : «وهذا الاحتجاج لا ندري كيف هو ؛ إذ كان الفرَّاء قد أجمعوا على القراءة بالخفض في قوله جل وعز : ﴿ وَفَكَهَتْ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ ﴾^(٤) وَلَحَرَّ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴾ ، فمن أين له أنه لا يطاف بهذه الأشياء التي ادَّعى أنه لا يطاف بها ؟ وإنما يسلم في هذا الحجة قاطعة ، أو خبر يجب التسليم به» . إعراب القرآن ٣ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١١١ .

وقال أبو علي : وجه الجر أن تحمله على قوله : ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾ (١١) فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ، التقدير : في جنات النعيم ، وفي حور عين ؛ أي في مقام به حور عين ، أو معاشرة حور عين ، ثم حذف المضاف (١) .

وتفسير اللؤلؤ المكنون سبق في سورة الطور (٢) [آية : ٢٤] .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . ذكر أبو إسحاق في نصب جزاء قولين ؛ أحدهما : أنه مصدر ودل ما قبله على يجوزون .

والثاني : أنه مفعول له . المعنى : يفعل ذلك بهم جزاء أعمالهم (٣) . قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ . قال المبرد : اللغو ما يرغب عنه من الكلام ، ويستحق أن يلغى (٤) . والمعنى : ليس فيها لغو فيسمع .

٢٥ . [قوله : ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾] (٥) . يقال : أثمه إذا قال : أثمت ، وللتأثيم هاهنا معنيان :

أحدهما : أن بعضهم لا يقولون لبعض : أثمت ؛ لأنهم لا يتكلمون بالإثم كما يتكلم أهل الدنيا (٦) .

(١) انظر : الحجة ٦ / ٢٥٧ .

(٢) في نسخة (ك) : (الذاريات) .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥ / ١١١ ، ١١٢ .

(٤) انظر : اللسان (لغا) ٣ / ٣٧٨ .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق .

(٦) انظر : الوسيط ٤ / ٢٣٤ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٨٨ .

الثاني : ولا يأتون تأثيماً ؛ أي ما هو سبب التأثيم من فعل أو قول قبيح ^(١) ، وهذا معنى قول أبي عبيدة ، قال في هذه الآية : مجازها مجاز : أكلت خبزاً ولبناً ، واللبن لا يؤكل ، فجاز إذا كان معها شيء يؤكل ، والتأثيم لا يسمع إنما يسمع اللغو ^(٢) ، وهذا معنى قول الكلبي ، يقول : ولا إثم فيها ^(٣) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿إِلَّا قِيلاً﴾ من الاستثناء المنقطع . المعنى : لكن يقولون قِيلاً أو يسمعون قِيلاً ﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾ . وانتصب سلاماً على النعت لقوله : قِيلاً ، والسلام الآخر بدل الثاني . والمعنى : إلا قِيلاً يسلم فيه من اللغو والإثم ، وإن شئت جعلت القيل يعمل في السلام الأول والآخر بدل . والمعنى : إلا أنهم يقولون الخير ، هذا قول الأخفش والفرّاء والزّجاج ^(٤) .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد يحبي بعضهم بعضاً بالسلام ^(٥) ، وزاد الكلبي عنه : وتحييهم الملائكة بالسلام ، ويرسل إليهم ربهم بالسلام ^(٦) . وقال مقاتل : يعني كثرة السلام من الملائكة ^(٧) .

فالفسرون : جعلوا السلام هاهنا بمعنى التحية ، والوجه ما قال الزّجاج من أن المراد بالسلام أن قولهم يسلم من اللغو ^(٨) ، ويدلُّ على ذلك أن مسموع أهل

(١) انظر : جامع البيان ١٠٢ / ٢٧ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٤٩ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢ / ٣٣٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٢٤ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥ / ١١٢ .

(٥) انظر : الوسيط ٤ / ٢٣٤ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٨٢ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٠٦ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ .

(٨) انظر : معاني القرآن ٥ / ١١٢ .

الجنة لا يكون مقصوراً على التحية فقط ، بل يسمعون غيرها مما لا لغو فيه ولا تأثيم^(١) .

٢٧ . ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم ، فقال : ﴿ وَأَحْبَبُ إِلَيْنِ مَا أَصْحَبُ إِلَيْنِ ﴾ ، وقد تقدّم تفسيره .

ثم ذكر منازلهم ، فقال :

٢٨ . قوله تعالى : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ : تفسير السدر قد تقدّم في سورتين^(٢) .

والمخضود المنزوع الشوك في قول جميع أهل اللغة ، والخضد : كسر^(٣) الشيء اللين ، وإذا كسرت عوداً ليناً ولم تبنيه قلت : خضدته فاتخضد^(٤) ، ومعنى مخضود : خضد شوكة ؛ أي قطع فلا شوكة فيه .

قال ابن عباس في رواية الكلبي ، ومجاهد ، ومقاتل ، وقتادة ، وأبو الأحوص ، وقسامة بن زهير^(٥) :

(١) قلت : وهو أيضاً ما اختاره ابن جرير ٢٧/١٠٢ ، حيث قال : « لا يسمعون فيها من القول إلا قليلاً سلاماً ؛ أي أسلم مما تكره » . ويرى ابن كثير ٢٨٨/٤ شمول الآية للمعنيين حيث قال : « أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض ، كما قال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٣] ، وكلامهم أيضاً سالم من اللغو ، الإثم » .

(٢) عند تفسيره الآية [سبأ : ١٦] حيث قال : السدر من الشجر سدران ؛ أحدهما : سدر بري لا ينتفع بثمره ، ولا يصلح ورقه لغسول ، وربما خبط للراعية ، وله ثمر عفص لا يؤكل ، والعرب تسميه الضال يتفكه به . وقال الفراء : ذكروا أنه السمر .

(٣) في نسخة (ك) : (بكسر) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٧/٩٧ ، واللسان (خضد) ١/٨٤٦ .

(٥) قسامة بن زهير المازني البصري ، ثقة ، حدث عن أبي موسى وأبي هريرة ، وروى عنه قتادة وهشام بن حسان . قال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله . توفي في إمرة الحجاج . انظر : تقريب التهذيب ٢/١٢٦ ، وتاريخ الإسلام ٥/٤٥٧ ، وطبقات ابن سعد ٧/١٥٢ ، وتهذيب التهذيب ٨/٣٧٨ .

خضد شوكة فلا شوك فيه^(١)، يدلُّ عليه ما روي عن سليم^(٢) بن عامر^(٣)، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي^(٤) صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر، فقال رسول الله: «أو ليس يقول (في سدر مخضود) خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة، تنفتق الثمرة عن اثنتين وسبعين لونا من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر»^(٥).

وذكر جماعة من المفسرين في تفسير المخضود: أنه الموقر حملاً^(٦)، ولا وجه له، وكأنهم ذهبوا إلى أن الله تعالى لما خضد شوكة أوقره بالحمل كما هو في الخبر الذي ذكرنا، ولا يكون ذلك مما يفسر به المخضود، وأما ذكر من أنه لا يعقر اليد ولا يرد اليد منه شوك، ولا أذى فيه، فكل هذا من معاني المخضود لا من تفسيره^(٧).

- (١) انظر: تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧٠، وتنوير المقباس ٥/ ٣٣٥، وتفسير مقاتل ١١٣٨، وجامع البيان ٢٧/ ١٠٣، والثعلبي ١٢/ ٥١ ب، وابن كثير ٤/ ٢٨٨.
- (٢) في نسخة (ك): (سليمان).
- (٣) هو سليم بن عامر الكلاعي، تقدّمت ترجمته في سورة النور.
- (٤) (تؤذي) ساقطة من نسخة (ك).
- (٥) ذكره ابن كثير من رواية البغوي، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٨٨، وأخرجه الحاكم في التفسير (سورة الواقعة) ٢/ ٤٧٦، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، والبيهقي عن أبي أمامة قال: . . . وذكر الحديث، وأخرجه ابن المبارك في الزهد ٧٤ عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر مرسلًا من غير ذكر لأبي أمامة، وانظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٥٣٨، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ١٠٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٤ عن الطبراني.
- (٦) روي عن مجاهد، والضحاك، وسعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان. انظر: جامع البيان ٢٧/ ١٠٣، والثعلبي ١٢/ ٥٤ ب، والقرطبي ١٧/ ٢٠٧.
- (٧) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ١٢/ ٥٤ ب.

٢٩. قوله : ﴿وَطَلَّحَ مَنضُورٌ﴾ . قال الليث : الطلح شجر أم غيلان ، له شوك أحجن^(١) ، وهو من أعظم العضاه شوكةً ، وأصلبه عوداً ، وأجوده صمغاً ، والواحدة طلحة ، وهذا قول جميع أهل اللغة في الطلح^(٢) . والمفسرون كلهم قالوا في الطلح إنه الموز^(٣) .

قال أبو إسحاق : جائز أن يكون يعني به شجر أم غيلان ؛ لأن له نوراً طيب الرائحة جداً ، فخطوبوا ووعدوا ما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا^(٤) ، ويؤكد هذا ما ذكر في التفسير أنه ليس شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي .

وقال مجاهد : أعجبهم طلع وج^(٥) وحسنه ، ف قيل لهم : ﴿وَطَلَّحَ مَنضُورٌ﴾^(٦) . وتفسير المنضود قد تقدّم^(٧) . قال الكلبي : حمله بعضه على بعض^(٨) .

-
- (١) الأحجن والمحجنة والمحنن : العصا المعوجة . وقوله : شوك أحجن ؛ أي معوج .
 (٢) انظر : تهذيب اللغة ٣٨٣/٤ ، واللسان (طلح) ٦٠١/٢ .
 (٣) في نسخة (ك) : (المز) ، ومن روي عنه هذا القول : علي ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وابن عباس ، وغيرهم . انظر : تفسير مجاهد ٦٤٧/٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢٧٠/٢ ، وصحيح البخاري ١٨٢/٦ ، وجامع البيان ١٠٤/٢٧ .
 (٤) انظر : معاني القرآن ١١٢/٥ .
 (٥) وج : وإد الطائف ، سمي بهذا الاسم نسبة إلى وج بن عبدالحق من العمالة ، وقيل من خزاعة . انظر : معجم البلدان ٤١٦/٥ .
 (٦) انظر : تفسير مجاهد ٦٤٧/٢ ، وقال أبو عبيدة : زعم المفسرون أنه الموز ، وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك مجاز القرآن ٢٥٠/٢ . قلت : والمرجح عندي - والله أعلم - ما قاله النحاس رحمه الله ، حيث قال : «وسمعت علي بن سليان يقول : يجوز إن يكون هذا لم ينقله أصحاب الغريب وأسماء النبات كثيرة ، حتى أن أهل اللغة يقولون : ما يعاب على من صحف في أسماء النبات لكثرتها» . إعراب القرآن ٣٢٨/٣ .
 (٧) عند تفسيره الآية رقم ٨٢ من سورة هود . قال : النضد : وضع الشيء بعضه على بعض ، وقال قتادة : المنضود المصفوف ، وقال الربيع : هو الذي نضد بعضه على بعض .
 (٨) انظر : جامع البيان ١٠٤/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٨٢/٤ .

قال ابن قتيبة : المنضود الذي نضد بالحمل من أوله إلى آخره ، أو بالورق والحمل ، فليست له سوق بارزة كما قال مسروق : أنهار الجنة تجري في غير أخدود وشجرها نضيد من أسفلها إلى أعلاها^(١) .

٣٠ . قوله : ﴿وَطَلِيَّ مَمْدُورٍ﴾ ؛ أي دائم تام باقٍ لا يزول ، ولا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا ، هذا قول ابن عباس ومقاتل والمفسرين^(٢) .

قال أبو عبيدة^(٣) : والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع : ممدود .

قال ليبيد^(٤) :

غلبَ العزاءَ وكانَ غيرَ مغلبٍ دهرٌ طويلٌ دائمٌ ممدودٌ
وأما ما ذكر بعضهم في هذا الظل أنه مسيرة سبعين سنة ومائة سنة فهو وهم ؛ وذلك أن ظل الجنة أمد من أن يحد ، والجنة كلها ظل لا شمس معه^(٥) .

٣١ . قوله تعالى : ﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ . السكب : صب الماء ، يقال : سكبت الماء فهو مسكوب ، وانسكب الماء وسكب فهو منسكب ساكب سكوباً ، فالسكب واقع ، والسكوب مطاوع^(٦) .

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٤٨ .

(٢) انظر : تنوير المقابس ٣٣٥ / ٥ ، وتفسير مقاتل ١١٣٨ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥٠ .

(٤) البيت في ديوان ليبيد ٢٧ ، وجامع البيان ١٠٤ / ٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٩ / ١٧ .

(٥) قلت : بل المؤلف - رحمه الله - هو الذي وهم ، فقد ورد في الحديث الصحيح : «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرأوا إن شئتم ﴿وَطَلِيَّ مَمْدُورٍ﴾» . انظر : صحيح البخاري ، التفسير (سورة الواقعة) ٦ / ١٨٣ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ٤ / ٢١٧٥ ، وغيرها من الأحاديث الدالة على هذا المعنى .

(٦) انظر : اللسان (سكب) ٢ / ١٦٨ .

قال الكلبي : مصبوب يجري الليل والنهار لا ينقطع عنهم^(١) ، وبيانه ما قال أبو إسحاق : أنه ماء لا يتعبون فيه ، ينسكب لهم كيف يحبون^(٢) .

قال عطاء : يريد بحاراً حصباءها الياقوت الأحمر ، وحماها المسك الأذفر ، وتراها الكافور^(٣) .

٣٢ . ﴿وَفَكَهَةً كَثِيرَةً﴾ : يعني ألوان فواكه الجنة .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ . قال ابن عباس : لا تنقطع إذا جئيت^(٤) ، وهذا كما روي أن النبي ﷺ قال : « لا يقطع من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين »^(٥) .

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ . قال ابن عباس : ولا يمتنع من أحد أراد أخذها^(٦) ، وقال الكلبي : لا مقطوعة تنقطع في حين ، ولا ممنوعة ، وهي التي ينظر إليها ولا تذاق^(٧) .

(١) انظر : الوسيط ٤/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٠٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ١١٢ .

(٣) لم أجده ، ولعله أراد به الحديث الذي رواه الترمذي ، وفيه : « قلت : الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة فضة ، ولبنة ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران » . سنن الترمذي ، في صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة الجنة ونعيمها ٤/ ٥٨٠ ، وتقدم عن ابن عباس في صفة حصباء العيون في الجنة نحوه .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٨٣ ، وزاد المسير ٨/ ١٤١ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٢/ ٥٦ أ ، وفي مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٤ : « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » . رواه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني وأحد إسناده البزار ثقات .

(٦) انظر : الوسيط ٤/ ٣٣٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٨٣ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٤/ ٢٣٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٢٥ .

قال ابن قتيبة : يعني أنها غير محظورة عليها كما يحظر على بساتين الدنيا ، فينظر الناظر إلى ثمارها ، ولا يصل إليها^(١) ، ويجوز أن يكون المعنى أنها غير مقطوعة بالأزمان ، ولا ممنوعة بالأثمان ، لا يتوصل إليها إلا بالثمن ، يدل على هذا ما روي عن ابن شوذب^(٢) أنه قال : مررت بالحجاج بن فرافصة^(٣) وهو واقف على أصحاب الفاكهة ، فقلت : ما يقيمك هاهنا ؟ قال : انظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة^(٤) .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ : الفرش جمع فراش ، وهو ما ينام عليه ، مرفوعة على الأسرة ، وهو قول علي رضي الله عنه ، ومقاتل قال : فوق السرر^(٥) ، وجماعة المفسرين قالوا : بعضها فوق بعض ، فهي مرفوعة ؛ أي عالية^(٦) ، ويدل على صحة هذا التفسير ما روى الخدري عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ ، قال : « ارتفاعها كما بين السماء والأرض »^(٧) .

(١) انظر : تفسير غريب القرآن : ٤٤٩ .

(٢) عبدالله بن شوذب الخراساني ، أبو عبدالرحمن ، صدوق عابد ، نزيل بيت المقدس ، روى عن الحسن وطبقته ، وكان كثير العلم ، جليل القدر . عاش سبعين سنة ، وتوفي سنة ١٥٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٩٢ / ٧ ، والبداية والنهاية ١٠ / ١١٥ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٤٤٠ ، والعبر ١ / ١٧٣ ، والتاريخ الكبير ١٧ / ٣ .

(٣) الحجاج بن فرافصة الباهلي البصري ، صدوق ، عابد ، يهم ، أسند عن أنس وغيره ، من السادسة . انظر : التقريب ١ / ١٥٤ ، والتاريخ الكبير ١ / ٣٧٥ ، وصفة الصفوة ٣ / ٣٣٥ .

(٤) انظر : وصفة الصفوة ٣ / ٣٣٦ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ / أ ، وزاد المسير ٨ / ١٤١ ، وفتح القدير ٥ / ١٥٣ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٠٦ ، وزاد المسير ٨ / ١٤١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٩٠ .

(٧) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ٤ / ٥٨٦ ، وفي كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الواقعة ٥ / ٣٧٤ ، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . قال ابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٩١ : وهو المصري ، وهو ضعيف . ورواه ابن جرير في تفسيره ٢٧ / ١٠٦ عن أبي كريب عن رشدين بن سعد .

وروى القاسم عن أبي أمامة^(١)، قال: «لو طرح فراش من أعلاها إلى أسفلها لهُوى سبعين خريفاً»^(٢).

وقال أهل المعاني^(٣): المراد بالفرش هاهنا: النساء، والعرب تكني عن المرأة بالفراش والإزار واللباس، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومعنى ﴿مَرْفُوعَةً﴾ أنهم رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا، فهن مرتفعات في عقولهن وحسنهن وكمالهن، واحتجوا على هذا القول بقوله:

٣٥. ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾، فعادت الكناية إليهن، ولم يجر لهن ذكر، فبان أن المراد بالفرش النسوة.

وعلى القول الأول كنى عنهن وإن لم يجر لهن ذكر؛ لأن الفرش محل النساء، فاكتفى بذكر الفرش^(٤).

قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقاً جديداً^(٥)، وقال ابن عباس: يريد النساء الآدميات^(٦)، وقال الكلبي ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط، يقول: خلقناهن بعد الهرم والكبر، وبعد الخلق الأول في الدنيا^(٧).

(١) النساء.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه جعفر بن الزبير الحنفي، وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٧/ ١٢٠. وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢/ ٥٦ أعن أبي أمامة من دون سند.

(٣) انظر: التفسير الكبير ٢٩/ ١٦٦، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢١٠.

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن ٤٤٩.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧١، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٨٣.

(٦) انظر: جامع البيان ٢٧/ ١٠٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩١.

(٧) انظر: تنوير المقباس ٥/ ٣٣٥، وتفسير مقاتل ١٣٨ أ.

ويؤكد هذا التفسير ما روى أنس أن النبي ﷺ قال : «هن عجائز تزن العمش الرمص»^(١) ، وذكر مقاتل قولاً آخر هو اختيار الزَّجَّاج ، وهو أنه يعني الحور العين التي ذكرهن قيل : أنشأهن الله - عز وجل - لأوليائه لم يقع عليهم ولادة^(٢) .

٣٧. ثم نعتنهن ، فقال : ﴿عُرُبًا﴾ : جمع عروب ، وهن المتحبات إلى أزواجهن . قال ابن الأعرابي : العروب من النساء : المطيعة لزوجها المتحبة إليه ، وقال أبو عبيدة : العروب الحسنة التبعل^(٣) ، وقال المُبرِّد : العاشقة لزوجها ، وأنشد^(٤) :

وفي الخروج عروبٌ غيرُ فاحشةٍ رِيًّا الروادفِ يغشى دونها البصرُ

وفيه قراءتان : التثقيل والتخفيف^(٥) ، وهما جائزان مطردان في جمع فعول .

وذكر المفسرون في تفسير العرب : العواشق المتحبات الغنجات^(٦) المتعشقات الغلمات الشِّكَلات المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم^(٧) .

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٧/٢٧ ، والترمذي في سننه في كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الواقعة ٣٧٥/٥ ، وابن أبي حاتم تفسير القرآن العظيم ٢٩١/٤ ، وقال الترمذي : غريب ، وموسى ويزيد ضعيفان .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ أ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١١٢/٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢٠١/٢ .

(٤) البيت للبيد كما في الديوان ٥٦ ، ومجاز القرآن ٢٥١/٢ ، والقرطبي ٢١١/١٧ . الخروج : جمع حرج ، وهو مركب للنساء والرجال ليس له رأس . اللسان (حرج) ٥٩٩/١ . انظر : تهذيب اللغة ٣٦٠/٢ ، واللسان (عرب) ٧٢٥/٢ .

(٥) قرأ حمزة ، وخلف ، وأبو بكر : ﴿عُرُبًا﴾ ساكنة الراء ، وقرأ الباقون : ﴿عُرُبًا﴾ بضمها . انظر : حجة القراءات ٦٩٦ ، والحجة للقراء السبعة ٢٥٧/٦ ، ٢٥٨ ، والنشر ٢١٦/٢ ، والإتحاف ٤٠٨ .

(٦) امرأة غَنَجَة : حسنة الدَّلِّ ، وَغُنْجُهَا وَغُنْجُهَا : شكلها . وقيل : الغُنْجُ : ملاحاة العين . والغليمة هي المرأة المقلبة على زوجها في النكاح . الشكلة : يأتي بمعنى غنجة ، وهو حسن دَلِّ المرأة وشكلها . انظر : اللسان (غنح ، غلم ، شكل) ٣٤٨/٢ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ .

(٧) انظر : تفسير مجاهد ٦٤٨/٢ ، وتفسير عبد الرزاق ٢٧١/٢ ، وجامع البيان ١٠٧/٢٧ ، ١٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ أَتَرَابًا ﴾ ؛ أي أمثالاً ، يقال : هما تربان^(١) . والمفسرون يقولون : أقراناً مستويات على سن واحد ، وميلاد واحد ، بنات ثلاث وثلاثين^(٢) .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين^(٣) ، وقال مقاتل : يقول : هذا الذي ذكرنا لأصحاب اليمين^(٤) ، وهو قول الكلبي . قال المفسرون : الحور العين للسابقين والعرب الأتراب لأصحاب اليمين^(٥) .

ثم أخبر عنهم ، فقال :

٣٩ . قوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ؛ أي هم ثلة من المؤمنين الذين كانوا قبل مؤمني هذه الأمة .

٤٠ . ﴿ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ : من مؤمني هذه الأمة ، فمن آدم إلينا ثلة ، ومنّا ثلة^(٦) .

(١) انظر : المفردات (تراب) ٧٣ .

(٢) قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم . انظر : تنوير المقياس ٥ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، وتفسير مجاهد ٢ / ٦٤٨ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٧١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٩٢ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٨٤ ، ومعاني القرآن ١٧ / ٢١١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ أ .

(٥) انظر : الجامع للقرطبي ١٧ / ٢١١ .

(٦) بهذا قال الحسن ومجاهد . انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٠٩ ، وأضواء البيان ٧ / ٧٧٠ ، ٧٧١ حيث رجّح ما قاله الكلبي وعطاء ومقاتل في السابقين ، وما ذكره المؤلف هنا في أصحاب اليمين .

وهذا يروى مرفوعاً أن النبي ﷺ قال : «من آدم إلينا ثلة ، ومني إلى القيامة ثلة ، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله»^(١) ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٢) ومقاتل .

قال مقاتل : فامة محمد ﷺ أكثر أهل الجنة ، واحتج بما روي أن النبي ﷺ قال : «أهل الجنة عشرون ومائة صف ، أمتي من ذلك ثمانون صفّاً وأربعون صفّاً من سائر الناس»^(٣) .

ومذهب جماعة من المفسرين أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة : ثلة من سابقها ، وثلة من متأخريها ، وهذا قول أبي العالية ومجاهد والضحاك^(٤) ، ويدل على هذا ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في الثلثين : «هما جميعاً من أمتي»^(٥) .

وهذا القول هو اختيار أبي إسحاق ، قال : معناه جماعة ممن تبع النبي ﷺ وآمن به وعايته ، وجماعة ممن آمن به وكان بعده^(٦) .

(١) أخرجه الثعلبي ٥٨/١٢ أسباق أطول مما هنا ، والبغوي ٢٨٤/٤ .

(٢) انظر : الوسيط ٢٣٥/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٨٤/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ أب ، والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٣/٢ ، والترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة أهل الجنة ٥٨٩/٤ ، وقال : هذا حديث حسن ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢٧١/٢ .

(٤) انظر : الوسيط ٢٣٥/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٨٥/٤ .

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٨/٧ ، وعن أبي بكره عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ﴾ : «ثَلَاثَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ» ، قال : جميعها من هذه الأمة . رواه الطبراني بإسنادين : رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد ، وهو ثقة سيء الحفظ . وقال السيوطي في الدر ١٥٩/٦ : أخرجه الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن عدي ، وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١١٣/٥ .

وذكر الفراء في ارتفاع قوله : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وجهين :

أحدهما : الاستئناف على معنى : هم ثلة .

والآخر : أن تكون مرفوعة بقوله : ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ، ويكون المعنى : لأصحاب اليمين ثلثان : ثلة من هؤلاء ، وثلة من هؤلاء . والمعنى : هم فرقتان : فرقة من هؤلاء ، وفرقة من هؤلاء^(١) .

٤١ . ثم ذكر أصحاب الشمال ومنازلهم ، فقال : ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد الذين يعطون كتبهم بشمائلهم^(٢) .

٤٢ . ﴿فِي سَمُومٍ﴾ ؛ أي في حر النار . وذكرنا تفسير السموم عند قوله : ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]^(٣) ، وقوله : ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] .

وقوله : ﴿وَحَمِيمٍ﴾ . قال الكلبي : يعني ماءً حاراً شديداً يغلي^(٤) .

٤٣ . وقوله : ﴿وَضَلَّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ : اليمحوم يفعول من الأحم ، وهو الأسود ، والعرب تقول : أسود يحموم إذا كان شديد السواد^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١٢٦/٣ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١٣/١٧ .

(٣) ومما قال في تفسيرها : اختلفوا في معنى السموم ، فقال ابن عباس في رواية الكلبي : هي نار لا دخان لها ، وقال آخرون : من نار الريح الحارة ، وهو قول ابن مسعود . والسموم في اللغة الريح الحارة تكون بالنهار ، وقد تكون بالليل . قيل : سميت سموماً لدخولها بلطفها في مسام البدن .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٣٣٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٣/١٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ١٣/٤ ، واللسان (حم) ٧٢٥/١ .

وأنشد أبو عبيدة ، فقال :

دَعْ ذَا فَكَمٍ مِنْ حَالِكٍ يَحْمُومٍ^(١)

وكان للنعمان بن المنذر^(٢) فرس شديد السواد يسمى يحموماً ، وهو الذي ذكره الأعشى في قوله :

ويأمرُ لليحمومِ كلَّ عشيّةٍ بقتٌ وتعليقٍ فقدَ كاذَ يسنقُ^(٣)
والمفسرون جميعاً قالوا في اليحموم أنه دخان جهنم^(٤) . والمعنى أنهم في ظل
من دخان جهنم .

ثم نعت ذلك الظل ، فقال :

٤٤ . ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ . قال أبو عبيدة : جره على الأول^(٥) .

(١) البيت للصَّبَّاح بن عمرو الهزَّاني ، وعجزه :

ساقطة أرواقه بهيم

وقد ورد منسوباً في اللسان (حم) ١/ ٧٢٨ ، ولم أجده عند أبي عبيدة كما ذكر المؤلف .

(٢) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ملك الحيرة ، وكان يكنى أبا قابوس ، وهو صاحب النابغة ، قتل عبيد بن الأبرص وغيره من الشعراء . وكانت نهاية النعمان أن حسبه كسرى واسمه (أبرويز) بسابط ، ثم ألقى تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . انظر : المعارف ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

(٣) البيت في ديوان الأعشى ١١٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ١٩ ، واللسان (حم) ١/ ٧٢٨ ، و(سنق) ٢/ ٢١٩ . والقَتُّ : الفصفصة ، يكون رطباً ويكون يابساً ، واحدها قة . اللسان (فت) ٢/ ١٠٤٤ ، والسنق : البشم . يقال : شرب الفصيل حتى سنق ، وهي التخمة والشبع . اللسان (سنق) ٢/ ٢١٩ ، والتعليق : ما تعلقه الدواب من الشعر ونحوه .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٩ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧٢ ، وجامع البيان ٢٧/ ١١٠ ، ١١١ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٥١ .

قال الفرّاء : وجه الكلام أن يكون خفضاً متبعاً لما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ زَيَّنُوهُ لَأَشْرَقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً ﴾ [النور: ٣٥] ، وكذلك قوله : ﴿ وَفَكَهَتْ كَثِيرًا ۖ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴾ [الواقعة: ٢٣، ٣٣] ، قال : وقد يستأنف بلا فيرفع كما قال ^(١) :

وُتْرِيكَ وَجْهًا كَالصَّحِيفَةِ ^(٢) لَا ظِمَانٌ مَخْتَلِجٌ وَلَا جَهْمٌ

قال ابن عباس : يريد لا بارد المدخل ، ولا كريم المنظر ^(٣) .

وقال مقاتل : لا بارد المقيّل ، ولا حسن المنزل ^(٤) .

قال الفرّاء : والعرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه فعلا تنوي به الذم ، تقول : ما هو بسمين ولا بكريم ، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة ^(٥) .

ثم ذكر أعمال أهل النار التي أوجبت لهم هذا ، فقال :

٤٥ . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ : يعني كانوا في الدنيا منعمين متكبرين . قال مقاتل : يعني متجبرين في ترك أمر الله ^(٦) . وتفسير الترف قد تقدّم ^(٧) .

(١) انظر : البيت للمخيل كما في اللسان (خلج) ١/ ٨٧٦ ، والفضليات ١١٥ .

(٢) في نسخة (ك) : (كالود بله) .

(٣) انظر : الوسيط ٤/ ٢٣٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٨٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٢٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ ب ، والوسيط ٤/ ٢٣٦ ، ولفظهما : (منعمين) بدل (متجبرين) .

(٧) عند تفسيره الآية رقم ١١٦ من سورة هود . قال : الترف : النعمة ، وصبي مترف إذا كان منعم البدن ، والمترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيش . انظر : البسيط ٣/ ٤٩ ب .

٤٦. ﴿وَكَاؤُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ . قال الليث : الحنث : الذنب^(١) العظيم ، وتقول العرب : بلغ الغلام الحنث ، إذا بلغ مبلغاً جرى عليه القلم بالمعصية والطاعة ، والحنث : الرجوع في اليمين وهو أن لا يبرها^(٢) ، وأكثر المفسرين قالوا في الحنث هاهنا : إنه الشرك . قال مقاتل : يعني الذنب الكبير ، وهو الشرك^(٣) ، ونحو ذلك قال قتادة ومجاهد والسُّدي^(٤) ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ، قال : كانوا لا يتوبون عن الشرك ، ولا يستغفرون^(٥) .

وقال الشعبي : الحنث العظيم اليمين الغموس^(٦) ، وشرح أبو بكر الأصم^(٧) هذا فقال : إنهم كانوا يقسمون أن لا بعث ، وأن الأصنام أندادُ الله ، وكانوا يقيمون عليه ، فذلك حنثهم^(٨) ، واختاره الزَّجاج ، فقال : ودليل ذلك قوله : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ، فهذا - والله أعلم - إصرارهم على الحنث العظيم^(٩) ، ويدلُّ على هذا ما ذكر الله تعالى من إنكارهم البعث ، وهو قوله : ﴿وَكَاؤُوا يَقُولُونَ أَيَّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ الآية .

(١) في نسخة (ك) : (النعب) ، والصواب ما أثبتته .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (حنث) ٤ / ٤٨٠ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٣٨ ب .

(٤) انظر : جامع البيان ١١٢ / ٢٧ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٧٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٩٥ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢١٣ .

(٧) أبو بكر الأصم ، شيخ المعتزلة ، كان ديناً وقوراً صبوراً على الفقر ، له تفسير ، وكتاب خلق القرآن ، وكتاب الحجة والرسول ، توفي سنة ٢٠١ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٠٢ ، والفهرست ٢١٤ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢١٣ .

(٩) انظر : معاني القرآن ٥ / ١١٣ .

٥٥. وما بعدها ظاهر إلى قوله : ﴿ فَشَرِبُوا شَرْبَ الْهَيْمِ ﴾ . وقرئ : (شرب) بضم الشين^(١) ، فقال الزَّجَّاج : الشَّرْب المصدر ، والشَّرْب الاسم ، قال : وقد قيل : إن الشرب أيضاً المصدر^(٢) . واختار أبو عبيد الفتح ، وادَّعى أنه لغة النبي ﷺ حين قال لأيام التشريق : «إنها أيام أكل وشرب»^(٣) .

قال المبرِّد : هذا كلام هائل لا يجترأ عليه إلا باليقين ، وأكثر الرواية «أكل وشرب» بالضم ، والضم والفتح معروفان عند أهل اللغة ؛ أمَّا الفتح فهو على أصل المصدر ، والضم اسم للمصدر ، والمعنى في ذلك واحد ، تقول : شغل شَغلاً والاسم شُغْل ، وضعف ضِعْفاً والاسم الضُّعْف ، وكذلك الْفَقْر والفُقْر^(٤) .

وأما ﴿ الْهَيْمِ ﴾ فأكثر المفسرين على أنه الإبل العطاش ، وهو قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير^(٥) ، ومنهم من ذكر السبب في عطشها ، قال عكرمة : هي الإبل المراض ، ألا تراها تمص الماء مصاً ولا تروى^(٦) .

(١) قرأ نافع ، وعاصم ، وحمة ، وأبو جعفر : ﴿ شَرِبَ ﴾ بضم الشين ، وقرأ الباقون بفتحها . انظر : حجة القراءات ٦٩٦ ، والنشر ٣٨٣ / ٢ ، والإتحاف ٤٠٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١١٣ / ٥ .

(٣) صحيح مسلم في كتاب الصيام ، باب : تحريم صوم أيام التشريق ٨٠٠ / ٢ ، ومسند أحمد ١٥٢ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ٧٠٢ / ٢ ، والحة للقاء السبعة ٢٦٠ / ٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٣٥-٣٣٩ ، وتهذيب اللغة (شرب) ٣٥٢ / ١١ .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٦٤٩ / ٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢٧٢ / ٢ ، وجامع البيان ١١٣ / ٢٧ . وروى ابن عباس وعكرمة والضحاك ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٢٩٥ / ٤ .

(٦) انظر : جامع البيان ١١٣ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٨٦ / ٤ .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : هي الإبل التي بها الهيام لا تروى^(١) ،
وقال في رواية أبي صالح : يعني شرب الإبل الظماء^(٢) إذا أخذها الداء فلا تكاد
تروى^(٣) ، ونحو هذا ذكر مقاتل^(٤) .

قال الفرّاء : الهيم الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء ، واحدها
أهيم^(٥) ، والأنثى هيماء ، قال : ومن العرب من يقول هائم ، والأنثى هائمة ،
ثم يجمعونه على هيم كما قالوا : عائط^(٦) ، وعوط^(٧) ، وحائل وحول ، إلا أن
الضمة تركت في هيم لثلاث تصير الياء واواً^(٨) .

وقال شمر في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «إن رجلاً باع منه إبلاً
هيماً»^(٩) . قال شمر : قال بعضهم : الهيم العطاش الظماء ، ويقال : هي المراض
التي تمص الماء مصاً ولا تروى .

-
- (١) انظر : الوسيط ٢٣٦/٤ .
(٢) في نسخة (ك) : (العطاء) ، والصواب ما أثبتته .
(٣) انظر : جامع البيان ١١٣/٢٧ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ أ .
(٥) في نسخة (ك) : (الهيم) ، والصواب ما أثبتته .
(٦) العائط : هي التي لم تحمل سنين من غير عقم .
(٧) كذا في نسخة (ك) ، وفي معاني القرآن للفرّاء ١٢٨/٣ ، وفي اللسان (هيم) عن الفرّاء (عيط) ، وكلاهما
صواب . قال في اللسان (عوط) ٩٢٩/٢ ، قال الكسائي : إذا لم تحمل الناقة أول سنة يطرّقها الفحل
فهي عائط وحائل ، فإذا لم تحمل السنة المقبلة أيضاً فهي عائط عوط وعوطط ، زاد الجوهري : عائط
عيط .
(٨) انظر : معاني القرآن ١٢٨/٣ .
(٩) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع ، باب : شراء الإبل الهيم أو الأجرع
٨٢/٣ ، وفيه : «فجاءه ، فقال : إن شريكي باعك إبلاً هيماً ولم يعرفك . . . » الحديث .

قال الأصمعي : الهيام داء شبيه بالحمى تسخن عليها جلودها ، يعني الإبل ، وقيل : إنها لا تروى إذا كانت كذلك^(١) ، وهو في قول لبيد^(٢) :

أجزت على معازفها بشعثٍ وأطلاح من المهريِّ هيم
وقال الضحاك والكلبي : الهيم السهلة من الرملة^(٣) ، وهو قول ابن عباس في رواية عمرو بن دينار ، قال : يعني هيام الأرض^(٤) .

قال الليث : الهيام من الرمل ما كان تراباً دقيقاً يابساً ، ومنه قول لبيد :

بعجوب أنقاء يميلُ هيامُها^(٥)

قال مقاتل : يلقي على أهل النار العطش ، فيشربون كشر الهيم .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . قال مقاتل : يعني الذي ذكر من الزقوم والشراب^(٦) ، وقال الكلبي : هذا نزلهم يعني طعامهم وشرابهم^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ٦/٤٦٧ ، واللسان (هيم) ٣/٨٥٨ .

(٢) ديوانه ١٨٥ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٣٨ ، وجامع البيان ٢٧/١١٣ ، وتفسير ابن عيينة ٣٣٣ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٨٦ ، وزاد نسبه إلى ابن عيينة .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢١٥ ، وروح المعاني ٢٧/١٤٦ .

(٥) انظر : ديوانه ١٧٢ ، وتهذيب اللغة ٦/٤٦٧ ، واللسان (هيم) ٣/٨٥٨ ، والمنصف ٣/٥٢ ، وشرح المعلقات للزوزني ٨٤ . والبيت ورد في معلقة لبيد ، وصدره :
تجتأف أصلاً قالصاً متنبذاً

ومعناه أن البقر يستتر من البرد والمطر بأغصان الشجر ولا تقيها البرد والمطر لتقلصها ، وتنهال كئبان الرمل عليها مع ذلك .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١١٣٩ أ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٣٨ .

وقال الزَّجَّاج : هذا غذاؤهم يوم يجازون بأعمالهم^(١) ، وروي عن أبي عمرو^(٢) (نُزُهُمْ) مخففاً ، وهما لغتان^(٣) ، مثل : الشَّغْل والشَّغْل ، والعَنْق والعَنْق . وتفسير النزول قد ذكرناه في مواضع^(٤) .

٥٧ . ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ .

ثم احتج عليهم في البعث بقوله : ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ﴾ . قال مقاتل : خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك^(٥) . (فَلَوْلَا) : فهلاً (تُصَدَّقُونَ) بالبعث ، ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا ، فقال :

٥٨ . قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ : ما تقدفون وتصبون في أرحام النساء من النطف . وذكرنا الكلام في الإمناء عند قوله : ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم : ٤٦] .

٥٩ . ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ : ما تمنيون بشراً . ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ : احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق .

(١) انظر : معاني القرآن ١١٣/٥ .

(٢) قرأ الجمهور : ﴿نُزُهُمْ﴾ بضم الزاي ، وقرأ ابن محيصن وخارجة عن نافع ، ونعيم ، ومحبوب ، وأبو زيد ، وهارون ، وعصمة ، وعباس ، كلهم عن أبي عمرو : (نُزُهُمْ) بسكون الزاي . انظر : الكشف ٦٠/٤ ، والجامع للقرطبي ٢١٥/١٧ ، والبحر المحيط ٢١٠/٨ .

(٣) انظر : اللسان (نزل) ٦١٩/٣ .

(٤) عند تفسيره الآية رقم : ١٩٨ من سورة آل عمران . قال : النزول ما يهبى للضيف أو لقوم إذا نزلوا موضعاً ، ويقال أقمت لهم نزهة ؛ أي أقمت لهم غذاءهم وما يصلح معه أن ينزلوا عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١١٣٩ .

٦٠. قوله تعالى : ﴿مَنْ قَدَرْنَا يَنْكَرُ الْمَوْتَ﴾ . وقرأ ابن كثير : (قَدَرْنَا) مخففاً ، وهما لغتان : قدرت الشيء وقدرته ^(١) ، ويدل عليه قوله ^(٢) :

ومفرهةٍ عنسٍ قدرتٍ لساقها فخرت كما تتابعُ الريحُ بالقفلِ

المعنى : قدرت ضربي لساقها فضربت بها فخرت . قال ابن عباس : يريد الآجال ^(٣) . قال مقاتل : فمنكم من يموت كبيراً ، ومنكم من يموت صغيراً وشاباً وشيخاً ^(٤) ، وقال الضحاك : تقديره أنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء ؛ شريفهم ووضيعهم ^(٥) ، وعلى هذا يكون معنى (قَدَرْنَا) قضيناه .

قوله تعالى : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ : يريد لا يفوتني شيء أريده ، ولا يمتنع مني أحد . وهذه الآية متصلة بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ ، وعلى من صلة معنى مسبوقين لا من صلة اللفظ ، لا يقال : سبقته على كذا ، إنما يقال : إلى كذا ، ولكن يقال : غلبته على كذا ، ويكون مثل سبقته إليه . قال المفسرون : على أن تأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم ^(٦) .

(١) قرأ ابن كثير : (قَدَرْنَا) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقر بتشديدها . انظر : حجة القراءات ٦٩٦ ، والنشر ٣٨٣ / ٢ ، والإتحاف ٤٠٨ .

(٢) البيت لأي ذؤيب الهذلي . انظر : ديوان الهذليين ٣٨ / ١ ، ورواية ديوان الهذليين : (لرجلها) بدل (ساقها) ، والحجة ٤٨ / ٥ . والمفرهة : الناقة التي تجيء بأولاد فوارة ، والعنس : الصلبة الشديدة ، قدرت : هيأت ، القفل : ما جف من ورق الشجر .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٣٣٨ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١١٣٩ أ ، ومعالم التنزيل ٢٨٧ / ٤ .

(٥) انظر : الوسيط ٢٣٧ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٩٥ / ٤ .

(٦) انظر : جامع البيان ١١٣ / ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٨٧ / ٤ .

قال أبو إسحاق^(١) : أي إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ذلك^(٢) .

٦١ . قوله تعالى : ﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في غير حليتكم^(٣) إلى ما أسمع^(٤) منها^(٥) .

وقال مقاتل : ونخلقكم في سوى خلقكم مما لا تعلمون من الصور^(٦) ، من أي خلق شئنا ، ونحو هذا قال مجاهد والسُّدي^(٧) ، وقال الحسن : نبذل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم^(٨) .

وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ ، وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بني آدم قدر ، ولو شاء أن يمسخهم في غير صورتهم قدر .

وقال أبو إسحاق : إن أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك^(٩) .

وقال بعض أهل المعاني : هذا على النشأة الثانية يكوّنها الله في وقت لا يعلمه العباد ، ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل^(١٠) ، ويكون

(١) انظر : معاني القرآن ٥ / ١١٤ .

(٢) (ذلك) ساقطة من نسخة (ك) . انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١١٤ .

(٣) كذا في (ك) ، ولعلها : (خلقتكم) .

(٤) سَمِعَ الشيء : قبح ، يسمع سحابة إذا لم يكن فيه ملاحظة . اللسان (سمع) ٢ / ١٩٧ .

(٥) لم أجده .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ أ .

(٧) قال مجاهد : «في أي خلق شئنا» . انظر : جامع البيان ٢٧ / ١١٤ .

(٨) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣١٧ .

(٩) انظر : معاني القرآن ٥ / ١١٤ .

(١٠) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢١٧ .

التقدير على هذا : وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمون ، يعني وقت البعث ، وتكون هذه الآية متصلة بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ﴾ ، يعني لا تعلمون ذلك ، ولقد علمتم هذه كيف كانت ، وهذا الوجه اختيار الحسين بن الفضل ^(١) .

٦٢ . قوله : ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . والمعنى : قد علمتم ابتداء الخلق حين خلق من نطفة وعلقة ومضغة ، فلم تنكروا البعث ، وروى مرفوعاً : «عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ، وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور» ^(٢) .

٦٣-٦٤ . قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ^(٣) . ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ . قال الكلبي : ما تعملون في الأرض ^(٣) .

وقال غيره : ما تلقون في الأرض من البذور ^(٤) . وذكرنا معنى الحرث في ما تقدّم ^(٥) .

﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : تنبتونه أم نحن المبتتون ^(٦) . قال المبرد : يقال : زرعه الله أنهاه ، ومنه يقال للصبي : زرعه الله ^(٧) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أجده في الحديث .

(٣) انظر : الوسيط ٢٣٧/٤ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٢٨٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٧ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم : ٧١ من سورة البقرة ، وما قال : الحرث : كل موضع دللته من الأرض ليزرع فيه ، ويقال له عند غرسه وبذره إلى حيث بلغ حرث . فمعنى الحرث الأرض المهيأة للزرع ، ومنه قوله : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] على التشبيه بالأرض التي قد هيئت للزرع . انظر : البسيط ١٠٥٩/٣ ، تحقيق : الفوزان .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٣٣٩/٥ ، وتفسير مقاتل ١٣٩ أ .

(٧) انظر : اللسان (زرع) ٢٠/٢ .

٦٥. ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ ؛ أي جعلنا ما تحرثون ﴿حُطَمًا﴾ . قال عطاء :
تبناً لا قمح فيه ^(١) ، وقال مقاتل : هالكاً ^(٢) . قال أبو عبيدة : الحطام
والهشيم والرفات واحد ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي أبطلناه حتى يكون متحطماً لا حنطة فيه ولا شيء مما
تزرعون . هذا كلامه ^(٤) . وتلخيص المعنى أن الله يقول : لو نشاء لجعلنا ما تحرثون
كُلًّا يصير بعد يبسه حطاماً متكسراً لا حنطة فيه ، وكل ما نبت من الأرض حطام
غير الحب ، فإنه صُلب لا يتحطم وسائره بعد الهيج حطام ^(٥) .

قوله تعالى : ﴿فَظَلْتُمْ﴾ ذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾
[طه : ٩٧] ^(٦) .

(تَفَكَّهُونَ) ؛ أي تندمون ، قاله عكرمة والحسن وقتادة ^(٧) ، وقال عطاء
والكلبي ومقاتل ومجاهد : تعجبون ^(٨) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٨٧ / ٤ ، وزاد المسير ١٤٨ / ٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ أ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٨ / ١٧ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥١ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٤٤ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (حطم) ٣٩٩ / ٤ .

(٦) ومما قال عند تفسيره هذه الآية : ظلت أصله ظللت . قال الزجاج : ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف
والكسر ، والعرب تفعل ذلك كثيراً وظلَّ نهاره يفعل كذا ، وكذا يظلُّ ظلاً وظلواً وظللت أنا ،
وظلَّت وظلْتُ . لا يقال ذلك إلا في النهار ، لكنه قد سمع بعض الشعر ظلَّ ليله ، ومنه قوله تعالى :
﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ . انظر : اللسان (ظلل) ٢ / ٦٤٧ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٧٢ ، وجامع البيان ٢٧ / ١١٤ ، والوسيط ٤ / ٢٣٨ ، والجامع لأحكام
القرآن ١٧ / ٢١٩ .

(٨) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١١٤ ، ومعالم التنزيل ٢٨٧ / ٤ ، ولم أقف عليه في تفسير مجاهد ومقاتل .

قال الفرّاء^(١) : تفكهون : تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم ، قال : ويقال معناه تندمون ، وكذلك تفكنون^(٢) ، وهي لغة لعكل^(٣) .

قال اللحياني : أزد شنوءه يقولون : تفكهون ، وتميم تقول : تفكنون ، وقال ابن الأعرابي : تفكّمت وتفكنت ؛ أي تدمت ، وأنشد لرؤبة ، فقال^(٤) :

أما جزاء العارفِ المستيقنِ عندك إلا حاجةُ التفكّنِ

وقال الكسائي وأبو عمرو : هو التلهف على ما فات^(٥) ، والمعنى في الآية : تلهفون على ما فاتكم ، وعلى هذا يتوجه قول من قال : تفجعون وتحزنون^(٦) .

٦٦ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ . قال الزّجاج وغيره : أي وتقولون : إِنَّا لمغرمون ، فحذف القول ، ومعنى المغرم : الذي ذهب ماله بغير عوض^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٢٨ .

(٢) وقول المؤلف : « وكذلك تفكنون وهي لغة لعكل » ليست في معاني الفرّاء المطبوعة ، وهي في التهذيب منسوبة إليه .

(٣) عُكَل : بطن من طابخة من العدنانية ، وعكل اسم امرأة حضنت بني عوف بن وائل فغلبت عليهم وسموا باسمها ، من قراهم الشقراء والأشقر . انظر : معجم قبائل العرب ٢/ ٨٠٤ . (وتفكنون) قرأ بها أبو حزام . انظر : الكشف ٤/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٢١١ ، وروح المعاني ٢٧/ ١٤٨ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٠ ، واللسان (فكن) ٢/ ١١٢١ . والبيت في ديوانه ١٦١ ، المرجع السابقة .

(٥) انظر : تهذيب اللغة نفسه ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٨٧ ، وفتح القدير ٥/ ١٥٧ .

(٦) قاله مجاهد ، وفسّر ابن كيسان التفكه بالحزن . انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢١٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٦ .

(٧) قاله الضحاك وابن كيسان . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٢٠ ، وفتح القدير ٥/ ١٥٧ .

قال أبو إسحاق : يقولون : إنّنا قد غرّمنا وذهب زرّعنا^(١) ، يعني : غرّمنا الحب الذي بذرناه ، فذهب في غير عوض ، هذا الذي ذكرنا هو الأصل .

قال أبو عبيدة والفرّاء : لمعذبون^(٢) ، وهو قول ابن عباس وقتادة^(٣) ، وهذا معنى كأنهم ذهبوا إلى أنهم عذبوا بذهاب أموالهم .

وقال عكرمة ومجاهد ومقاتل : لمولع بنا^(٤) . والمعنى : لمولع بنا الشر من قولهم : أغرم فلان بفلانة إذا أولع بها ، ومنه الغرام ، وهو الشر اللازم ، وقد تقدّم تفسيره^(٥) . ويدلّ على القول الأول^(٦) قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ ؛ أي حرّمنا ما كنّا نطلبه من الربيع في الزرع .

وما بعد هذا ظاهر ومفسّر في ما تقدّم إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ ثُورُونَ ﴾ . قال الكسائي : أَوْرَيْتُ النار ، وقد وَرَتْ وَوَرَيْتُ^(٧) .

(١) انظر : معاني الزّجاج ١١٤ / ٥ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥١ ، ومعاني القرآن ٣ / ١٢٩ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٣٣٩ ، وجامع البيان ٢٧ / ١١٥ ، وهو اختيار ابن جرير .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ أ ، وجامع البيان ٢٧ / ١١٥ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم ٦٥ من سورة الفرقان ، وما قال : والغرام : السلازم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاء والحبّ والعشق وما لا يستطيع أن يتفصّى منه ، ويروى أن الغريم إنما سمي غريباً لأنه يطلب حقه ويلج حتى يقتضيه ، فمعنى غراماً ملحاً دائماً . انظر : اللسان (غرم) ٢ / ٩٨١ .

(٦) وهو قول الضحاك وابن كيسان والزّجاج .

(٧) انظر : اللسان (وري) ٣ / ٩١٦ .

وقال أبو إسحاق : وَرَى الزُّنْدُ يَرِيْ فَهُوَ وَاِرٌ إِذَا انْقَدَحَتْ مِنْهُ النَّارُ ، وَأُورِيَتْ
النَّارُ إِذَا قَدَحَتْهَا^(١) ، وقال الكلبي والمبرد : أَوْرَى الْقَادِحَ إِذَا أَتَى بِالنَّارِ . قَالَ
الْأَعَشَى^(٢) :

وَلَوْ بَتَّ تَقْدَحُ فِي ظِلْمَةٍ صَفَاءً بَنِيحٍ لِأُورِيَتْ نَارَا
يقول : أَنْتَ مَيْمُونُ الطَّائِرِ ، فَلَوْ التَّمَسْتَ الشَّيْءَ مِنْ حَيْثُ لَا يُوْجَدُ لَوُجِدَتْهُ .
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : تَوْرُونَ : تَسْتَخْرِجُونَ^(٣) ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : تَقْدَحُونَ^(٤) ، وَقَالَ
مِقَاتِلٌ : تَوَقْدُونَ^(٥) .

٧٢ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ شَجَرَتَاهَا ﴾ . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : يَعْنِي الَّتِي تَقْدَحُ مِنْهَا . وَهِيَ
الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ^(٦) .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَهُمَا شَجَرَتَانِ يَوْرِيَانِ النَّارَ وَهُمَا رَطْبَانِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَعَشَى^(٧) :
وَزَنْدُكَ خَيْرُ زَنَادِ الْمُلُوكِ صَادَفَ مِنْهِنَّ مَرْخًا عَفَارًا

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١١٥ / ٥ .

(٢) ديوانه ٨٤ ، وروايته :

وَلَوْ رُمَتْ فِي لَيْلَةٍ قَادِحًا حَصَاءً بَنِيحٍ لِأُورِيَتْ نَارَا

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥٢ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٣٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ أ .

(٦) قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهُمَا شَجَرَتَانِ فِيهَا نَارٌ لَيْسَ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الشَّجَرِ ، وَيَسْوَى مِنْ أَغْصَانِهَا الزَّنَادُ
فَيَقْتَدَحُ بِهَا . تَهْذِيبُ اللَّغَةِ (عُفْر) ٢ / ٣٥١ .

(٧) الديوان ٨٤ ، وروايته :

زَنْدُكَ خَيْرُ زَنَادِ الْمُلُوكِ خَالَطَ مِنْهِنَّ مَرْخٌ عَفَارَا

الخرانة ٧ / ٢٥٠ .

وتقول العرب للرجل إذا كان معاملته سهلاً غير ملتوٍ ولا ممأطِلٍ : أرخَ يديك واسترخِ إن الزناد من مرخ^(١) .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿ تَحْنُ جَعَلْنَهَا تَذَكُّرَةً ﴾ . قال عطاء : موعظة ليتعظ بها المؤمن^(٢) .

وقال الكلبي : عظة في الدنيا من نار جهنم^(٣) ، وقال عكرمة ومجاهد ومقاتل : جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى^(٤) .

قال أبو إسحاق : أي إذا رآها الرائي ذكر جهنم وما يخافه من العذاب ، فذكر الله - عز وجل - واستجار به منها^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَتَعْنَا لِلْمُقِيمِينَ ﴾ . قال الفراء والزجاج : المقوي الذي ينزل بالقواء وهي الأرض الخالية^(٦) ، وكل من نزل بها من مسافر ماراً أو مقيم بها فهو مقوٍ .

قال الليث : أقوى القوم إذا وقعوا في قي من الأرض^(٧) .

قال ابن عباس : يريد ينتفع بها أهل البوادي والأسفار^(٨) .

(١) انظر : اللسان (مرخ) ٤٦٣/٣ ، ونسب تفسير المثل إلى ابن الأعرابي .

(٢) انظر : الوسيط ٢٣٨/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٨٨/٤ ، وفتح القدير ١٥٨/٥ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٣٤٠/٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٦٥١/٢ ، وتفسير مقاتل ١٣٩ أ ، ومعالم التنزيل ٢٨٨/٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن ١١٥/٥ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١٢٩/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١١٥/٥ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (قوى) ٣٦٩/٩ .

(٨) انظر : تنوير المقياس ٣٤٠/٥ ، والوسيط ٢٣٨/٤ .

وقال الكلبي : منفعة للمسافرين النازلين في الأرض القي^(١) .

وقال مقاتل : يقول : ومنافع لمن كان بأرض قي ، ومنهم الأعراب^(٢) ، ونحو هذا قال الحسن والضحاك^(٣) ، وعلى هذا القول خص المسافر بالانتفاع بها ؛ لأن منفعتها بها أكثر من منفعة المقيم ؛ وذلك أن أهل البوادي لا بد^(٤) لهم من النار يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع ، وفي كثير من حوائجهم .

وقال أبو عبيدة : المقوي الذي لا زاد معه ولا مال ، وهذا من قولهم : أقوت الدار ؛ أي خلت^(٥) ، فالمقوي الخالي من الزاد ، وهذا قول الربيع والسدّي ، قال : يعني المرملين المقترين الذين لا زاد معهم ، فهؤلاء يوقدون النار ، ويشتون بها لحوم الصيد ، ولا بدّ لهم منها ، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس^(٦) .

وفي المقوين قول ثالث ، وهو قول عكرمة ومجاهد ، قالوا : للمقوين ؛ أي للمستمتعين بها من الناس أجمعين^(٧) : المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ، ويصطلون من البرد ، ويتنفعون بها في الطبخ والخبز^(٨) .

وعلى هذا المقوي من الأضداد . ويقال للفقير : مقوٍ لخلوه من المال ، وللغني : مقوٍ لقوته على ما يريد ، يقال : أقوى الرجل إذا صار إلى حالة القوة ، ذكر ذلك

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٨٨/٤ ، وفتح القدير ١٥٨/٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ أ .

(٣) انظر : جامع البيان ١١٦/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٨٨/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٧ .

(٤) في (ك) : (بدل) .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢٥٢/٢ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٧ .

(٧) انظر : تفسير مجاهد ٦٥١/٢ ، وجامع البيان ١١٦/٢٧ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٧ .

قال ابن كثير في تفسيره ٢٩٧/٤ : وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير ، الجميع محتاجون إليها للطبخ ، والاصطلاء ، والإضاءة ، وغير ذلك من المنافع .

قطرب وغيره^(١). والمعنى : ومتاعاً للأغنياء والفقراء ؛ وذلك أنه لا غني بأحد عنها .

قال أبو إسحاق : ذكر الله - عز وجل - في هذه السورة ما يدل على توحيده ، وما أنعم به عليهم من خلقهم وتغذيتهم مما يأكلون ويشربون ، ثم قال :

٧٤ . قوله تعالى : ﴿ فَسَيَحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ؛ أي فبرئ الله - عز وجل - مما يقولون في وصفه^(٢) .

٧٥ . قوله : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ : أكثر أهل العلم على أن (لا) صلة . المعنى : فأقسم^(٣) ، وزيادة (لا) كثير في الكلام والتنزيل .

وذهب أهل المعاني^(٤) إلى أن (لا)^(٥) هاهنا رد لقولهم في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة ، فرد الله ذلك بقوله : (فَلَا) ، ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم ، ومثل هذا قوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ [النساء: ٦٥]^(٦) .

(١) انظر : الأضداد لقطرب ٩٢ ، والأضداد للأصمعي والسجستاني ٤ ، ١٢٤ ، ٢٧٩ ، ٦٣٨ ، ومعالم التنزيل ٢٨٨ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٢ / ١٧ ، ورواه ثعلب عن ابن الأعرابي . انظر : تهذيب اللغة (قوى) ٣٦٩ / ٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١١٥ / ٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥٢ ، والكشاف ٤ / ٦١ ، ومعالم التنزيل ٢٨٩ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٣ / ١٧ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١١٧ ، ومعالم التنزيل ٢٨٩ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٢٣ .

(٥) (لا) ساقطة من نسخة (ك) .

(٦) هذا القول نسبته المفسرون إلى الفراء وسعيد بن جبير . قال أبو حيان : ولا يجوز ؛ لأن في ذلك حذف اسم لا وخبرها ، وليس جواباً لسائل سأل فيحتمل ذلك نحو قوله : لا لمن قال : هل من رجل في الدار ؟ البحر المحيط ٨ / ٢١٣ .

وقد مرَّ قوله تعالى : ﴿يَمَوْقِعُ النُّجُومِ﴾ ، وقُرئ : (بِمَوْقِع) ^(١) .

قال أبو عبيد : والتي نختار الجماع ؛ لأنها في التفسير منازل القرآن حين نزل نجوماً ، قال : وبعضهم يتأولها مغائب الكواكب حين تسقط ، فأَي الوجهين كان فالجماع أولى ^(٢) .

وقال المبرِّد : (موقع) هاهنا مصدر ، فهو يصلح للقليل والكثير ، والواحد والجمع ^(٣) ، كما تقول : عجبت من ضرب القوم ، ومن علم القوم ، فالواحد ينبئ عن الجميع .

وقال أبو علي : المصادر وسائر الأجناس إذا اختلفت جاز جمعها ، كما قال عز من قائل : ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ ، فجمع للاختلاف ، وقال : ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [النمل : ١٩] ، فأفرد لما كان الجميع ضرباً واحداً ، فمن قال : ﴿يَمَوْقِعُ النُّجُومِ﴾ فأفرد ؛ فلأنه اسم جنس ، ومن جمع فلاختلاف ذلك . فأما قول الشاعر ^(٤) :

كَأَنَّ مَتْنَيْهِ مِنَ النَّفْيِ مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصَّفِيِّ

فليس اسم المصدر ، وإنما هو موضع فجمع ؛ لأن المعنى على الجمع ، وإنما شبه مواضع بمواضع ^(٥) .

(١) قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (بموقع) على واحد ، وقرأ الباقون : ﴿يَمَوْقِعُ﴾ جماعة . انظر : حجة القراءات ٦٩٧ ، والنشر ٣٨٣ / ٢ ، والإتحاف ٤٠٩ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : الوسيط ٢٣٩ / ٤ ، وفتح القدير ١٦٠ / ٥ .

(٤) البيت للأخيل الطائي كما في اللسان (صفا) ٤٥٥ / ٢ ، والجمهرة ١٥٣ / ٣ ، ومجالس ثعلب ٢٠٧ / ١ ، والحيوان ٣٣٩ / ٢ ، والخصائص ١١ / ٢ ، والمتنصف ٧٢ / ٣ . والبيت يصف ساقياً ويشبه الماء لما جف على ظهره وابتضَّ بذرق الطائر ، والصفي جمع الصفا ، والصفا جمع الصفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم الأملس .

(٥) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٦٣ / ٦ .

وأما التفسير فقال عطاء عن ابن عباس : يريد : أقسم بنزول القرآن ، وهو قول الكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير وقتادة^(١) .

وذكرنا معنى النجوم في نزول القرآن عند قوله : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم : ١] ، وذهب جماعة من المفسرين^(٢) إلى أن مواقع النجوم معناها مغارب النجوم ومساقطها ، وهو قول أبي عبيدة ، قال : والله تعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه ، وليس للعباد أن يحلفوا إلا به ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج : ٤٠]^(٣) .

وقال الحسن : يعني انكدارها وانتثارها^(٤) ، وهذا على قراءة من قرأ : ﴿يَمَوِّعُ النُّجُومَ﴾ ؛ لأنه مصدر يريد بوقوعها سقوطها من السماء عند انكدارها ، ويجوز الجمع أيضاً لإضافته إلى النجوم ، ولكل نجم وقوع .

٧٦ . ثم أخبر عن عظم هذا القسم فقال : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ . قال الفراء والزجاج : هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن^(٥) ، والضمير في (إِنَّهُ) يعود على القسم ، ودلَّ عليه قوله : (أُقْسِمُ) . والمعنى : وأن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بذلك .

(١) انظر : تنوير المقياس ٣٤٠/٥ ، وتفسير مجاهد ٦٥١/٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢٧٣/٢ ، وتفسير مقاتل ١٣٩ب ، وجامع البيان ١١٧/٢٧ .

(٢) وهو قول قتادة وغيره . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٩٨ ، وهو اختيار ابن جرير . جامع البيان ١١٧/٢٧ .

(٣) من الآية رقم : ٤٠ من سورة المعارج . والذي في مجاز القرآن ٢/٢٥٢ قوله : «فأقسم بمواقع النجوم ، ومواقعها مساقطها ومغايها» .

(٤) انظر : جامع البيان ١١٧/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٨٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/١٢٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١١٥ .

وقال أبو علي الفارسي : التقدير في : (لَوْ تَعْلَمُونَ) ما علموا ، كما تقول : لو قمت ؛ أي قم^(١) .

وزعم أبو الحسن أن الماضي في هذا المعنى أكثر من المضارع .

والآية اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ؛ لأن التقدير : فأقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم .

وقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض أيضاً بين الصفة والموصوف من الجملة التي هي اعتراض^(٢) .

ثم ذكر المقسم عليه بقوله : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ ؛ أي إن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ لقرآن كريم . قال الكلبي : حسن كريم على ربه^(٣) .

وقال مقاتل : كرمه الله وأعزه لأنه كلامه^(٤) .

وقال أهل المعاني^(٥) : القرآن الكريم الذي من شأنه يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين .

وقال الأزهرى : الكرم اسم جامع لما يُحمد ، والله كريم حميد الفعال .

٧٧ . ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ؛ أي قرآن يُحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة^(٦) .

(١) انظر : التفسير الكبير ١٨٩/٢٩ .

(٢) انظر : الكشف ٦٢/٤ ، والبحر المحيط ٢١٤/٨ ، وفتح القدير ١٦٠/٥ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٣٤٠/٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ب ، ومعالم التنزيل ٢٨٩/٤ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٢٨٩/٤ ، وفتح القدير ١٦٠/٥ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (كرم) ٢٣٤/١٠ .

٧٨. قوله : ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ . قال جماعة المفسرين : يريد في اللوح المحفوظ .

قال الكلبي : مكنون من الشياطين^(١) .

وقال مقاتل : مستور من خلقه عند الله في اللوح المحفوظ^(٢) .

وقال أبو إسحاق : أي مصون في السماء^(٣) .

وقال مجاهد : في كتاب مكنون لا يصيبه تراب ، ولا غبار^(٤) .

٧٩. قوله : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : أكثر المفسرين على أن الكناية في قوله : (لَا يَمَسُّهُ) تعود إلى الكتاب المكنون ، وهو اللوح المحفوظ .

والمطهرون هم الملائكة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ، وباذان ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، والضحاك ، والكلبي ، وقتادة ، ومقاتل^(٥) ، قالوا : المطهرون الملائكة طهروا من الشرك والذنوب والأحداث والنجاسات ، فالذي في السماء لا يمسّه إلا المطهرون ، وأمّا كتابنا فيمسه الطاهر وغير الطاهر ، وهو اختيار الفرّاء والزّجاج ، قالوا : لا يمس ذلك اللوح المحفوظ إلا الملائكة^(٦) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٨٩ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن ١١٥ / ٥ .

(٤) انظر : جامع البيان ١١٨ / ٢٧ .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٦٥٢ / ٢ ، وتفسير مقاتل ١٣٩ ب ، وتفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٧٣ ، وجامع البيان

١١٩ ، ١١٨ / ٢٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٣٠ / ٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ١١٦ / ٥ .

والمعنى على هذا القول أن النسخة التي في السماء من القرآن مكنون مصون لا يصل إليه أحد، ولا يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة. ومذهب الفقهاء^(١) في هذه الآية أن الضمير في قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ يعود إلى القرآن، والمراد بالقرآن المصحف لقوله ﷺ: «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو»^(٢)، يعني المصحف، والمراد بقوله: (الْمُطَهَّرُونَ)؛ أي من الأحداث والجنابات، وقالوا: قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ خبر في معنى النهي، ومنعوا بهذه الآية الجنب والحائض والمحدث من مسّ المصحف وحمله، وإن كان بعلاقة أو في غلاف، وهذا قول محمد بن علي، وعطاء، وطاوس، وسالم، والقاسم، وعبدالرحمن بن الأسود، وإبراهيم، وسفيان، ومذهب مالك، والشافعي^(٣).

٨٠. قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قال أبو إسحاق: تنزيل صفة لقوله: ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، وعلى هذا المراد بالمصدر المفعول. والمعنى

(١) قال الجصاص: «إن حمل اللفظ؛ أي قوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ على حقيقة الخبر فالأولى أن يكون المراد القرآن الذي عند الله والمطهرون الملائكة، وإن حمل على النهي - وإن كان في صورة الخبر - كان عموماً فينا وهذا أولى...». أحكام القرآن ٤١٦/٣، وانظر: سنن سعيد بن منصور ٣٤٦/٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد، باب: السفر بالمصحف إلى أرض العدو ٦٨/٤، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار ١٤٩٠/٣، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب: في المصحف يسافر به إلى أرض العدو ٤٩٥/٢، وأحمد في المسند ٦/٢. ولفظ البخاري: «... عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو».

(٣) قال ابن قدامة: «ولا يمس المصحف إلا طاهر، يعني طاهراً من الحدثين جميعاً. روى عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس...»، ولا نعلم مخالفاً لهم إلا داود؛ أي الظاهري، قال: ويجوز حمله بعلاقته، وهذا قول أبي حنيفة، وروى ذلك عن الحسن، وعطاء، وطاوس، والشعبي، والقاسم، وأبي وائل، والحكم، وحماد، ومنع منه الأوزاعي، ومالك، والشافعي. انظر: المدونة ١٠٧/١، والمغني ٢٠٢/١، ٢٠٣، والمحل ٨١-٨٤. قلت: وبهذا يتبين أن الواحدي - رحمه الله - عمم القول بمنع حمله بعلاقة مع أن منهم من جَوَّز ذلك، والله أعلم.

منزل كقولهم : ضَرَبَ الأمير ونَسَجَ اليمن ، قال : ويجوز أن يكون مرفوعاً على : هو تنزيل من رب العالمين^(١) . قال الكلبي : يعني القرآن تنزيل من رب العالمين على رسول الله ﷺ^(٢) .

٨١ . قوله تعالى : ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيْثِ أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيْثِ ﴾ القرآن يا أهل مكة ﴿ أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ ﴾ ، قال : تكفرون ، وتكذبون^(٣) .

وقال مقاتل : تكفرون^(٤) .

وقال الكلبي : تكذبون أنه ليس كما قال لكم ، وأنه لا جنة ، ولا نار ، ولا بعث^(٥) .

قال أبو عبيدة : المدهن والمداهن واحد^(٦) ، وقال الفرّاء : مدهنون مكذبون ، ويقال : كافرون^(٧) .

وقال الزّجاج : أي أفعال القرآن تكذبون ، قال : والمدهن والمداهن الكذاب المنافق^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن ١١٦ / ٥ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٣٤٠ / ٥ ، والوسيط ٢٤٠ / ٤ .

(٣) انظر : الوسيط ٢٤٠ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٩٠ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٧ / ١٧ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٣٤١ / ٥ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢٥٢ / ٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن ١٣٠ / ٣ .

(٨) انظر : معاني القرآن ١١٦ / ٥ .

وقال ابن الأعرابي : ﴿مُدْهُونٌ﴾ منافقون والادّهان والمداهنة اللين والمصانعة ، وهو أن يُسرَّ خلاف ما يظهر ، والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر^(١) ، هذا أصل معناه في اللغة .

ثم قيل للمكذب مدهن ، وإن صرّح بالتكذيب والكفر ، ويجوز أن يكون هذا خطاباً لمن آمن بالقرآن ظاهراً وأسرّ الكفر به ، وهذا معنى الادّهان والمداهنة .
قال المؤرج : المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره^(٢) .

٨٢ . قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ . قال ابن عباس وجماعة المفسرين : تجعلون شكركم أنكم تكذبون بنعمة الله عليكم ، فتقولون : سقيننا بنوء كذا^(٣) .

قال أبو إسحاق : كانوا يقولون : مُطرنا بنوء كذا ، ولا ينسبون السقيا إلى الله - عز وجل - فقليل لهم : أتجعلون رزقكم ؛ أي شكركم بما رزقتم التكذيب^(٤) .

وقال أبو علي الفارسي : أي وتجعلون رزقكم الذي رزقكموه ؛ أي شكر رزقكم - فحذف المضاف - أن تكذبوا بذلك الرزق أنه من الله ، وأن تنسبوه إلى غيره ، فتقولوا : مُطرنا بنوء كذا .

(١) انظر : اللسان (دهن) ١٠٢٨/١ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١٧ ، وفتح القدير ١٦١/٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ١١٩/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٩٠/٤ .

روى البخاري في كتاب الاستسقاء ، باب : قول الله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ٤١/٢ ، قال ابن عباس : شكركم . ورواه ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس . انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٩٩/٤ ، وتفسير ابن عباس ومروياته للحميدي ٨٦٣/٢ ، ٨٦٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١١٦/٥ .

ويجوز أن يكون المعنى : أن تكذبوا بما جاء به التنزيل في قوله تعالى : ﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَلْيَبْشَرُوا ﴾ [ق: ٩] إلى قوله : ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ﴾ [ق: ١١] ، وقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢] . فذكر أنه أنزل الماء ورزق به العباد الثمار ، فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله ، وكذب بما جاء به القرآن^(١) .

والمعنى : أتجعلون بدل الشكر التكذيب ؟

وروي عن عاصم : (أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ) خفيفة^(٢) ؛ أي تنسبون هذا الرزق إلى غير الله ، وقال الأزهري : معنى الآية : وتجعلون شكر^(٣) رزقكم الذي رزقكم الله التكذيب بأنه من عند الله الرزق ، وتجعلون الرزق من عند غير الله^(٤) ، وذلك كفر ، فأما من جعل الرزق من عند الله وجعل النجم وقتاً وقته الله للغيث ، ولم يجعله المغيث الرزق رجوت أن لا يكون مكذباً ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق في بعض أماليه : من قال : مُطَرْنَا بنوء كذا ، ومراده أَنَّا مُطَرْنَا في وقت طلوع نجم كذا ، ولم يقصد إلى فعل النجم ، فذلك - والله أعلم - جائز ، كما جاء عن عمر - رضي الله عنه - أنه استسقى بالمصلى ، ثم نادى العباس : كم^(٥) بقي من نوء الثريا ؟ فقال : إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها ، فوالله ما مضت تلك السبعة حتى غيث الناس^(٦) .

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) وهي قراءة الفضل عن عاصم ، ويحيى بن وثاب : (تَكْذِبُونَ) خفيفة منصوبة التاء . انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٣٠ .

(٣) (شكر) ساقطة من نسخة (ك) ، وزيادتها من تهذيب اللغة .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رزق) ٨ / ٤٣٠ .

(٥) كذا في نسخة (ك) ، وصوابها : «فقال : يا عباس يا عم رسول الله ﷺ : كم . . .» .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٧ / ١٢٠ ، وذكره القرطبي في جامعه ١٧ / ٢٣٠ ، وابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٩٩ .

وإنما أراد عمر : كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر ؟

هذا الذي ذكرنا هو قول جماعة المفسرين ^(١) .

وقال الحسن : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ ؛ أي حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون ، قال : وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به ^(٢) .

٨٣ . ثم احتج عليهم بقوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ . يقول : فهلاً إذا بلغت الروح أو النفس الحلقوم عند الموت .

٨٤ . ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ﴾ يجوز أن يكون خطاباً للذين بلغت روحهم الحلقوم ، وهم الذين أسرفوا على الموت ^(٣) ، ويجوز أن يكون خطاباً لأهل الميت والذين يحضرونه عند السياق ^(٤) .

قوله : (تَنْظُرُونَ) . قال مقاتل : إلى أمري وسلطاني ^(٥) .

وقال عطاء : إلى ما كنتم تكذبون به ^(٦) ، يعني العذاب .

(١) قال ابن كثير : وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر ، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده .

ومما نقل القرطبي في تفسيره ٢٢٩ / ١٧ عن الشافعي - رحمه الله - قوله : لا أحب أحداً أن يقول : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ، ولا يمطر ولا يجس شيئاً من المطر ، والذي أحب أن يقول : مطرنا وقت كذا كما نقول : مطرنا شهر كذا .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٧٣ ، وجامع البيان ٢٧ / ١٢٠ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٣١ .

(٤) وبهذا قال عامة المفسرين . انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٠٠ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٣٩ ب .

(٦) لم أجده .

وقال الكلبى : تنظرون إليه متى تخرج نفسه^(١) .

قال أبو إسحاق : أي أنتم يا أهل الميت في تلك الحالة ترونه قد صار إلى أن تخرج نفسه^(٢) .

وقال صاحب النظم : معنى (تَنْظُرُونَ) هاهنا : لا يمكنكم الدفع ، ولا تملكون شيئاً^(٣) ، كما قال تأبط شراً :

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا
به كدحةً والموت خزيان ينظر^(٤)

وقوله : ينظر هاهنا ، معناه : لا يقدر على شيء .

٨٥ . قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ ؛ أي بالعلم والقدرة والرؤية ؛ وذلك أن الله تعالى يراه من غير مسافة بينه وبينه ، فهو أقرب إليه من كل من يراه بمسافة بينه وبينه^(٥) . ﴿ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ أي لا تعلمون ذلك ، وهذا خطاب للكفار ، هذا قول أهل المعاني .

وقال المفسرون : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ ﴾ يعني ملك الموت وأعوانه^(٦) . والمعنى : ورسلنا القابضون روحه أقرب إليه منكم ، ولكن لا تبصرون أولئك الذين حضروه لقبض الروح .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٤١ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥ / ١١٦ .

(٣) انظر : الوسيط ٤ / ٢٤١ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٠ .

(٤) (ينظر) ساقطة من نسخة (ك) . والبيت ورد في ديوانه ٢٨٤ ، والحماسة لأبي تمام ١ / ٧٢ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٣١ .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٠٠ ، وفتح القدير ٥ / ١٦١ .

٨٦. قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ . قال أكثر المفسرين : غير محاسبين ، وهو قول عطاء ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومقاتل^(١) .

وقال الكلبي : غير مملوكين^(٢) .

وقال أبو عبيدة : غير مجزيين^(٣) . واختار الفراء والزجاج : غير مملوكين^(٤) .
والمدينة : الأمة المملوكة .

وأشد أبو عبيدة للأخطل^(٥) :

رَبْتُ فَرَبَا فِي كَرَمِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يَزُلُّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ

٨٧. قوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ؛ أي تردون تلك النفس التي بلغت الحلقوم .

قال الفراء : وأجيب ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾ و ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ﴾ بجواب واحد ، وهو قوله : ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ، قال : ومثله قوله : ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبنا بجواب واحد ، وهما جزاءان^(٦) .

وقال صاحب النظم : قوله : ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ جواب لقوله : ﴿فَلَوْلَا﴾ المتقدمة والمتأخرة على تأويل : فلولا إذا بلغت النفس الحلقوم ترجعونها ؛ أي تردونها إلى موضعها إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين كما تزعمون ، يقول : إن كان الأمر

(١) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٣ ، وتفسير مقاتل ١٣٩ ب ، وجامع البيان ٢٧/ ١٢١ ، ومعالم التنزيل ٢٩١/ ٤ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٢٩١/ ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٣١ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٥٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٣١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٧ .

(٥) انظر : ديوانه ١٩/ ١ ، واللسان (دين) ١/ ١٠٤٣ ، والمنصف ١/ ٣١٢ .

الترك : هو وضع القدم على المسحاة للمبالغة في الحفر . اللسان (ركل) ١/ ١٢١٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٣٠ .

كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يقوم بذلك ، فهلاً تردون نفساً ممن يعز عليكم إذا بلغت الخلقوم ؟ وإذا لم يمكنكم في ذلك حيلة بوجه من الوجوه فلم لا يدلکم ذلك على أن الأمر إلى غيركم ، وهو الله عز وجل^(١) .

وقال أبو إسحاق : معناه هلاً ترجعون الروح إن كنتم غير مدينين ؛ أي غير مملوكين مدبرين ليس لكم في الحياة والموت قدرة ، فهلاً إن كنتم كما زعمتم في مثل قولكم الذي جاء في القرآن : ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران : ١٦٨] ، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران : ١٥٦] ؛ أي إن كنتم تقدرُونَ أن تؤخروا أجلاً فهلاً ترجعون الروح إذا بلغت الخلقوم ، وهلاً تردون عن أنفسكم الموت^(٢) .

ولما دلَّ بما ذكر على أنهم محاسبون ومجزيون ومملوكون ذكر طبقات الخلق عند الموت والحشرجة .

٨٨-٨٩ . قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ : إن كان هذا الذي بلغت روحه الخلقوم من المقربين عند الله في الدرجات والفضيل . ﴿فَرَوْحٌ﴾ ؛ أي فله روح ، وهو الراحة والاستراحة ، قاله ابن عباس والكلبي وقتادة والضحاك^(٣) .

وقال مجاهد : الروح الفرح^(٤) .

(١) انظر : الوسيط ٤/ ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٣٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ١١٧ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٣٤١ ، وتفسير مقاتل ١٤٠ ، وجامع البيان ٢٧/ ١٢٢ .

(٤) انظر : الدر ٦/ ١٦٦ ، وفتح القدير ٥/ ١٦٢ .

قوله : ﴿وَرَيَّحَانٌ﴾ . قالوا : يعني الرزق في الجنة^(١) . وذكرنا الريحان بمعنى الرزق في قوله : ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن : ١٢] .

وقال الحسن وأبو العالية : هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه^(٢) .

٩٠-٩١ . ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ ؛ أي المتوفى ﴿مِنْ أَحَبِّ الْيَمِينِ﴾ ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَحَبِّ الْيَمِينِ﴾ . قال مقاتل : سلم الله لهم أمرهم ، يتجاوز عن سيئاتهم ، ويقبل حسناتهم^(٣) .

وقال الكلبي : يسلم عليك أهل الجنة ، وقال أيضاً : يقول السلام لك^(٤) . قال الزجاج : أي إنك ترى فيهم ما تحب من السلام وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء^(٥) .

وقال الفرّاء : سلم لك أنهم^(٦) من أصحاب اليمين ، وحذف أنهم^(٧) من الكلام كما تقول : أنت مصدق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إني مسافر عن قليل^(٨) . والمعنى : أنت مصدق أنك مسافر فألقيت أن .

(١) قاله مجاهد ، وابن جبير ، ومقاتل . انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٣ ، وتفسير مقاتل ١١٤٠ ، وجامع البيان ٢٧/ ١٢٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٢٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩١ . قال ابن كثير ٤/ ٣٠٠ بعد ذكره الأقوال : « وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن » .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ أ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٣٤٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩١ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ١١٨ .

(٦) في المعاني : (أنك ، أن) .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٢٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩١ .

(٨) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٣١ .

٩٢. ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث (الضَّالِّينَ) عن الهدى .

٩٣. ﴿فَزُلْزِلْ مِنْ حِمِيرٍ﴾ ؛ أي فالذي يعد له حميم جهنم .

٩٤. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ ؛ أي إدخال نار عظيمة ، يقال : أصلاه النار ؛ أي جعله يصلها ويقاسي حرها ، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول كما تقول لفلان : إكرام وإعطاء مال ؛ أي يعطي المال ، كذلك هاهنا يصلى الجحيم^(١) ، كما قال : ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢] في قراءة من شدد^(٢) .

٩٥. قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ . قال مقاتل : إن هذا الذي ذكر للمقربين وأصحاب اليمين وللمكذبين لهو حق اليقين لا شك فيه^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأقايصص وما أعد الله لأوليائه وأعدائه وما ذكر مما يدل على وحدانيته ليقين^(٤) .

ومعنى ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ حق الأمر اليقين عند الأخفش والبصريين^(٥) ، وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه^(٦) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٣٤ ، وفتح القدير ٥/ ١٦٢ .

(٢) قرأ نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، والكسائي : ﴿وَيَصْلَى﴾ بضم الياء ، وفتح الصاد ، وتشديد اللام ، وقرأ الباقر بفتح الياء ، وسكون الصاد ، وتخفيف اللام . انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٩٠ ، وحجة القراءات ٧٥٦ ، والنشر ٢/ ٣٩٩ ، والإتحاف ٤٣٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ أ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٣٤ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٢١٦ .

وقال أبو إسحاق : هذا كما تقول : إن زيدا لعالم ، وإنه للعالم حق العالم ، إذا بالغت في التوكيد ^(١) .

٩٦ . قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ . قال أبو إسحاق : فنزه الله - عز وجل - عن السوء .

والباء يجب أن تكون زيادة للتوكيد ^(٢) ، والاسم يكون بمعنى الذات والنفس كأنه قيل : سبّح ونزه ربك العظيم ، والله أعلم بالصواب .

* * *

(١) انظر : معاني القرآن ١١٨/٥ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٣٤ ، ٢٣٥ . وقال الشوكاني في تفسيره ١٦٢/٥ : والباء متعلقة بمحذوف ؛ أي فسبّح ملتبساً باسم ربك للتبرك به ، وقيل : المعنى : فصل بذكر ربك ، وقيل : الباء زائدة ، والاسم بمعنى الذات ، وقيل : هي للتعدية ؛ لأن سبّح يتعدى بنفسه تارة ويتعدى بالحرف أخرى ، والأول أولى .

تفسير

سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . قال المقاتلان : يعني كل شيء من ذي الروح وغيره من الشجر ، والجبال ، والبحار ، والشمس ، والقمر ، وكل خلق فيهما ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم^(١) .

وقال أهل المعاني : تسبيح ما لا يعقل تنزيه لله من السوء بما فيه من الآية الداعية إلى ذلك كأنها ناطقة به ؛ إذ صنعه يقتضي صانعاً غير مصنوع^(٢) .

قال أبو إسحاق : وهذا خطأ ؛ لأن التسبيح تمجيد لله - عز وجل - وتنزيهه من السوء ، والله - عز وجل - يقول : ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، فلو كان التسبيح آثار الصنعة لكانت معقولة ، وكانوا يفقهونها ، وأيضاً فإنه قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ، فلو

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ ، وجامع البيان ٢٧ / ١٢٤ من دون نسبة ، والوسيط ٤ / ٢٤٤ ، وفتح القدير ٥ / ١٦٥ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٣٥ ، وفتح القدير ٥ / ١٦٥ .

كان تسبيحها آثار الصنعة لم يكن في هذا تخصيص لداود^(١)، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَلِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وفي مواضع .

٢. قوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ . قال المفسرون: يحيي الأموات للبعث، ويميت الأحياء في الدنيا^(٢) .

وقال الزَّجَّاج: ويجوز أن يكون المعنى يحيي النطف التي إنما هي موات ويميت الأحياء، ويكون موضع يحيي ويميت رفعاً على معنى هو يحيي ويميت، ويجوز أن يكون نصباً على معنى له ملك السموات والأرض محياً ومميتاً قادراً^(٣) .

٣. قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ . قال جماعة المفسرين: هو الأول قبل كل شيء، كان هو ولا شيء موجود، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء، يفني الأشياء، ويبقى آخرها كما كان أولاً، وهذا يروى مرفوعاً أنه «الأول وليس قبله شيء، والآخر وليس بعده شيء»^(٤) .

قال الأزهرى: ولا يجوز أن يعدو في تفسير الاسمين ما روي عن النبي ﷺ^(٥) .

(١) انظر: معاني القرآن ١٢١/٥، وقال القرطبي ٢٣٦/١٧: وما ذكره هو الصحيح .

(٢) انظر: جامع البيان ١٢٤/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١٧ .

(٣) انظر: معاني القرآن ١٢١/٥ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم (٢٧١٣) في الدعاء، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع وفيه: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» الحديث، والترمذي في الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، وأحمد ٣٨١/٢، ٤٠٤ .

(٥) لم أجد هذا اللفظ في تهذيب اللغة (بطن) ٤٧٤/١٣، وإنما قال: «ومن صفات الله عز وجل: الظاهر والباطن» تأويلها ما روي عن النبي ﷺ في تمجيد الرب . . . وذكر الحديث .

قوله تعالى : ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ ؛ أي الغالب العالي على كل شيء ، ومثل قوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف : ١٤] ؛ أي غالبين عالىين ، من قولك : ظهرت على فلان ؛ أي علوته ، ومنه قوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف : ٣٣] ، وهذا معنى ما روي في الحديث : «والظاهر فليس فوقك شيء» ، وهذا قول أكثر أهل العلم^(١) ، ويجوز أن يكون معنى الظاهر أنه ظاهر بالأدلة والشواهد على ربوبيته^(٢) ، وهذا معنى ما روي في الخبر : «اللهم أنت الظاهر فلا تخفى» .

قوله تعالى : ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ . قال أبو إسحاق : الباطن العالم بما بطن ، كما تقول : فلان يبطن أمر فلان ؛ أي يعلم دِخْلَةَ أمره^(٣) .

قال الليث : يقال : أنت أبطن بهذا الأمر من فلان ؛ أي أخبر بباطنه ، فالله تعالى العالم الباطن بكل شيء ، فلا أحد أعلم منه^(٤) ، وهذا معنى ما روي في الحديث : «وأنت الباطن فليس دونك شيء» ؛ أي ليس أقرب منك بالعلم شيء ، ويجوز أن يكون معنى الباطن أنه محتجب عن الأبصار ، وهو معنى ما روي في الخبر : «والباطن فلا يُرى» .

٤ . قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مُفسَّر في سورة الأعراف^(٥) إلى قوله : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ، وهو مُفسَّر في سورة سبأ^(٦) إلى قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ؛ أي بالعلم والقدرة ، وليس ينفك

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٣٢ . قال ابن كثير : وقال البخاري : قال يحيى : ونقل كلام الفراء . ابن كثير ٤/ ٣٠٢ .

(٢) انظر : الكشف ٤/ ٦٣ ، وفتح القدير ٥/ ١٦٥ ، ثم قال : وقد فسَّر هذه الأشياء الأربعة رسول الله ﷺ فيتعين المصير إلى ذلك .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٢٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (بطن) .

(٥) من الآية رقم : ٥٤ من سورة الأعراف .

(٦) تفسيره الآية رقم : ٣٤ من سورة سبأ .

أحد من تعلق علم الله وقدرته به أينما كان من أرض ، وسماء ، وبر ، وبحر .

وهذا حجة على من ترك تأويل قوله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وأجراه على الظاهر ؛ إذ لا بدّ من التأويل في قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ، ولا يجوز إجراؤه على الظاهر حتى يعتقد أنه مع كل واحد في مكانه وجهته ، وإذا جاء التأويل في بعض جاز في الكل ^(١) .

٧ . قوله تعالى : ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : يخاطب كفار قريش : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ : يعني المال الذي كان بيد غيرهم ، فأهلكهم

(١) قول المؤلف رحمه الله : ولا يجوز إجراؤه على الظاهر . . . أي قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ صواب وحق لا ريب فيه . قال أبو عمر الصلْمَنَكِيُّ : «وأجمع المسلمون من أهل السُّنَّة» على معنى قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ، ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السَّهَوَاتِ بذاته مستو على عرشه كيف شاء . انظر : الصواعق المرسلة ٤ / ١٢٨٤ ، والعلو ١٧٨ .
أمّا قوله : وهذا حجة على من ترك تأويل قوله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وأجراه على الظاهر فهو كلام مردود مخالف لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من سلف هذه الأمة . قال الإمام أحمد - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يقول : هو إله من في السموات وإله من في الأرض ، وهو الله على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، لا يخلو من علم الله مكان ، ومثل هذا نقل عن الشافعي ، وابن جرير ، وابن المبارك ، وسعيد بن عامر ، وابن خزيمة ، والبخاري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، ومالك ، وغيرهم . انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ٥ / ٥ ، وشرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ١٠٢ ، والعلو للذهبي ١٠١ ، ١٠٢ ، والسُّنَّة لعبدالله بن أحمد ١ / ٧ ، والرسالة ٨ ، والصواعق المرسلة ٤ / ١٢٩٢ - ١٣٠٥ .

أمّا قوله : وإذا جاز التأويل في بعض جاز في الكل ، فجوابه أن التأويل الذي يقبل هو التأويل بمعنى التفسير ؛ أي معرفة معاني الصفات ، وهذا حق . وأمّا التأويل بمعنى الحقيقة فهذا لا يعلمه إلا الله ، فحقائق الصفات من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، وأمّا التأويل الذي يشير إليه المؤلف - عفا الله عنه - فهو صرف نصوص الصفات عما دلّت عليه بغير دليل ، وإنما لشبهة ، وهذا التأويل مردود ولا يصح . انظر : التدمرية لابن تيمية ٩١ .

وأعطى قريشاً ذلك ، فكانوا خلائف عمّن مضوا ، وهذا معنى قول المفسرين : أنفقوا من أموالكم التي ملككم الله وعمركم فيها^(١) .

٨. قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ ﴾ . قال عطاء والكلبي ومجاهد والمقاتلان^(٢) : يريد حين أخرجهم من ظهر آدم .

وقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قال الكلبي : إذا كنتم عند أخذ العهد مقرين له^(٣) . ﴿ إِنْ ﴾ : على قوله بمعنى (إذ) ، وقال غيره : إن كنتم مؤمنين بالحجج والدليل فقد بان وظهر على يد محمد ﷺ ببعثته وإنزال القرآن عليه ، ويجوز أن يكون المعنى : إن كنتم مؤمنين يوماً فما لكم لا تؤمنون الآن ، وقد قامت الحجة على صدق محمد ﷺ وصحة نبوته^(٤) .

١٠. ثم قال في الحث على الإنفاق : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ أي أي شيء لكم في ترك الإنفاق في ما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم ، قاله الزجاج^(٥) ، وهو معنى قول المفسرين^(٦) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٩٤ ، والقرطبي ١٧/ ٢٣٨ ، قلت : وحمل الآية على العموم أولى من حصرها على كفار قريش أو العرب . انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢١٥ ، وقال الشوكاني في تفسيره ٥/ ١٦٧ : ويجوز أن يكون خطاباً للجميع ، ويكون المراد بالأمر بالإيمان في حق المسلمين الاستمرار عليه ، أو الازدياد منه .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٥/ ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٦٥٦ ، وتفسير مقاتل ١٤٠ ب .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٥/ ٣٤٧ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٢٣ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٢٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩٤ .

ثم بيّن فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله ، فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ ﴾ . قال : يعني فتح مكة في قول جميعهم ^(١) . قال مقاتل : لا يستوي في الفضل والسابقة من أنفق من ماله ، وقاتل العدو من قبل فتح مكة ^(٢) .

قال الكلبي في رواية محمد بن فضيل : نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، يدل على هذا أنه كان أول من أنفق المال على رسول الله ﷺ في سبيل الله ^(٣) .

قال ابن عمر : كنت قاعداً عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة فخلّها ^(٤) في صدره بخلال ، فنزل عليه جبريل ، فقال : مالي أرى أبا بكر عليه عباءة فخلّها في صدره ؟ فقال : أنفق ماله عليّ قبل الفتح ^(٥) .

ولأنه - رضي الله عنه - كان أيضاً أول من قاتل على الإسلام ، فقد روى زر عن ابن مسعود قال : أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ^(٦) .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ ﴾ يقتضي نقيضاً كما قال : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الحشر : ٢٠] ، ولم يجرى هاهنا النقيض الذي

(١) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٣٩ ، وزاد مع الشعبي الزهري .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ ب .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدي ٤٦٩ ، والوسيط ٤ / ٢٤٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٠ .

(٤) خلّها ؛ أي جمع بين طرفيها بعود أو حديد . النهاية (خلل) .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٦٢ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٦٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٥ ، وابن كثير ٤ / ٣٠٧ ، كلهم ذكروا بيان أطول من هذا ، وتعقبه ابن كثير بقوله : هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه ، وذكره ابن الجوزي في ترجمة أبي بكر عن ابن عمر من دون سند ، وصفة الصفوة ٢٥٠ ، ٢٤٩ / ١ .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٠ ، ولباب التأويل ٧ / ٣٢ .

يقابل من أنفق ، فلما قال : ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا﴾ دلَّ على هذا النقيض ؛ لأن نقيضه من أنفقوا من بعدُ وقتلوا^(١) .

قال عطاء : يريد درجات الجنة تتفاضل ، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها^(٢) ، وقال مقاتل بن حبان : يقول كانت نفقتهم وجهادهم مع النبي ﷺ أعظم أجراً ودرجات من درجات من أنفق وقتل بعد الفتح فتح مكة^(٣) .

قال أبو إسحاق : لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم ، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ . قال مقاتل بن سليمان : يقول : وكلا الفريقين وعد الله الجنة^(٥) .

والقُرَّاء في النصب في : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ﴾ ؛ لأنه بمنزلة زيداً وعدت خيراً فهو مفعول وعد ، وقرأ ابن عامر : (وَكُلُّ) بالرفع^(٦) ، وحجته أن الفعل إذا تقدَّم عليه مفعوله لم يقو عمله فيه قوته إذا تأخر ، ألا ترى أنهم قد قالوا في الشعر^(٧) :
زيدٌ ضربتُ ؟ وما جاء في ذلك الشعر^(٨) :

قد أصبحتُ أمَّ الخيارِ وتدَّعي
عليَّ ذئباً كلُّهُ لم أصنع

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٤٠ ، وفتح القدير ٥/ ١٦٨ .

(٢) انظر : الوسيط ٤/ ٢٤٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩٥ .

(٣) انظر : فتح القدير ٥/ ١٦٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٢٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ ب .

(٦) قرأ ابن عامر : (وكل) ، وقرأ الباقر بالنصب . انظر : حجة القراءات ٦٩٨ ، والنشر ٢/ ٣٨٤ ، والإتحاف ٤٠٩ .

(٧) قوله : «في الشعر» زيادة لا فائدة منها .

(٨) البيت لأبي النجم . انظر : الخزانة ١/ ١٧٣ ، والخصائص ١/ ٢٩٢ ، وشرح أبيات المغني ٤/ ٢٤ .

فرووا (كُلُّ) بالرفع لتقدمه على الفعل ، وإن لم يكن شيء يمنع من تسلط الفعل عليه ، فكذلك : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ ، ويكون على إرادة الهاء وحذفها كما تحذف من الصلوات ، نحو : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان : ٤١] ، والصفات : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة : ٤٨] ، ومثل ذلك قول جرير ^(١) :

أَبَحْتَ حِمَى تَهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حِمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ
أَي حِمَيْتَهُ ^(٢) .

١١ . قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . قال الكلبي : صادقاً محتسباً بالصدقة ^(٣) .

وقال مقاتل : يعني طيبة بها نفسه ^(٤) .

وقال أهل العلم : القرض الحسن أن يجمع أو صافاً عشرة ، وهي : أن تكون من الحلال ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب» ^(٥) .

وقد قال أيضاً : «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول» ^(٦) .

(١) انظر : ديوان جرير ٨٩/١ ، وشرح أبيات المغني ٧٤١ ، وشرح شواهد سيبويه ٤٥/١ ، ومغني

اللبيب ٥٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢٥/١ ، وشرح شواهد الألفية ٧٥/٤ .

(٢) من قوله : «وحجته أن الفعل» إلى هنا من كلام أبي علي الفارسي . انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٦٦/٦ ، ٢٦٧ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٣٥٢/٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ ب .

(٥) جزء حديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ، باب : قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، والإمام أحمد في المسند ٣٢٨/٢ .

(٦) رواه الإمام مسلم في الطهارة ، باب : وجوب الطهارة للصلاة ، وأبو داود في الطهارة ، باب : في فرض الوضوء ، والترمذي في الطهارة ، باب : ما جاء (لا تقبل صلاة بغير طهور) ، وقال : هذا الحديث هو أصح شيء في هذا الباب وأحسن .

وَأَنْ تَكُونَ مِنْ أَكْرَمَ مَا تَمْلِكُهُ دُونَ أَنْ تَقْصِدَ إِلَى الرَّدِيِّ لِلْإِنْفَاقِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] .

وَأَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ وَأَنْتَ تَحِبُّهُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، بَأَنْ تَرْجُو الْحَيَاةَ كَمَا قَالَ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ : «أَنْ تَعْطِيَهُ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَلَا تَمُهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا أَوْ لِفُلَانٍ كَذَا»^(١) .

وَأَنْ تَضَعَهُ فِي الْأَخْلِ^(٢) الْأَحْوَجِ الْأُولَى بِأَخْذِهِ ، وَلِذَلِكَ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى أَقْوَاماً بِأَخْذِ الصَّدَقَاتِ ، وَهُمْ أَهْلُ السَّهْمَانِ .

وَأَنْ تَكْتُمَهُ مَا أَمَكُنْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿وَلَنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

وَأَنْ لَا تَتَّبِعَهُ مَنْأً وَأَذَى ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] .

وَأَنْ تَقْصِدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَلَا تَرَائِي بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَرَائِي مَذْمُومٌ عَلَى لِسَانِ الشَّرْعِ .
وَأَنْ تَسْتَحْقِرَهَا ، تَعْطِي وَإِنْ كَثُرَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَلِيلٌ ، وَالْدُنْيَا كُلُّهَا قَلِيلَةٌ .

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة ، باب : أفضل الصدقة صدقة الشحيح الصحيح ١٣٧ / ٢ ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب : بيان أن أفضل الصدقة صدقة الشحيح .

(٢) في نسخة (ك) : (الأحل) ، والتصحيح من تفسير الوسيط . الأخل : هو الفقير المحتاج ، من (الخلَّة) : الحاجة والفقير . انظر : اللسان (خلل) .

وأن تكون من أحب مالك إليك ، قال الله تعالى : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] . فهذه أوصاف عشرة إذا استكملتها الصدقة كانت قرصاً حسناً إن شاء الله ^(١) ، وهذه الآية مفسرة مذكورة في سورة البقرة ^(٢) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ . قال أبو إسحاق : يوم منصوب بقوله : ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ؛ أي وله أجر كريم في ذلك اليوم ^(٣) .

و﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ . قال مقاتل والحسن : يسعى نورهم بين أيديهم على الصراط يوم القيامة ، وهو دليل لهم إلى الجنة ^(٤) .

وقال قتادة : إن المؤمن يضيء له نوره كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء له نور إلا موضع قدميه ^(٥) .

وقال ابن مسعود في هذه الآية : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، منهم من نوره مثل الجبل ، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه ، يطفأ مرة ، ويقد أخرى ^(٦) .

وقال مجاهد : ما من عبد إلا ينادي يوم القيامة : أين فلان بن فلان ؟ ها نورك ، أين فلان بن فلان ؟ لا نور لك .

(١) انظر : الوسيط ٢/ ٢٤٧ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٤٢ ، ونسب هذا القول إلى القشيري .

(٢) عند تفسيره الآية رقم : ٢٤٥ من سورة البقرة .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٢٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٤٤ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧٥ ، وجامع البيان ٢٧/ ١٢٨ ، والكشف والبيان ١٢/ ٦٣ أ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٢٨ ، وزاد المسير ٨/ ١٦٥ ، ولباب التأويل ٧/ ٣٢ ، وهو اختيار أبي جعفر النحاس . انظر : إعراب القرآن ٣/ ٣٥٥ .

قوله : ﴿وَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ . قال الأخفش والفرّاء : يريد من أيمانهم وشمائهم ، فأقام الباء مقام عن ، كما قال : ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى : ٤٥] ، يقول : بطرف^(١) ، واكتفى بالأيمان عن ذكر الشئال .

وقال الضحاك وابن حبان : ﴿وَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ كتبهم التي أعطوها ، فكتبهم بأيمانهم ونورهم بين أيديهم^(٢) ، وعلى هذا حذف الكتب لدلالة قوله : ﴿وَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ عليها .

قوله تعالى : ﴿بُشِّرَنُكُمْ أَيَّوَّمٌ﴾ ؛ أي وتقول لهم الملائكة : بشراكم اليوم .

١٣ . ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم ، فقال : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ : يوم بدل من قوله : ﴿يَوْمَ تَرَى﴾^(٣) ، فقال أبو أمامة : يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور ، فيعطى المؤمن نوراً ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً ، فيمضي المؤمنون ، ويقول المنافقون ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ، قال : وهي خدعة خدع بها المنافقون ، قال الله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء : ١٤٢] ، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور ، فلا يجدون شيئاً ، فينصرفون إليهم وقد ﴿فَضْرَبَ بِيْتَهُمْ بُسُورًا﴾^(٤) .

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/٤٠٧ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣/١٣٢ .

(٢) انظر : الوسيط ٤/٢٤٨ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٩٥ ، وزاد المسير ٨/١٦٥ ، وهو اختيار ابن جرير ، وجامع البيان ٢٧/١٢٨ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد ١٠٨ (الرقائق) ، والحاكم في المستدرک وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٤٣٥ بيان أطول مما هاهنا ، وهو صحيح الإسناد موقوف على أبي أمامة ، وانظر : ابن كثير ٤/٣٨ ، والدر ٦/١٧٣ .

وقال ابن عباس ومجاهد : إن المؤمنين والمنافقين جميعاً يعطون النور ؛ وذلك أنهم يحشرون معاً ، ويعطون النور ، فيطفأ نور المنافقين ، ويقولون للمؤمنين : ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْنِيسَ مِنْ ثُورِكُمْ ﴾^(١) .

وقال الكلبي : يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ، ولا يعطون النور ، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا : ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْنِيسَ مِنْ ثُورِكُمْ ﴾ ؛ أي انتظرونا^(٢) . ونظر بمعنى انتظر في التنزيل والشعر كثير ، قال الله تعالى : ﴿ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] منتظرين إدراكه ، وأنشد أبو علي^(٣) :

ما زِلْتُ مُذْ أَشْهَرَ السَّفَارِ أَنْظُرُهُمْ مثلَ انتظارِ المضحِّي راعي الإبلِ

المعنى : انتظرهم انتظاراً مثل انتظار الضحي ، ويحيي فعلت وافتعلت بمعنى كثيراً كقولهم : شريت واشتريت وحفرت واحتفرت^(٤) .

وقرأ حمزة : ﴿ أَنْظُرُونَا ﴾ بقطع الألف^(٥) من الإنظار . قال أبو عبيد : التي تختارها هي الأولى^(٦) ؛ لأن تأويلها : انتظرونا ، وأمّا الأخرى فإنها هي من التأخير ، ولا أعرب للتأخير ها هنا موضعاً^(٧) ، فأبطل هذه القراءة .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٧ ، وجامع البيان ٢٧/ ١٢٩ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٣٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٤٥ .

(٣) البيت ورد في اللسان (ش) ولم ينسبه ، وفيه «راعي الغنم» .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٧٢ . أشهر السفار ؛ أي مضى عليهم شهر .

(٥) قرأ حمزة : (أَنْظُرُونَا) بقطع الهمزة مفتوحة ، وكسر الظاء ، وقرأ الباقون ﴿ أَنْظُرُونَا ﴾ بوصل الهمزة ، وضم الظاء . انظر : النشر ٢/ ٣٨٤ ، والإتحاف ٤١٠ .

(٦) أي قراءة الجمهور .

(٧) قلت : وإذا ثبتت القراءة عن النبي ﷺ كما هنا فلا عبرة بما قال غيره ، وعدم معرفة أبي عبيد - رحمه الله - لهذا المعنى في القراءة لا يطعن في صحة القراءة وقوتها ، ولا يقلل من قدره رحمه الله ، ومعرفة غيره من علماء اللغة لهذا المعنى تشهد لصحة القراءة لغةً ، وقد صحت سنداً ، والله أعلم .

قال أبو إسحاق : (أَنْظِرُونَا) بقطع الألف معناه : انتظرونا أيضاً ، وأنشد بيت عمرو بن كلثوم^(١) :

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا وأنظرْنا نخبرك اليقينا
وقال أبو علي : وقد يكون أنظرْتُ في معنى انتظرت بقولك : أنظرني التنفيس الذي يطلب بالانتظار ، من ذلك قوله :

وأنظرْنا نخبرك اليقينا

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف : ١٤] إنها هو طلب الإمهال والتسويق ، فالمطلوب بقوله : وأنظرنا : تسويق ، وكذلك قوله : ﴿ أَنْظِرُونَا نَقْتَبِسْ ﴾ نفسونا نقتبس ، وانتظروا علينا ، وكذلك ما جاء في الحديث من إنظار المعسر^(٢) ، فهذا وإن كان التأخير يشملها فهو على تأخير دون تأخير ، وليس تسرع من تسرع إلى تخطئة من قال : (أنظرونا) بشيء ، وليس ينبغي أن يقال في ما لطف إنه خطأ ، وهو زعموا قراءة يحيى بن وثاب والأعمش^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : يقول المؤمنون لهم : ارجعوا وراءكم^(٤) ، وقال مقاتل : قالت لهم الملائكة : ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة^(٥) .

-
- (١) البيت من معلقة عمرو بن هند . انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني ٩٨ ، والخزانة ٣ / ٦٢٨ .
(٢) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، باب : من أنظر انقياد الشجر للنبي ﷺ ، وفيه : «من أنظر معسراً ، أو وضع عنه ، أظله الله في ظله» .
(٣) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٧٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٣٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٥٧ . وقوله : في ما لطف ؛ أي في ما غمض معناه وغفى ، واللسان (لطف) ٣ / ٣٦٩ .
(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٥٤ ، والوسيط ٤ / ٢٤٩ .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٠ ب ، وجامع البيان ٢٧ / ١٢٩ ، ونسب القول إلى المؤمنين موضحاً معنى الآية .

﴿فَالْتَسُوا نَوْرًا﴾ . قال أبو إسحاق : تأويله : لا نور لكم عندنا ^(١) .

قوله : ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ سُورًا﴾ : قد ذكرنا أن المنافقين ينصرفون لطلب النور فلا يجدون ، ثم يقبلون إلى المؤمنين ليلحقوهم ، فيميز بينهم وبين المؤمنين ، ويضرب بينهم سد ، وهو قوله : ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ﴾ ؛ أي إن بين المنافقين والمؤمنين ﴿سُورًا﴾ وهو الحائط ، والباء فيه صلة للتأكيد ، قاله الأخفش ^(٢) ، وقد مضى الكلام فيه .

﴿لَهُدًى بَابٌ﴾ : لذلك السور باب . ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ ؛ أي في باطن ذلك السور الرحمة . قال ابن عباس والمفسرون ^(٣) : يعني الجنة التي فيها المؤمنون . ﴿وَوَظْهُرُهُ﴾ يعني : وخارج السور . ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ ؛ أي من قبله يأتيهم العذاب . والمعنى أن ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة ، وما يلي الكافرين يأتيهم من قبله العذاب .

قال ابن عباس : يريد جهنم ^(٤) ، وقال الحسن : يعني النار ^(٥) .

وقال الكلبي : هذا السور هو سور الأعراف ^(٦) .

وقال قتادة : هو حائط بين الجنة والنار ^(٧) . والمعنى أن المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة ، والمنافقين يحصلون ^(٨) في العذاب والنار وبينهم السور الذي ذكر الله تعالى .

(١) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٢٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢ / ٧٠٤ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٢٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٦ ، وزاد المسير ٨ / ١٦٦ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٦ ، وفتح القدير ٥ / ١٧١ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٠٩ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١١٤١ ، وجامع البيان ٢٧ / ١٢٩ ، والجامع للقرطبي ١٧ / ٢٤٦ ، وابن كثير ٤ / ٩٠٣ عن مجاهد وابن زيد ، وقال ابن كثير : وهو الصحيح .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٩ ، وزاد نسبه إلى الحسن .

(٨) قوله : (يحصلون) ؛ أي يميزون ، والمُحَصَّلَة : التي تميَّز الذهب من الفضة . اللسان (حصل) ١ / ٦٥٤ .

١٤ . قوله تعالى : ﴿يَادُّونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ . قال المفسرون : إن المؤمنين إذا فاتوا المنافقين وسبقوهم نادوهم من وراء السور : ألم نكن معكم نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونغزو مغازيكم ، وكُنَّا معكم في الحج والعمرة ؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : استعملتموها في الكفر والشهوات والمعاصي ، وكلها فتنة^(١) .

﴿وَرَبِّصْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد بالتوبة^(٢) ، وقال مقاتل : وتربصتم بمحمد الموت ، وقلتم : يوشك أن يموت فنستريح منه^(٣) ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : وتربصتم بالنبي ﷺ والمؤمنين الدوائر^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَأَزَلَيْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : شككتهم في الوعيد ، يعني في ما أوعدهم به محمد ﷺ من العذاب^(٥) .

وقال مقاتل : وشككتهم في نبوة محمد^(٦) .

وقوله : ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانُ﴾ . قال ابن عباس : يريد الباطل ، وهو ما كانوا يتمنون الدوائر بالمؤمنين^(٧) . ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ . قالوا : الموت .

(١) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٣٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٢٤ / ٥ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦ / ٤ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٣٥٥ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١١٤١ أ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١٢٤ / ٥ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٣٥٥ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١١٤١ أ .

(٧) انظر : الوسيط ٢٤٩ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦ / ٤ .

قال قتادة : ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار^(١) ، وهو قوله تعالى : ﴿وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ؛ أي وغرکم الشيطان بحلم الله وإمهاله ، وهذا مُفسَّر في ما تقدَّم^(٢) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : هي مصيركم^(٣) .

وقال مقاتل : يعني وليكم^(٤) .

وقال الكلبي : هي أولى بكم^(٥) ، وهو قول أبي عبيدة ، وأنشد للبيد :^(٦)

فغدَّتْ كلا الفرجينِ تحسُّبُ أنَّه مولى المخافةِ خلفها وأمامها

قال أبو إسحاق : معنى ﴿مَوْلَانَكُمْ﴾ هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب ، وأنشد البيت ، ثم قال : أي ولي المخافة^(٧) .

وقال الفرَّاء : هي أولى بكم^(٨) ، هذا الذي ذكرنا ألفاظهم^(٩) . والمعنى : إنما هي التي تلي عليكم ؛ لأنها قد ملكت أمركم وأسلمتم إليها ، فهي أولى بكم من

(١) (الله في) ساقطة من نسخة (ك) ، وانظر : جامع البيان ٢٧ / ١٣٠ ، ومعالم التنزيل ٢٩٦ / ٤ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم : ٣٣ من سورة لقمان .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٢٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤١ أ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٥٥ ، والوسيط ٤ / ٢٤٩ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥٤ . والبيت في معلقة لبيد . انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني ٨٥ ، ومعناه : أن البقر هربت خوفاً من الكلاب ، ولا تعرف أن الكلاب خلفها أم أمامها من شدة الخوف ، فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج . وورد أيضاً في شرح شواهد الكتاب ١ / ٢٠٢ ، والمقتضب ٣ / ٢٠١ ، والدرر اللوامع ١ / ١٧٨ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٢٥ .

(٨) انظر : معاني القرآن ٣ / ١٣٤ .

(٩) قال الرازي : واعلم أن هذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير للفظ ؛ لأنه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما في مكان الآخر . انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

كل شيء ، وإنما جاز إطلاق هذا اللفظ على النار ؛ لأن الله تعالى قد ركب فيها العقل والمعرفة ، فهي تتميز غيظاً على أعداء الله ، وهي أعرف بهم من الوالدة بولدها ، ولهذا المعنى خوطبت في قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ الآية [ق : ٤٠] .

ووجه آخر ، وهو أن معنى قوله : ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ لا مولى لكم ؛ أي لا ناصر ؛ وذلك أن من كانت النار مولاه فهو مولى له ، وهذا كما يقال : ناصره الخذلان ، ومعينه البكاء ؛ أي لا ناصر له ولا معين ، ومثله كثير ، ويؤكد هذا الوجه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد : ١١] .

١٦ . قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ . يقال : أَنَّى لك يَأْنِي أَنَّى ، وَأَنْ لك يَثْنِي أَثْنًا إذا حَانَ^(١) . روى الثوري عن الأعمش ، قال : لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ، ففتروا عن بعض ما كانوا عليه ، فعوتبوا ، ونزلت في ذلك : ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ الآية^(٢) . ونحو هذا قال القرظي ، قال : كانوا مجدين بمكة ، فلما هاجروا أصابوا الريف ، ففتروا عما كانوا عليه^(٣) .

وقال ابن أبي رواد : إن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك ، فأنزل الله هذه الآية^(٤) .

قال ابن مسعود : لم يكن بين إسلامهم وبين أن عاتبهم الله بهذه الآية إلا أربع سنين^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٢٥/٥ ، واللسان (أني) ١٢٢/١ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢٧٦/٢ ، وابن المبارك في الزهد ٨٩/٢ ، وابن المنذر في الدر ١٧٥/٦ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/٦٦ أ ب .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف . انظر : الدر ١٧٥/٦ ، وفتح القدير ١٧٤/٥ .

(٥) أخرجه مسلم في التفسير ، باب : في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، وانظر : مجمع الزوائد ١٢١/٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣١/٤ .

وقال مقاتل بن حيان : إنها حين نزلت قال النبي ﷺ : «إن الله يستبطنكم بالخشوع» ، فقالوا عند ذلك يعتب ربنا^(١) . والمعنى : أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم لذكر الله .

قال ابن عباس : يريد لمواعظ الله ، وعلى هذا الذكر مصدر أضيف إلى الفاعل ؛ أي «لذكر الله» وعظهم وما يعتبرون به ويستدلون به على الخشوع ، وهو ما ذكر الله لهم من مواعظ القرآن ، ويجوز أن يكون الذكر مضافاً إلى المفعول ، والمعنى : لذكرهم الله ؛ أي يجب أن يورثهم الذكر خشوعاً ، ولا يكونوا كمن يذكره بالغفلة ، فلا يخشع قلبه للذكر .

قال أبو إسحاق : هذه الآية - والله أعلم - نزلت في طائفة من المؤمنين حُثُوا على الرقة والخشوع ، فأما من وصفه الله - جل وعز - بالخشوع والرقة فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ : (ما) في موضع جر بالعطف على الذكر وهو موصول ، والعائد إليه محذوف على تقدير : وما نزله^(٣) من الحق . وقراءة العامة بالتشديد^(٤) لكثرة ما جاء في القرآن من ذكر التنزيل .

(١) ذكره القرطبي في تفسيره من دون سند ، وفي تفسير الثعلبي ١٢ / ١٦٥ عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى استبطن قلوب المؤمنين فعاتبهم على ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ، وأورده ابن المبارك في الزهد ٨٩ عنه .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٧ ، ولباب التأويل ٧ / ٣٥ ، والوسيط ٤ / ٢٥ .

(٣) في (ك) : (نزل) .

(٤) قرأ الجمهور ، وأبو بكر عن عاصم : ﴿ وَمَا نَزَّلَ ﴾ بتشديد الزاي ، وقرأ نافع ، والمفضل ، وحفص عن عاصم بتخفيفها . انظر : النشر ٢ / ٣٨٤ ، والإتحاف ٤١ .

قال أبو عبيدة : وكذلك هي عندنا على التشديد لذكر الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ قبل ذلك^(١) . والمعنى أنه هو نَزَلَ الحق .

قال المُبرِّد : والمعنى في التشديد والتخفيف واحد ؛ لأن الحق لا ينزل إلا بأن ينزله الله - عز وجل - فهو معلوم أن الله - عز وجل - أنزله وإن لم يذكر باللفظ ، ويدلُّ على صحة قراءة مَنْ ضَعَّف قوله : ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾^(٢) .

قال ابن عباس والمفسرون : في قوله : ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني القرآن^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ . قال الفراء : هو في موضع نصب ، معناه : ألم يَأْنِ أن تخشع قلوبهم وألا يكونوا ، قال : ولو كان جزءاً على النهي لكان صواباً^(٤) ، ويدل على هذا الوجه قراءة مَنْ قرأ بالتاء^(٥) .

قوله تعالى : ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ . قال ابن عباس : يريد اليهود والنصارى . ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ . قال ابن عباس : يريد الدهر ، وهو قول مجاهد^(٦) .

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٧٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٥٩ .

(٢) من الآية رقم : ١٠٥ من سورة الإسراء ، وانظر : المراجع السابقة . قال النحاس : وليس يقع في هذا اختيار ، ولو جاز أن يقال في مثل هذا اختيار لقليل : الاختيار نزل ؛ لأن مثله ﴿لِيُذَكِّرَ اللَّهُ﴾ ولم يقل : لتذكير الله .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٧ ، وفتح القدير ٥ / ١٧٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٣ / ١٣٥ .

(٥) وهي قراءة عيسى ، وابن إسحاق ، ورويس ، وأبي حيو ، وابن أبي عبة ، وغيرهم . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٢٣ ، وروح المعاني ٢٧ / ١٨١ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٥٨ ، والوسيط ٤ / ٢٥٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٧ .

والمعنى : طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم . ﴿ فَكَسَتْ قُلُوبَهُمْ ﴾ . قال ابن عباس : يريد حُب الدنيا ؛ أي مالوا إليها ، وأعرضوا عن مواعظ الله تعالى ^(١) ، ويجوز أن يكون المراد بطول الأمد أن أعمارهم طالت في الغفلة فأورثهم ذلك القسوة ^(٢) .

ويكون المعنى على هذا : طال عليهم أمد الجزاء وأمد آجالهم .

وقال ابن حيان : الأمد ^(٣) هاهنا الأمل ^(٤) البعيد ^(٥) ، والمعنى على هذا : طال عليهم الأمد بطول الأمل ؛ أي أملوا بعيداً فكست قلوبهم .

وقال هو ومقاتل بن سليمان : يعني طال عليهم أمد خروج النبي ﷺ فكست قلوبهم حتى أحدثوا الأحداث ^(٦) ، يعني الذين كانوا قبل خروج النبي ﷺ . والمعنى : أنه نهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر ، ولهذا قال القرطبي : يجب أن يزداد المؤمن إيماناً و يقيناً وإخلاصاً في طول صحبته الكتاب ^(٧) .

قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ : يعني الذين تركوا الإيثار بعيسى ومحمد ﷺ ، هذا الذي ذكرنا في هذه الآية هو قول عامة المفسرين ^(٨) .

(١) انظر : الوسيط ٢٥٠ / ٤ ، ولباب التأويل ٣٥ / ٧ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٢٩ ، وفتح القدير ١٧٣ / ٥ .

(٣) في نسخة (ك) : (الأحد) ، والتصحيح من التفسير الكبير .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٠ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤١ ب .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٦٦ ب ، والوسيط ٢٥٠ / ٤ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٣ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٣٢ ، والكشف والبيان ١٣ / ٦٦ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣١ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٤١ ب ، والكشف والبيان ١٢ / ٦٤ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٩ .

وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان : نزلت في المنافقين ^(١) ، وعلى هذا معنى قوله : ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ؛ أي باللسان في العلانية .

قال مقاتل : كان المنافقون لا ترق قلوبهم لذكر الله والقرآن ، فلم يكن له إلا القليل منهم ، وهم الذين صدقوا ، وكثير منهم فاسقون ^(٢) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ : قراءة العامة بتشديد الصاد على معنى المصدقين والمصدقات بالصدقة ، وكذا هو في قراءة أبي بالفاء ^(٣) ، فأدغمت التاء في الصاد يدل على أن المعنى هذا .

قوله تعالى : ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . وهذا الفصل اعتراض بعين الخبر والمخبر عنه ، والاعتراض بمنزلة الصفة ^(٤) ، فهو للصدقة أشد ملائمة منه للتصديق ، وقراءة من قرأ بتخفيف الصاد من التصديق الذي هو بمعنى الإيمان ، ومعناها إن المؤمنين والمؤمنات ، حجة هذه القراءة أن التشديد مقصور على الصدقة والتخفيف أعم ؛ لأن التصديق يعم الصدقة وغيرها من كل ما صدقوا وآمنوا به ، فهو أذهب في باب المدح ، وعلى هذا قوله : ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ^(٥) ، فذكر العمل الصالح بعد الإيمان ، كذلك ها هنا ذكر القرض الحسن بعد التصديق على هذه القراءة لا يحمل قوله : وأقرضوا على الاعتراض ، ولكنه عطف على المعنى ، ألا ترى أن المصدقين معناه الذين صدقوا فكأنه قال : إن الذين صدقوا وأقرضوا ، ويجوز هذا الوجه

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤١ ب .

(٢) المرجع السابق .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو بكر : ﴿الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ بتخفيف الصاد فيها ، وقرأ الباقون : (المُصَدِّقِينَ والمُصَدِّقَاتِ) ببناء ظاهرة ، وبها احتج الجمهور لقراءة التشديد . انظر : حجة القراءات ١٠٧ ، والنشر ٣٨٤ / ٢ ، والإنحاف ٤١ .

(٤) في نسخة (ك) : (الصلة) .

(٥) من الآية رقم : ٢٧٧ من سورة البقرة ، وفي غيرها من سور القرآن كثير .

في القراءة الأولى^(١)، على معنى : إن الذين تصدقوا وأقرضوا الله قرضاً حسناً .
وذكرنا تفسير القرض الحسن في هذه السورة .

وذكر أبو علي في المسائل الحلبية في قوله : ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ ﴾ أوجهاً ، واختار
الاعتراض ، فقال : حمله على الاعتراض أرجح الوجوه عندي ؛ لأن الاعتراض
قد شاع في كلامهم وكثر ، ولم يجر ذلك عندهم فجرى مجرى الفصل بين المتصلين
بما هو أجنبي ؛ لأن فيه تبييناً ، فأشبه بذلك الصفة والتأكيد^(٢) .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . في تفسير
هذه الآية طريقتان ؛ أحدهما : أن الآية عامة في كل من آمن بالله ورسله
وهو مذهب مجاهد ، وقال : كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق ،
ثم قرأ هذه الآية^(٣) ، ويدل على هذا ما روي عن ابن عباس في قوله :
﴿ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ؛ أي الموحدون^(٤) .

الثاني : أن الآية خاصة ، وهو قول المقاتلين ، قال ابن سليمان : هم الذين لم
يشكُّوا في الرسل ساعة حين أخبروهم^(٥) .

وقال ابن حيان : هم الذين آمنوا بالرسول حين اتوهم ولم يكذبوهم ساعة
قط ، مثل : حديث آل ياسين ، ومؤمن آل فرعون ، وأبي بكر الصديق^(٦) . هذا

(١) من قوله : « قوله تعالى ﴿ وَأَقْرَضُوا ﴾ وهذا الفصل » إلى هنا من كلام أبي علي الفارسي بتصرف من
المؤلف . انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) انظر : المسائل الحلبات ١٤٣ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٣٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٨ ، وزاد المسير ٨ / ١٧ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٥٩ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٣١ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤١ ب .

(٦) انظر : الوسيط ٤ / ٢٥١ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٣١ ، وفتح القدير ٥ / ١٧٣ . أبو بكر الصديق

هو خليفة رسول الله ﷺ ، توفي سنة ثلاث عشرة هجرية عن ثلاث وستين سنة . انظر : الإصابة
١١ / ٤٠ ، والعبر ١ / ١٣ ، وصفة الصفوة ١ / ٢٣٥ .

كلامه ، وهو مذهب الضحاك في هذه الآية ، قال : هم ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام : أبو بكر ، وعلي ، وزيد ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وحمة ، وتاسعهم عمر - رضي الله عنهم - ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته ^(١) .

ومن قال بالطريقة الأولى قال : قوله : ﴿وَالشَّهَدَاءُ﴾ عطف على الآية الأولى . والمعنى : إن الذين آمنوا بالله ورسوله هم الصديقون ، وهم الشهداء .

قال مجاهد : كل مؤمن صديق وشهيد ، ثم قال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ﴾ ^(٢) .

وقال الضحاك : الشهداء هم الصديقون ، وكانوا كلهم شهداء ^(٣) ، يعني الذين ذكرهم بأسمائهم .

قال أبو إسحاق : يجوز أن يكون (والشهداء) نسقاً على ما قبله ، فيكون المعنى : أولئك هم الصديقون ، وأولئك هم الشهداء عند ربهم ، ويكون : ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ للجماعة من الصديقين والشهداء ^(٤) .

وعند قوم من المفسرين هذه الآية مستأنفة . قال مسروق : هذه للشهداء خاصة ^(٥) ، وقال مقاتل بن سليمان : ثم استأنف للشهداء ، يعني من استشهد ^(٦) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/٦٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٢٩٨ ، وزاد المسير ٨/١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٥٤ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤/٢٩٨ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٢ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/٦٨ أ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥/١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٧٦ ، وجامع البيان ٢٧/١٣٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٤١ ب .

وقال مقاتل بن حيان : الآية الأولى مفصولة ، ثم ذكر الشهداء وهم الأنبياء والرسل^(١) ، واختار محمد بن جرير هذا القول ، قال : لأن الإيمان غير موجب اسم شهيد إلا أن يراد أنه شهيد على ما آمن به فيكون وجهاً ، وذلك ليس بمعروف من معانيه إذا أطلق . والتأويل : والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عند ربهم^(٢) .

وقال الفرّاء : انقطع الكلام عند قوله : ﴿ هُمْ الصّٰدِقُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني النبيين ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ ورفعت ﴿ وَالشُّهَدَاءُ ﴾ بقوله : ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ ، ونحو هذا ذكر أبو إسحاق^(٣) في هذا الوجه سواء ؛ فالشهداء في قول مقاتل بن سليمان . وابن جرير : من استشهد في سبيل الله ، وفي قول ابن حيان والفرّاء والزّجاج : الأنبياء .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوَ ﴾ الآية . آراء المتأخرين من أهل التفسير يفسرون الحياة الدنيا بما في هذه الدار الفانية من العروض والأموال التي تسمى الدنيا ، وهي لا تسمى الحياة . والحياة الدنيا الحياة في هذه الدار . وللآدمي حياتان : الحياة الدنيا ، وهي حياته في هذه الدار ، وحياته الثانية ؛ حياته في الآخرة ، أعلم الله - تعالى - أن الحياة الفانية ما هي ، وهو يريد حياة من لا تكون حياته في طاعته ؛ لأن من كانت حياته في طاعة الله لا تكون حياته لعباً وهواً . قال ابن عباس في هذه الآية : يريد ما كان لغير الله فهو باطل وغرور^(٤) . وإنما جعلها لعباً وهواً ؛ لأنها تنقضي عن قريب ، ولأنها إذا كانت في غير الطاعة فهي باطل وغرور ، قاله ابن عباس .

(١) انظر : الوسيط ٤/ ٢٥١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩٨ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٣٥ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥/ ١٢٦ .

(٤) انظر : الوسيط ٤/ ٢٥٢ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٣٣ .

قوله تعالى : ﴿وَزِينَةٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد يتزين الناس بما لا يحب الله ، ولا يرضى ^(١) . والمعنى أن الكافر يستغل حياته بالتزين للدنيا دون العمل للآخرة ، فحياته زينة على معنى أنه يُذهبها في الزينة . والزينة اسم جامع لكل شيء يُتزين به ، والكافر لا همه له في حياته إلا ما يزينه في دنياه ، وهذا كما قيل : حياتك بالغرور سهو وغفلة ؛ أي إنك تذهبها فيهما لا أنها هما بعينهما ، وكذلك قوله : ﴿وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ﴾ يعني أنكم تشغلون في حياتكم بالتفاخر .

قال ابن عباس : يفاخر الرجل قريبه وجاره ^(٢) .

﴿وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ . قال ابن عباس : يجمع ما لا يحل له تكاثراً به ، ويتناول على أولياء الله بهاله وخدمه وولده ^(٣) .

ثم بين هذه الحياة شبيهاً ، فقال : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني المطر ، والكاف موضعه رفع من وجهين ؛ أحدهما : أن يكون صفة لقوله : ﴿لَعِبٌ وَهُوَ﴾ وما ذكر بعدهما ، والآخر : أن يكون خبراً بعد خبر ، قاله الزجاج ^(٤) ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِّحَيَوَاتِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ [الكهف : ٤٥] الآية ، وقد بينا الكلام فيها . قوله تعالى : ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ﴾ يعني الزراع ، عن عبدالله ومجاهد ^(٥) .

قال الأزهري : والعرب تقول للزارع : كافراً ؛ لأنه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض ، ومنه قوله : ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ﴾ ؛ أي الزراع ، وإذا أعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو غاية ما يُستحسن ، قال : وقيل الكفار في هذه الآية

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٥٥ .

(٢) انظر : الوسيط ٤/٢٥٢ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٩٨ .

(٣) انظر : الوسيط ٤/٢٥٢ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٣٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥/١٢٧ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٣ .

الكفار بالله ، وهم أشد إعجاباً بزيينة الدنيا وحرثها من المؤمنين ، هذا كلامه ^(١) ، وأكثره من قول أبي إسحاق ^(٢) .

وقوله : ﴿ نَبَأُهُ ﴾ ؛ أي ما ينبت من ذلك الغيث ، وباقي الآية مُفسَّر في سورة الزمر ^(٣) .

قال أهل المعاني : زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا ، ورغب في العمل للآخرة ، وهي صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل باللهو واللعب وما ذكر بعدهما ، وهي خطاب للكافر ، وتحذير للمؤمنين عن مثل حياتهم ، ويدل على هذا قوله : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ، فختم بذكر العذاب . والمعنى : فعذاب شديد لمن كانت حياته بهذه الصفة .

قال مقاتل : عذاب شديد لأعداء الله ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ لأوليائه وأهل طاعته ^(٤) ، وقاله ابن عباس .

قال الزَّجَّاج : معناه : مغفرة لأولياء الله ، وعذاب لأعدائه ^(٥) .

وقال الفراء : ذكر ما في الدنيا وأنه على ما وصف ، ثم قال : وأمَّا الآخرة فإنها إمَّا عذاب ، وإمَّا جنة ^(٦) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (كفر) ١/ ١٩٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٢٧ .

(٣) عند تفسيره الآية رقم : ٢١ من سورة الزمر .

(٤) انظر : الوسيط ٤/ ٢٥٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٢٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٣٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ، يعني لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة ، وهو معنى قول مقاتل ؛ أي لمن اغتر بها يتمتعون ثم يذهب^(١) .

وقال سعيد بن جبير : متاع الغرور هو ما يلهيك عن طلب الآخرة ، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه^(٢) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ : مضى تفسير هذه الآية عند قوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

قوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال ؛ أحدها : أن السموات السبع والأرضين السبع لو ألزق بعضها ببعض ووصل لكانت الجنة في عرضها جميعاً ، هذا قول مقاتل^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد لرجل واحد ، يعني أن لكل واحد جنة بهذه السعة^(٤) .

القول الثالث : أن هذا تمثيل للعباد بها يعقلونه ويقع في نفوسهم ، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض ، وهذا قول الزَّجَّاج^(٥) . وهذه الأقوال مشروحة في سورة آل عمران .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٥٦ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٨ ، ولباب التأويل ٧ / ٣٦ ، وفتح القدير ٥ / ١٧٥ .

(٣) تفسير مقاتل ١٤٢ أ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٤ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٥٦ ، وفتح القدير ٥ / ١٧٥ . وفي

تفسير الثعلبي ١٢ / ٧٨ ب قال : وقال ابن كيسان : «عنى به جنة واحدة من الجنان» .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٢٨ .

قوله تعالى : ﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ : في هذا أعظم رجاء وأقوى أمل ؛ إذ ذكر أن الجنة أُعدت لمن آمن ، ولم يذكر مع الإيذان شيئاً آخر ^(١) .

ثم قال : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيبين أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ^(٢) .

قال أبو إسحاق : ثم أعلم أن المؤدَّى إلى الجنة أو إلى النار لا يكون إلا بقضاء وقدر ، فقال :

٢٢ . قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ . قال الكلبي والمقاتلان : المصيبة في الأرض قحط المطر ، وقلة النبات ، ونقص الثمار ، وغلاء السعر ، وتتابع الجوع ، وقالوا في قوله : ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ المصيبة في الأنفس : البلاء والأمراض ، وذهاب الولد ، وإقامة الحدود عليها ^(٣) .

وقال الشعبي : المصيبة ما يكون من خير وشر ، وما يسوء ويسر ^(٥) ، وهو اختيار الزجاج ، قال : أو كسب خير أو شر فمكتوب عند الله معلوم ^(٦) ، وهو قوله : ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ ، قالوا : يعني اللوح المحفوظ .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٥ . قال الشوكاني : «ولكن هذا مقيد بالأدلة الدالة على أنه لا يستحقها إلا من عمل بما فرض الله عليه ، واجتنب ما نهى الله عنه ، وهي أدلة كثيرة في الكتاب والسنة» . فتح القدير ٥ / ١٧٦ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣١٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٢٨ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٦٢ ، وتفسير مقاتل ١٤٢ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٥٧ .

(٥) انظر : الكشف والبيان : ١٢ / ٦٩ أ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٧ ، وروح المعاني ٢٧ / ١٨٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٢٨ .

وذكر أن سعيد بن جبير لما انطلق به إلى الحجاج بكى رجل ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : الذي نزل بك من الأمر ، قال : فلا تبك فإنه كان سبق في علم الله أن يكون هذا ، ثم قرأ هذه الآية ^(١) .

قال أبو علي الفارسي : قوله : ﴿ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ موضع قوله : ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ يحتمل ضربين ؛ أحدهما : أن يكون مفعولاً فيه ظرفاً ، والآخر : أن يكون وصفاً ، فإن جعلته ظرفاً احتمل أن يكون ظرفاً لأصاب ، واحتمل أن يكون لمصيبة ، ويؤكد كونه ظرفاً ويحسنه دخول لا في قوله : ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، فصار ذلك مثل : ما ضرب من رجل ولا امرأة .

الوجه الثاني : أن يكون صفة للنكرة ، وقوله : ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ صفة معطوفة على صفة ، وإذا كان كذلك احتمل موضع قوله : ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ ضربين ؛ أحدهما : أن يكون جرّاً على لفظ قوله : ﴿ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ ، والآخر : أن يكون رفعاً على موضع ﴿ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ .

فإن قلت : فما وجه دخول (لا) في قوله : ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ وليس الكلام على هذا التأويل بنفي ؟ فالقول فيه : أنه لما كان معطوفاً على ما هو منفي في المعنى وإن لم يكن منفيّاً في اللفظ جاز أن يحمل الكلام على المعنى فيدخل فيه لا ؛ لأن قوله : ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ صفة لمنفي ^(٢) ، فأجريته مجرى المنفي ، فاستجزت العطف عليه بلا . والحمل على المعنى في النفي قد جاء في غير شيء من كلامهم ، ألا ترى أنهم قد قالوا : إن أحداً لا يقول إلا زيد ، لما كان في المعنى منفيّاً . وإن شئت قلت : إن (لا) زائدة ، وقد ذكرنا زيادتها في غير موضع ^(٣) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٦٩ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٥٧ .

(٢) في نسخة (ك) : (ملنفي) ، ولعل صوابها : (لمنفي) .

(٣) انظر : الدر المنصون ١ / ٢٥١ .

قوله تعالى : ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَهَا﴾ . قال ابن عباس : من قبل أن أخلق خلقي^(١) ، وقال الكلبي والمقاتلان : من قبل أن أخلق الأنفس^(٢) ، وعلى هذا الضمير في نبرأها للأنفس ، وهو اختيار الفراء^(٣) . وذكر أيضاً الضمير للأرض والأنفس جميعاً^(٤) ، وعن ابن عباس أيضاً أنها للمصيبة^(٥) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : إن حفظ ذلك على الله هين^(٦) . وهذا كقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر : ١١] . والمعنى أن إثبات ذلك على كثرته يسير هين على الله .

٢٣ . قوله : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ : هذا يدل على قول الشعبي إن المصيبة تكون من خير وشر ؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية الحزن والفرح جميعاً ، وهذه اللام تجعل أول الكلام سبباً لآخره ، كما تقول : قمت لأضربك ، بَيَّنَّتْ باللام أن القيام سبب للضرب ، وفي هذه الآية ليس الأمر على ذلك ؛ لأن إثبات الله تعالى للحوادث والكائنات قبل خلقها لو كان سبباً لنفي الحزن والفرح ؛ ما فرح أحد ولا حزن ، ولا وُجد فرح ولا حزن ، ولكن اللام تتعلق بإخبار الله تعالى إيانا بانقضائه وسبق قدره وبالكائنات ، وذلك يوجب نفي الفرحة والحزن ، وكأنه

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٣ ، وفتح القدير ٥/١٧٦ ، ولم ينسب القول إلى قائل .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٦٣ ، وتفسير مقاتل ١١٤٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٣/١٣٦ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤/٢٩٩ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٣٧ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٢/٦٩ أ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٥٧ .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٤/٢٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٤ .

قيل : أخبرناكم بهذا لكيلا تأسوا ، وحذف ذلك ؛ لأن المشاهدة أغنت عنه ، وهذا معنى ما ذكره صاحب النظم ^(١) .

والذي يوجب نفى الأسى والفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما قضي عليه من مفرح ^(٢) أو محزن سيصيبه لا محالة قلَّ فرحه وحزنه لاستشعاره العلم بذلك قبل وقوعه .

قوله تعالى : ﴿يَمَّا ءَاتَتْكُمْ﴾ : قراءة العامة بالمد من الإيتاء ، وقرأ أبو عمرو مقصوراً من الإتيان ^(٣) عادل به ﴿فَآتَكُمْ﴾ ، فكما أن الفعل للفائت في قوله : ﴿فَآتَكُمْ﴾ كذلك يكون الفعل الذي في قوله : ﴿يَمَّا ءَاتَتْكُمْ﴾ ، والعائد إلى الموصول من الكلمتين الذكر المرفوع بأنه فاعل ، ووجه قراءة العامة أن الخير الذي يأتيهم هو مما يعطيه الله ، فإذا قد كان ذلك منسوباً إلى الله وهو المعطي لذلك ، ويكون فاعل الفعل في ﴿ءَاتَتْكُمْ﴾ ضميراً عائداً إلى اسم الله ، والهاء محذوفة من الصلة تقديره : بما آتاكموه ^(٤) .

قال المبرد : المعنى في قوله : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَتْكُمْ﴾ ؛ أي لا يكون منكم في هذا ولا في هذا ما يجاوز مقدار ما ينبغي فيه ^(٥) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٨ .

(٢) في (ك) : (مفراج) .

(٣) قرأ الجمهور : ﴿ءَاتَتْكُمْ﴾ بالمد ، وقرأ أبو عمرو : (آتاكم) . انظر : النشر ٢ / ٣٨٤ ، والإتحاف ٤١١ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، وحجة القراءات ١٠٧ - ٢٠٧ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٣٩ . والظاهر أن الرازي - رحمه الله - خلط بين كلام المبرد وكلام الزجاج ، حيث ذكر ما شرح به الزجاج كلام المبرد ونسبه إلى المبرد ، والصواب ما ذكره المؤلف هنا .

وشرحه الزَّجَّاج فقال : معناه : لا تحزنوا حزناً يطغيكم حتى يخرجكم إلى أن تلزموا أنفسكم الهلكة ، ولا تعتدوا بثواب ما تسلبونه وما فاتكم ، ولا تفرحوا فرحاً شديداً تأثروا فيه وتبطروا ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ، فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر ، فأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم^(١) ، وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا للمصيبة صبراً وللخير شكراً^(٢) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ : هذه الآية مستأنفة لا تتعلق بما قبلها ؛ لأنها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ وبخلوا ببيان نعته ، قاله ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ومقاتل^(٣) . والآية مفسرة في سورة النساء^(٤) . و(الذين) ابتداء وخبره محذوف دل عليه قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، على تقدير الذين يبخلون الله غني عنهم^(٥) .

قال ابن عباس : ومن يتول عن الإيمان فإن الله غني عن عبادته ، حميد إلى أوليائه^(٦) .

وقال مقاتل : يعني بخل اليهود حين بخلوا بالزكاة والنفقة في سبيل الله ، يقول : الله غني عما عندهم حميد عند خلقه^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ١٢٨/٥ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٣٦/٢٧ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٣٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٦٣ ، وتفسير مقاتل ١١٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٤ .

(٤) عند تفسيره الآية رقم ٣٧ من سورة النساء .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٦٧ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/٧١٩ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥/٣٦٣ ، والوسيط ٤/٢٥٣ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١١٤٢ .

والذي ذكرنا من حذف الخبر قول الأخفش ، قال : وحذف الخبر كثير في القرآن كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ ﴾ [الرعد: ٣١] الآية ، ولم يأت له خبر^(١) . وقراءة العامة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ ، وقرأ ابن عامر : (فإن الله الغني)^(٢) . ومن أثبت (هو) كان فصلاً ، ولا يكون مبتدأ ، والفصل حذفه أسهل ، ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب ، وقد يحذف فلا يخل بالمعنى^(٣) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ . قال مقاتل بن حيان : البينات : الإخلاص لله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، إلى ذلك دعت الرسل^(٤) . فالبيّنات على قول ابن سليمان الحجج^(٥) ، وعلى قول ابن حيان الأحكام في العبادة ، والأول الوجه^(٦) ؛ لقوله^(٧) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ، والكتاب يتضمن الأحكام .

قوله تعالى : ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ . قال قتادة وابن حيان : الميزان : العدل^(٨) . ويكون المعنى على هذا : وأمرنا بالعدل ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧] ، وقد مرّ .

-
- (١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٠٧ .
 (٢) قرأ الجمهور : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ ، وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر : (فإن الله الغني) . انظر : النشر ٢/ ٣٨٤ ، والإتحاف ٤١١ .
 (٣) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٧٦ .
 (٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢٤ .
 (٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٢/ ١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩٩ .
 (٦) يظهر من قول المؤلف : « والمعدل الوجه » سقط في العبارة قبل قوله : قال مقاتل بن حيان : « ولعل العبارة كما في تفسير مقاتل بن سليمان » هكذا : « قال مقاتل بن سليمان : البينات : يعني الآيات » .
 (٧) في (ك) : (كقوله) .
 (٨) انظر : تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٧٥ ، والوسيط ٤/ ٢٥٣ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٩٩ .

وقال مقاتل بن سليمان : يعني الموازين^(١) ، وهو قول ابن زيد ، قال : ما يوزن^(٢) به .

وعلى هذا المعنى أنزلنا معهم الكتاب ووضعنا الميزان ، فيكون من باب :

علفتها تبناً وماءً بارداً^(٣)

وأكلت خبزاً ولبناً .

وقد مرَّ في مواضع ، يدلُّ على صحة هذا قوله : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن : ٦] .

قوله : ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ؛ أي ليتبعوا ما أمروا به من الطاعة والعدل فتعملوا بينهم بالعدل .

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ . قال الكلبي : أنزل الله على آدم القلادة والمطرقة والكلبتين^(٤) .

(١) انظر : الوسيط ٢٥٣/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٩٩/٤ . والذي في تفسير مقاتل أن المراد بالميزان يعني العدل . انظر : تفسير مقاتل ١٤٢ أ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٣٧/٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٧ .

(٣) ورد البيت في الخصائص ٤٣١/٢ ، والخزانة ١٣٩/٣ ، وإيضاح الشعر للفارسي ٥٧٣ ، والإنصاف ٦١٣ ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وليس في ديوانه . وفي أوضح المسالك ٢/٢٤٥ ، رقم : ٢٥٨ قال محققه : ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، ثم ذكر ثلاثة تحريجات للبيت ومن قال بكل قول . وتمازى البيت : حتى شئت همالةً عينها

انظر : زاد المسير ٢١٢/٨ ، والبحر المحيط ٢٤٧/١ ، وشذرات الذهب ، الشاهد رقم : ١١٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرطبي ١٣٦/٣ . القلادة ، هي السندان ، وهي الصَّلَاءَةُ ، واللسان (سند) ٢١٥/٦ . الكلبتان : الآلة التي تكون مع الحدادين . اللسان (كلب) ٢/٢٨٤ .

وروي عن ابن عباس : نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من الحديد : السندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمطرقة ، والإبرة^(١) .

ويدلُّ على صحة هذا ما روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال : «إن الله - عز وجل - أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض : أنزل الحديد ، والنار ، والماء ، والملح»^(٢) ، هذا مذهب المفسرين .

وذهب قوم إلى أن معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه ، كقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَرْوَاحٍ﴾ [الزمر: ٦] ، وهو معنى قول مقاتل ، يقول : بأمرنا كان الحديد^(٣) ، وهذا قول أبي علي الفارسي .

وقال قطرب : معنى أنزلنا هيئاًنا وخلقنا من التنزل ، يقال : أنزل الأمير على فلان نزلاً حسناً^(٤) . ومعنى الآية : أنعمنا بالحديد وجعلناه مهياً لكم ، وهذا القول قريب من قول أبي علي .

قوله تعالى : ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ . قال أبو إسحاق : يمتنع به ويحارب^(٥) به ، وهو قول المفسرين : فيه قتال شديد ، قاله عطاء والكلبي^(٦) .

(١) انظر : الكشف والبيان ، ١٢ / ٧٠ أ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٤١ ، ٢٤٢ . الميقعة : ما دُفِعَ به السيف ، وقيل : الميقعة المسن الطويل . اللسان (وقع) ٣ / ٩٦٨ .

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٢ / ٧٠ ب ، وقال ابن حجر : وفي إسناده من لا أعرفه . تخريج أحاديث الكشاف ٤ / ١٦٤ ، وفي ضعيف الجامع ٣ / ٧٧ : موضوع ، وفي الطب النبوي لابن القيم ٣٩٦ ، قال : ذكره البغوي مرفوعاً والموقف أشبه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٢ أ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٧٠ أ ب ، ، والوسيط ٤ / ٢٥٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٠٠ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٤٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٢٩ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٣٦٤ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٠٠ ، وعبارتها : (قوة شديدة) .

وقال مقاتل : بأس شديد للحرب^(١) . والمعنى : أنه يتخذ منه ألتان للحرب : آلة الدفع ، وآلة الضرب ، وقد جمعها مجاهد في قوله : جُتَّة ، وسلاح^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْفَعُ النَّاسِ ﴾ . قال المقاتلان والكلبي : ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكاكين والفأس والمُبرِّد^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : لأن كل شيء خلقه الله من حجر أو شجر لا يصلح إلا بالحديد^(٤) .

وقال أبو إسحاق : يستعملونه في أدواتهم وما ينتفعون به^(٥) .

قال صاحب النظم قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعُ النَّاسِ ﴾ كل هذا معترض بين قوله : ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ لا يتصل بإنزال الحديد ، وهو نسق على قوله : ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾^(٦) .

والمعنى : أنزلنا الكتاب والميزان لتعامل ، بالعدل وليعلم الله من ينصره ؛ وذلك أن الله تعالى أمر في كتابه بنصرة دينه ورسله ، وامتنح الناس بذلك الأمر ، فمن^(٧) نصر دينه ورسله علمه ناصراً ، ومن عصى علمه بخلاف ذلك ، وعلى هذا إنزال الحديد وما يتعلق به فصل معترض .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤٢ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٢/٦٥٨ ، وجامع البيان ٢٧/١٣٧ .

(٣) في نسخة (ك) : (المد) ، وانظر : تنوير المقباس ٥/٣٦٤ .

(٤) لم أجده .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/١٢٦ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٦١ ، والدر المصون ١/٢٥٣ .

(٧) فمن) زيادة يقتضيها السياق .

ولأبي النصر عبد الجبار بن محمد العتبي الكاتب - رحمه الله - فصل في هذه الآية خلاف ما ذكره صاحب النظم ؛ وهو أنه قال : كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ لجمعه بين الكتاب ، والميزان ، والحديد ، على تنافر طردها من المناسبة ، وبعدها قبل الرؤية والاستنباط عن المشاكلة والمقاربة ، وسألت عنه عدة من أعيان العلماء بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم أحصل منهم على جواب يزيح العلة ، ويشفي الصدر ، وينقع الغلة ، حتى أعملت التفكير ، وأنعمت التوبر ، فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد ، ويفصل جمل الفرائض ، ويريهن مصالح الأبدان والنفوس ، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود ، قد خطر فيه التعادي والتظالم ، والتباغي والتخاصم ، وأمر بالتناصف والتعادل في أقسام الأرزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الأرض ، ليكون ما يصل منها إلى أهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب ، واحتاجوا في استدامة حياتهم بأقواتهم مع النصفة المندوب إليها إلى استعمال آلة العدل التي يقع بها التعامل ، ويعم معها التساوي والتعادل ، فألهمهم الله - عز وجل - اتخاذ الآلة التي هي الميزان في ما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا لمخالفته فيهلكوا به إذا لم يكن ينتظم لهم عيش مع شيوع ظلم البعض منهم للبعض ، ويدل على هذا المعنى قوله جل ذكره : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٧] ؛ وذلك أنه تعالى جعل السماء سبباً للأرزاق والأقوات من أنواع الحبوب والنبات ، فكان ما يخرج منها من أغذية العباد مضطراً إلى أن يكون اقتسامه بينهم على الإنصاف دون الجزاف ، ولم يكن ذلك إلا بالآلة المذكورة ، فنبه الله - عز وجل - على موقع الفائدة فيه والفائدة به بتكرير ذكره هذا في الكتاب والميزان ، ثم إنه من المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية والآلة الموضوع للتعامل بالسوية ، إنما تحفظ العامي على ابتغاها ويضطر العالم إلى التزام أحكامها بالسيف الذي هو حجة الله على من جحد ونزع من صفقه الجماعة اليد ، وهو بارق سطوته ، وشهاب نقمته ، وجذوة عقابه ، وعذبة عذابه ، وهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله بالبأس

الشديد ، فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة النقوب ، متدانية الجيوب ، حكمة المطالع ، مقومة المبادئ والمقاطع . انتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره من أن المراد بالحديد السيف هو معنى ما ذكرنا من قول المفسرين في تفسير قوله : ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ .

وقوله : ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ : قد مضى الكلام في بيان هذا العلم في مواضع ، والمفسرون يقولون : وليرى الله من ينصره وينصر دينه ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] .

﴿وَرُسُلُهُ﴾ ؛ أي يقاتل مع رسله في سبيله . ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ؛ أي ولم ير الله ولا أحكام الآخرة ، وإنما يحمد إذا أطاع بالغيب ، كما قال الله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] .

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ في أمره ، ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه . قال مقاتل^(١) : وفيه بيان أنه غني عن خلقه وعن نصرتهم بعزه وقوته .

٢٧ . وما بعد هذا ظاهر ومفسر في ما تقدم إلى قوله : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ . قال ابن عباس : يريد الحواريين وأتباعهم^(٢) .

﴿رَافَةً وَرَحْمَةً﴾ ، قال مقاتل^(٣) : يعني المودة كانوا متوادين بعضهم لبعض كما وصف الله تعالى أصحاب محمد ﷺ بقوله : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤٢ ب ، ومعالم التنزيل ٣٠ / ٤ .

(٢) انظر : الوسيط ٢٥٤ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٢ / ١٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٢ ب ، ومعالم التنزيل ٣٠ / ٤ .

قوله تعالى : ﴿وَرَهَبَانِيَّةٌ﴾ : هي اسم مبني من الرهبة ، وقد مضى الكلام في تفسير الرهبان^(١) . قال أبو إسحاق : وابتدعوا رهبانية كما تقول : رأيت زيدا وعمراً كلمته^(٢) .

وقال أبو علي : قوله : ﴿وَرَهَبَانِيَّةٌ﴾ محمول على فعل ، كأنه قال : وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ، ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على جعلنا^(٣) مع وصفه إياها بقوله : ابتدعوها ؛ لأن ما يجعله هو - عز وجل - لا يبتدعونه هم^(٤) .

ومعنى ﴿أَبْتَدَعُوها﴾ جاءوا بها من قبل أنفسهم ، وهو معنى قوله : ﴿مَا كُنْتُمْ عَلَيْهَا﴾ . قال ابن عباس : ما فرضناها عليهم^(٥) .

ومعنى رهبانيتهم غلوهم في العبادة من حمل المشاق على أنفسهم في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح ، والتعبد في الغيران والكهوف والديارات والصوامع ، وسبب ذلك على ما قال المفسرون : أن ملوكهم بدلوا غيروا وأحدثوا أحداثاً في دينه ، وقتلوهم الذين بقوا على دينهم ، فقتل منهم الكثير ، ولم يبق إلا نفر قليل ، فذهب هؤلاء النفر ، وخرجوا إلى البراري والجبال متبتلين ، وابتدعوا الرهبانية^(٦) .

(١) الآية رقم : ٤٠ من سورة البقرة . رهب ، يرهب ، رهباً ؛ أي خاف ، والراهب : المتعبد في الصومعة . وأصل الرهبانية من الرهبة ، ثم صارت اسماً لما فضل عن المقدار وأفرط فيه . اللسان (رهب) ١٢٣٧/١ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١٣/٥ .

(٣) في نسخة (ك) : (جعلها) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٤٥ ، وفتح القدير ١٧٨/٥ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٥/٣٦٥ ، والوسيط ٤/٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٦٣ ، ونسبه إلى ابن زيد .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧/١٣٨ ، وسنن النسائي في كتاب آداب القضاة ، باب : تأويل قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، ومعالم التنزيل ٤/١٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٥ ، ٣١٦ .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد طلبوا رضى الله ^(١) .

وقال قتادة : ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ^(٢) ، وعلى هذا يكون التقدير : ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، فيكون استثناءً منقطعاً .

وقال أبو إسحاق : ويكون ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ بدلاً من الهاء والألف ^(٣) ، فيكون المعنى : ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به ^{(٤)(٥)} . هذا كلامه ، ومعناه على هذا أن الابتغاء بدل من الضمير في كتبناها ، كما تقول : ما رأيت القوم إلا زيداً . والمعنى : ما كتبنا الرهبانية عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، وهو أن يطلبوا رضاه باتباع أمره ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن هؤلاء الذين ذكرهم الله ووصفهم بتصنع الرهبانية وترك رعايتها هم قوم كفروا بدين عيسى وتهودوا وتنصروا من هؤلاء الذين أحدثوا الرهبانية ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهّب ، وهو قول مقاتل ، قال : لم يرعوها ، ولا أحسنوا حين تهودوا وتنصروا ، فأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمداً ﷺ فأمنوا به ، فهو قوله : ﴿فَمَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾ الذين تهودوا وتنصروا ^(٧) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٣٦٥ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٤٦ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧٦ ، وجامع البيان ٢٧/ ١٣٨ .

(٣) من الهاء والألف في (كتبناها) .

(٤) في (ك) : (أمره) .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٣ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٦٣ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٤٦ .

ونحو هذا روى ابن مسعود عن النبي ﷺ ، قال : «منهم من تمسك بدينه ، وهم الذين قال الله : ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ ، ومنهم من كفر ، وهو قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(١) ، وهذا قول الضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس^(٢) .

القول الثاني : أن الذين لم يرعوها حق رعايتهم^(٣) الذين أدركوا محمداً ﷺ ولم يؤمنوا به^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ ؛ أي آمنوا بمحمد ﷺ ، ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ يعني الذين لم يؤمنوا به ، يدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ قال : «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»^(٥) .

القول الثالث : أن الصالحين من قوم عيسى ابتدعوا الرهبانية ، وانقرض على ذلك طائفة منهم ، وخلف بعدهم قوم اقتدوا بهم ولم يكونوا على منهاجهم ، فهم الذين لم يرعوها حق رعايتها ، وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد^(٦) وعطاء .

(١) هذا الحديث ذكره المؤلف بالمعنى ، وهو حديث طويل أخرجه الحاكم في كتاب التفسير (سورة الحديد) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي : قلت : ليس بصحيح فإن الصعق وإن كان موثقاً فإن شيخه منكر الحديث . قال البخاري : وفي كتاب السنة لابن أبي عاصم ٣٥ / ١ ، وقال عنه محققه : إسناده ضعيف جداً ، ورجاله ثقات غير عقيل الجعدي ، فإنه ضعيف جداً كما يفيد قول البخاري فيه : منكر الحديث . قال : والحديث أخرجه الطبراني في الصغير والكبير والحاكم في صحيحه ، ورده الذهبي بالجعدي ، لكن للحديث في كبير الطبراني إسناده آخر عن ابن مسعود خير من هذا .

(٢) انظر : الكشف والبيان ٧١ / ١٢ ب ، ومعالم التنزيل ٣٠١ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٦٣ .

(٣) كذا في نسخة (ك) ، ولعل الصواب : (رعايتها) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٤٦ .

(٥) جزء من الحديث السابق ، وقد أخرجه الثعلبي في تفسيره ٧١ / ١٢ ب ، وفي سننه : عقيل الجعدي أيضاً .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧ / ١٣٨ .

قال عطاء : لم يرعوها كما رعاها الحواريون وأتباعهم^(١) .

وقال سعيد : ابتدعها^(٢) الصالحون فما رعوها حق رعايتها ، يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم . ﴿فَتَأْتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ : يعني الذين ابتدعوها . ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْئُلُونَ﴾ : الذين جاؤا من بعدهم^(٣) .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى^(٤) بقوله : يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ وآمنوا به ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ﴾ ضعفين وأجرين ونصيين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ . وذكرنا تفسير الكفل في سورة النساء^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ . قال ابن عباس : يعني على الصراط ، وهو قول مقاتل^(٦) ، وقال مجاهد : يعني الهدى والبيان^(٧) .

وذكر أبو إسحاق القولين ، فقال : ويجعل لكم نوراً تمشون به كما قال : ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحریم : ٨] ، وهذا علامة المؤمنين في القيامة ، قال : ويجوز أن يكون المعنى : ويجعل لكم سبيلاً واضحاً من الهدى تهتدون به^(٨) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٤٦ .

(٢) كذا في نسخة (ك) ، ولعل الصواب : (ابتدعها) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤/٣٠١٢ ، وغرائب القرآن ٢٧/١٤١ .

(٤) قاله ابن عباس والضحاك وعتبة بن أبي حكيم ، وهو اختيار ابن جرير . انظر : جامع البيان ٢٧/١٤٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١٧ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم : ٨٥ من سورة النساء . الكفل : الحظّ والضعف من الأجر والإثم ، والكفل : النصيب ، أخذ من قولهم : اكتفلت البعير إذا أدركت على سنامه أو على موقع من ظهره كساء وركبت عليه ، وإنما قيل له كفل ؛ لأنه لم يستعمل الظهر كله . انظر : تهذيب اللغة ، واللسان (كفل) ٣/٢٧١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٤٣/أ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٠٣ ، وفتح القدير ٥/١٧٩ .

(٧) انظر : تفسير مجاهد ٢/٦٥٨ ، وجامع البيان ٢٧/١٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٦٧ .

(٨) انظر : معاني القرآن ٥/١٣١ .

وعد الله تعالى لمن آمن من أهل الكتاب أجرين اثنين : أجراً لإيمانهم بالنبي والكتاب الأول ، وأجراً لإيمانهم بالنبي محمد ﷺ والكتاب الثاني ، كما قال في موضع آخر : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص : ٥٤] الآية . ووعدهم أن يجعل لهم نوراً ، وأن يغفر لهم ما سلف من ذنوبهم قبل الإيثار بمحمد ﷺ ، وهو قوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

٢٩ . وَلَمَّا نَزَلَ هَذَا وَآمَنَ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ حَسَدُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿لِتَلَا يَعْلَمَ﴾ ؛ أي لأن يعلم ، ولا صلة في قول الجميع ^(١) ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ : يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وحسدوا المؤمنين منهم . ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾ : يعني أنهم لا يقدرُونَ ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ . والمعنى : جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد - عليه السلام - ليعلم الذين لم يؤمنوا منهم أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله ، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ ، فأتى المؤمنين منهم أجرين .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ : يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين ، وهذا الذي ذكرنا معنى قول قتادة ^(٢) .

وهذه آية مشككة ، وليس للمفسرين ولا لأهل المعاني فيها بيان ينتهي إليه ويلفق ^(٣) به بين هذه الآية والتي قبلها ، وأقوالهم مختلفة متدافعة ، وأقربها

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٤٧٠ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٣٧ ، ومجاز القرآن ٢ / ٢٥٤ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٣٧٦ ، وجامع البيان ٢٧ / ١٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٧٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٠٣ .

(٣) التلفيق بين شيئين : ضم أحدهما إلى الآخر ، ويقال للرجلين لا يفترقان : هما لفقان . اللسان (لفق) ٣ / ٣٨٢ .

إلى الفهم وأحسنها قول قتادة^(١)، وقد بان واتضح المعنى في ما ذكرنا، والله
المحمود بَمَنِّهِ .

* * *

(١) وهو اختيار ابن جرير وابن كثير . انظر : جامع البيان ١٤٢ / ٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣١٧ / ٤ .

تفسير

سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ الآية . قال المفسرون^(١) : نزلت هذه الآيات من أول هذه السورة في خولة بنت ثعلبة^(٢) ، وزوجها أوس بن الصامت^(٣) ، وكان به لمم^(٤) ، فاشتد به لومه ذات يوم ، فظاهر

(١) ومن قال به : ابن عباس ، وعائشة ، وقتادة ، والقرظي ، ومجاهد ، وغيرهم . انظر : تنوير المقباس ٤ / ٦ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٧٧ ، وجامع البيان ٢٨ / ٢ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٣٣ ، وزاد المسير ٨ / ١٨٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣١٨ .

(٢) خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية الخزرجية ، ويقال لها : خويلة ، بالتصغير ، لها وقفة مع عمر بن الخطاب في خلافته تناصحته وتذكره وتعظه ، وقد سمع منها - رضي الله عنها - حتى انتهت من كلامها . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٣٧٨ ، والإصابة ١٢ / ٢٣١ ، والتقريب ٥٩٦ / ٢ .

(٣) أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرًا ، وأُحدًا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي في خلافة عثمان وله خمس وثمانون سنة . انظر : الطبقات الكبرى ٣ / ٥٤٧ ، والإصابة ١ / ٢٢٠ ، والتقريب ٨٥ / ١ .

(٤) ليس المراد باللمم هنا الخبل والجنون ؛ إذ لو كان كذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يكن يلزمه شيء ، وإنما المراد به الإمام بالنساء ، وشدة الحرص والتوقان إليهن . انظر : اللسان (لم) ٣ / ٢٩٧ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٤٩ .

منها ، ثم ندم على ذلك - وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية -^(١) وقال لها : ما أراك إلا وقد حرمت عليّ ، فقالت : والله ما ذكرت طلاقاً ، ثم أتت رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله : أوس بن الصامت أبو ولدي ، وابن عمي ، وأحب الناس إليّ ، ظاهر مني ، والله ما ذكر طلاقاً ، فقال رسول الله ﷺ : «ما أراك إلا قد حرمتِ عليه» ، فأعادت عليه ، وقالت : والله يا رسول الله ما ذكر طلاقاً ، أشكو إليك وحشتي وفراق زوجي ، فقال رسول الله ﷺ : «حرمتِ عليه» . فهتفت ، وشكت ، وبكت ، وجعلت تراجع رسول الله ﷺ . فبينما هي في ذلك إذ تربد^(٢) وجه رسول الله ﷺ للوحي ، ونزل عليه قوله : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ . قالت عائشة رضي الله عنها : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى عليّ بعضه ، وهي تحاور رسول الله ﷺ ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات^(٣) .

قوله تعالى : ﴿قَوْلَ أَلَّتِي جُئِدَ لَكَ فِي زَوْجِهَا﴾ ؛ أي تجادلِكَ في قول زوجها وكلامه ، وهي أن النبي ﷺ كلما قال لها : «حرمتِ عليه» ، قالت : والله ما ذكر طلاقاً ، فكان هذا مجادلتها النبي ﷺ في زوجها .

(١) انظر : المغني ١٠/ ٤٠٠ ، وفتح الباري ٩/ ٤٣٢ ، ونيل الأوطار ٦/ ٢٢٠ ، والفقهاء على المذاهب الأربعة ٤/ ٤٩ .

(٢) الرُّبْدَةُ : الغُبرة ، وقيل : لون إلى الغبرة ، وقيل : لون بين السواد والغبرة ، وهي في حقه ﷺ لما يعانیه وقت نزول الوحي . انظر : النهاية (ربد) ٢/ ٥٨ ، واللسان (ربد) ١/ ١١٠٥ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٤١٠ ، وابن ماجه في سننه (المقدمة) ، باب : في ما أنكرت الجهمية (١١٨) ، والحاكم ٢/ ٤١١ ، وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي ، والواحدي في أسباب النزول ٤٧١ ، وذكره الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ١٤٩ . قلت : المؤلف كما هي عادته - رحمه الله - يذكر الأحاديث والأقوال بالمعنى ، ولهذا قلَّ أن تجد حديثاً أو قولاً يخرج عن هذا ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ : يعني قولها : أشكو إلى الله فاقتي ووحدي ، وإن لي صبيةً صغاراً إن ضمنتهم إليه ضاعوا ، وإن ضمنتهم إليّ جاعوا . وجعلت تتضرع وترفع رأسها إلى السماء ، وتقول : اللهم إني أشكو إليك .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَاوِرُكُمَا﴾ ؛ أي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام . والتحاوور والمحاورة : مراجعة الكلام في المخاطبة ، يقال : حاور فلاناً في المنطق ، وأحررت إليه جواباً ، وكلمته فما أحرار بكلمة ؛ أي ما أجاب . والحوير اسم من المحاورة ، تقول : سمعت حویرهما وحوارهما^(١) .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ . قال ابن عباس : سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه .

﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يشكو إليه^(٢) .

٢. ثم ذم الظهار والمظاهر ، فقال : ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ ؛ أي يقولون لمن : أنتن كظهور أمهاتنا . وذكرنا القراءات واللغات في (تظاهرون) في ابتداء سورة الأحزاب^(٣) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (حور) ٥/٢٢٧ ، واللسان (حور) ١/٧٥١ .

(٢) لم أجده عن ابن عباس ، أو غيره . انظر : الوسيط ٤/٢٥٩ .

(٣) عند تفسيره الآية رقم : ٤ من سورة الأحزاب . وقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب : ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ بفتح التاء ، وتشديد الهاء والطاء بلا ألف ، وكذا هنا في المجادلة ، وقرأ عاصم بضم التاء ، وفتح الطاء ، وألف بعدها ، وكسر الهاء مخففة ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وابن عامر ، وخلف ، وأبو جعفر بفتح الياء ، وتشديد الطاء بعدها ألف مع فتح الهاء مخففة . وفي الأحزاب قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف بفتح التاء والهاء ، وتخفيف الطاء ، وألف بعدها ، وقرأ ابن عامر في الأحزاب بضم التاء ، وتشديد الطاء ، وألف بعدها ، وكسر الهاء مع تخفيفها . انظر : حجة القراءات ٧٠٣ ، والنشر ٢/٣٤٧ ، والإتحاف ٣٥٣ .

قوله تعالى : ﴿ مَا هِيَ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى : ما اللواتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأمهات^(١) . وقراءة العامة : ﴿ مَا هِيَ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ بكسر التاء ، وهي في موضع نصب على خبر ما . المعنى : ليس هن بأمهاتهن ، فلما ألقيت الباء نصبت ، وهي لغة الحجاز كقوله : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف : ٣١] . قال الفراء : أهل نجد إذا ألقوا الباء رفعوا ، فقالوا : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ﴿ مَا هِيَ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ ، وأنشد :

ويزعمُ حَسْلٌ أَنَّهُ فَرَعٌ قَوْمِهِ وما أنتَ فَرَعٌ يا حَسِيلٌ ولا أَصْلُ^(٢)

وبهذه اللغة قرأ المفضل بن عاصم ، ورفع الأمهات^(٣) ، وهو لغة تميم . قال سيبويه : وهو أقيس الوجهين ؛ وذلك أن النفي كالاستفهام ، فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ، فكذلك ينبغي أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب ، وأما النصب فهو لغة أهل الحجاز ، والأخذ بلغتهم في التنزيل أولى^(٤) ، ووجهه أن (ما) يدخل على الابتداء والخبر كما أن (ليس) تدخل عليهما ، و(ما) تنفي ما في الحال كما أن (ليس) تنفي ما في الحال ، وقد رأيت الشبهين إذا قاما في شيء من شيء جذباه إلى حكم ما فيه الشبهان منه ، فمن ذلك جميع ما لا ينصرف مع كثرته واختلاف قوته لما حصل فيه شبهان من الفعل صار

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣٤ / ٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١٣٩ / ٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٦٩٤ / ٢ ، ولم أجد البيت منسوباً إلى قائل . والشاهد في قوله :

وما أنتَ فَرَعٌ يا حَسِيلٌ ولا أَصْلُ

فإنه أهمل (ما) ، فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر على لغة تميم .

(٣) انظر : الكشف ٧١ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩ / ١٧ ، والبحر المحيط ٢٣٢ / ٨ ، وذكر أبو زرعة وجه قراءة الرفع دون ذكر خلاف في القراءة . انظر : حجة القراءات ٣٧٠ .

(٤) انظر : الكتاب ٢٩ / ١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩ / ١٧ .

بمنزلة في امتناع الجر والتنوين منه ، فكَذَلِكَ (ما) لما حصل فيه الشبهان من ليس وجب على هذا أن يكون في حكمها وتعمل عملها^(١) .

قوله تعالى : ﴿إِنْ أُمَّهُتَهُمْ إِلَّا الْتَى وَلَدَنَّهُمْ﴾ : مضى الكلام في : ﴿الَّتَى﴾ في سورة الأحزاب عند قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي﴾ الآية^(٢) . والمعنى : ما أمهاتهم إلا الوالدات . ﴿وَأُمَّهُمْ﴾ : يعني المظاهرين . ﴿لَيَقُولَنَّ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾ . قال ابن عباس : فظيعاً^(٣) .

وقال مقاتل : لا يعرف ذلك في الشرع . ﴿وَزُورًا﴾ : كذباً^(٤) .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ : عفا عنهم ، وغفر لهم بجعله الكفارة عليهم .

٣. قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ : (الذين) رفع بالابتداء ، وخبرهم : فعلهم تحرير رقبة ، ولم يذكر عليهم لأن^(٥) في الكلام دليلاً عليه ، قاله الزَّجَّاج ، وقال : وإن شئت أضمرت فكفارتهم تحرير رقبة^(٦) .

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٧٧/٦ ، ومعاني الحروف لأبي الحسن الرماني ٨٨ .

(٢) من الآية رقم ٤ : من سورة الأحزاب ، حيث قرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف : ﴿الَّتَى﴾ بإثبات ياء ساكنة بغير همزة ، وقرأ الباقيون : (اللاي) بغير مد ولا همز . انظر : حجة القراءات ٥٧١ ، والنشر ٤٠٤/١ ، والإتحاف ٤١٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١٧ ، ولم ينسبه إلى قائل . وفي تنوير المقباس ٦/٦ ، قال : «قيحاً» .

(٤) تفسير مقاتل ١٤٤ ب ، وتفسير عبدالرزاق ٢٧٨/٢ ، ومعالم التنزيل ٣٠٤/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١٧ .

(٥) في نسخة (ك) : (لأنه) ، والصواب ما أثبتته .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٣٤/٥ .

وقوله : ﴿يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ معناه : يمتنعون منهن بهذا اللفظ ؛ أي من جماعهن ، وقد ذكرنا أن هذا مأخوذ من لفظ : الظهر ^(١) .

قال صاحب النظم : ليس قول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي مأخوذاً من الظهر الذي هو عضو من الجسد ؛ لأنه لو كان المراد بهذا القول الظهر بعينه لم يكن الظهر أولى من سائر الأعضاء التي هي مواضع المباشعة والتلذذ ، والظهر هاهنا مأخوذ من العلو ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف : ٩٧] ؛ أي يعلوه ، وكل من علا شيئاً فقد ظهره ، وبه سُمي المركوب ظهراً ؛ لأن راحبه يعلوه ، وكذلك امرأة الرجل ظهره ؛ لأنه يعلوها بذلك البضع وإن لم يكن من ناحية الظهر ، وكأن امرأة الرجل للرجل مركب وظهر ، ويدل على صحة هذا المعنى أن العرب تقول في الطلاق : نزلت عن امرأتي ؛ أي طلقته ، وفي قولهم : أنت عليّ كظهر أمي حذف وإضمار ؛ لأن تأويله : ظهرك عليّ ؛ أي ملكي إياك وعلوي حرام كما علوي أمي وملكها حرام عليّ ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ : أكثر الاختلاف في معنى العود المذكور هاهنا ، فمذهب الشافعي - رحمه الله - أن معنى العود لما قالوا : السكوت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه ؛ وذلك أنه إذا ظاهر فقد قصد التحريم ، فإن وصل ذلك بالطلاق ، فقد جرى على ما ابتدأه من إيقاع التحريم وأتمه ، ولا كفارة عليه ، وإذا سكّت عن الطلاق فذلك للندم منه على ما ابتدأ به من التحريم ، فهو عود إلى ما كان عليه ، فحينئذٍ تجب عليه الكفارة ^(٣) ، ويدلُّ

(١) عند تفسيره الآية رقم : ٤ من سورة الأحزاب . انظر : المفردات (ظهر) ٣١٨ ، واللسان (ظهر) ٦٥٩/٢ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٥١ ، وغرائب القرآن ٨/٢٩ .

(٣) انظر : الأم ٥/٢٦٥ ، والمجموع ١٧/٣٦١ ، والفقه على المذاهب الأربعة ٤/٥٠٧ ، ونيل الأوطار ٢٢٢/٦ .

على هذا أن ابن عباس - رحمه الله - فسّر العود في هذه الآية بالندم ، فقال في قوله : ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يريد يندمون فيرجعون إلى الألفة والرجعة^(١) .

وقال الفرّاء : يعودون لما قالوا ، وإلى ما قالوا ، وفي ما قالوا ، معناه : يرجعون عمّا قالوا ، قال : ويجوز في العربية أن تقول : عاد لما فعل ؛ أي فعله مرة أخرى ، ويجوز عاد لما فعل ؛ أي نقض ما فعل^(٢) .

وهذا الذي قاله الفرّاء يبيّن صحة ما ذهب إليه الشافعي ؛ لأن المعنى عنده : ثم يعودون لما قالوا بالنقض ، وهو السكوت عن الطلاق ، وعلى هذا : ﴿مَا قَالُوا﴾ لفظ الظهار ، ويجوز أن يكون معنى : ﴿مَا قَالُوا﴾ المقول فيه . والمقول فيه هو النساء ، وما قالوا والمقالة والقول واحد في المعنى . و(ما) هاهنا للمصدر ، والمفعول يسمى بالمصدر كثيراً كقولهم : ضرب الأمير ، ونسج اليمن ، هذا الذي ذكرنا بيان مذهب الشافعي في هذه الآية^(٣) .

وقال قتادة : فمن حرمها ثم يريد أن يعود لها يطأها ﴿فَتَحْرِيرُ رَبَّةٍ﴾^(٤) ، وهذا مذهب أبي حنيفة وأهل العراق ، قالوا : معنى العود : هو العزم على الوطء ، فإذا عزم على وطئها ونوى أن يغشاها كان عوداً ويلزمه الكفارة^(٥) .

وقال مقاتل : ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعني الذي حرموا من الجماع^(٦) ، وهو قول الحسن .

(١) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٠٥ ، وروح المعاني ٧ / ٢٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٣٩ .

(٣) انظر : الأم ٥ / ٢٦٥ وما بعدها ، والمجموع ١٧ / ٣٦٢ .

(٤) انظر : جامع البيان ٧ / ٢٨ ، والكشف والبيان ١٢ / ٧٧ أ .

(٥) انظر : البحر الرائق ٤ / ٩٧ ، وتبيين الحقائق شرح كنوز الدقائق ٣ / ٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤ / ١٧٥٢ .

(٦) لم أجده عن مقاتل .

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ . قال : الغشيان في الفرج ، ونحو ذلك قال طاوس ، والزهري ، قالوا : الوطء ، وإلى هذا ذهب مالك ، فقال : إن وطئها كان عوداً^(١) .

قال أصحابنا : العود المذكور هاهنا صالح للجماع كما قال مالك ، وللعزم على الجماع كما^(٢) قال أهل العراق ، ولترك الطلاق كما قال الشافعي^(٣) ، وهو أول ما ينطلق عليه اسم العود ، فيجب تعليق الحكم به ؛ لأنه الظاهر ، وما زاد عليه يعرف بدليل آخر^(٤) .

وقال أبو العالية : إذا كرر اللفظ بالظهار كان عوداً ، وإن لم يكرر لم يكن عوداً^(٥) ، وإلى هذا ذهب أهل الظاهر ، فجعلوا العود تكرير لفظ الظهار ، واحتجوا بأن ظاهر قوله : ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يدل على إعادة لفظ الظهار مرة أخرى^(٦) .

قال أبو علي الفارسي : وليس في هذا ظاهر كما ادَّعوا ؛ لأن العود على ضربين : أحدهما : أن يصير إلى شيء قد كان عليه قبل ، فتركه ثم صار إليه .
والآخر : أن يصير إلى شيء ، وإن لم يكن على ذلك قبل .

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٤١٨/٣ ، والمغني ٧٣/١١ ، والمحلى ٥١/١٠ ، قال : صح ذلك عن طاوس وقتادة والحسن والزهري ، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/١٧ ، والفروع لابن مفلح ٤٩٤/٥ .

(٢) (كما) ساقطة من نسخة (ك) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٥٧ .

(٤) وقال الإمام أحمد : العود الغشيان إذ أراد أن يغشى كفر . حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٣٩٦/٢ ، والعود عند مالك هو العزم على الوطء .

(٥) انظر : جامع البيان ٧/٢٨ ، والكشف ٧٧/١٢ ، والجامع ٢٨/١٧ .

(٦) انظر : المحلى ٥١/١٠ ، ٥٢ ، والمغني ٧٤/١١ ، وأحكام القرآن للجصاص ٤١٦/٣ .

وكان هذا الوجد غمض عليهم ، وهذا عند من خوطب بالقرآن ، كالوجه الأول في الظهور ، وفي أنهم يعرفونه كما يعرفون ذلك ، فمن ذلك قول الهذلي^(١) :

وعادَ الفتى كالكهلٍ ليسَ بقائلٍ سوى الحقِّ شيئاً فاستراحَ العواذلُ
معناه : وصار ، وكذلك قول العجاج :

ويصحبُني حتى كادَ يعودُ بعدَ أعظمِ أعواداً
وقال امرئ القيس :

وماءِ كلونِ الزيتِ قد عادَ آجناً قليلٌ بهِ الأصواتُ ذي كلاً مخلي^(٢)
وسُميت الآخرة المعاد ولم يكن فيها أحد ، ثم صار إليها ، وهذا إذا تتبع كثير جداً^(٣) .

قال أبو إسحاق ، وذكر هذا المذهب ، فقال : قال بعض الناس : لا تجب الكفارة حتى يقول ثانية : أنت عليّ كظهر أمي ، وهذا قول من لا يدري اللغة ، وهو خلاف قول أهل العلم أجمعين^(٤) ، هذا الذي ذكرنا مذهب المفسرين والفقهاء .

(١) هو أبو خراش ، واسمه خويلد بن مرة ، شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً فأسلم ، وحسن إسلامه ، ويعد من أبرز شعراء هذيل ، توفي في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - متأثراً بنهشة حية . انظر : الشعر والشعراء ٢/ ٦٣٣ ، والأغاني ٢١/ ٢٠٤ ، والخزانة ١/ ٢١١ ، والإصابة ٢/ ٣٦٤ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ١٥٦ ، والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ١٥٠ . وروايته : (العدل) بدلاً من (الحق) . والمسائل الحلبيات ٢٤ .

(٢) انظر : الديوان ٤١٣ ، والخزانة ٥/ ١٢١ ، وتهذيب اللغة ٧/ ٣١ .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٢٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٣٥ .

وأما أهل المعاني فإن أبا الحسن الأخفش قال : تقدير الآية : والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ، ثم يعودون إلى نسائهم^(١) ؛ أي فعليهم تحرير رقبة لما قالوا ؛ أي لما نطقوا به من ذكر التحريم الموجب الامتناع من الوطء إلا بعد التكفير ، والجار في قوله : ﴿لِمَا قَالُوا﴾ متعلق بالمحذوف الذي هو خبر الابتداء ، وهو عليهم .

وقوله : ﴿يَعُودُونَ﴾ ؛ أي إلى نسائهم ، يعني إلى وطئهن الذي كانوا حرموه على أنفسهم بالظهار منهن ، وأما التقديم والتأخير الذي قدره في الآية فهو كثير جداً كقوله : ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَى هَذَا﴾ [النمل: ٢٨] الآية . والمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ؛ هذا قول الأخفش ، وشرحه أبو علي^(٢) .

قال أبو إسحاق : وهذا مذهب حسن^(٣) ، وقال ابن قتيبة : أجمع الناس على أن الظهار^(٤) يقع بلفظ واحد ، وتأويل قوله : ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ هو أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار ، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم في الجاهلية ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ يريد في الجاهلية ، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ في الإسلام ؛ يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام^(٥) . ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ، وهذا القول هو اختيار صاحب النظم ، وشرحه فقال : المعنى : والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام ثم يعودون في الإسلام لمثل هذا القول فيظاهرون من نسائهم . ثم ذكر ما أوجب في ذلك في الإسلام من الحكم ،

(١) انظر : معاني الأخفش ٢ / ٧٠٥ ، وذكر المؤلف له هنا بالمعنى .

(٢) انظر : شرح الأبيات المشككة الأعراب لأبي علي الفارسي ١ / ١٠٠ ، ١٠٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٣٥ .

(٤) في (ك) : (الظاهر) .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

والعرب تضمّر كان كقوله : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] ؛ أي ما كانت تتلو الشياطين ، فأضمّر كانت ^(١) .

قوله تعالى : ﴿لِمَا قَالُوا﴾ . قال الأخفش : لما قالوا ، وإلى ما قالوا واحد ، يقال : عدت إلى ذاك ، وعدت لذلك ^(٢) . قال أبو علي : إلى واللام يتعاقبان ^(٣) كقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] ، وقال : ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] ، وقال : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] ، وقال : ﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ﴾ [هود: ٣٦] .

قوله : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ . قالوا : أراد رقبة مؤمنة ؛ لأنه قيد في كفارة القتل ^(٤) وأطلق هاهنا ، والمطلق يحمل على المقيد ويفسّر به ^(٥) .

قوله تعالى : ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ ؛ أي يجامعا ، وذكر الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَأِنْ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ﴾ ^(٦) ، فلا يجوز للمظاهر أن يطأها قبل التكفير ، وإنما قيل ﴿قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ بعد قوله : ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ ؛ لأن المراد به الزوجان ، فعاد الكلام إليهما ؛ لأن الجماع بينهما ، والظهار يختص به الرجال ،

(١) وبه قال الثوري - رحمه الله - ذكره الرازي في تفسيره ٢٩/٢٥٧ ، ثم قال : وهذا القول ضعيف ؛ لأنه تعالى ذكر الظهار ، وذكر العود بعده بكلمة (ثم) ، وهذا يقتضي أن يكون المراد من العود شيئاً غير الظهار ، فإن قالوا : المراد : والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام والعرب تضمّر لفظ كان . . . قلنا : الإضمار خلاف الأصل . انظر : غرائب القرآن ٢٨/١٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للقرّاء ٣/١٣٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٨٢ ، وليس في معاني القرآن للأخفش .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٥٦ ، وغرائب القرآن ٢٨/١١ .

(٤) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢] .

(٥) وبه قال مالك ، والشافعي ، وأحمد في رواية . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/٤٣٥ ، والمغني ١١/٨١ ، والأم ٥/٢٦٦ .

(٦) عند تفسيره الآية رقم ٢٣٧ من سورة البقرة . انظر : المفردات ٦٧/٤٦ ، واللسان (مس) ٣/٤٨٣ .

فأخبر عن الرجال أولاً ، فلما انتهى الكلام إلى ذكر المسيبين عاد إلى الزوجين لما ذكرنا .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى ذلك التغليظ في الكفارة توعظون به ^(١) ؛ أي تؤمرون به من الكفارة . ﴿ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من التكفير وتركه ﴿ خَيْرٌ ﴾ .

٤ . ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة ، فقال : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَحِدْ ﴾ ؛ أي الرقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ ﴾ ؛ أي فكفارته ، أو فعلية صيام شهرين ﴿ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ آسَاءٌ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ﴾ الصيام فكفارته إطعام ﴿ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ .

وهذه الأنواع من الكفارات كلها قبل المسيس ، فإن جامع قبلها أتى محرماً ، ويكون قد أُنْخِرَ الكفارة عن وقتها إلى غير وقتها ، ثم يأتي بها على وجه القضاء ^(٢) ، وفروع هذه المسألة يذكرها الفقهاء ^(٣) ، ولا موضع لذكرها هاهنا .

وذكر الله الكفارة بالعتق والصيام ، فنص فيها على ما قبل الجماع بقوله : ﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ آسَاءٌ ﴾ ، ولم يذكر في الإطعام أنه قبل التماس ؛ وذلك أنه لما ذكر في الإعتاق وأنه قبل التماس ألحق به الإطعام ؛ لأن زمانها لا يطول ، وأعاد في الكفارة بالصوم أنها قبل التماس ؛ لأنه بخلاف الإعتاق ، ولطول مدة الصوم ، فلم يمكن أن يلحق الصيام بالإعتاق في أنه قبل المسيس لو لم يذكر ذلك ؛ لمخالفتهما في طول المدة وقصرها ^(٤) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣٥ / ٥ .

(٢) قال ابن قدامة : هذا قول أكثر أهل العلم ، والمغني ١١ / ١١ .

(٣) راجع تفصيل هذه المسألة في : الأم ٢٦٥ / ٥ ، والمجموع ٣٦٦ / ١٧ ، وشرح فتح القدير لابن الهمام ٢٤٩ / ٤ .

(٤) انظر : الانتصاف بما تضمنه الكشف من الاعتزال ٧٢ / ٤ .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : ذلك في موضع رفع . المعنى :
الفرض ذلك الذي وصفنا . ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : لتصدقوا ما أتى به الرسول ،
وتصدقوا أن الله أمر به ^(١) .

وقال صاحب النظم : المعنى فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ^(٢) ؛ لأن هذه
اللام تقتضي سبباً تكون هي وما بعدها جواباً له .

﴿وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ : يعني ما وصف من الكفارة في الظهار .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : لمن جحد هذا ، وكذب
به ^(٣) .

قال المقاتلان : فلما نزلت الآيات على النبي ﷺ بعث إلى زوجها
أوس بن الصامت ، فقال : «أعندك تحرير رقبة ؟» قال : لا أجد يا رسول الله ،
قال : «أفتطيق صوم شهرين متتابعين ؟» قال : يا رسول الله إني إذا لم آكل كل
يوم ثلاث مرات كل بصري - وكان يشتهي بصره - فقال : «أعندك طعام ستين
مسكيناً ؟» قال : لا يا نبي الله إلا بصلة منك وعون ، فأعانه النبي ﷺ بخمسة
عشر صاعاً ^(٤) ، وجاءا بمثلها من قبلهم ، فذلك ثلاثون صاعاً لستين ؛ لكل
مسكين نصف صاع .

وقال عكرمة : لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بهذه الآيات ، قال للمرأة
التي أتته : «أبشري فقد أنزل الله فيك وفيه ، مريه فليعتق رقبة» ، قالت : أتني

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣٦/٥ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٧٤ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٣٧/٤ .

(٤) أورده الثعلبي في تفسيره ١٣/٧٥ أ ب ، وأخرج ابن مردويه عن أنس نحوه ، والدر ٦/١٨٠ ،
وأخرجه الدارقطني من حديث أنس أيضاً ، والجامع ١٧/٢٧١ .

يا رسول الله ، وما يخدمني غيره ، ولا يخدمه غيري ، قال : « فليصم شهرين متتابعين » ، قالت : أنسى ، ولولا أنه يأكل في اليوم كذا وكذا لذهب بصره ، قال : « مريه فليطعم ستين مسكيناً » ، قالت : أنى يا رسول الله ، وإنما هي وجبة ، فقال النبي ﷺ : « مريه فليأت فلانة ، فليأخذ شطر وسق فليتصدق به » ، قالت : فلما رأي أوس مقبلة ، قال : ما وراءك ؟ قلت : خير وأنت ذميم ، قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتي فلانة فتأخذ منها شطر وسق فتصدق به^(١) ، قالت : فانطلق من عندي وعهدي به لا يحمل خمسة أصوع فأتى بشطر وسق يحمله على ظهره حتى طرحه .

٥ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . قال المفسرون : يحادون : يخالفون ، ومعنى المحادة المخالفة في الحدود^(٢) . قال أبو إسحاق : معنى يحادون الله ؛ أي هم في غير الحد الذي فيه أولياء الله ، وكذلك (يشاقون)^(٣) ، وقد مر^(٤) .

وقال المبرّد : أصل المحادة الممانعة ، ومنه يقال للبواب : حداد ، وللممنوع الرزق : محدود^(٥) ، وتقدّم الكلام في هذا عند قوله : في سورة التوبة^(٦) .

(١) أخرجه ابن جرير مختصراً عن ابن عباس من طريق عكرمة ، وأخرجه البغوي عن عطاء بألفاظ متقاربة ، وابن سعد عن عمران عن أنس . انظر : جامع البيان ٣/٢٨ ، ومعالم التنزيل ٤/٣٠٦ ، والدر ٦/١٨١ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/٧٨ أ ، والوسيط ٤/٢٦٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٥/١٣٦ ، قال : . . . وكذلك يشاقون يكونون في الشق الذي فيه أعداء الله .

(٤) عند تفسيره الآية رقم : ١١٥ من سورة النساء .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٦٢ .

(٦) عند تفسيره الآية رقم : ٦٣ من سورة التوبة .

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ . قال عطاء والشَّدي: لعنوا^(١)، وقال المقاتلان: أخزوا كما أخزي من كان قبلهم من أهل الشرك^(٢). قال ابن عباس: يعني المنافقين^(٣).

وقال الفرَّاء: غيظوا وأحزنوا يوم الخندق^(٤)، وعلى هذا يعني المشركين.

وقال الزَّجاج: أذِلُّوا وأخزوا بأنْ غلبوا^(٥).

قال المبرِّد: يقال: كبت الله فلاناً إذا أذله. والمردود بالذل يقال له: مكبوت^(٦)، وقد تكلمنا في هذا الحرف عند قوله: ﴿أَوْيَكَّتْهُمْ﴾^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾. قال ابن عباس: يريد فرائض قيمة معروفة^(٨). ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾. قال: يريد لمن لم يعمل بها، ولم يصدق بها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

٦. ثم بين أن ذلك العذاب متى يكون، فقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾.

(١) نسبه القرطبي في جامعه ٢٨٨/١٧ إلى الشَّدي، وفي كتاب اللغات في القرآن ٤٦، نسبه إلى ابن عباس، وقال: هي لغة مذجح.

(٢) أخرجه عبدالرزاق، وابن جرير، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، وهو اختيار ابن جرير. انظر: تفسير مقاتل ١٤٤ ب، وجامع البيان ٩/٢٨، وفتح الباري ٦٢٨/٨، وزاد نسبه تخريج ابن أبي حاتم له عن مقاتل بن حيان. الدر ١٨٣/٦.

(٣) انظر: التفسير الكبير ٢٩/٢٦٢، والجامع ١٧/٢٨٨، ولم ينسب إلى قائل.

(٤) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ٣/١٣٩.

(٥) انظر: معاني القرآن للزَّجاج ٥/١٣٦.

(٦) انظر: التفسير الكبير ٢٩/٢٦٢، ولم أجده في مؤلفات المبرِّد.

(٧) عند تفسيره الآية رقم ١٢٧ من سورة آل عمران.

(٨) المعنى ظاهر، ولم أجده من عزاه إلى ابن عباس.

وقوله : ﴿أَخَصَّنْهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ . قال مقاتل : حفظ الله أعمالهم ، ونسوا هم^(١) .

٧ . قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ﴾ : قد ذكر أن النجوى مصدر عند قوله : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾^(٢) ، ويجوز أن يوصف به كما يقال : قوم نجوى ، ومنه قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء: ٤٧] . والمعنى : هم ذوو نجوى ، فحذف المضاف ، وكذلك كل مصدر وصف به .

فأمّا قوله : ﴿مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ . قال أبو علي : يحتمل جر ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أمرين :

أحدهما : أن يكون مجروراً بإضافة ﴿نَجْوَى﴾ إليه ، كأنه ما يكون من سرار ثلاثة ، ويجوز أن ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ جراً على الصفة على قياس قوله : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾^(٣) ، وهذا معنى قول الفرّاء : ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ إن شئت خفضتها على أنها من نعت النجوى ، وإن شئت أضفت النجوى إليها^(٤) ، وبيانه أن النجوى إن جعلتها مصدراً أضفتها إلى ثلاثة ، وإن جعلتها بمعنى المتناجين جعلت (ثلاثة) صفة لها .

قال أبو إسحاق : ﴿نَجْوَى﴾ مشتق من النجوة ، وهي ما ترتفع وتَنَحَّى^(٥) . والمتناجيان يتناجيان ويخلوان بسرهما كخلو المرتفع من الأرض عما يتصل به .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤٤ ب ، ومعالم التنزيل ٣٧ / ٤ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم : ١١٤ من سورة النساء . انظر : معاني الزّجاج ١٠٤ / ٢ .

(٣) انظر : الحجة ٢٧٩ / ٦ ، ومشكل إعراب القرآن ٧٢٣ / ٢ ، والكشاف ٧٤ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٠ / ٣ ، واللسان (نجا) ٥٩٣ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزّجاج ١٣٧ / ٥ .

ومعنى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ ؛ أي ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به^(١) . ومعنى قول المفسرين في النجوى أنها إسرار . قال ابن عباس : ما من شيء تناجي به صاحبك^(٢) .

وقوله : ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ؛ أي إلا هو عالم به ، وعلمه معهم لا يخفى عليه ذلك كما قال : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨] ، وكقوله : ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِرَّ وَآخَفَى﴾^(٣) . والمعنى : أن نجواهم معلومة عنده ، كما تكون معلومة عند الرابع الذي يكون معهم .

٨ . قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ . قال المفسرون : إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون في ما بينهم ، ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون في ما يسوءهم فيحزنون لذلك ، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله ، ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين ، ولم يتتهوا عن ذلك ، وعادوا إلى مناجاتهم ، فأنزل الله هذه الآية^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَيَنْتَجِبُكَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ﴾ يحتمل وجهين :

-
- (١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٧ .
 (٢) انظر : معالم التنزيل ٣٠٧/٤ ، ولم ينسبه إلى قائل . ومن عبارة البغوي يتضح السقوط هنا ، ولعل العبارة : ما من شيء تناجي به صاحبك إلا هو رابعهم ، والله أعلم .
 (٣) من الآية رقم : ٧ من سورة طه . قال ابن كثير رحمه الله : «ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو - سبحانه وتعالى - مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء» ، وتفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٤ .
 (٤) انظر : الكشف والبيان ٧٨/١٢ ب عن ابن عباس ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٤ عن ابن عباس ، والجامع ٢٩١/١٧ .

أحدهما : أن الإثم والعدوان مخالفتهم الرسول في النهي عن النجوى ، فلماً عادوا إلى ما نهاهم عنه لزمهم الإثم والعدوان ، وصاروا آثمين ظالمين .

والثاني : أن الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم ؛ لأنه إمّا مكر وكيد بالمسلمين ، أو شيء يسؤهم فهو إثم وعدوان^(١) .

وقراءة العامة : ﴿وَيَنْتَجُونَ﴾ من التفاعل لقوله : ﴿وَتَنْجُوا بِاللَّيْلِ﴾ ، وقوله : ﴿إِذَا تَنْجَيْتُمْ﴾ ، وقرأ حمزة : (ويتنجون)^(٢) ، وانتجى ، وتناجى بمعنى واحد ، ويفتعلون ويتفاعلون مجريان مجرى واحداً ، نحو : اختصموا وتخاصموا ، واقتتلوا وتقاتلوا . ولا يكون في قوله : (تناجيتم * وتناجوا) ردُّ لقراءة حمزة ؛ لأن الانتجاع في مساعه وجوازه مثل التناجي^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ . قال المقاتلان : وذلك أن الرسول ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه^(٤) ، وقال أبو إسحاق : يوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول^(٥) . والقولان هاهنا كما ذكرنا في الإثم والعدوان .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ . قال المفسرون : يعني اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ ، فيقولون : السام عليك ، والسام الموت^(٦) ، وهم

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٦٦ .

(٢) قرأ حمزة ، ورويس : (يتنجون) بالنون ، وضم الجيم من غير ألف على (يفتعلون) ، وقرأ الباقر : (يتناجون) بقاء نون مفتوحتين ، وألف ، وفتح الجيم . انظر : حجة القراءات ٧٠٤ ، والنشر ٢/٣٨٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٢ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ٦/٢٧٩ ، ٢٨٠ ، وحجة القراءات ٧٠٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١١٤٥ أ ، والكشف والبيان ١٢/١٧٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان ، والدر ٦/١٨٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/١٣٧ .

(٦) انظر : اللسان (سوم) ٢/٢٤٦ .

يوهمونه أنهم يقولون : السلام عليكم ، فأخبر الله نبيه بذلك في قوله : ﴿ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ ^(١) ، وذكر معنى التحية في سورة النساء ^(٢) .

قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ . قال المقاتلان : قالت اليهود : إن كان هؤلاء لا يعلمون ما نقول لهم فإن الله يعلم ما نقول ، فلو كان نبياً لعذبنا الله بما نقول ، فهلاً يعذبنا الله بما نقول لمحمد إن كان نبياً ، فأنزل الله : ﴿ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٣) .

٩ . ثم نهى المنافقين عن التناجي ، فقال : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . قال ابن عباس : يريد آمنوا بزعمهم ^(٤) .

وقال مقاتل : يعني المنافقين ^(٥) .

وقوله : ﴿ فَلَا تَنْتَجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ تقدم تفسيره .

قوله : ﴿ وَتَنْتَجَوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى ﴾ . قال مقاتل : بالطاعة ، وترك المعصية ^(٦) .

ثم خوفهم ، فقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ، فيجزيكم بأعمالكم . وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية خطاب للمؤمنين ، وأنهم نهوا أن يفعلوا كفعل

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان بسند جيد ، والدر ٦/ ١٨٤ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٤ وأخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٣ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم : ٨٦ سورة النساء .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٥ أ ، والكشف ١٢/ ٧٩ أب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٠٨ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٠٨ ، ونسبه إلى عطاء ، والجامع ١٧/ ٢٩٤ ، ولم ينسبه إلى قائل .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٠٨ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٦٧ . قلت : والمعنى الظاهر أن الخطاب للمؤمنين على الحقيقة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وهذا ما اعتمده ابن جرير ، وابن كثير ولم يذكر غيره .

انظر : جامع البيان ٢٨/ ١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٤٥ ب .

المنافقين واليهود ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : يقول : ولا تكونوا كاليهود والمنافقين^(١) ، والأول الوجه .

١٠ . ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون من جهة الشيطان ، وأن ذلك لا يضر المؤمنين ، فقال : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ . قال مقاتل : من تزوين الشيطان^(٢) . ﴿ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ؛ أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن الذين آمنوا ؛ وذلك أن المؤمنين إذا رأوهم متناجين قالوا : ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل ، أو موت ، أو هزيمة ، فيقع ذلك في قلوبهم ، ويجزنون له^(٣) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا ﴾ ؛ أي وليس النجوى بضارهم . قال أبو إسحاق : أي ليس يضر التناجي المؤمنين شيئاً ، ويجوز أن يكون المعنى : وليس بضارهم الشيطان شيئاً . ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ أي إلا ما أراد الله عز وجل^(٤) .

قال مقاتل : يقول : إلا بإذن الله في الضر^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ أي يكلون أمورهم إلى الله ، ويستعيذون به من الشيطان .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣٨ / ٥ ، وهو اختيار ابن جرير ، وابن كثير ، كما تقدّم ذكره ، وانظر : روح المعاني ٢٧ / ٢٨ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٣٠٨ / ٤ ، والجامع ٢٩٥ / ١٧ ، ولم أجده في تفسير مقاتل .

(٣) وهو سبب نزول الآية كما قال قتادة رحمه الله ، وأخرجه الأئمة عنه باختصار . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٧٩ ، وجامع البيان ١٢ / ٢٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٧٨ ، وقال : أصح ما قيل فيه قول قتادة ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٦٧ .

(٤) انظر : معاني الزجاج ١٣٨ / ٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١٤٥ ب .

١١ . قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾^(١) الآية . قال مقاتل بن حيان : كان النبي ﷺ في الصفّة ، وفي المكان ضيق ، وذلك يوم الجمعة ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس ، فقاموا حيال النبي ﷺ ينتظرون أن يوسع لهم ، فعرف ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم ، وشقّ ذلك على النبي ﷺ ، فقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يا فلان ، قم يا فلان ، وأنت يا فلان . فلم يزل يقيم بعدة نفر الذين هم قيام بين يديه ، وشقّ ذلك على من أقيم من مجلسه ، وعرف الكراهية في وجوههم ، وطعن في ذلك المنافقون ، وقالوا : والله ما عدل على هؤلاء ، إن قوماً أخذوا مجالسهم ، وأحبوا القرب من نبيهم ، فأقامهم ، وأجلس من أبطأ عنه ، فأنزلت هذه الآية يوم الجمعة^(٢) .

قوله : ﴿تَفَسَّحُوا﴾ . قال أبو عبيدة : توسعوا^(٣) .

وقال الليث : الرجل يفسح لأخيه في المجلس فسحاً إذا وسّع له ، والقوم يتفسحون إذا مكّنوا ، والفساحة السعة . يقال : بلد فسيح ومفازة فسيحة ، ولك فيه فسحة ؛ أي سعة . هذا كلامه^(٤) .

والمستعمل من هذا الحرف أربعة أوجه : فسح يفسح فسحاً إذا وسّع في المجلس ، يقال : أفسح لي ؛ أي وسّع ، وفسح يفسح فساحةً إذا صار واسعاً ،

(١) كذا كتبها المؤلف : (المجلس) على الأفراد ، وهي قراءة الجمهور . وقرأ عاصم (المجالس) على الجمع . انظر : حجة القراءات ٧٠٤ ، والنشر ٣/ ٣٨٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٥ ب ، والكشف والبيان ١٢/ ٨٠ أ ، ونسبه إلى المقاتلين ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٢٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (فسح) ٤/ ٣٢٧ .

ومكان فسيح وتفسح إذا توسَّع ، ومثله تفاسح^(١) ، وبه قرأ الحسن . قال الفرَّاء : وهو مثل تعهدته وتعاهدته^(٢) .

ومعنى ﴿تَفْسَحُوا فِي الْمَجْلِسِ﴾ هو أن القوم إذا جلسوا حول النبي ﷺ متضايقين منضمين إليه لم يجد غيرهم ممن يأتي بعدهم مجلساً عند النبي ﷺ ، فإذا تنحوا عنه في الجلوس وتوسَّعوا وجد غيرهم مكاناً يجلس فيه في فلك الحلقة^(٣) ، فأمر الله تعالى المؤمنين بالتواضع ، وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النبي ﷺ ؛ ليتساوى الناس في الأخذ بالخط منه^(٤) .

وَقُرِئَ : ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾^(٥) ، والوجه التوحيد ؛ لأنه يعني به مجلس النبي ﷺ وغيره ، فهو على إرادة العموم ، مثل قولهم : كثر الدرهم والدينار . ووجه الجمع أن تجعل لكل جالس مجلساً ؛ أي موضع جلوس^(٦) .

(١) انظر : اللسان (فسح) ١٠٩٤ / ٢ . وقد قرأ الحسن ، وقتادة ، وعيسى ، وداود بن أبي هند :

(تَفَسَّحُوا) . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١٤١ / ٣ ، والجامع ٢٩٧ / ١٧ ، والبحر المحيط ٢٣٦ / ٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١٤١ / ٣ .

(٣) ومن قال بأن المراد بالمجلس مجلس رسول الله ﷺ فتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن زيد . انظر : تفسير مجاهد ٦٦٠ / ٢ ، وتفسير عبد الرزاق ٢٧٩ / ٢ ، وجامع البيان ١٣ / ٢٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٧٨ / ٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٣٩ / ٥ .

(٥) تقدَّم تخريجها ، وهي قراءة عاصم ، ومعن السُّلَمي وزرَّ بن حُبَيْش .

(٦) في نسخة (ك) : (جلس) . وذكر المفسرون في المراد بالمجلس ثلاثة أقوال : مجالس القتال ، مجلس رسول الله ﷺ ، والمجالس ، والمجامع على عمومها ، وقد رجَّح ابن جرير إطلاقها على مجالس القتال ، ومجلس رسول الله ﷺ ؛ إذ لم يخصص مجلساً دون آخر . جامع البيان ١٣ / ٢٨ . وقال القرطبي : «الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر ، سواء كان مجلس حرب ، أو ذكر ، أو مجلس يوم الجمعة . . . » . الجامع ٢٩٧ / ١٧ .

قال المبرّد: تفسّحوا ينبئ عن أن لكل واحد مجلساً؛ لأنه لا يجوز أن يكون اثنان يشغلان مكاناً واحداً، وإنما معناه: ليفسّح كل رجل في مجلسه^(١).

قوله تعالى: ﴿فَافْسَحُوا﴾؛ أي أوسعوا. ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها.

وذكر في التفسير أنهم أمروا بأن يتوسعوا ويجلسوا متوسّعين، ويوسعوا لغيرهم، فلم يفعلوا، وضمن كل واحد بمجلسه، فأمروا بالطاعة في التفسّح والفسّح، ووعدوا على ذلك أن يفسّح لهم في الجنة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَاَنْشُرُوا﴾. قال ابن عباس ومقاتل: إذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا^(٣)، ومعناه: قوموا، وفيه قراءتان: كسر الشين وضمها، وهما لغتان^(٤) مثل: يعكفون، ويعكفون، و(يعرشون)^(٥).

(١) لم أجده منسوباً، وانظر: اللسان (فسح) ١٠٩٤/٢.

(٢) انظر: جامع البيان ١٣/٢٨ عن ابن زيد، ومعالم التنزيل ٣٠٩/٤، والدر ١٨٤/٦ عن قتادة.

(٣) وهو قول أكثر المفسرين. انظر: تنوير المقباس ١٨/٦، وجامع البيان ١٣/٢٨، والكشف ١٣/٨١. قال: «إذا قيل لكم قوموا وتحركوا وارتفعوا وتوسعوا لإخوانكم فافعلوا، وقال أكثر المفسرين: معناه: وإذا قيل لكم انفضوا إلى الصلاة والجهاد والذكر وعمل الخيرات؛ أي حق كان فانشروا ولا تقصروا...». انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٢٦/٤. النشر: هو المتن المرتفع من الأرض، وإنشاز عظام الميت رفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض. اللسان (نشر) ٦٣٧/٣.

(٤) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص، وأبو بكر من رواية الجمهور: (انشُرُوا فَاَنْشُرُوا) بضم الشين فيها، وقرأ الباقر بكسر الشين. انظر: حجة القراءات ٧٠٥، والنشر ٣٨٥/٢، والإتحاف ٤١٢.

(٥) انظر: معاني القرآن للفرّاء ١٤١/٣. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَوُا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمُ﴾ [الأعراف: ١٣٨] قرأ حمزة، والكسائي، والوراق عن خلف، والمطوعي، وابن مقسم، والقطيعي عن إدريس: (يعكفون) بكسر الكاف، وقرأ الباقر بضمها. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّيْجِزِي مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا مِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨] قرأ ابن عامر، وأبو بكر: (يعرشون) بضم الراء فيها. وقرأ الباقر بكسرها فيها، انظر: حجة القراءات ٢٩٤، ٣٩٢، والنشر ٢٧١/٢، والإتحاف ٢٢٩.

ومعنى القيام هاهنا أنهم أمروا أن يطيعوا النبي ﷺ إذا أمرهم بالقيام من المجلس ولا يكرهوا ذلك ، ووعدهم على هذه الطاعة رفع الدرجات ، فقال : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ . قال ابن عباس : يعني المهاجرين والأنصار^(١) .

وقال مقاتل : الذين أوتوا العلم ، يعني الذين قرأوا القرآن يرفع الله لهم درجات في الجنة على سواهم ممن لم يقرأ القرآن ، قال : وإذا انتهى المؤمنون إلى باب الجنة ، يقال للمؤمن الذي ليس بعالم : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : أقم على باب الجنة ، فيشفع للناس ، هذا الذي ذكرنا في هذه الآية معنى قول قتادة ، والكليبي ، والمقاتلين^(٢) .

وقال عطاء : هذه الآية نزلت في مجالس الحرب ومقاعد القتال ؛ وذلك أن الناس كانوا يقعدون صفوفاً في القتال ، فربما قعد الرجل في موضع ليس هو بأهل ، ويكون من هو أشجع منه وأنجد خلفه ، ويستحي رسول الله ﷺ أن يقيم ذلك ويقعد هذا ، فنزلت الآية^(٣) .

وقال الحسن : إنهم تشاحوا على الصف الأول رغبة منهم في الجهاد والشهادة ، وكان الرجل منهم يحییء إلى الصف الأول ، ويقول : توسَّعوا لي فلا يوسعون له^(٤) ، وهذا قول أبي العالية ، والقرظي ، ورواية العوفي عن ابن عباس^(٥) .

(١) لم أجده عن ابن عباس ، ولا عن غيره ، ودخول المهاجرين والأنصار في هذه الآية أولى من غيرهم رضوان الله عليهم .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٥ ب ، ١٤٦ أ ، ومعالم التنزيل ٣٠٩ / ٤ ، والجامع ٢٩٩ / ١٧ ، ٣٠٠ .

(٣) لم أجده عن عطاء ، وهو في معنى قول الحسن والقرظي وغيرهما .

(٤) انظر : الكشف والبيان ٨١ / ١٢ أ ، ومعالم التنزيل ٣٠٩ / ٤ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ٨٠ / ١٢ ب ، ٨١ أ ، ومعالم التنزيل ٣٠٩ / ٤ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٦٩ .

وقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ اُنْشُرُوا فَاَنْشُرُوا﴾ . قال الحسن : في القتال في الصف ^(١) .

وقال مجاهد : إلى كل خير ، قتال عدو ، أو أمر معروف ، أو حق ما كان ^(٢) .

وقال قتادة : يقول : إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا ^(٣) .

وقال عكرمة والضحاك : إن رجالاً ثاقلوا عن الصلاة ، فأمروا بالقيام لها إذا نودي ^(٤) .

وقال ابن زيد : كانوا إذا دخلوا بيت النبي ﷺ لا يقومون ، وكان كل واحد يحب أن يكون آخر القوم عهداً برسول الله ﷺ ، فقال الله : ﴿وَإِذَا قِيلَ اُنْشُرُوا﴾ عن النبي ﷺ ؛ أي انهضوا فانهضوا ^(٥) ، واختاره الزجاج فقال : أي إذا قيل : انهضوا قوموا فانهضوا ، وهذا كما قال : ﴿وَلَا مُسْتَعْنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ﷺ ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ؛ أي إذا عملوا بها أمروا .

١٢ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي : إن المسلمين أكثروا المسائل

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٨٠ ، والكشف والبيان ١٢/ ٨١ أ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٦٠ ، وجامع البيان ٢٨/ ١٣ .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٧٩ ، والدر ٦/ ١٨٥ ، وزاد نسبة إخراجها إلى عبد بن حميد .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٨/ ١٣ عن الضحاك ، والكشف والبيان ١٢/ ٨١ أ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٨/ ١٤ ، والكشف والبيان ١٢/ ٨١ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٩٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٣٩ .

على رسول الله ﷺ حتى شقُّوا عليه ، وأراد أن يخفف عن نبيه ، فلما نزلت هذه الآية ضنَّ كثير من الناس ، فكفُّوا عن المسألة^(١) .

وقال مقاتل بن حيان : إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجلس النبي ﷺ ، وأكثروا مناجاته حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم ، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة ، فأما أهل الميسرة فمَنع بعضهم ماله وحبس نفسه ، وأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً ، واشتاقوا إلى مجلس النبي ﷺ وحديثه ، فلم يقدروا على ذلك حتى نسخ هذا^(٢) .

وقال مقاتل بن سليمان : لما نزلت هذه الآية انتهى الأغنياء ، وقدرت الفقراء على كلام النبي ﷺ ومجالسته ، فلم يقدِّم أحد من أهل الميسرة بصدقة غير علي بن أبي طالب قَدَّم ديناراً ، وكَلَّمَ النبي ﷺ في عشر كلمات ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أنزل الله :

١٣ . ﴿ أَشْفَقْتُمْ ﴾ الآية^(٣) .

وروى ليث عن مجاهد ، قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي^(٤) ، ولا يعمل بها أحد بعدي ؛ آية النجوى ، كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فناجيت النبي ﷺ ، فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ قَدَّمت بين يدي نجواي درهماً ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد^(٥) .

(١) انظر : جامع البيان ١٥/٢٨ ، والدر ١٨٥/٦ ، وزاد نسبة تخريج لابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : الكشف والبيان ٨٢/١٢ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٦ ، ومعالم التنزيل ٣١/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ أ ، والكشف والبيان ٨٢/١٢ ، والوسيط ٤/٢٦٦ .

(٤) (قبلي) ساقطة من (ك) .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٢/٦٦٠ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٨٠ ، وجامع البيان ١٥/٢٨ ، والمستدرک

٢/٤٨٢ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٦ .

ونحو هذا قال ابن جريج ، والكلبي ، وعطاء عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ، فلم ينجح أحد إلا علي تصدق بدينار ، ثم نزلت الرخصة^(١) ، قالوا : وما كانت إلا ساعة من النهار حتى نسخت ، وهو قول الكلبي^(٢) .

وقال مقاتل بن حيان : إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ^(٣) ، ولم تقدّر هذه الصدقة بشيء . وشاور النبي ﷺ في تقديرها علياً ؟ قال : قال لي : كم ترى ؟ ديناراً . قلت : لا يطيقونه ، قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة ، قال : إنك لزهد ، فنزلت آية النسخ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يعني للفقراء ، وهذا يدل على أن من لم يجد ما يتصدق به كان مغفواً عنه .

وأجمعوا على أن هذه الآية منسوخة بالحكم بقوله : ﴿ أَشْفَقْتُمْ ﴾ . قال ابن عباس : أبخلتم^(٥) ، وقال مقاتل : أشق عليكم^(٦) . والمعنى : أخفتم العيلة

(١) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣١٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٣٦ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٧١ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٨٠ وزاد نسبه إلى قتادة ، وأحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٢٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ٨٢ ب .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ٨٢ ب . وفي جامع القرطبي ١٧ / ٣٠٣ نسبه إلى ابن عباس وعلي بن أبي طالب ، ونواسخ القرآن ٢٣٦ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٧١ ، والدر ٦ / ١٨٥ ، ونسب تخريجه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير (سورة المجادلة) ، وحسنه ، وجامع البيان ٢٨ / ١٥ ، ونواسخ القرآن ٢٣٥ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣١١ ، والجامع ١٧ / ٣٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ أ ، وتفسير مجاهد ٢ / ٦٦٠ ، وجامع البيان ٢٨ / ١٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٨٠ ، ونسبه إلى مجاهد .

أن قدّمتم بين يدي نجواكم صدقات ، وهذا خطاب للأغنياء ؛ لأن من لم يجد لا يقال له هذا .

ونسخت الزكاة الصدقة التي كانت عند المناجاة ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ^(١) .

واحتج قوم من الأصوليين بهذه الآية على جواز النسخ قبل الفعل ^(٢) ، ولأصحابنا فيه قولان ، والصحيح أنه يجوز ، ومن احتج بهذه الآية ضَعَفَ ما روي أن علياً عمل بهذا الحكم قبل النسخ ، واحتج بقوله : ﴿ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ . قال : وهذا دليل أن أحداً منهم لم يتصدق بشيء ^(٣) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ أَلْتَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال المفسرون : يعني المنافقين ، تولوا اليهود ونقلوا إليهم أسرار المسلمين . واليهود هم المذكورون بالغضب عليهم في مواضع من القرآن .

قوله : ﴿ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ ؛ أي ليسوا مؤمنين ، فليسوا منكم في الدين والولاية ، ولا من اليهود ، كما قال تعالى : ﴿ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ [النساء : ١٤٣] الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ وذلك أن النبي ﷺ قال لعبدالله بن نبتل المنافق : « على ماذا تشتمني أنت وأصحابك ؟ » فجاء بهم فحلفوا

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ أ ، ونواسخ القرآن ٢٣٦ ، ونسبه إلى ابن عباس ، ومعاني القرآن للقرّاء ١٤٢/٣ . قلت : مراد المؤلف - رحمه الله - من نسخ صدقة المناجاة بالزكاة ؛ أي إن قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْفَقْتُمْ ﴾ الآية بكاملها نسخت الآية السابقة عليها ، فعاد المسلمون إلى مناجاة النبي ﷺ من غير تقديم شيء ، وهو المُجمَع عليه من المفسرين ، والله أعلم .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣/٣٢٠ ، والمستصفى ٤٢٥ .

(٣) انظر : نواسخ القرآن لمكي بن أبي طالب ٣٢٥ .

أنهم لم يفعلوا - ولم يوالوا اليهود - وأنهم له ناصحون ، فذلك قوله : ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) أنهم كاذبة .

١٦ . قوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ : يعني أيمانهم الكاذبة جُنة يستخفون بها من القتل . ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ؛ أي فصدوا المؤمنين بأيمانهم عن إِمضاء حكم الله فيهم من القتل للكافر ، وأخذ الجزية من أهل الكتاب ^(٢) .

وقال مقاتل : فصدوا الناس عن دين الله الإسلام ^(٣) .

١٧ . قوله : ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ﴾ الآية . قال مقاتل : إن المنافقين قالوا إن محمداً يزعم أنه ينصر يوم القيامة فقد شقينا إذاً ، فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا ^(٤) وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة ، فأنزل الله هذه الآية ^(٥) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ . قال مقاتل : إذا سُئلوا يوم القيامة عن أعمالهم الخبيثة استعانوا بالكذب كعادتهم في الدنيا ، ويحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون لكم في الدنيا ^(٦) .

(١) قال السُّدِّي ومقاتل : وهو معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ أ ، وجامع البيان ١٧ / ٢٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ٨٣ أ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٦ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٧ / ٢٨ ، وهو المعتمد عنده ، ومعالم التنزيل ٣١ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ أ ، والجامع ١٧ / ٣٠٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٢٨ .

(٤) في (ك) : (أنفسنا) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ أ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٧٤ ، والجامع ١٧ / ٣٠٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ ب .

وقال قتادة : إن المنافق يحلف لله ^(١) يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا ^(٢) .

قال ابن عباس : أمّا الأول فكقوله : ﴿وَاللَّهُ رَينَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ،
وأمّا الثاني فهو قوله : ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ ^(٣) .

وقال ابن زيد : كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا أنها تنفع في الآخرة ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ . قال مقاتل : على شيء من الدين ^(٥) .

وقال غيره : ويحسبون أنهم على شيء من أيمانهم الكاذبة ^(٦) .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ في قولهم وأيمانهم .

١٩ . قوله تعالى : ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ . قال المفسرون : غلب واستولى .

قال أبو إسحاق : معنى استحوذ في اللغة استولى ، يقال : حذت الإبل وحزتها
إذا استوليت عليها وجمعتها ^(٧) .

وقال المبرّد : استحوذ على الشيء : حواه وأحاط به ^(٨) ، ومعناه : استدار
عليهم الشيطان .

(١) (الله) ساقطة من نسخة (ك) .

(٢) انظر : تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٨١ ، وجامع البيان ١٧/ ٢٨ ، والكشف والبيان ١٢/ ٨٣ أ .

(٣) من الآية رقم : ٥٦ من سورة التوبة ، وانظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢٧٤ ، والجامع ١٧/ ٣٠٥ .

(٤) انظر : الجامع ١٧/ ٣٠٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ ب .

(٦) انظر : جامع البيان ١٧/ ٢٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣١٢ .

(٧) انظر : معاني الرّجّاج ٥/ ١٤ .

(٨) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢٧٥ .

٢٠. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذل في الدنيا ، والخزي في الآخرة^(١) .

وقال مقاتل : في الهالكين^(٢) ، وقال الزجاج : أي في المغلوبين^(٣) .

٢١. قوله : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ؛ أي قضى الله ذلك قضاءً ثابتاً .

قال أبو إسحاق : ومعنى غلبة الرسل على نوعين : من بعث منهم بالحرب غالب في الحرب ، ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة^(٤) .

وقوله : ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ؛ أي مانع حربه من أن يذل .

وقال مقاتل : إن المسلمين قالوا : إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَظْهَرَنَا اللَّهُ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ ، فقال عبدالله بن أبي : أَتَظُنُّونَ أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ كَبَعْضِ الْقُرَى الَّتِي غَلَبْتُمُوهُمْ ؟ كَلَّا ، وَاللَّهُ لَهُمْ أَكْثَرُ جَمْعًا وَعُدَّةً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٥) .

٢٢. قوله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ : الأكثرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وإخباره أهل مكة بمسير النبي ﷺ إليهم لما أراد فتح مكة ، وتلك القصة معروفة^(٦) ، وهذا قول مقاتل ، واختيار الفراء^(٧) والزجاج ، قال : أعلم الله - عز وجل -

(١) لم أجده .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ ب .

(٣) انظر : معاني الزجاج ١٤١/٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤١/٥ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ٨٣/١٣ ب ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٧٦ ، والجامع ١٧/٣٠٦ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ٨٤/١٣ أ ، والتفسير الكبير ٢٩/٢٧٧ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ ب ، ومعاني القرآن للفراء ٣/١٤٢ .

أن إيمان المؤمنين يفسد بمودة الكفار ، وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر ، وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته^(١) .

وروى عطاء عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة^(٢) قتل أباه يوم أحد عبد الله بن الجراح ، وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وأبي بكر - رضي الله عنه - دعا ابنه يوم بدر إلى البراز ، فقال رسول الله ﷺ : « متعنا بنفسك يا أبا بكر » ، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير ، وعلي بن طالب ، وحمزة ، وعبيدة قتلوا عتبة ، وشيبة ، والوليد بن عتبة يوم بدر ، أخبر الله - تعالى - أن هؤلاء لم يوادوا أقاربهم وعشائرهم غضباً لله ولدينه^(٣) .

قوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ . قال الزَّجَّاج : يعني الذين لا يوادون من حادَّ الله^(٤) .

قوله : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ . قال السُّدِّي ومقاتل : جعل في قلوبهم التصديق^(٥) .

وقال الربيع : أثبت^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤١ / ٥ .

(٢) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، أمين هذه الأمة ، وأحد المبشرين بالجنة ، توفي سنة ١٨ هـ وله ثمان وخمسون سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٤٠٩ / ٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ١ ، والعبر ١٦ / ١ ، والإصابة ٣٧٩ / ٣ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٧٦ عن ابن عباس . وذكره غيره عن مقاتل بن حيان ، عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود . انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٨٤ أ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٨ ، ومعالم التنزيل ٣١٢ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٢ / ٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ ب .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ٨٤ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣٠٨ .

وقال أبو علي الفارسي : معناه جمع ، والكتيبة : الجمع من الجيش ، والتقدير : أولئك الذين جمع الله في قلوبهم الإيمان ؛ أي استكملوه واستوعبوه ، فلم يكونوا ممن يقولون : نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض^(١) .

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ . قال ابن عباس : قَوَّاهُمْ بنصر منه في الدنيا على عدوهم^(٢) ، وهو قول الحسن ، وسمَّى نصره إياهم روحاً ؛ لأن به يحيا أمرهم^(٣) .
وقال المقاتلان : برحمة منه^(٤) ، وهذا يعود إلى الأول ؛ لأن رحمته إنعامه عليهم بالنصر في الدنيا .

وقال الربيع والسُّدي : يعني بالإيمان والقرآن^(٥) ، يدل عليه قوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢] الآية .

ثم أعلم الله - عز وجل - أن ذلك يوصلهم إلى الجنة ، فقال : ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ إلى آخر الآية ، والله أعلم بالصواب .

* * *

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٧٧ .

(٢) انظر : غرائب القرآن ٢٨ / ٢٩ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ٨٤ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣١٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣٠٩ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ٨٤ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣١٣ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٧٧ .

تفسير

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ : الآية تفسيرها قد تقدّم في مواضع .
 ٢. ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ : أجمعوا على أن هذا في بني النضير ، وهم قوم من اليهود كانوا بالمدينة ، غدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوا وصاروا عليه مع المشركين يداً واحدة ، فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجللاء ، وذلك بعد وقعة بدر بستة أشهر ، قاله الزهري ^(١) .
 - وقال محمد بن إسحاق : كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد ^(٢) ، وقد ذكر الله تلك القصة في هذه السورة ، وهي تأتي على التوالي في تفسير الآيات .
-
- (١) في (ك) : (الأزهري) . انظر : صحيح البخاري في كتاب المغازي ، باب : حديث بني النضير ١١٢ / ٥ ، وفتح الباري ٣٣٠ - ٣٣٢ / ٧ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٧٩ ، والبداية والنهاية ٧٤ / ٣ .
- (٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك ٨٣ / ٢ ، والبداية والنهاية ٧٤ / ٤ ، وجامع البيان ١٩ / ٢٨ عن قتادة . وقال ابن حجر عن قول الزهري السابق : فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين ، لكن وافق ابن إسحاق جُلَّ أهل المغازي ، فالله أعلم . فتح الباري ٣٣ / ٧ .

قوله : ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ . ذكر المفسرون فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن جلاءهم ذلك كان أول حشر في الدنيا إلى الشام ، قاله الزهري^(١) وعروة ، وقال عكرمة : من شَكَّ أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية ؛ وذلك أن النبي ﷺ قال لهم يومئذٍ : « اخرجوا » ، فقالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض المحشر »^(٢) .

والمعنى على هذا القول : أنهم أُجِّلُوا إلى الشام ، فكان ذلك أول حشر حشروا إلى الشام يوم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام .

القول الثاني : أنهم أول من أُجِّلِي من أهل الذمة من جزيرة العرب ، ثم أُجِّلِي آخرهم عمر بن الخطاب ، وكان ذلك أول حشر من المدينة ، والحشر الثاني كان من خيبر وجزيرة العرب ، وهذا قول المقاتلين ، ومرة الهمداني عن ابن عباس^(٣) .

القول الثالث : ما قال قتادة : كان ذلك أول الحشر ، والحشر الثاني : نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وهو قول عبدالله بن عمرو^(٤) ، وذكر أن تلك النار تُرى بالليل ، ولا تُرى بالنهار^(٥) .

(١) هذا القول عن الزهري أخرجه عبدالرزاق ، وابن جرير ، والحاكم ، وأخرجه عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي عن عروة مرسلاً . قال البيهقي : وهو المحفوظ . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٨٢ ، وجامع البيان ٢٨/ ٢٠ ، والدر ٦/ ١٨٧ .

(٢) أخرجه البزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . انظر : الكشف والبيان ١٣/ ٨٧ أ ، وانظر أيضاً : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٣٢ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٣/ ٨٧ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣١٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٥ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٨٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ٨٧ أ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٤ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٧٩ ، ولم أجده عن غير قتادة .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢٧٩ . ومراد قتادة - رحمه الله - بالنار التي تحشر الناس ما أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ، وفيه : « . . . وآخر ذلك نار تخرج من اليمن =

قوله : ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ . قال ابن عباس : كان أمرهم في صدور المسلمين عظيماً^(١) . والمعنى أن المسلمين ظنوا أنهم لعزتهم ومنعتهم لا يحتاجون إلى أن يخرجوا من ديارهم ، وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من الله ، وهو قوله : ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ .

قال ابن عباس : ظنوا أن حصونهم مانعة من سلطان الله ، وكانوا أهل حلقة^(٢) وحصون منيعة ، فلم يمنعهم شيء منها^(٣) ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ ؛ أي أمر الله وعذابه ، وهو أنه أمر النبي ﷺ بقتالهم ومحاصرهم ، فكانوا لا يظنون أن ذلك يكون ، ولا يحتسبون . ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ . قالوا : يعني بقتل سيدهم كعب بن الأشرف .

تطرد الناس إلى محشرهم» ، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة : «... وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا» . انظر : صحيح البخاري في كتاب الرقاق ، باب : الحشر ، وانظر أيضاً : صحيح مسلم في كتاب الجنة ، باب : ٥٩ ، وعند الحاكم ، عن عبدالله بن عمرو رفعه : «تبعث نار على أهل المشرق فتحشروهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، ويكون لها ما سقط منهم وتخلّف ، تسوقهم سوق الجمل الكبير» . قال ابن حجر : وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار . وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ؛ وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها . والمراد بقوله : «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب ، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب . فتح الباري ١١/ ٣٧٨ ، ٣٧٩ . وهذه الأقوال ذكرها الآلوسي ، ثم ضعف ما روي عن عكرمة ، وضعف ما روي عن قتادة أيضاً ، واختار أن يكون المراد بأول الحشر أن أول حشرهم إلى الشام ، أو على أنهم أول محشورين من أهل الكتاب من جزية العرب إلى الشام . روح المعاني ٢٨/ ٣٩ .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٢٧٩ .

(٢) قال أبو عبيد : الحلقة : اسم يجمع السلاح والدروع وما أشبهها . انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٦٤ ، واللسان (حلق) ١/ ٧٠١ ، ونسبه إلى ابن سيده .

(٣) لم أجده عن ابن عباس ، ولا عن غيره .

قوله تعالى : ﴿يُخْرِئُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ . ذكر المفسرون في تحريبيهم منازلهم ثلاثة أسباب :

أحدها : لما أيقنوا بالجللاء وحسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم ، فجعلوا يخربونها من داخل ، والمسلمون من خارج ، وهذا قول عكرمة وقتادة^(١) .

وقال مقاتل^(٢) : إن المنافقين دسوا إليهم أن لا يخرجوا ودرؤوا^(٣) على الأزقة وحصنها ، فنقضوا بيوتهم بينون بها على أفواه الأزقة ليحصنها ، وكان المسلمون إذا ظهروا على درب من دروبهم تأخر اليهود إلى وراء بيوتهم ، فنقبوها من أدبارها ، وخرب المسلمون ما ظهر عليهم من ديارهم ليتسع مجاهلهم للحرب ، فذلك قوله : ﴿يُخْرِئُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنهم عرّضوا لذلك .

وهذا قول مقاتل عن ابن عباس ، قال : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم للقتال ، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها ، فيخرجون إلى التي بعدها ، فيتحصنون فيها ، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ^(٤) .

وقال محمد بن إسحاق : ذلك هدمهم عن نجف^(٥) أبوابهم ، وهو أنهم لما صالحوا على أن يحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل كان منهم من يهدم بيته عن

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٨٣ ، وجامع البيان ٢٨ / ٢٠ عن قتادة .

(٢) في (ك) : (قتادة) .

(٣) ولعلها (وردموها) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤٧ أ ، والكشف والبيان ١٣ / ٨٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣١٥ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٨ .

(٥) النجف : هو العتبة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى العتبة . انظر : تهذيب اللغة ١١ / ١١٤ ، واللسان (نجف) ٣ / ٥٨٨ .

نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره^(١) ، وهذا قول الزهري ، قال : كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه أو الباب ، فيهدمون بيوتهم ، وينتزعونها ، ويحملونها على الإبل^(٢) .

وقراءة العامة : ﴿يُخْرِبُونَ﴾ من الإخراب ، وقرأ أبو عمرو مشدداً من التخریب^(٣) ، وكان يقول : الإخراب أن تترك الشيء خراباً ، والتخريب الهدم ، وبنو النضير خربوا وما أخربوا^(٤) ، وقال المبرد : ولا أعلم لهذا وجهاً ، يخربون من التخریب ، فإنما هو الأصل على خرب المنزل ، وأخربه صاحبه كقولك : علم وأعلمه ، وقام وأقامه ، وإذا قلت يخربون من التخریب فإنما هو تكثير ؛ لأنه ذكر بيوتاً تصلح للقليل والكثير^(٥) ، وزعم سيبويه أنهما تتعاقبان في بعض الكلام ، فيجري كل واحد مجرى الآخر ، نحو : فرحته وأفرحته ، وأحسنه الله وحسنه ، وقال الأعشى :

وأخربت من أرض قوم دياراً^(٦)

وقال الفرّاء : (يخربون) بالتشديد : يهدمون ، وبالتخفيف : يخرجون منها ويتركونها ، ألا ترى أنهم كانوا ينقبون الدار فيعطّلونها ، فهذا معنى يخربون^(٧) .

(١) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٢١ ، والبداية والنهاية ٨ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٨٢ ، وجامع البيان ٢٨ / ٢١ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣١٥ .

(٣) قرأ الجمهور : ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتخفيف ، وقرأ أبو عمرو : (يُخْرِبُونَ) بالتشديد ، ووافقه من غير العشرة الحسن ، واليزيدي . انظر : النشر ٢ / ٣٨٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٣ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٨٣ ، وحجة القراءات ٧٠٥ ، والكشف والبيان ١٣ / ٨٧ ب .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٨ .

(٦) ديوان الأعشى ٨٤ ، والخزانة ٥ / ٧٢ ، وصدره :

أَقَلَّتْ قَوْمًا وَأَعَمَّرَتْهُمْ

(٧) انظر : معاني القرآن للقراء ٣ / ١٤٣ .

قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد يا أهل اللب والعقل والبصائر^(١) ، وقال مقاتل : يعني يا أهل البصيرة في أمر الله^(٢) .

قال الفرّاء : ويقال : يا أولي الأبصار ، يا من عاين ذلك بعينه^(٣) .

ومعنى الاعتبار : النظر في أوائل الأمور وأواخرها وتدبرها ليعرف بالنظر فيها شيئاً آخر من جنسها^(٤) . والمعنى : تدبروا وانظروا في ما نزل بهم ، فاتعظوا بذلك . وقد سبق الكلام في أصل معنى الاعتبار في ما تقدّم^(٥) .

٣ . قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ : معنى الجلاء في اللغة : الخروج من الوطن والتحوّل منه ، يقال منه : جلا القوم عن منازلهم . وتقول : أجليناهم عن بلادهم فجلّوا^(٦) كما قال الشاعر :

وَأَجْلُوا عَنْ مَسَاكِنَ فَارْقُوهَا كَمَا جَلَّتِ الْفَرَاخُ مِنَ الْعِشَاشِ^(٧)

يقول : لولا أن الله قضى عليهم أنهم يخرجون عن أوطانهم بالمدينة إلى الشام وخير .

قوله تعالى : ﴿ لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والسبي ، ولسلّطكم عليهم كما فعل بقريظة^(٨) . والمعنى : أنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل ، وجعل عذابهم في

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩ ، ٢٨٢ .

(٢) تفسير مقاتل ١٤٧ أ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٤٣ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٨٢ .

(٥) انظر : مفردات الراغب ٣٢٠ ، واللسان (عبر) ٢ / ٦٦٨ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥٦ ، وغريب القرآن لليزدي ٣٧٣ ، وتهذيب اللغة ١ / ٤٨٨ ، واللسان (جلل) ١ / ٤٨٨ .

(٧) انظر : الحزانة ٩ / ٢٧١ .

(٨) هي الغزوة التي حكم فيها سعد بن معاذ بأن تقتل مقاتلتهم وأن تسبي ذراريهم ، وأن تقسم أموالهم ، =

الدنيا الجلاء ، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ مع ما أحل بهم في الدنيا ، وهذا معنى قول عامة المفسرين ^(١) .

٥ . قوله تعالى : ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ . قال أبو عبيدة : اللينة : النخلة ، ما لم تكن عجوة أو برنية ، وأنشد لذي الرمة :

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشٌّ طَائِرٌ عَلَى لَيْنَةٍ فِرَوَاءَ تَهْفُو جَنُوبُهَا ^(٢)
قال : وأصل لينة لَوْنَةٌ ، فذهب الواو لكسر اللام ، وجمعها الألوان ، وهي النخل كل ما خلا البرني والعجوة ^(٣) .

قال المبرد : أصل الياء في لينة الواو بمنزلة ريح ، فإذا قلت (ألوان) رجعت الواو لذهاب الكسرة كما تقول ريح وأرواح ^(٤) . قال ذو الرمة :

طَرِاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ لَيْنَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَفُّ ^(٥)
ويجمع اللينة أيضاً لِيَان . قال امرؤ القيس يصف عنق فرس :
وَسَالَفَهُ كَسْحُونُ اللَّيَانِ أَضْرَمَ فِيهَا الْغَوِيَّ السَّعْرَ ^(٦)

= وكانت بعد غزوة الأحزاب ؛ وذلك لتقضهم العهد الذي بينهم وبين محمد ﷺ . انظر : تاريخ الطبري ٩٨-٩٣/٢ .

- (١) انظر : جامع البيان ٢٨/٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٢ .
- (٢) البيت في الديوان ٢/٦٩٩ ، وتهذيب اللغة ٤/١٢١ . ورواية الديوان :
على لينة سوقاء تهفو جنوبها
- (٣) القتودي : عيدان الرحل ؛ أي إن الناقة طويلة يصغر الرحل عليها ، وسوقاء : طويلة الساق ، وتهفو : تضطرب .
- (٤) وهذا القول قول الزجاج . انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/١٤٤ ، وتهذيب اللغة ١٥/٤٧٠ ، واللسان (لين) ٣/٤٢٤ ، وانظر : مجاز القرآن ٢/٢٥٦ .
- (٥) التفسير الكبير ٢٩/٢٨٢ .
- (٦) ديوان ذي الرمة ٧٩ ، والكتاب ٧/١١٢ ، والخزانة ٤/٢١ .
- (٦) انظر : الديوان ٣١٥ .

ونحو هذا قال المفسرون في تفسير اللينة ؛ الزهري ، وقتادة ، وجماعة ، قالوا : هي النخل ليس بالعجوة^(١) ، والباقون قالوا : هي النخلة من غير استثناء ، وهو قول مجاهد ، وعطية ، وابن زيد^(٢) .

وقال مقاتلان : هي ضرب من النخل ثمره أجود الثمر ، يرى نواه من ظاهره ، النخلة منها أحب إليهم من وصيف^(٣) .

قال المفسرون : لما حصر رسول الله ﷺ بني النضير وتحصنوا بحصونهم ، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فشق ذلك على اليهود ، وجزعوا ، وأكثروا القول ، وقالوا : أين وجدت في ما أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ وأخذ المسلمون من ذلك دمامة^(٤) ، فأنزل الله هذه الآية^(٥) .

وروي عن ابن عباس ، قال : أمروا بقطع النخل ، فحك في صدورهم ، فقال المسلمون : قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً ، ولنسأل رسول الله ﷺ : هل لنا في ما قطعناه من أجر ؟ وهل علينا في ما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله هذه الآية^(٦) .

قال أبو إسحاق : فأعلم الله أن ذلك بإذنه ، وإليه القطع والترك جميعاً^(٧) .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٨٣ ، وجامع البيان ٢٨/ ٢٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩١ ،

وفتح الباري ٨/ ٦٢٩ ، وهو قول سعيد بن جبير ، ويزيد بن رومان ، وعكرمة ، وابن عباس .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٦٣ ، وجامع البيان ٢٨/ ٢٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ٨٨ ب . قال النحاس : وهذه الأقوال صحيحة ، لأن الأصمعي حكى مثل القول الأول فيكون لجميع النخل ، ويكون ما قطعوا منها خصوصاً فتتفق الأقوال . إعراب القرآن ٣/ ٣٩٢ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٣/ ٨٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣١٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٠٨ .

(٤) أي غضب مما فعلوا . اللسان (دم) ١/ ١٠١٥ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٨/ ٢٣ ، وأسباب النزول للواحيدي ٤٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣١٥ .

(٦) أخرجه الترمذي (٣٣٠٣) ، كتاب التفسير : تفسير سورة الحشر ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والنسائي ٦/ ٤٨٣ ، كتاب التفسير ، والدر ٦/ ١٨٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٤٥ .

وقال قتادة : نزلت الآية لاختلاف كان بين المسلمين في قطعها وتركها .

قال مجاهد : نهى بعض المسلمين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغنم المسلمين ، فنزل القرآن بتصديق من نهى ، وتحليل من قطع ^(١) .

قوله : ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني اليهود ، قال مقاتل : كان قطع النخل ذلاً لهم وهواناً ^(٢) .

وقال ابن حيان : كان ذلك خزياً لبني النضير ^(٣) .

وقال الزجاج ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ أن يريهم بأموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا ^(٤) ، والتقدير : وليخزي الفاسقين ، أذن في ذلك ، ودل على المحذوف قوله : ﴿فَيَاذَنَ اللَّهُ﴾ ^(٥) .

٦ . قوله : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ . قال المبرد : يقال فاء يفيء إذا رجع ، وأفاءه الله إذا رده ^(٦) .

وقال الأزهري : الفيء ما رد الله على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال ؛ إمّا بأن يجلوها عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين ، وإمّا أن يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم ، أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم ^(٧)

(١) انظر : تفسير مجاهد ٢/٦٦٣ ، وجامع البيان ٢٨/٢٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١٤٧ ب .

(٣) لم أجده ، في الأصل : (يريهم) .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤٥/٥ .

(٥) انظر : زاد المسير ٨/٢٠٨ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٢٨٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (فاء) ١٥/٥٧٨ .

كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن لكل ثلاثة منهم ما وسق^(١) بغير مما شاءوا سوى السلاح ويتركوا الباقي . فهذا المال هو الفيء ، وهذا مما أفاء الله على المسلمين ؛ أي رده ورجعه من الكفار على المسلمين .

وقوله : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ ؛ أي من يهود بني النضير .

قوله : ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ ﴾ . يقال : وجف الفرس والبعير يجف وجفاً ووجيفاً ووجفاناً^(٢) . قال العجاج :

ناج طواه الأينُ مما وجفا^(٣)

وهو سرعة السير ، وأوجفه صاحبه إذا حمّله على السير السريع ، وهما مثال الإيضاع^(٤) .

وقوله : ﴿ عَلَيْهِ ﴾ ؛ أي على ما أفاء الله .

قوله : ﴿ وَلَا رِكَابٍ ﴾ : الركاب الإبل ، واحداً راحلة ، ولا واحد لها في لفظها^(٥) .

قال الفرّاء : الركاب الإبل التي تحمل القوم ، وهي ركاب القوم إذا حملت ، وأريد الحمل عليها ، وهو اسم جماعة لا يفرد^(٦) .

(١) الأصل في الوسق : الحمل ، وكل شيء وسقته فقد حملته . اللسان (وسق) ٩٢٦/٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٢١٣/١١ .

(٣) انظر : ملحقات ديوان العجاج ٨٤ ، والكتاب مع شواهد للأعلم ١٨٠/١ ، وتهذيب اللغة ٧٨/٤ .

(٤) انظر : اللسان ٨٨٢/٣ ، وتفسير غريب القرآن ٤٦٠ .

(٥) اللسان (ركب) ١٢١٣/١ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٤/٣ ، وتهذيب اللغة (ركب) ٢١٩/١٠ ، ونسبه إلى الليث .

قال المفسرون : إن بني النضير لما جلوا عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم طلب المسلمون من رسول الله أن يخمسها كما فعل بغنائم بدر ، فأُنزل الله هذه الآية والتي بعدها^(١) ، يَبَيِّنُ أن بني النضير فيء لم يوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركاباً ، ولم يقطعوا إليها مسافة ، وإنما كانوا على ميلين من المدينة ، فمشوا إليهم مشياً ، ولم يركب إلا رسول الله ﷺ ؛ كان راكب جمل^(٢) ، وكل^(٣) مال حصل للمسلمين بهذه الصفة كان فيئاً ولم يكن غنيمَةً ، والفرق بينهما أن الغنيمَة ما أُخذ بإيجاف خيل وركاب وقتال ، والفِيء ما أُخذ بغيرها^(٤) .

فإن قيل : أموال النضير أخذت بعد القتال ؛ لأنهم حوصروا أياماً وقتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء ، قيل : إن الله تعالى خص نبيه بفِيء بني النضير ، وجعل أموالهم له فيئاً فهو مخصوص بهذا^(٥) ، وأما سائر الأئمة فليس لهم أن يحكموا في مال بحكم الفِيء إلا إذا حصل بلا إيجاف خيل ، ولا ركاب ، وبلا قتال .

(١) انظر : جامع البيان ٢٨/٢٤ ، والكشف والبيان ١٢/٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤/٣١٦ ، وزاد المسير ٢٠٩/٨

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٧ ب ، وجامع البيان ٢٨/٢٤ .

(٣) في نسخة (ك) : (وكان) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (غنم) ٨/١٤٩ ، و(فاء) ١٥/٥٧٨ ، والمغني ٩/٢٨٣ .

(٥) قال السهيلي : ولم يختلفوا في أن أموال بني النضير كانت خاصة برسول الله ﷺ ، وأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ، وأنه لم يقع بينهم قتال أصلاً . فتح الباري ٧/٣٣ . قلت : وتخصيص الرسول ﷺ بأموال بني النضير هو الثابت عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعمّن حضر مجلسه من كبار الصحابة رضوان الله عليهم . انظر : صحيح البخاري في كتاب المغازي ، باب : حديث بني النضير ٥/١١٣ ، وفتح الباري ٧/٣٣٤ ، ٣٣٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٧١ ، والحديث مخرج في الكتب الستة ، وغيرها .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ ليس بعلّة لصرف الفياء عنهم ، وإنما هو تعزية لهم عما صرف عنهم لئلا يأسفوا عليه بما أعلمهم أنهم لم ينفقوا فيه شيئاً ، ولا لزمهم نصب ولا تعب كما يكون في الوقائع .
ثم وكّد ذلك بقول : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ ، فكان في ذلك زيادة شرح لإحراز جميع الفياء لرسوله دون أصحابه^(١) .

قال المفسرون : فجعل الله أموال بني النضير لرسوله ﷺ خاصة يفعل فيها ما يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ، وهم : أبو دجانة^(٢) ، وسهل بن حنيف^(٣) ، والحرث^(٤) بن الصمة^(٥) .

-
- (١) لم أقف عليه .
(٢) أبو دجانة سمالك بن أوس بن خرشة الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرأ ، وأحدأ ، واليامة وقُتل بها ، وهو قاتل مسيلمة الكذاب مع وحشي بن حرب رضي الله عنها . انظر : المعارف ٢٧١ ، والبداية والنهاية ٣٣٧/٦ .
(٣) سهل بن حنيف الأوسي ، حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهدته كلها غير الجمل ؛ فإنه كان قد استخلفه على المدينة ، توفي سنة ٣٨ هـ بالكوفة ، وصلى عليه علي رضي الله عنهما . انظر : المعارف ٢٩١ ، والبداية والنهاية ٣١٨/٧ .
(٤) الحرث بن الصمة ، أبو سعد ، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين صهيب بن سنان ، شهد أحدأ ، وثبت مع الرسول ﷺ ، وشهد يوم بئر معونة ، وقُتل يومئذ شهيدأ في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة . انظر : طبقات ابن سعد ٥٠٨/٣ .
(٥) انظر : الكشف والبيان ٨٩/١٣ ب ، ذكره بغير سند ، ومعالم التنزيل ٣١٦/٤ ، وزاد المسير ٢٠٩/٨ . وهو المنقول عن السهيلي ، واقتصر ابن إسحاق ، وابن هشام ، وابن سيد الناس ، وغيرهم على ذكر أبي دجانة ، وسهيل بن حنيف . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢٨٣/٢ عن الزهري ، وأهمل اسم الرجلين ، وتاريخ الأمم والملوك ٨١/٢ ، ٨٥ ، والبداية والنهاية ٧٦/٤ ، وروح المعاني ٤٥/٢٨ . ومن هذا ما رواه الحاكم في الإكلیل ، من حديث أم العلاء ، قالت : قال النبي ﷺ للأنصار لما فتح النضير : «إن أحببتكم قسمت بينكم ما أفاء الله عليّ ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وإن أحببتكم أعيبتكم وفرجوا عنكم» ، فاختراروا الثاني . فتح الباري ٣٣٣/٧ .

٧. ثم ذكر حكم الفبيء ، فقال : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ؛ أي من أموال كفار أهل القرى ، كما رد عليه وأفاء من أموال بني النضير وقريظة^(١) ، وأهل القرى : قرى خيبر^(٢) ، وعرينة ، وينبع ، وهذه كلها كانت قرى أفاء الله أموال أهلها على رسول الله ، ثم بين لمن هي ، فقال : ﴿ لِلَّهِ ﴾ ؛ أي إن الحكم فيها لله ، له أن يأمركم فيه بما أحب ﴿ وَلِرَسُولِهِ ﴾ بتملك الله إياه .

﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ : يعني بني هاشم وبني المطلب ؛ لأنهم قد منعوا الصدقة ، فجعل لهم حق في الفبيء .

﴿ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . قال العلماء من أصحابنا في بيان حكم هذه الآية : كان الفبيء في زمان رسول الله مقسوماً على خمسة أسهم : أربعة منها لرسول الله ﷺ خاصة ، وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة أسهم : سهم منها لرسول الله أيضاً^(٣) ، والأسهم الأربعة لذي القربى واليتامى ، كما ذكر الله في هذه الآية ، وأما بعد وفاته فللشافعي في ما كان من الفبيء لرسول الله ﷺ قولان :

أحدهما : أنه للمجاهدين المرصدين^(٤) للقتال في الثغور ؛ لأنهم قاموا مقام رسول الله في رباط الثغور .

(١) قريظة : حي من اليهود ، كانوا يسكنون المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوه ، وحاصروهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكمه . سيرة ابن هشام ٢/٣٧٤ .

(٢) خيبر : الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ ، بينها وبين المدينة المنورة ثمانية برد على طريق الشام ، ويطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير . انظر : معجم البلدان ٢/٤٠٩ .

(٣) (أيضاً) ساقطة من نسخة (ك) .

(٤) في نسخة (ك) : (المرصدين) .

القول الثاني : أنه يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور ، وحفر الأنهار ، وبناء القناطر ، يبدأ بالأهم فالأهم ، هذا في الأربعة الأخماس التي كانت لرسول الله ﷺ ، وأما السهم الذي كان له في خمس الفية فإنه لمصالح المسلمين بلا خلاف^(١) .

قوله تعالى : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ ؛ أي ما أفاء الله لهؤلاء الذين ذكرهم كي لا يكون دولة ، وهي اسم الشيء يتداوله القوم بينهم ، يكون لذا مرة ، ولذا مرة .

والدولة (بالفتح) : انتقال حال سارة إلى قوم عن قوم ، والدولي (بالضم) : اسم لما يتداول ، وبالفتح : مصدر من هذا ، ويستعمل في الحالة السارة التي تنوب الإنسان ، فيقول : هذه دولة فلان ؛ أي قد أدبل بالدولة ، والدولة اسم لما يتداول من المال ، والدولة : اسم لما ينتقل من الحال ، هذا كلام المبرّد ، وهو معنى جميع أهل اللغة^(٢) .

قال الفرّاء : المعنى : كيلا يكون الفية دولة بين الرؤساء منكم يُعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية^(٣) . قال مقاتل : يعني يغلب الأغنياء الفقراء فيقسمونه

(١) انظر : المغني ٢٩٩/٩ . وقد احتج الجمهور بقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في الحديث الصحيح : « . . . فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ثم والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم . . . » . الحديث ، ولم يوجبوا الخمس في الفية ، بل قالوا : مصرف الفية كله إلى رسول الله ﷺ . وقال ابن المنذر : لا نعلم أحداً قبل الشافعي قال بالخمسة في الفية ، وقد تأول - رحمه الله - قول عمر المذكور بأنه يريد الأخماس الأربعة . انظر : مسلم بشرح النووي ٦٩/١٢ ، وفتح الباري ٢٠٨/٦ .

(٢) انظر : معاني الأخفش ٧٠٦/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٤٦/٥ ، وتهذيب اللغة (دوبل) ١٧٥/١٤ ، واللسان (دول) ١٠٣٤/١ ، والتفسير الكبير ٢٨٥/٢٩ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١٤٥/٣ .

بينهم^(١)، وقال الفرّاء : ونزل في الرؤساء : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢).

قال ابن عباس : يقول ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه فهو لكم حلال ، وما نهاكم عنه فانتهوا^(٣) ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر الفيء ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على ما نهاكم عنه الرسول ، وهذا نازل في أمر الفيء ؛ فهو عام في كل ما أمر به ، ونهى عنه رسول الله ﷺ . وكثر من الصحابة احتجوا على أن أوامر النبي ﷺ وزواجره كلها من القرآن^(٤) ؛ أن الله تعالى قال : ما أعطاكم وأباح لكم فخذوه ، وما منعكم عنه فاتركوه ، وكل ما يفعله بأمر رسول الله ﷺ فإنما يفعله بأمر الله ، وهو أمرنا بذلك أمراً مطلقاً ، وكذلك في ما ينهى عنه بأمره^(٥).

قال مقاتل : ثم ذكر أن الفيء للفقراء المهاجرين^(٦).

٨. قال أبو إسحاق : بين المساكين الذين لهم الحق بقوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾^(٧) ، يعني أن قوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل من قوله

(١) تفسير مقاتل ١٤٨ أ.

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٥ / ٣ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٣٢ / ٦ ، والكشف والبيان ٩٣ / ١٣ ، ومعالم التنزيل ٣١٨ / ٤ ، ولم ينسبوه إلى قائل .

(٤) في (ك) : (القرآن كلها) .

(٥) ومن قال بذلك ابن مسعود ، وابن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وأبو هريرة ، والشافعي . انظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب : وما آتاكم الرسول فخذوه ١٨٤ / ٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٣٦ ، وروح المعاني ٢٨ / ٥٠ . وقال الشوكاني : والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو ترك أو فعل ، وإن كان السبب خاصاً ، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وكل شيء أتاناه من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصلنا إليه . . . وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها . فتح القدير ٥ / ٢٧٨ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٤٨ أ.

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤٥ / ٥ .

للمساكين في الآية الأولى ، وأنه عنى بالمساكين هؤلاء ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ ، يعني أن كفار مكة أخرجوهم ^(١) إلى الخروج ، فهم الذين أخرجوهم .

قوله تعالى : ﴿يَتَغَوْنَ فُضُلًا مِنَ اللَّهِ﴾ . قال مقاتل : يعني رزقاً في الجنة ﴿وَرِضُونَا﴾ رضا ربهم ^(٢) .

قال ابن عباس : ابتغوا فضل الله ، واختاروا رضوان الله على الدُّور والأموال ، فقبل الله ذلك منهم ، وشكر سعيهم ، وسماهم الصادقين في قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ^(٣) .

٩ . قال مقاتل : ثم ذكر الأنصار ، وأثنى عليهم حين طابت أنفسهم عن الفياء ؛ إذ جعله للمهاجرين دونهم ، فقال : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني المدينة ، وهي دار الهجرة تبوأها الأنصار قبل المهاجرين ، وتقدير الآية : والذين تبوؤوا الدار من قبلهم والإيمان ؛ لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين ، وهذا قول مقاتل ^(٤) . وعطف الإيمان على الدار ، ولا يحسن إعمال الفعل الذي نصب الدار في الإيمان ، ولكن المعنى : وآثروا الإيمان ، هو من باب علفتها تبنأ وماء بارداً ، وأكلت الخبز واللبن ، وقد مرَّ في مواضع .

وقال أبو علي الفارسي : ومعنى الآية : تبوأوا الدار ، واعتقدوا الإيمان ؛ لأن الإيمان ليس بمكان فيتبوأ فيكون كقوله : ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس : ٧١] ،

(١) في نسخة (ك) : (أخرجهم) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٨ أ .

(٣) لم أجده .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤٨ أ .

على معنى : وأعدوا شركاءكم ، ويجوز أن يكون : تبوأوا الإيذان على طريق المثل كما تقول : تبوأ من بني فلان الصميم ، وعلى ذلك قول الشاعر :

وَبُوءْتُ فِي صَمِيمٍ مَعَشِرِهَا فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوُّهَا^(١)
قال : كل هذه الوجوه ممكن^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ . قال المفسرون : حسداً وحزاةً وغيظاً مما أوتي المهاجرون دونهم^(٣) ، وكل ما يجده الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته وشق عليه وجوده فهو حاجة .

قوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ . يقال : أثرتك إيثاراً ؛ أي فضلتك ، وآثره بكذا إذا خصّه به وفضّله من بين الناس^(٤) ، ومفعول الإيثار محذوف ، والتقدير : ويؤثرونهم على أنفسهم . قال المفسرون : أي بأموالهم ومنازلهم ؛ وذلك أنهم أشركوا المهاجرين في رباعهم وأموالهم ، وواسوهم بها^(٥) .

وقال الكلبي عن ابن عباس : هو أن النبي ﷺ قال للأَنْصار : «إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُ لَكُمْ مِنْ دُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَقَسَمْتُ لَكُمْ مِنْ الْفِيءِ كَمَا قَسَمْتُ لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ لَكُمْ الْقِسْمُ وَلَكُمْ دِيَارُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ» . فقالوا : لا ، بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم في القسم ، فأنزل الله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) البيت لابن هرمة . انظر : اللسان (بوأ) ٢٨٤ / ١ ، ولم ينسبه إلى قائل ، ومجاز القرآن ٢١٨ / ١ ، وشواهد المغني ٢٧٩ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٤٧ / ٨ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٢٨ ، والكشف والبيان ٩٤ / ١٣ ، ومعالم التنزيل ٣١٩ / ٤ ، وزاد المسير ٢١٢ / ٨ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (أثر) ١٢٢ / ١٥ ، واللسان (أثر) ٢٠ / ١ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ٩٤ / ١٣ ، ومعالم التنزيل ٣١٩ / ٤ .

حَصَاصَةً^(١)، فَيَنْ أَنْ هَذَا الْإِثَارَ لَيْسَ عَنْ غِنَى مِنَ الْمَالِ، وَلَكِنَّهُ عَنْ حَاجَةِ وَخَصَاصَةٍ، وَهِيَ الْفَقْرُ. وَذُو الْخَصَاصَةِ ذُو الْخَلَّةِ، وَأَصْلُهَا مِنَ الْخَصَاصِ، وَهِيَ الْفَرْجُ، وَكُلُّ خَلَلٍ أَوْ خَرَقٍ يَكُونُ فِي مَنْخَلٍ، أَوْ بَابٍ، أَوْ سَحَابٍ، أَوْ بَرْقَعٍ فَهِيَ خَصَاصَةٌ، الْوَاحِدُ خَصَاصَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

يَنْظُرْنَ مِنْ خَصَاصٍ بِأَعْيُنٍ شَوَاصِي^(٢)

وَذَكَرَ الْمَفْسُرُونَ أَنْوَاعاً مِنْ إِثَارِ الْأَنْصَارِ لِلضَّيْفِ بِالطَّعَامِ وَتَعَلَّلَهُمْ عَنْهُ حَتَّى شَبَعَ الضَّيْفِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْإِثَارِ^(٣). وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ إِثَارِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ بِالْفِيءِ، ثُمَّ يُجُوزُ أَنْ يَتَضَمَّنَ قَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ مَا رَوَاهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِثَارِ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: ذَكَرْنَا تَفْسِيرَ الشُّحِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأُحْضِرَتْ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾^(٥). قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: هُوَ أَخْذُ الْحَرَامِ، وَمَنْعُ الزَّكَاةِ^(٦).

(١) ذكره الثعلبي بغير سند. انظر: الكشف والبيان ٩٥/١٣ ب، ومعالم التنزيل ٤/٤٢٠، والتفسير الكبير ٢٩/٢٨٧، ورواه الواقدي عن معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زبيح، عن أم العلاء قالت: وذكر نحوه. تخريجات الكشف ١٦، ١٦٧.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (خصص) ٥٥١/٦، واللسان (خصصه) ٨٤١/١. والرجز لحضرمي بن عامر، وكان له تسعة إخوة فماتوا وورثهم. انظر: اللسان (مشصا) ٣١٣/٢، وتهذيب اللغة (قرص) ٨/٣٦٧، ولم ينسبه إلى قائل.

(٣) انظر: جامع البيان ٢٨/٢٩، والكشف والبيان ٩٤/١٣ أ ب، وأسباب النزول للواحدي ٤٨٣.

(٤) وهكذا فسر مقاتل هذه الآية بإيثار الأنصار للمهاجرين بالفيء، ولعل الصواب في هذا أن الآية نزلت في رجل من الأنصار وامرأته حين ضيفا ضيف رسول الله ﷺ، ولا يمنع من تضمن الآية لإيثارهم المهاجرين بالفيء وغيره، والله أعلم. انظر: صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، وفتح الباري ٨/٦٣١.

(٥) عند تفسيره الآية رقم: ١٢٨ من سورة النبأ. الشح: بخل مع الحرص، وذلك في ما كان عادة. اللسان (شح) ٢/٢٧٦، ومفردات الراغب (شح) ٢٥٦.

(٦) انظر: معالم التنزيل ٤/٣٢٠، والدر المنثور ٦/١٩٦، ونسب تخريجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

وقال مقاتل : حرص نفسه^(١) ، وقال ابن زيد : من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ، ولم يمنع شيئاً أمره الله بأدائه فقد وقى شح نفسه^(٢) .

قال المفسرون : يعني أن الأنصار ممن وقى شح نفسه حين طابت أنفسهم عن الفيء^(٣) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ : يعني التابعين ، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة .

ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولمن سبقهم بالإيمان بقوله : ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ؛ أي غشاً وحسداً وبغضاً^(٤) ، فكل من لم يترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ وكان في قلبه غلٌّ على أحد منهم فإنه ليس ممن عناه بهذه الآية ، ولهذا قال المتقدمون من العلماء : ربّ الله - تعالى - المؤمنين على ثلاثة منازل : المهاجرين ، والأنصار ، والتابعين الموصوفين بما ذكر ، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين .

هذا الذي ذكرناه في هذه الآية من أنها نزلت في التابعين قول جماعة المفسرين^(٥) .

وقال الكلبي : نزلت في المهاجرين .

(١) تفسير مقاتل ١٤٨ أ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٣٠ ، والكشف والبيان ٩٦ / ١٣ أ ، ومعالم التنزيل ٤٢ / ٤ .

(٣) وهو المذكور في سبب النزول عن ابن عباس ، وتقدم .

(٤) الغلُّ والغليل : الغشُّ والعداوة والضُّعْنُ والحقدُّ والحسدُّ . اللسان (غلل) ١٠٠٨ / ٢ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ٩٦ / ١٣ ، ٩٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٢٠ ، وزاد المسير ٨ / ٢١٦ ، والبحر

المحيط ٨ / ٢٤٧ ، ونسبه إلى الجمهور .

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي أتوا المدينة بعد الأنصار، فإنهم نزلوها بعدهم، يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، وألف بين قلوبنا، ولا تجعل فيها غمراً^(١) للذين آمنوا؛ أي حسداً للأنصار، وذكره الفراء^(٢). والصحيح ما عليه الناس لقوله: ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، والأنصار لم يسبقوا المهاجرين بالإيمان^(٣). والأكثر أن يضاً على أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا﴾ عطف على قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجِرِينَ﴾^(٤)، ويؤكد هذا ما روى مالك بن أوس بن الحدثان^(٥) أن عمر بن الخطاب ذكر الفيء، ثم قرأ: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجِرِينَ﴾ فقرأها، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة، فليس أحد إلا له فيها حق^(٦).

(١) الغمْر والغَمْر: الحقد والغل، والجمع غُمور. وقد غَمِرَ صدره على بالكسر يَغْمُرُ غَمْرًا وَغَمْرًا. اللسان (غمر) ١٠١٥/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٤٥/٣، وجامع البيان ٣١/٢٨، ذكره من دون نسبة إلى قائل.

(٣) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقرائهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّيِّفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. تفسير القرآن العظيم ٣٣٩/٤.

(٤) قال النحاس: وعلى هذا كلام أهل التفسير والفهاء. إعراب القرآن ٣/٣٩٩.

(٥) مالك بن أوس بن الحدثان، قديم أدرك الجاهلية، ولكن تأخر إسلامه، رأى أبا بكر، وروى عن عمر وعثمان، توفي بالمدينة سنة ٧٢هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٥/٥٦، وسير أعلام النبلاء ٤/١٧٠، والمعارف ٤٢٧، والتقريب ٢/٢٢٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب: حكم الفيء، والترمذي رقم: ١٦٠٩ والنسائي ٧/١٣٦ في قسم الفيء، وتفسير عبد الرزاق ٢/٢٨٣، وانظر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب لمحمد رواس قلعه جي ٥٣٢، ٥٣٣.

وروى عن مالك بن أنس أنه قال : من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، أو كان في قلبه عليه غِلٌّ فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا هذه الآيات ، قال : وهذا نص في الكتاب بين^(١) .

وقال المقاتلان : قوله : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ ابتداءً كلام في الثناء على الأنصار ثم حين طابت أنفسهم عن الفياء جعل للمهاجرين دونهم ، وعلى قولهما : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ ابتداءً ، وخبره : ﴿يُحِبُّونَ﴾ ، وكذلك ما بعده^(٢) . والأكثر على القول الأول ، وهو أن الله تعالى جعل الفياء لجميع أقسام المسلمين الثلاثة ، وهو مما ذكرنا أن الفياء بعد زمان رسول الله يصرف إلى مصالح المسلمين عامة .

ثم أنزل في ما دس المنافقون إلى اليهود : أَنَا معكم في النصر والخروج .

١١ . قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾^(٣) . قال المقاتلان : يعني عبدالله بن أبي ، وعبدالله بن نبتل ، ورفاعة بن زيد ، كانوا من الأنصار ، ولكنهم نافقوا وباطنوا اليهود^(٤) فقالوا لإخوانهم ؛ أي في الدين ، إنهم كفار مثلهم ، يعني اليهود . ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ ؛ أي من المدينة . ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ ؛ أي في خذلانكم وإسلامكم . ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ ،

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٨ ، ب ، ٩٨ ، أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٢١ ، وزاد المسير ٨/ ٢١٦ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٨/ ٢٤٧ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن السدي ، قال : قد أسلم ناس من أهل قريظة والنضير ، وكان فيهم منافقون ، وكانوا يقولون لأهل النضير : لنن أخرجتم لنخرجن معكم ، فنزلت فيهم هذه الآية الدر ١٩٩/ ٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٤٨ ب ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٢٨٨ .

ووعدهم^(١) النصر أيضاً بقولهم^(٢) : ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ ، ثم كذبهم الله تعالى في ذلك ، فقال : ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدهم من الخروج والنصر .

١٢ . قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ الآية . علم الله تعالى ما هو كائن ، وما كان ، وما ليس بكائن ، إذا كان كيف يكون - عز ربنا وجل - وقال أبو إسحاق : وقد بان صدق ما قاله الله في أمر بني النضير الذين عاقدهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم ، فأظهر الله - عز وجل - كذبهم^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ بعد قوله : ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ معناه : وإن قدر وجود نصرهم ؛ لأن ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده ، ولكن يجوز أن يقال : لو قدر وجوده .

قال الزَّجَّاج : معناه أنهم لو تعاطوا النصر لهم ، يعني أن المنافقين إن قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين^(٤) عن محمد ﷺ وأصحابه ، ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين على محمد وأصحابه إذا انهزم ناصرهم الذين راموا نصرهم .

وقوله : ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ بعد قوله : ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾^(٥) ، وقد مرَّ .

(١) في (ك) : (ووعدهم) .

(٢) في (ك) : (بقوله) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٧/٥ .

(٤) انظر : المرجع السابق ١٤٧/٥ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم : ٣٢ من سورة الأنفال .

١٣. ثم ذكر أن المنافقين خوفهم من المؤمنين أشد من خوفهم من الله ، فقال : ﴿لَأَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد هم منكم من أجل أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله ^(١) ، وقال الفرّاء : هذا من صفة اليهود . يقول : إنهم أهيب في صدورهم من عذاب الله عندهم ؛ وذلك أن أهل النضير كانوا ذوي بأس شديد ، فقتل الله الرعب في قلوبهم من المسلمين ^(٢) .

١٤. ثم أخبر عن اليهود ، فقال : ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ . قال أبو إسحاق : أعلم الله - عز وجل - أنهم إذا اجتمعوا على قتال المؤمنين لم يبرزوا لحربهم ، إنما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران ^(٣) .

قوله : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ ؛ أي لا يصحرون ^(٤) لكم ، ولا يقاتلون حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن أو سور .

وقراءة العامة : ﴿جُدُرٍ﴾ على الجمع ؛ إذ ليس المعنى أنهم يقاتلونكم من وراء حجاب واحد ، ولكن من وراء جدر ، ولا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة ، وكما أن

(١) لم أجد هذا الأثر .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٦/٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤٨/٥ .

(٤) أصح القوم إذا برزوا إلى فضاء لا يوارىهم شيء . انظر : تهذيب اللغة ٢٣٥/٤ ، واللسان (صحر)

القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي أن تكون جمعاً ، ومن قرأ : (جدار)^(١) فالمراد في الأفراد الجمع أيضاً ؛ لأنه يعلم أنهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد^(٢) .

قوله تعالى : ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ قال ابن عباس : بعضهم فظ^(٣) على بعض ، والمعنى أن بعضهم عدو لبعض^(٤) .

وقال مجاهد : ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ . قال : بالوعيد ، يقولون : لنفعلن كذا وكذا^(٥) ، والمعنى على هذا أنهم يهددون المؤمنين ببأس شديد من وراء الحيطان والحصون ، ثم يجبنون عن البروز للقتال ، فبأسهم شديد في ما بينهم لا في ما بينهم وبين المؤمنين ، فكان القول الأول أظهر .

قال أبو إسحاق : أي إنهم مختلفون لا تستوي قلوبهم ، ولا يتعاونون بنيات مجتمعة ؛ لأن الله - عز وجل - ناصر حزبه ، خاذل أعدائه^(٦) ، وهذا معنى قول قتادة : أهل الباطل مختلفة أهواؤهم ، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق^(٧) .

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : (جَدَار) بكسر الجيم ، وفتح الدال ، وألف بعدها على الأفراد ، وقرأ الباقون : ﴿جُدُرٍ﴾ بضم الجيم والدال من غير ألف على الجمع . انظر : حجة القراءات ٧٠٥ ، والنشر ٣٨٦ / ٢ ، والإتحاف ٤١٣ .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٣) الفِظُّ : الحَشْنُ الكلام ، وقيل : الفِظُّ الغليظ ، والفِظُّظُّ : خشونة في الكلام . ورجل فِظٌّ : ذو فظاظة جاف غليظ ، في مَنطِقِهِ غَلْظٌ وخشونة . اللسان (فظظ) ١١١ / ٢ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ٩٨ ب ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٠ ، وغرائب القرآن ٢٩ / ٤٤ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٤٨ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٣٢ ، والكشف والبيان ١٣ / ٩٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٢٢ .

وذهب المقاتلان ومجاهد في رواية خفيف إلى أن هذا من صفة المنافقين واليهود، قالوا في قوله: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ﴾ يعني المنافقين واليهود^(١) ﴿جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ﴾ مختلفة .

ثم بين سبب ذلك الاختلاف، فقال: ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي ذلك الشئت ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الحظ لهم، ثم ضرب لليهود مثلاً:

١٥. قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ . والمعنى: مثلهم كمثلي الذين من قبلهم، فحذف أحد المثليين، والمراد بالذين من قبلهم كفار مكة الذين قُتلوا ببدر^(٢)، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر^(٣). وهو قوله: ﴿قَرِيبًا﴾. والمعنى: تقدموا قريباً؛ لأن قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يدل على التقدم، وعلى هذا تم الكلام^(٤).

ثم قال: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾. قال مقاتل: يعني جزاء ذنبهم، وهو القتل ببدر^(٥)، ويجوز أن يكون معنى القرب إلى ذوق العذاب، فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني في الآخرة.

(١) انظر: تفسير مجاهد ٢/٦٦٥، وتفسير مقاتل ١٤٨ ب، ومعالم التنزيل ٤/٣٢٢.

(٢) قال مجاهد ومقاتل: وقال ابن عباس: هم بنو قينقاع، وقيل: مثل قريظة كمثلي بني النضير. انظر: تفسير مجاهد ٢/٦٦٥، وتفسير مقاتل ١٤٥ أ، وجامع البيان ٢٨/٣٢، والكشف والبيان ١٣/٩٨ ب. قال النحاس: اختلف أهل التأويل في الذين من قبلهم، ها هنا، فقال ابن عباس: هم بنو قينقاع، وقال مجاهد: هم أهل بدر، والصواب أن يقال في هذا: إن الآية عامة، وهؤلاء جميعاً ممن كان قبلهم. إعراب القرآن ٣/٤٠٢.

(٣) وهو قول الزهري رحمه الله.

(٤) وبه قال الأخفش. انظر: القطع والائتناف ٧١٨، والمكتفى ٥٦٢.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٤٨ ب.

١٦. ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً ، فقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ؛ أي مثل المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ الآية ، ثم خذلوهم ولم يفوا لهم ما وعدوهم ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ﴾ ، وهو عابد في بني إسرائيل كان يداوي من الجنون ، فداوى امرأة ، فأعجبته ، فأغواه الشيطان حتى وقع بها ، ثم قتلها ، ثم صار آخر أمره أن كفر ، فلما كفر تبرأ منه الشيطان^(١) ، وتلك القصة معروفة سنذكرها في مسند التفسير إن شاء الله ، ف ضرب تلك القصة مثلاً للمنافقين حين غروا اليهود ثم تبرؤا منهم عند الشدة وأسلموهم . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨] الآية .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة الأنفال في قوله : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ ﴾ .

١٧. ثم ذكر أنها صاروا إلى النار بقوله : ﴿ فَكَانَ عَقِبَهُمَا ﴾ ؛ أي عاقبة الشيطان والإنسان حين صاروا إلى النار .

قوله تعالى : ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ . قال الفرّاء : نصبه على الحال^(٢) . ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد المكذبين^(٣) .

(١) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، والحاكم ، وصححه ، عن علي بن أبي طالب وابن عباس . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٨٥ ، وجامع البيان ٣٣ / ٢٨ ، والمستدرک ٤٨٤ / ٢ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي ، وتفسير مقاتل ١٤٨ ب ، ١٤٩ أ . وقال ابن كثير : وكذا روي عن ابن عباس ، وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا ، فالله أعلم . تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٤١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٤٦ .

(٣) لم أجده .

ثم رجع إلى موعظة المؤمنين ، فقال :

١٨ . قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

قال ابن عباس : يريد الأعمال التي فيها الثواب والعقاب . والمعنى : لينظر أحدكم أي شيء قدّم لنفسه ^(١) : أعملاً صالحاً أم سيئاً يوبقه ^(٢) .

قال ابن إسحاق : ﴿ لِغَدٍ ﴾ ؛ أي ليوم القيامة ، وقرب على الناس كأنه يأتي غداً ^(٣) ، ومعنى الكلام : في غد ^(٤) .

١٩ . قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾ . قال ابن عباس والمقاتلان وغيرهم : تركوا أمر الله وذكره ﴿ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ فأنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يعملوا لله بطاعته ، ولم يقدموا خيراً ، هذا معنى قول جماعة المفسرين ^(٥) .

قال ابن عباس : يريد قريظة ، والنضير ، وبني قينقاع ^(٦) ، وهو قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : أعلم الله - عز وجل - أن من شأن القرآن وعظمته وبيانه أنه لو جعل

(١) في نسخة (ك) : (إيش الذي قدم نفسه) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٣٢٦/٤ ، ولم ينسبه إلى قائل .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤٩/٥ .

(٤) عند تفسيره الآية رقم : ١٢ من سورة يونس . الغدوؤ : أصل الغد ، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك فحذفت لامه ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر ، . . . وربما كُني به عن الزمن الأخير كقوله تعالى : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْآثِرِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ . انظر : تهذيب اللغة ١٧٠/٨ ، واللسان (غدا) ٩٦٣/٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٤٩ب ، وجامع البيان ٣٥/٢٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٠٤/٣ ، ومعالم التنزيل ٣٢٦/٤ ، والتفسير الكبير ٢٩١/٢٩ .

(٦) انظر : زاد المسير ٢٢٤/٨ .

في الجبل تمييز كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع ؛ أي تطأطأ وخضع وتشقّق من خشية الله ، هذا كلامه ^(١) .

والمعنى أن الجبل على قساوته وصلابته يتشقّق من خشية الله ، وحذراً من أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن ، والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والذكر كأن لم يسمعها ، فهو غافل عما تضمنه القرآن من تمييز الحق من الباطل ، والواجب مما لا يجب ، والجائز مما لا يجوز ، والأولى مما ليس بأولى بأحسن البيان وأوضح البرهان ، ومن وقف على هذا أوجب ذلك له الخشوع والخشية .

قال مقاتل : يقول : فالذين هم أضعف من الجبل أولى أن يأخذوا القرآن بالخشية والمخافة ^(٢) ، وهذا كأنه وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لخشع ، كما قال في آية أخرى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ [البقرة: ٧٤] الآية . وهذه الآية تمثيل ؛ لأن الجبل لا يتصور منه الخشوع إلا أن يخلق الله له تمييزاً يدل على أنه تمثيل . ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . قال مقاتل : ضرب الله ذلك مثلاً ^(٣) ، وكذلك قال غيره ^(٤) .

ثم أخبر بربوبيته وعظمته ، فقال :

٢٢-٢٣ . ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ . وهو ظاهر التفسير ماضٍ في ما سبق ^(٥) إلى قوله : ﴿ الْقُدُّوسُ ﴾ . قال المفسرون : هو الطاهر من كل عيب ، المنزه مما لا يليق

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥٠/٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٤٩ ب .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٤٩ ب .

(٤) وروى نحوه عن ابن عباس وقتادة . انظر : جامع البيان ٣٥/٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٤ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٦ ، ١٩ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٥٧ .

به^(١)، ومضى الكلام فيه عند قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠٠]. وروى
عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿الْفُدُوسُ﴾ الذي منه البركات^(٢)،
وهو قول قتادة، قال: ويقال أرض مقدسة؛ أي مباركة^(٣). وقوله:
﴿السَّلَامُ﴾ ذكروا فيه قولين:

أحدهما: أنه الذي سلم من النقص والعيب^(٤).

والآخر: أنه الذي سلم خلقه من ظلمه^(٥).

وكلا القولين قد تقدّم بيانه عند قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ
يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٧).

قوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾. ذكر^(٨) المفسرون وأهل اللغة فيه قولين:

-
- (١) انظر: تفسير مقاتل ١٥٠أ، والكشف والبيان ١٣/١٠٢ب، ومعالم التنزيل ٤/٣٢٦.
- (٢) وفي التفسير الكبير ٢٩/٢٩٣، قال الحسن: إنه الذي كثرت بركاته.
- (٣) انظر: جامع البيان ٢٨/٣٦، والكشف والبيان ١٠٢ب، ولفظه: «المبارك».
- (٤) انظر: تفسير غريب القرآن ٦، والأسماء والصفات للبيهقي ١/١٠١، ومعالم التنزيل ٤/٣٢٦،
وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٤٣، وهو المعتمد عنده، حيث قال: ﴿السَّلَامُ﴾؛ أي من جميع العيوب،
والنقائص لكمالها في ذاته وصفاته وأفعاله.
- (٥) قاله قتادة ومقاتل. انظر: تفسير مقاتل ١٥٠أ، وجامع البيان ٢٨/٣٦، ومعاني القرآن للزجاج
٥/١٥٠، والأسماء والصفات للبيهقي ١/١٠٢.
- (٦) عند تفسيره الآية رقم: ١٢٧ من سورة الأنعام.
- (٧) عند تفسيره الآية رقم: ٢٥ من سورة يونس.
- (٨) في نسخة (ك): (ذكره).

أحدهما : أن المؤمن في صفة الله تعالى معناه الذي آمن أوليائه عذابه^(١) ،
يقال : آمنه يؤمنه فهو مؤمن ، ومنه قوله :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها رُكبان مكة بين الغيل والسند^(٢)
حلف بالله الذي آمن طير مكة فلا ينفر عن أن يمسحها الركبان ، وهذا من
الإيمان الذي هو ضد التخويف .

قال الكلبي : المؤمن الذي لا يخاف ظلمه^(٣) .

وقال مقاتل : هو الذي يؤمن أوليائه^(٤) .

القول الثاني : أن معنى المؤمن في صفته تعالى : المصدق^(٥) ، على معنى أنه
يصدق أنبياءه بإظهار المعجزة لهم ، ويصدق المؤمنين إذا وحدوه ، وهذا قول
ابن عباس في رواية عطاء^(٦) . وذكرنا الإيمان بمعنى التصديق في مواضع .

قال ابن الأنباري : سمعت أحمد بن يحيى يقول : المؤمن عند العرب
المصدق^(٧) ، فذهب إلى أن الله تعالى مصدق عباده المسلمين يوم القيامة ؛ وذلك

(١) وهو المروي عن ابن عباس ، وابن جريج ، وزيد بن علي . انظر : تنوير المقباس ٤٧/٦ ، والكشف
والبيان ١٠٢/١٣ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٤ .

(٢) البيت للناطقة الديباني . انظر : ديوانه ٢٥ ، والخزانة ٣١٥/٢ ، وشرح المفصل ١١/٣ . ومعنى
العائذات : التي عاذت بالحرم ، والغيل ، الشجر الملتف ، ورواية الديوان : (نسعد) بدل (السند) ،
والأساء والصفات للبيهقي ١٦٥/١ ، ١٦٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥٠/٥ ، ذكر نحوه ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٠ أ .

(٥) في نسخة (ك) : (المتصدق) .

(٦) ذكره المفسرون عن الضحاك وابن زيد ، وانظر : جامع البيان ٣٦/٢٨ ، والكشف والبيان
١٠٢/١٣ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٤ .

(٧) في نسخة (ك) : (المتصدق) . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣ ، واللسان (أمن) ١٠٨/١ .

أن المفسرين قالوا : إذا كان يوم القيامة سأل الله تعالى الأمم عن تبليغ الرسل ، فيقولون^(١) : يا ربنا ما جاءنا رسول ولا نذير ، فيكذبون أنبياءهم ، ويؤتى بأمة محمد ﷺ ، فيسئلون عن ذلك ، فيصدقون نبиеهم والأنبياء الماضين ، فيصدقهم الله تعالى عند ذلك^(٢) ؛ فالمؤمن المصدق لعباده كما قال تعالى : ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ٦١] ، معناه : يصدق الله ، ويصدق المؤمنون^(٣) .

قوله تعالى : ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ . قال ابن عباس : الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء ، وهو قول قتادة ومجاهد ، قالوا : معناه الشهيد على عباده بأعمالهم^(٤) ، وعلى هذا أصله من قولهم : هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء^(٥) ، وهو قول الخليل وأبي عبيد .

وذهب كثير من المفسرين وأهل المعاني على أن المهيمن مؤمن على الأصل من أمن يؤمن ، فيكون بمعنى المؤمن^(٦) ، وقد ذكرنا استقصاء هذا عند قوله : ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤٨] . قال ابن الأنباري : المهيمن القائم على خلقه برزقه ، وأنشد :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِ مَهِيمُنُهُ التَّالِيهِ فِي الْعَرَفِ وَالنَّكَرِ

(١) في نسخة (ك) : (فيقول) .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٧ ، واللسان (أمن) ١/ ١٠٩ .

(٣) انظر : اللسان (أمن) ١/ ١٠٩ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٨٥ ، وجامع البيان ٢٨/ ٣٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٣ أ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (همن) ٦/ ٣٣٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٢٦ ، وروح المعاني ٦/ ١٥٢ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ١١ ، ١٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١٥٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٧ .

قال : معناه القائم على الناس بعده^(١) ، وقال ابن كيسان في المهيمن : الله أعلم بتأويله^(٢) .

قوله تعالى : ﴿الْجَبَّارُ﴾ له معانٍ في صفة الله تعالى . قال ابن عباس : هو العظيم ، وجبروت الله عظمتة^(٣) ، وعلى هذا القول : الجبار الملك . والجبارية الملوك ، ومنه الحديث : « جلد الكافر في النار كثافته أربعون ذراعاً بذراع الجبار » ، وهذا كما يقال : كذا ذراعاً بذراع الملك ، والجبر في كلام العرب الملك ، ومنه قول الشاعر :

وانعم صباحاً أيها الجبر^(٤)

أراد : أيها الملك . والعرب تسمي الجوزاء الجبار ؛ تشبيهاً لها بالملك ؛ لأنها في صورة رجل على كرسي وعليه تاج ، ويجوز أن يكون الجبار في صفة الله تعالى ، من جبر إذا أغنى الفقير ، وأصلح الكسير .

قال الأزهري : وهو لعمرى جابر^(٥) كسير وفقير ، وهو جابر دينه الذي ارتضاه كما قال العجاج :

قد جبر الدينَ الإلهُ فجبر^(٦)

(١) انظر : تهذيب اللغة ٦ / ٣٣٤ ، واللسان (همن) ٣ / ٨٣٣ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٣ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٢٧ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ، وزاد المسير ٨ / ٢٢٧ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٤ .

(٤) وصدده :

اسلّم براووق حُيِّتَ به

والبيت لعمر بن أمّار ، وقد ورد منسوباً في الخصائص ٢ / ٢١ ، والمحتسب ١ / ٩٧ ، وتهذيب اللغة ١١ / ٥٩ ، واللسان (جبر) ١ / ٣٩٥ .

(٥) في نسخة (ك) : (على) .

(٦) ديوان العجاج ١٥ ، وصدده :

وعوّز الرحمن من ولى العوز

والخصائص ٢ / ٢٦٣ ، واللسان (جبر) ١ / ٣٩٦ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤ / ٢٤١ .

قال اللحياني : يقال جبرت اليتيم والفقير أجبره جبراً وجُبوراً ، فَجَبَرَ يَجْبُرُ جُبوراً ، وَأَنْجَبَرَ وَأَجْتَبَرَ بمعنى واحد^(١) .

ويجوز أن يكون الجبار من جبره على كذا إذا أكرهه على ما أراد . قال السُّدِّي : هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد^(٢) ، ونحو ذلك قال مقاتل^(٣) ، وهو من جبرته على الأمر أجبره جبراً وجبوراً^(٤) .

وكان الشافعي - رحمه الله - يقول : جبره السلطان على كذا بغير ألف^(٥) .

وجعل الفرّاء الجبار بهذا المعنى من أجبر ، وهي اللغة المعروفة في الإكراه ، فقال : لم أسمع فعلاً من أفعل إلا في حرفين ، وهما جبار من أجبر ، ودراك من أدرك^(٦) ، وعلى هذا القول الجبار معناه : القهار الذي يجبر على ما يريد .

قال القرظي : إنما سُمِّيَ الجبار ؛ لأنه جبر الخلق على ما أراد . والخلق أرق شأناً من أن يعصوا ربهم طرفة عين إلا بما أراد^(٧) وهذا القول هو اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : تأويله الذي جبر الخلق على ما أراد^(٨) .

وقال ابن الأنباري : الجبار في صفة الله الذي لا ينال ، ومنه قيل للنخلة التي فأت يد المتناول : جبارة^(٩) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (جبر) ٦٠ / ١١ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ١٠٣ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٢٧ .

(٤) انظر : اللسان (جبر) ١ / ٣٩٦ .

(٥) انظر : اللسان ١ / ٣٩٦ ، وقال ابن منظور : وهو حجازي وفصح .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥١ .

(٧) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٠٣ ، والدر ٦ / ٢٠٢ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ١٥١ .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (جبر) ١١ / ٥٨ ، واللسان (جبر) ١ / ٣٩٥ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٤ .

هذا الذي ذكرنا معاني الجبار في صفة الله تعالى . وللجبار معانٍ في صفة الخلق :

أحدها : المسلط كقوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: ٤٥] .

والثاني : القوي العظيم الجسم كقوله : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة: ٢٢] ، وقوله : ﴿ إِنْ تُرِيدُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا ﴾ [القصص: ١٩] .

والثالث : التكبر على عبادة الله كقوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٢] .

والرابع : القتال كقوله : ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٠] .

وقوله : ﴿ إِنْ تُرِيدُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ ذكر ذلك ابن الأنباري^(١) ، ومضى الكلام على كل واحد في موضعه .

قوله : ﴿ الْمُتَكَبِّرِ ﴾ . قال ابن عباس : الذي تكبر بربوبيته ، فلا شيء مثله^(٢) .

وقال مقاتل : المتعظم عن كل سوء^(٣) ، وهو قول قتادة : الذي تكبر عن كل سوء^(٤) .

وقال أبو إسحاق : الذي تكبر عن ظلم عباده^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ٥١ / ١١ ، واللسان (جبر) ٣٩٥ / ١ ، وقد نسباه إلى اللحياني .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٠ ، ولفظه : «المتعظم على كل شيء» .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٨٥ ، وجامع البيان ٣٧ / ٢٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٥١ .

قال ابن الأنباري : المتكبر ذو الكبرياء ، والكبرياء ؛ عند العرب : الملك ،
ومنه قوله : ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكَبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) .

وقال أهل المعاني : المتكبر في صفة الله تعالى معناه الكبرياء فإنه أجلُّ من أن
يتكلف كِبْرًا ، والعرب تضع يفعل في موضع فعل ، يقولون : تظلم بمعنى ظلم ،
ومنه قول الجعدي :

وما يُشعرُ الرُّمَحُ الأصمُّ كُعبُهُ بثروة رهطِ الأثلجِ المتظلمِ^(٢)

ويقولون لشم الرجل إذا شتم ، قال الشاعر :

فقلْ لزهيرٍ إن شَتَمْتَ سَرَائِنَا فلسنا بشَتَّامينَ للمُتَشَتِّمِ^(٣)

* * *

(١) من الآية رقم : ٧٨ من سورة يونس . انظر : تهذيب اللغة ، واللسان (كبر) عن ابن الأنباري .

(٢) ديوان النابغة ١٤٤ ، وكتاب سيبويه في شرح شواهده للأعلم ٢٣٧ / ١ ، والأغاني ١٣٩ / ٤ ، والسبع الطوال ٣٤٧ ، وشروح سقط الزند : ٥٩٢ ، واللسان (ظلم) .

(٣) البيت لمعبد بن علقمة . انظر : الحياصة لأبي تمام ٣٦٢ / ١ .

تفسير

سورة الامتحان^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ . قال جماعة أهل التفسير : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم لما قصد فتح مكة ، فأنزل الله ينهاه عن موالاة الكفار^(٢) .

قوله تعالى : ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِأَلْمُودَةِ﴾ قال صاحب النظم : هو وصف للنكرة التي هي أولياء^(٣) ، وهو قول الفرّاء ، قال : وهو كقولك : لا تتخذنه رجلاً

(١) وهذه التسمية قال مقاتل ، وتسمى سورة المودة أيضاً ، والمشهور في تسميتها «سورة الممتحنة» بفتح الحاء ، وقد تكسر فعلى الأول هي صفة المرأة ، وعلى الثاني صفة السورة . انظر : تفسير مقاتل ١٥٠ ب ، وفتح الباري ٨ / ٦٣٣ ، وروح المعاني ٢٨ / ٦٥ .

(٢) أخرجه عامة المفسرين وأصحاب كتب السُّنة . انظر : تفسير مقاتل ١٥٠ ب ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٨٦ ، وجامع البيان ٢٨ / ٣٨ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٨٥ ، وفتح الباري ٨ / ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، وصحيح مسلم ، وفضائل الصحابة ، وسنن الترمذي في كتاب التفسير ، والدر ٦ / ٣٠٢ .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن ٢ / ٧٢٨ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٧ .

تلقني إليه كل ما عندك^(١)، قال : ويجوز أن تجعله ابتداء كلام ، فلا يكون صلة لأولياء^(٢) .

قال الفرّاء ، وأبو عبيدة ، والكسائي : الباء في ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ زيادة كهي في قوله : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾^(٣) ، وأنشد أبو عبيدة قوله :

هَنَّ الحرائرُ لا رَبَّاتُ أَخْمَرَةٍ سُودُ المحاجرِ لا يقرآنَ بالسُّورِ^(٤)

قال : الباء فصل ، والمعنى : لا يقرآن السور .

وقال الكسائي : يقال : رميت إليه بما في قلبي ، وما في نفسي ، وألقيت إليك ما في نفسي وبها في نفسي ، كلام عربي^(٥) .

وقال أبو إسحاق : المعنى يلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالموددة التي بينكم وبينهم ، ودليل هذا القول قوله : ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٩/٣ .

(٢) انظر : الكشف ٨٦/٤ ، والتفسير الكبير ٢٩٧/٢٩ .

(٣) من الآية رقم : ٢٥ من سورة الحج ، وانظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٧/٣ ، وتهذيب اللغة (لحد) ٤/٤٢٢ ، ونسبه إلى بعض أهل اللغة .

(٤) الحرائر : جمع حرة ، والربّات : ربة بمعنى الصاحبة ، والأخمرة : جمع حمار ، وروى : أخمرة ، وسود المحاجر : الإماء السود ، والمحاجر : جمع محجر ، وهو من الوجه حيث يقع عليه النقاب . ولم أجد البيت عند أبي عبيدة . وفي اللسان (لحد) نسبه إلى حميد الأرقط ، وهو في ديوان الراعي ١٠١ ، وانظر : مجالس ثعلب ٣٦٥ ، وجهرة اللغة ٣/٤١٤ ، ونسبه إلى القتال السكلابي ، وهو في ديوانه ٥٣ ، وفي معجم البلدان ٤/٢٣٧ ، ونسبه إلى القتال .

(٥) انظر : إيضاح الشعر للفارسي ٤٨١ ، واللسان (قرأ) ٤٢/٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥٥/٥ .

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ : الواو^(١) للحال ؛ لأن المعنى : وحالهم أنهم كفروا^(٢) .

﴿يَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ . قال مقاتل : يعني القرآن^(٣) .

﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ : يعني من مكة . ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ ؛ أي لأن تؤمنوا^(٤) ، كأنه قال : يفعلون ذلك لإيمانكم بالله ربكم .

قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ . قال الزَّجَّاج : هو شرط جوابه متقدّم ، وهو قوله : ﴿لَا تَنْخِذُوا عِدْوِي وَعِدَّكُمْ أُولِيَاءَ﴾^(٥) .

قوله : ﴿جِهَدَا فِي سَبِيلِي وَابْتَغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ منصوبان ؛ لأنها مفعولان لهما^(٦) .

وقوله : ﴿شُرُّونَ إِلَهُم بِالْمُودَةِ﴾ . قال مقاتل : بالنصيحة^(٧) . والكلام في الباء هاهنا كما ذكرنا^(٨) .

ثم ذكر أنه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء ، فقال : ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾ ؛ أي من كل أحد ﴿يَمَّا أَخْفَيْتُمْ﴾ من المودة للكفار ﴿وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ ؛ أي أظهرتم بألستكم منها ، ويجوز أن يكون عاماً في كل ما يخفى ويعلن .

(١) في (ك) : (والواو) .

(٢) انظر : الكشف ٨٦ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥١ أ .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرّاء ١٤٩ / ٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤١٢ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٥٦ / ٥ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤١٢ / ٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٧٢٨ / ٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٥١ أ ، والتفسير الكبير ٢٩٨ / ٢٩ .

(٨) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٦١ .

﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ : يجوز رجوع الكناية إلى الإسرار ، وإلى الإلقاء ، وإلى اتخاذ الكفار أولياء ؛ لأن هذه الأفعال قد ذكرت ، وهي تدل على المصادر ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ . قال ابن عباس : قصد الإيمان ^(٢) ، وقال مقاتل : فقد أخطأ قصد الطريق ^(٣) .

٢ . ثم أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم ، فقال : ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : إن يظفروا بكم ^(٤) .

وقال مقاتل : إن يظهروا عليكم ^(٥) . والمعنى إن يصادفوكم ويلقوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب ^(٦) ﴿وَالسِّنَنَّهُمْ﴾ بالشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ كما كفروا ، وأن ^(٧) ترجعوا إلى دينهم . والمعنى : أن أعداء الله لا يخلصون المودة لأولياء الله لما بينهم من الخلاف الذي يوجب المباينة ^(٨) ، فلا ينفعكم التقرب إليهم بنقل أخبار النبي ﷺ .

٣ . قوله : ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ﴾ : لما عوتب حاطب على ما فعل اعتقد بأن له أرحاماً وأولاداً في ما بينهم ، وليس له ^(٩) هناك من يمنع عشيرته ،

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤١٢ ، والكشاف ٤/ ٨٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٣ ، والتفسير الكبير ٢٩٨/ ٢٩ .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، وانظر : تنوير المقباس ٦/ ٥١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥١أ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩٩/ ٢٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٣٠ ، ولم ينسبه إلى قائل .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥١أ ، والكشاف والبيان ١٣/ ١٠٦ ب ، والتفسير الكبير ٢٩٩/ ٢٩ .

(٦) وقال غيره بالقتل والضرب ، ولعله الأقرب إلى معنى الآية . انظر : جامع البيان ٢٨/ ٤٠ ، والكشاف والبيان ١٣/ ١٠٦ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٣٠ .

(٧) في (ك) : (واس) .

(٨) في (ك) : (السلفة) .

(٩) في (ك) : (وأن له) .

فأراد أن يتخذ عندهم يداً ليحسنوا إلى من خلفهم بمكة من عشيرته ، فقال الله تعالى : ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ ^(١) التي بمكة ، أعلم الله أن أهلهم وأولادهم لا ينفعونهم شيئاً ، والمعنى على هذا : (ذوو أرحامكم) ، يعني القربات .

قال المفسرون : يقول : لا يدعونكم قرباتكم وأولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين ، فلن ينفعكم أولئك الذين عصيتهم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ﴾ الله ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ، فيدخل أهل طاعته والإيمان به الجنة ، وأهل معصيته والكفر به النار .

وقوله : ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يجوز أن يكون ظرفاً لقوله : ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ﴾ ، ويجوز أن يكون ظرفاً ليفصل في قوله : ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ ^(٢) ؛ أي الله تعالى . ودلّ على اسم الله قوله : ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ ، وهذه قراءة عاصم . وقرأ ابن كثير : (يُفْصِل) بضم الياء وفتح الصاد مخففة ، والمعنى راجع إلى الله تعالى ؛ لأنه ، وإن لم يُسم فاعله ، معروف أنه يفصل ، وهو خير الفاصلين ، كما أن قوله : ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] معناه : خلق الله الإنسان ، وُقرئ ^(٣) من التفصيل بالوجهين اللذين ذكرناهما في الفصل ، وهو يقتضي تكثير هذا الفعل ^(٤) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٢٩٩ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤١٢ ، ٤١٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٧٢٨

(٣) في (ك) : (وُقرئ من) ، والصواب : (وُقرئ يُفْصِل) .

(٤) قرأ عاصم ، ويعقوب : ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياء ، وكسر الصاد مخففة مع إسكان الفاء ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر : (يُفْصِلُ) بضم الياء ، وفتح الصاد مع إسكان الفاء ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (يُفْصِلُ) بضم الياء ، وفتح الفاء ، وكسر الصاد وتشديد هاء ، وقرأ ابن عامر : (يُفْصِلُ) بضم الياء ، وفتح الصاد مع التشديد . انظر : حجة القراءات ٦ / ٧٠٦ ، والحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، والنشر ٢ / ٣٨٧ ، والإتحاف ٤١٤ .

قوله : ﴿يَنْتَكُمُ﴾ ظرف على معنى الذي بينكم كقوله : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] في قراءة من نصب ، ومن لم يسند الفعل إلى الله ، وقرأه على غير تسمية الفاعل فقوله : ﴿يَنْتَكُمُ﴾ يجوز أن يكون ظرفاً كما ذكرنا .

قال أبو علي : وكان أبو الحسن يذهب في هذا النحو إلى أن الظرف أقيم مقام الفاعل ، وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام يجريه في أكثر الكلام منصوباً ؛ فاللفظ على هذا القول مفتوح ، والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله : ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] ، وما جاءني من رجل ، مجروراً ، والموضع موضع رفع^(١) .

قال ابن عباس في هذه الآية : لا يجمع بين كافر ومؤمن^(٢) .

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ : يعني بما عمل حاطب من مكاتبة أهل مكة ، (بصير) حين أخبر نبيه ﷺ بذلك^(٣) .

٤ . ثم ضرب لهم إبراهيم عليه السلام مثلاً حين تبرأ من قومه ونابذهم وباغضهم ، وهو قوله : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ . والأسوة : ما يؤتسى^(٤) به مثل القدوة ، والقدوة لما يقتدى به . ويقال : اتتس به ؛ أي اقتد به ، وكن مثله . ويقال هو أسوتك ؛ أي أنت مثله وهو مثلك ، وتجمع الأسوة والإسوة أسى . فالأسوة اسم لكل ما يقتدى به ، ومن يقتدى به أسوة أيضاً ، يقال : فلان أسوة في هذا الأمر ، وقدوة ؛ أي يؤتسى^(٥)

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٨٥ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٦ / ٥١ ، ولفظه : «يفرق بينكم وبين المؤمنين يوم القيامة» .

(٣) رواه عبد بن حميد عن مجاهد . الدر ٦ / ٢٠٥ .

(٤) في (ك) : (يأتسى) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (أسي) ١٣ / ١٣٩ ، واللسان (أسا) ١ / ٦٣ ، والمفردات (أسا) ١٨ .

ويقتدى به ، ولك به أسوة ؛ أي اتساء ، وفي فلان أسوة ؛ أي يتأسى به^(١) .

قال المفسرون : أعلم الله - عز وجل - أن إبراهيم وأصحابه تبرأوا من قومهم ، وعادوهم ، وقالوا لهم : ﴿ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ ﴾ ، وأمر أصحاب رسول الله ﷺ أن يتأسوا بهم وبقولهم . قال الفرّاء : يقول : أفلا تأسيت يا حاطب بإبراهيم ، فتتبرأ من أهلك كما برئ إبراهيم ﷺ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ . قال ابن عباس : كان لهم أسوة حسنة في صنع إبراهيم كله إلا في استغفاره لأبيه وهو مشرك^(٣) .

وقال مجاهد : نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين ، وقال قتادة : يقول : اتأسوا بأمره^(٤) كله إلا في استغفاره لأبيه ، فلا تأتسوا به في ذلك ؛ لأنه كان عن موعدة منه ، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرأ منه^(٥) .

وقال مقاتل : يقول الله : تبرأوا من كفار قومكم ، فإن لكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه من المؤمنين في البراءة من قومهم المشركين ، وليس لكم أسوة في

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤٩ / ٣ .

(٢) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصحّحه من طريق سعيد بن جبير . الدر ٢٠٥ / ٦ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم ، وصحّحه عن ابن عباس . انظر : جامع البيان ٤١ / ٢٨ ، والدر ٢٠٥ / ٦ ، وتفسير مجاهد ٦٦٧ / ٢ .

(٤) في نسخة (ك) : (إبراهيم) .

(٥) انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٨٧ ، وجامع البيان ٤١ / ٢٨ ، وتفسير غريب القرآن ٤٦١ ، والبحر المحيط ١ / ٢٥٤ ، ونسبه إلى قتادة ، ومجاهد ، وعطاء الخراساني .

إبراهيم في الاستغفار لأبيه فتقتدوا به في الاستغفار للمشركين^(١)^(٢)، هذا الذي ذكرنا هو قول جماعة المفسرين .

وقال ابن قتبية : يريد أن إبراهيم عاداهم وهجرهم في كل شيء إلا في قوله لأبيه : لأستغفرن له^(٣) . قال ابن الأنباري : ليس الأمر على ما ذكره ، بل المعنى : قد كان لكم أسوة حسنة في كل شيء فعله إبراهيم إلا في قوله لأبيه : ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ ؛ فإن هذا مما لا يجب أن تتأسوا به فيه^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمَلُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ : هذا من قول إبراهيم لأبيه ، يقول : ما أغني عنك شيئاً ، وما أدفع عنك عذاب الله إن أشركت به وعصيته ، فوعده^(٥) الاستغفار رجاء إسلامه ، وأن ينقله الله بالاستغفار من الكفر إلى الإيمان ، وذكر أنه لا يغني عنه شيئاً سوى أن يستغفر له على رجاء أن يسلم ، وهذه القصة مشروحة في آخر سورة براءة^(٦) .

٥ . قال ابن عباس : وكان من دعاء إبراهيم وأصحابه قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٧) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا^(٨) . قال مجاهد : لا تعذبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا^(٩) : لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا^(٩) .

(١) في (ك) : (استغفار المشركين) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٧ ب .

(٣) انظر : تأويل المشكل ٢٧٧ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠٠ / ٢٩ .

(٥) في (ك) : (بوعده) .

(٦) عند تفسيره الآية رقم : ١١٤ من سورة براءة .

(٧) انظر : التفسير الكبير ٣٠١ / ٢٩ .

(٨) في (ك) : (فيقولون) .

(٩) انظر : تفسير مجاهد ٦٦٧ / ٢ ، وجامع البيان ٤٢ / ٢٨ ، والدر ٢٠٥ / ٦ .

قال أبو إسحاق : معناه لا تظهرهم علينا ، فيظنوا أنهم على حق ، فيفتنوا بذلك^(١) .

وقال الفرّاء : يقول : لا تظهر علينا الكفار ، فيروا أنهم على حق ، وإنّا على باطل^(٢) .

وقال مقاتل : لا تقتِر علينا الرزق وتبسط لهم ، فيكون ذلك فتنة لهم^(٣) ، ونحو هذا قال الكلبي في أحد قوليّه ، وقال في القول الثاني : الذين كفروا أهل مكة ؛ أي لا تذللنا لمشرّكين ، ولا تسلطهم علينا يفتنوننا عن ديننا ويعذبوننا ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤) ، وعلى هذا ليست الآية من قول إبراهيم وأصحابه ، وكأنه قيل لأصحاب النبي ﷺ قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، فأضمر القول .

٦ . ثم أعاد ذكر الأسوة تأكيداً للكلام ، فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ ﴾ ؛ أي في إبراهيم والذين معه من المؤمنين . ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ . قال ابن عباس : كانوا ييغضون من خالف الله ، وييغضون أعمالهم ، ويحبون من أحب الله^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ١٥٧/٥ ، وهو قول قتادة كما ذكره الطبري في جامعه ٤٢/٢٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٥٠/٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥١ ب ، ولفظه : « لا تقتِر علينا بالرزق وتبسط لهم في الرزق فيحتاج إليهم فيكون ذلك فتنة لنا » .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٥٢/٦ ، والتفسير الكبير ٣٠٢/٢٩ ، وصدرَ هذه الأقوال بقليل من دون نسبة إلى قائل .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠٢/٢٩ .

قوله تعالى : ﴿لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ بدل من قوله : ﴿لَكُمْ﴾^(١) ،
وبيانه أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة ، ويخشى اليوم الذي^(٢)
فيه جزاء الأعمال . ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ ؛ أي يعرض عن الائتساء بهم ، ويميل إلى موالاة
الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه وأهل طاعته .

٧ . قال مقاتل : فلما أمر الله المؤمنين بعبادة الكفار والبراءة منهم عادوا
أقرباءهم وأرحامهم ، وأظهروا لهم العداوة ، وعلم الله شدة وجد
المؤمنين في ذلك ، فأنزل قوله : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ
مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ ؛ أي من كفار مكة مودة ، وفعل ذلك بأن أسلم كثير منهم
وخالطوا المسلمين وناكحوهم ، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت
أبي سفيان ، فلان لهم أبو سفيان^(٣) .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ يريد نفراً من قريش
آمنوا بعد فتح مكة ، منهم : أبو سفيان بن حرب ، وأبو سفيان بن الحارث^(٤) ،
والحارث بن هشام^(٥) ، وسهيل بن عمرو^(٦) ، وحكيم بن حزام .

(١) انظر : الكشف ٨٧ / ٤ .

(٢) قوله : (الذي) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥١ ب ، والكشف والبيان ١٠٧ / ١٣ ب ، والتفسير الكبير ٣٠٢ / ٢٩ .

(٤) أبو سفيان بن الحارث ، كان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وكان يحب الرسول ﷺ قبل البعثة ،
ثم انقلبت محبته إلى عداوة ، وكان شاعراً يهجو الرسول وأصحابه ، أسلم عام الفتح وأبل في حنين
رضي الله عنه ، توفي سنة ٢٠ هـ ، وقيل : بعد استخلاف عمر بسنة وسبعة أشهر . انظر : صفة الصفوة
١ / ٥١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١ / ٢٠٢ .

(٥) الحارث بن هشام ، أخو أبي جهل ، شهد بدرًا مع المشركين فانهزم ، وأسلم يوم فتح مكة ، وخرج في
زمن عمر إلى الشام ، ولم يزل مجاهداً حتى مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . انظر : المعارف
٢٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤١٩ ، والإصابة ١ / ٢٩٣ ، والاستيعاب ١ / ٣٠٧ ، وتهذيب ابن
عساكر ٨ / ٤ .

(٦) سهيل بن عمرو ، أسلم بالجعرانة بعد غزوة حنين ، وخرج إلى الشام في خلافة عمر ، فمات بها في =

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على جعل المودة ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهم إذا تابوا وأسلموا ورجعوا .

٨. قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَنكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ : اختلفوا في المراد بقوله : ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؛ فالأكثر على أنهم أهل العهد الذين عاهدوا رسول الله ﷺ على ترك القتال والمظاهرة في العداوة ، وهم خزاعة ، وكانوا عاقدوا النبي ﷺ أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه ، فأمر النبي ﷺ بالبر والوفاء لهم إلى مدة أجلهم ، وهذا قول المقاتلين ^(١) .

وروى مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ^(٢) عن أبيه أنه قال : قدمت قتيلة ابنة عبد العزى ^(٣) ^(٤) على ابنتها أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - بهدايا وهي كافرة ، فأبت أسماء أن تقبل منها وتدخلها منزلها ، وأرسلت إلى عائشة لتسألها رسول الله ﷺ أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها ، فأنزل الله هذه الآية ^(٥) ، وعلى هذا القول المراد بقوله : ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ النساء والصبيان .

طاعون عمواس ، وهو نائب قريش في صلح الحديبية مع رسول الله ﷺ . انظر : المعارف ٢٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ١٩٢ ، وأسد الغابة ٢/ ٣٧١ ، والإصابة ٢/ ٩٣ ، والأعلام ٣/ ١٤٤ .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٣ ، ولم ينسبه إلى قائل ، وانظر : تفسير مقاتل ١٥٢ أ ، والإيضاح لناسخ القرآن لمكي ٤٣٢ ، ونسبه إلى الحسن ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٨ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وكذا البغوي في تفسيره ٤/ ٣٣١ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٤ ، ونسبه إلى ابن عباس ، والمقاتلين ، والكلبي .

(٢) هو مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، روى عن أبيه ، وعطاء ، وطائفة ، ضعّفه ابن معين ، وقال ابن حجر : كان لين الحديث عابداً ، توفي سنة ١٥٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٨ ، والجرح والتعديل ٨/ ٣٠٤ ، وشذرات الذهب ١/ ٢٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٥٠ .

(٣) هي قتيلة بنت عبد العزى ، كانت امرأة لأبي بكر - رضي الله عنه - فطلقها في الجاهلية . انظر : البحر المحيط ٨/ ٢٥٥ .

(٤) في (ك) : (قدمت قتيلة بنت أسماء) .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/ ٤٨٥ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه =

وقال ابن عباس : يريد قوماً من بني هاشم ، منهم العباس ، أخرجوا يوم بدر كرهاً ، وهذا قول مرة وعطية^(١) .

قوله تعالى : ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : أن في موضع خفض بدل من الذين . المعنى : لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم في الدين ، وهذا يدل على أن المراد لا ينهاكم الله عن برِّ الذين لم يقاتلوكم^(٢) .

قال أهل التأويل : وهذه الآية تدل على أن^(٣) جواز البرِّ بين المسلمين والمشرِّكين ، وإن كانت المودة منقطعة ، فإن الله تعالى أباح ذلك في هذه الآية^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد بالصلة وغير ذلك^(٥) . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ : يريد أهل البر والتواصل .

وقال المقاتلان : أن توفوا لهم بعهدهم وتعزلوا^(٦) .

الذهبي . وفي مجمع الزوائد ١٢٣ / ٧ ، من رواية أحمد ، والطبراني ، والبيهقي ، وقال : وفيه مصعب بن ثابت ، وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقي رجاله رجال الصحيح . وفي تحريجات الكشاف ١٦٨ ، قال ابن حجر : « وحديث أسماء في الصحيحين عن عروة بغير هذا السياق » . انظر : أسباب النزول للواحدي ٤٨٨ ، والدر ٢٠٥ / ٦ .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٠٨ ، وزاد المسير ٨ / ٢٣٧ ، وروح المعاني ٢٨ / ٧٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٥٧ .

(٣) في (ك) : (على أن) ، والصواب حذفها .

(٤) والآية محكمة في قول مجاهد ، والحسن ، وهو المعتمد عند ابن جرير وغيره . انظر : جامع البيان ٢٨ / ٤٣ ، والإيضاح لناسخ القرآن لمكي ٤٣١ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٣٩ . وقال النحاس : « وليس لقول من قال إنها منسوخة معنى ؛ لأن البر في اللغة إنما هو لين الكلام والمواساة وليس هذا محظوراً أن ينقله أحد بكافر . . . » . إعراب القرآن ٣ / ٤١٦ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٦ / ٥٤ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٢٠٤ .

قال أبو إسحاق : أي وتعطلوا في ما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد^(١) .

وقال المبرّد : يقال : أقسّطت إلى الرجل إذا عاملته بالعدل .

وقال مجاهد : هذه الآية نزلت في الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا^(٢) ، وهذا قول الربيع في الآية .

٩ . ثم ذكر من الذين ينهاهم عن صلتهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ إلا قوله : ﴿ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ﴾ : أن في موضع خفض على البدل كما ذكرنا في الآية الأولى^(٣) . والمعنى : إنما ينهاكم الله عن أن تتولوا هؤلاء الذين قاتلوكم . قال أبو إسحاق : أي إن مكاتبتهم بإظهار ما أسرّه النبي ﷺ موالاة^(٤) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ الآية . قال جماعة المفسرين : لما قاضى رسول الله ﷺ عام الحديبية المشركين على أن يرد إليهم من جاء من المسلمين منهم ، ولا يردون من جاءهم من المسلمين ، وكتبوا بذلك العهد : جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية^(٥) مؤمنة

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥٨/٥ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٦٦٨/٢ ، وجامع البيان ٤٣/٢٨ ، والدرر ٣٠٥/٦ .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن ٧٢٩/٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥٨/٥ .

(٥) سبيعة بنت الحارث الأسلمية ، أسلمت بعد صلح الحديبية ، ويؤيد هذا أن هبة الله في الناسخ والمنسوخ ذكر أن النبي ﷺ لما أنصرف من الحديبية لحقت به سبيعة بنت الحارث ، امرأة من قريش ، فبان أنها غير الأسلمية التي تروي عدة المرأة التي مات عنها زوجها ، وهذا قول العقيلي ، ومنهم من قال بأنها هي ، والله أعلم . الإصابة ٣٢٤/٤ ، ٣٢٥ . انظر : تهذيب التهذيب ٤٢٤/١٢ ، والكاشف ٤٧٢/٣ .

إلى المسلمين وزوجها مسافر المخزومي -وقال المقاتلان- زوجها صيف بن الراهب^(١).

وقال الزهري : جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي عاتق^(٢) ، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم ، وهذا قول ابن عباس ، إلا أنه قال : هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخوها عمارة والوليد ، فرد رسول الله ﷺ أخويها وحبسها ، فقالوا للنبي ﷺ ردها علينا ؛ فإن شرطنا عليك أن من أتاك من عندنا أن ترده علينا ، فقال النبي ﷺ : «لو كان الشرط في الرجال ، ولم يكن في النساء»^(٣) ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾^(٤) ، سمَّاهن مؤمنات ، ولم يعرفن بالإيمان ، وقبل أن يصلوا إلى النبي ﷺ لإظهارهن الإيمان وكلمة التصديق .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٢أ ، والكشف ١٣/١٠٨ ب ، وأسباب النزول للواحدي ٤٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤/٣٣٢ .

(٢) العاتق : الشابة أول ما تُدرك ، وقيل : هي التي لم تبين من والديها ولم تتزوج ، وقد أدركت وشبت . اللسان (عتق) ٢/٦٧٨ .

(٣) قال ابن حجر : وهذا لو ثبت كان قاطعاً للنزاع ، لكن يؤيد الأول والثالث ما تقدّم في أول الشروط ، وهو حديث أم كلثوم الآتي ، وقوله الأول والثالث هو قول من قال بأن حكم النساء نسخ بهذه الآية ، أو هو عام أريد به الخصوص ، ويُنّ ذلك عند نزول الآية . فتح الباري ٩/٤١٩ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٤/٣٥ .

(٤) انظر : صحيح البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الحديبية (٣١) ٥/١٦٢ ، وفيه : «فجاء أهلها» ، وفي حديث عبد الله بن أبي أحمد بن جحش : «... فخرج أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط حتى قدما المدينة فكلما رسول الله ﷺ أن يردّها إليهم...» . الحديث . انظر : الكشف والبيان ١٣/١٠٨ ب ، وفتح الباري ٧/٤٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٥٠ ، ومجمع الزوائد ٧/١٢٣ ، وزاد المسير ٨/٢٣٨ . قلت : وهَم المؤلف -رحمه الله- في قوله : «ومعها أخوها عمارة والوليد» ؛ لأن الوليد -رضي الله عنه- لم يسلم إلا عام الفتح ، ولما ثبت في الصحيح من أنها جاءا لطلبها ، والله أعلم .

قوله : ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ . قال المفسرون : ذلك أن يستخلف المهاجرة ما هاجرت لبغض زوجها ، ولا لحدث أحدثته ، ولا خرجت عشقاً لرجل من المسلمين ، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام^(١) ، فهذا هو معنى الامتحان المأمور به .

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ ؛ أي إن هذا الامتحان لكم والله عالم بإيمانهن ؛ لأنه يتولى السرائر ، وأما أنتم فإنما تعرفون الظواهر ، وهو قوله : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ ؛ أي بما يُظهرون من الإيمان .

وقال مقاتل : فإن علمتموهن مؤمنات قبل المحنة^(٢) ، وجملة الكلام في هذا أن المرأة إذا هاجرت الكفار إلى المسلمين وأظهرت الإيمان لم يجوز ردها إلى الكفار ، وإن كان بيننا وبينهم عهد بأن نرد إليهم من جاءنا من عندهم مسلماً ، والأمر بالامتحان أمر استحباب وهو غير واجب^(٣) ، فإذا عرفناها مؤمنة لم يجوز ردها إليهم بحال ، وإنما يعرف ذلك بإقرارها ، وذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ، واختلفوا في أن ذلك العهد الذي جرى بينهم بالحديبية : هل يتناول النساء أم لا ؟

قال عروة بن الزبير : إن الله نقض العهد في النساء ومنعهن أن يردون وحكم فيهن بالذي حكم ، وهذا يدل على أن العهد كان عاماً في الرجال والنساء ، ثم أمضى الله ذلك في الرجال ، ومنع في النساء^(٤) .

(١) ذكر المفسرون نحو هذا عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وعكرمة ، وغيرهم . انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ ، وتفسير مجاهد ٢/٦٦٨ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٨٨ ، وجامع البيان ٢٨/٤٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٥٠ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ أ .

(٣) أخرجه ابن إسحاق ، وابن سعد ، وابن المنذر ، وابن جرير ، وغيرهم . انظر : جامع البيان ٢٨/٤٥ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٧/١٧٠ ، والدر ٦/٢٠٦ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان ، وهو قول مقاتل بن سليمان أيضاً . انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ أ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٥٠ .

وقال المقاتلان : إن النبي ﷺ كان عالماً بأن الشرط ممنوع في النساء ، ولكن أوهم المشركين بإطلاق العهد أنهن مردودات .

القول الثاني : أنه لم يعلم أن الشرط في النساء باطل ، حتى أعلمه الله أنهن غير مردودات ولا داخلات في العهد .

قوله تعالى : ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ . قال ابن عباس : لم يحل الله مؤمنة لكافر ، ولا نكاح مؤمن لمشركة ^(١) .

وقوله : ﴿وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ : يعني أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر . قال أصحابنا : إنما أمرنا أن نغرم مهرهن ؛ لأنهن كن داخلات في الشرط الذي شرط رسول الله ﷺ برّد من جاءه منهن على أحد القولين ، فلزم العزم لأنهن دخلن في العقد ثم منعناهن ، وإذا قلنا لم يدخلن في العقد فالعزم إنما كان لإيهام رسول الله ﷺ إيهام أنهن داخلات في الشرط ، ثم لم يلزم غرم المهر إلا إذا طالب الزوج الكافر بذلك ، وحضر لطلبه ، فإذا حضر وهي باقية عندنا منعناها وغرمنا له صداقها ، وإن كانت ماتت قبل حضور الزوج ما ^(٢) نغرم المهر ؛ لأن المنع لم يتحقق ، وإنما نغرم الصداق المسمى في أصل العقد لا مهر المثل ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ ، وهذا يتناول المسمى في العقد ، فإن كان المسمى خمراً أو خنزيراً لم نغرم شيئاً ؛ لأن ذلك ليس بهال ، وإن كان المسمى مالاً ولكنه لم يسلمه إليها لم نغرم له شيئاً ؛ لأنه ما أنفق شيئاً ، وكذلك لو كانت أبرأته .

وقال مقاتل : يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين ، فإن لم يتزوجها من المسلمين أحد فليس لزوجه الكافر شيء ^(٣) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥٥ / ٦ .

(٢) كذا في (ك) ، ولعل صوابها : (لم) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ أ .

قوله : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ : أباح الله نكاحهن بشرط المهر ؛ لأن الإسلام فرّق بينها وبين زوجها الكافر ، وهذا مختلف بالمرأة ؛ فإن إسلامها إن كان قبل المسيس بانّت منه بنفس الإسلام ولا عدة لها ، ولها أن تنكح مسلماً في الحال ، وإن كان بعد المسيس كان النكاح موقوفاً على انقضاء العدة ، فإن أسلم الزوج قبل انقضاء العدة فهما على النكاح الأول ، وإن انقضت عدتها قبل إسلام الزوج علمنا أنها بانّت منه يوم أسلمت^(١) .

قوله : ﴿وَلَا تُنْكِحُوا عِصْمَ الْكَافِرِ﴾ . قراءة أبي عمرو من التمسك ، يقال : مسك يمسك ، مثل أمسك يمسك ، وحجته قوله : ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الأعراف : ١٧٠] ، وقراءة الباقيين بالتخفيف من الإمساك^(٢) . والعصم جمع العصمة ، وهي كل ما عصمك واعتصمت به . قال أبو عبيدة : أصل العصمة : الحمل والسبب^(٣) .

قال ابن عباس : العصمة النكاح في ما بيننا^(٤) .

قال مقاتل : يعني بعقد الكوافر ، يقول : لا تعقد بامراتك الكافرة فإنها ليست لك بامرأة^(٥) ، وقال المفسرون : من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها ؛ فقد انقطعت عصمته منها ، ولا عصمة بين المشركة والمؤمن . فإذا أسلم الزوج وامراته الوثنية بقيت على الكفر حتى انقطعت عدتها ؛ فقد انقطعت بينهما بانقضاء العدة ، وانبت عقدة النكاح^(٦) .

(١) انظر : زاد المسير ٢٤٢ / ٨ ، ونسبه الأوزاعي والليث ومالك والشافعي .

(٢) قرأ أبو عمرو ، ويعقوب : (وَلَا تُمَسِّكُوا) بالتشديد ، وقرأ الباقون : ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ بالتخفيف .

انظر : حجة القراءات ٧٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٢٨٦ / ٦ ، والنشر ٣٨٧ / ٢ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٥٧ ، وتهذيب اللغة (عصم) ٥٣ / ٢ .

(٤) كذا في (ك) ، ولم أجده .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١١٥٢ .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٣٣ ، وزاد المسير ٨ / ٢٤٢ .

قوله تعالى : ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ ؛ أي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسئلوهم ما أنفقتم من المهر ، هذا إذا منعوها ولم يدفعوها إلينا ، فعليهم أن يغرموا لنا صداقها كما يغرم لهم ^(١) ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ ، يعني ما ذكر في هذه الآية من الحكم ، فإن رضوا بهذا الحكم ، وردوا المهر على المسلم أخذه ، وإن لم يردوا طائعين أو كانوا أهل حرب ولم يكونوا أهل عهد ، فالحكم ما ذكره في قوله : ﴿وَلَيْنَ فَاتَكُمُ﴾ الآية .

قال الزهري : لما نزل قوله : ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ الآية ، أقر المؤمنون بحكم الله ، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين ، وأبى المشركون أن يقرؤا بحكم الله في ما أمر من أداء نفقات المسلمين ، فأنزل الله : ﴿وَلَيْنَ فَاتَكُمُ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ ^(٢) .

١١ . قال الفرءاء : وفي قراءة عبدالله : ﴿وَلَيْنَ فَاتَكُمُ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ وأحد يصلح في موضع شيء وشيء في موضع أحد في الناس ، يقول : إن أعجزتك امرأة ذهبت مريدة فلحقت بأهل مكة كافرة ^(٣) . قال الحسن ومقاتل : نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ، ارتدت وتركت زوجها

(١) انظر : زاد المسير ٨ / ٢٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٦ .

(٢) أخرجه ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وعبد الرزاق . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٨٨ ، وجامع البيان ٢٨ / ٤٨ ، والدر ٦ / ٢٠٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرءاء ٣ / ١٥١ ، وفيه : «بأهل مكة كافرة ، وليس بينكم وبينهم عهد فعاقبتهم ، يقول : فغنمتم ، فأعطوا زوجها مهرها من الغنيمة قبل الخمس» . وعليه فالعبارة قد سقطت عند المؤلف رحمه الله .

عياض بن غنم القرشي^(١) - ولم ترد امرأة من قريش غيرها - ثم عادت إلى الإسلام^(٢) .

قوله : ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ ؛ أي فغتمتم^(٣) ، قاله ابن عباس ، ومسروق ، وإبراهيم .
قال أبو عبيدة : ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ أصبتم منهم عقبة^(٤) .

وقال المبرّد : ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ فعلتم ما فعل بكم ؛ أي ظفرتهم ، وهو من قولك :
العقبى لفلان ؛ أي العاقبة بعد الأولى ، وتأويل العاقبة الكرة الآخرة^(٥) .

وقال ابن قتيبة : ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ ؛ أي أصبتم عقبى ؛ أي غنيمة من غزو ، ومعنى
﴿عَاقَبْتُمْ﴾ غزوتهم معاقبين غزواً بعد غزو^(٦) .

وقال أبو إسحاق : تأويله في اللغة : فكانت العقبي لكم ؛ أي كانت الغلبة
لكم حتى غنمتم ، قال : ومعنى ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى
غنمتم^(٧) . ومعنى الآية : فغنمتم من العدو شيئاً ، فإن صارت العاقبة في الظفر

(١) عياض بن غنم القرشي ، أسلم قبل الحديبية ، وشهدها مع رسول الله ﷺ . ولما حضرت أبا عبيدة
الوفاة ولّاه على الشام فأقره عمر . توفي سنة عشرين وهو ابن ستين سنة رضي الله عنه . انظر : صفة
الصفوة ١/ ٦٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ ب ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٧ ، والدر ٦/ ٢٠٨ عن الحسن . وفي تنوير
المقباس ٦/ ٥٧ ، وعند الثعلبي في تفسيره ١٣/ ١١٠ ب : ست نسوة رجعن عن الإسلام ولحقن
بالمشركين .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٨/ ٥٠ ، والتفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٧ ، والدر ٦/ ٢٠٧ عن ابن عباس والنخعي .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٥٧ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٧ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٦٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٦٠ .

لكم فأعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا عليهن من المهر ، وهو قوله : ﴿ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ ﴾ . قال الكلبي : لما فتح رسول الله ﷺ مكة غرم من الغنيمة للذين ذهبوا أزواجهم إلى الكفار مهوور نسائهم ، جاءته نساء أهل مكة يبايعنه ، فأنزل الله هذه الآية ^(٨) ، وشرط في مبايعة النساء أن يأخذ عليهن هذا الشرط الذي ذكره في هذه الآية ، وهو قوله : ﴿ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ . قال المفسرون : يعني بالأولاد الذي كان يفعله الجاهلية ، ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ^(٩) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِ وَأَرْجُلَيْهِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد لا تلحق بزوجه ولدًا ليس منه ^(١٠) ، وقال الكلبي : هو أن تجيء بالصبي من غير زوجها فتقول لزوجها : هو منك وأنا ولدته ، وهذا قول جماعة المفسرين ^(١١) .

(٨) يظهر لي - والله أعلم - أن في العبارة خلطاً ، واستقامتها : وهو قوله : ﴿ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ ، فغرم من الغنيمة للذين ذهبوا أزواجهم إلى الكفار مهوور نسائهم . قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ ﴾ . قال الكلبي : « لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته نساء » ، وانظر : زاد المسير ٨ / ٢٤٤ ، ونسبه إلى المفسرين .

(٩) في (ك) : (التي) .

(١٠) انظر : زاد المسير ٨ / ٢٤٦ ، وروح المعاني ٢٨ / ٨٠ .

(١١) أخرجه ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . انظر : جامع البيان ٢٨ / ٥١ ، والدر ٦ / ٢١٠ ، وتنوير المقباس ٦ / ٥٨ ، وتفسير مقاتل ١٥٣ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٥٤ .

(١٢) انظر : تنوير المقباس ٦ / ٥٨ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٣٥ ، وزاد المسير ٨ / ٢٤٦ ، ولم ينسب إلى قائل .

قال الفرّاء : كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها : هذا ولدي منك ، فذلك البهتان المفترى ^(١) .

وقال أبو إسحاق : أي لا يأتين بولد ينسبونه إلى الزوج ، فإن ذلك بهتان وفرية ^(٢) .

ومعنى ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ ؛ أي مفترينه ؛ أي أنفسهم بأن يقلن : نحن ولدنا ، وإنما قيل : ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ ؛ لأن الولد إذا وضعته الأم سَقَطَ بين يديها ورجليها ، وليس المعنى على هذا ^(٣) نهيهن من أن يأتين بولد من الزنا فينسبونه إلى الأزواج ؛ لأن النهي عن الزنا ^(٤) قد تقدّم ، ولأنها إذا كانت ذات زوج وزنت كان الولد لاحقاً بالزوج بحق الفراش .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ . قال الكلبي : في معروف مما تأمرهن به ، وتنهاهن عنه كالنوح ، وتمزيق الثياب ، وجز الشعر ، وشق الجيب ، وأن تخلو بغير ذي محرم ، وأن تسافر سفراً مع ^(٥) غير ذي محرم ، ونحو هذا قال المقاتلان ^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٥٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٦٠ .

(٣) (هذا) ساقطة من نسخة (ك) .

(٤) في (ك) : (لأن الشرط بنهي الزنا) .

(٥) (مع) ساقطة من نسخة (ك) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٥٣ أ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١١ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٣٥ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٨ . وأخرج ابن جرير ٢٨ / ٢٥ ، وعبد الرزاق ٢ / ٢٨٩ عن قتادة بسند صحيح قوله : «هو النوح أخذ عليهن لا ينحن ولا يخلون بحديث الرجال إلا مع ذي محرم ، قال : فقال عبد الرحمن بن عوف : إننا نغيب ويكون لنا أضياف ، قال : ليس أولئك عنيت» . فتح الباري ٨ / ٦٤٠ . وإسناده إلى قتادة صحيح ، ولكنه مرسل حيث سقط منه اسم الصحابي الذي رواه . انظر : تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ٢ / ٨٧٦ .

وهو معنى قول ابن زيد : لا ينشرون شعراً ، ولا يخمشن وجهاً ، ولا يدعون ويلاً .

وكثير من المفسرين خصوا هذا المعروف بالنهي عن النوح ، وهو قول سالم بن أبي الجعد^(١) ، وعكرمة ، وجماعة ، قالوا : لا تنحن نوح الجاهلية^(٢) .

قالت أم عطية : كان في ما اشترط علينا في البيعة أن لا ننوح^(٣) .

وقالت أم سلمة^(٤) : قالت امرأة : يا رسول الله : ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه ؟ قال : لا تنحن^(٥) .

وروى الربيع عن أبي العالية في قوله : ﴿ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ ، قال : في كل أمر وافق طاعة الله فلم يرض الله لنبيه أن يطاع في معصية الله^(٦) ، وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ : في كل برٍّ وتقوى . ويريد فرائض الله^(٧) . قال أبو إسحاق : والجملة أن المعنى لا يعصينك في جميع ما تأمرهن^(٨) به بالمعروف^(٩) .

(١) (أبي) ساقطة من نسخة (ك) .

(٢) انظر : جامع البيان ٥١ / ٢٨ ، والدر ٢١٠ / ٦ .

(٣) وهو حديث صحيح ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : إذا جاءك المؤمنات يبائعنك ١٨٧ / ٦ ، ولفظه : « قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ : ﴿ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ » .

(٤) أم سلمة هي هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية ، آخر أمهات المؤمنين وفاة ، توفيت سنة إحدى وستين ، وقيل تسع وخمسين ، وقبرت بالبقيع ، وهي ابنة أربع وثلاثين سنة رضي الله عنها . انظر : الإصابة ١٣ / ١٦١ ، وصفة الصفوة ٤٠ / ٢ ، والعبر ٤٨ / ١ ، والبداية والنهاية ٨ / ٢١٤ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، وابن ماجه في سننه ، والترمذي في سننه .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة . انظر : المصنف لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والدر ٢١٠ / ٦ .

(٧) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٣٥ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٨ ، ذكرنا نحوه من دون نسبة إلى قائل .

(٨) في نسخة (ك) : (تأمر) .

(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٦٠ ، وأخرجه الثعلبي عن الكلبي من غير سند . الكشف والبيان ١١١ ب .

قوله تعالى : ﴿فَبَايَعْنَهُنَّ﴾ جواب لـ ﴿إِذَا﴾ في أول الآية ؛ أي إذا بايعتك على هذا الشرط فبايعهن . واختلفوا في كيفية بيعه النبي ﷺ مع النساء ؛ فروى سالم بن أبي الجعد عن أبي فليح ، قال : كان رسول الله ﷺ يبايع النساء على الصفا ، وجلس معه عمر ، فجعل يشترط على النساء للبيعة ، وعمر يصافحهن .

وروى الزهري عن عروة عن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ، وما مسّت^(١) يد رسول الله ﷺ النساء للبيعة ، فقلت : ألا تحسر لنا عن يديك ؟ قال : إني لست أصافح النساء ، ولكن آخذ عليهم^(٢) .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : «أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدر من ماء فغمس يده ثم غمسن أيديهن فيه»^(٣) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد حاطب بن أبي بلتعة يقول : لا تتولوا اليهود والمشركين^(٤) ، وقال مقاتلان : يقول للمؤمنين : لا تتولوا اليهود ؛

(١) في (ك) : (مس) .

(٢) مما يظهر من سياق المؤلف - رحمه الله - خلطه بين حديثين : أحدهما حديث عائشة رضي الله عنها ، وفيه : «ولا والله ما مسّت يده امرأة قط في المبايعه ، ما يبايعهن إلا بقوله : قد بايعتك على ذلك» . رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب : إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ٦ / ١٨٧ ، وفي كتاب الطلاق ، باب : إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي ٧ / ٦٤ ، وروى الحديث الآخر ، وهو حديث أميمة بنت رقيقة ، وفيه : «فقلن : يا رسول الله . إسبط يدك نصافحك ؛ قال : إني لا أصافح النساء ، ولكن سأخذ عليكن . . .» . الحديث . رواه أحمد في المسند ، وقال ابن كثير : إسناده صحيح ، ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، كلهم عن محمد بن المنكدر عن أميمة .

(٣) قال ابن حجر : «أخرجه ابن سعد عن الواقدي ، عن أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب نحوه . وله شاهد في الطبراني ، عن عروة بن مسعود ، وآخر في تاريخ أصبهان لأبي نعيم في حرف الحاء من حديث أسماء بنت يزيد . تخریجات الكشف ١٦٩ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٩ .

وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين ،
يتواصلون إليهم بذلك ، فيصيبون من ثمارهم ، فنهى الله عن ذلك ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَسْئُلُونَكَ مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ : يعني أن اليهود كذبت محمداً ﷺ وهم ^(٢)
يعرفون أنه رسول صادق ، وأنهم قد أفسدوا عليهم آخرتهم بتكذيبهم إياه ؛ فهم
آيسون من أن يكون لهم في الآخرة خير .

قوله تعالى : ﴿ كَمَا يَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ ؛ أي كما يس الكفار الذين
ماتوا ، وصاروا في القبور ، وتبينوا أن لا حظ لهم في الآخرة .

وهذا قول الكلبي ، والمقاتلان ، وعكرمة ، وعطاء عن ابن عباس ، قالوا :
يعني الكفار الذين ماتوا فيئسوا من الجنة ، ومن أن يكون لهم في الآخرة خير ^(٣) .

وقال الحسن : يعني الكفار الأحياء يئسوا من الأموات ^(٤) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٣ أ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٢ ب ، وأسباب النزول للواحدي ص : ٤٩٠ ،
وفي الدر ٢١١ / ٦ قال : أخرج أبو إسحاق وأبو المنذر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان
عبد الله بن عمر ، وزيد بن الحارث يوادان رجلاً من يهود ، فأنزل الله : ﴿ يَكْفُرُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنكَلُوا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ .

(٢) في (ك) : (وهم) ساقطة .

(٣) أخرجه ابن جريسر عن مجاهد ، والكلبي ، وابن زيد ، وعكرمة ، ومنصور ، وأخرجه ابن المنذر عن
سعيد بن جبير ، وأخرجه سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة . انظر : المصنف لابن أبي شيبة عن مجاهد
وعكرمة ، وأخرجه عبدالرزاق عن الكلبي ، وهو قول مقاتل . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٨٩ ،
وتفسير مقاتل ١٥٣ أ ، وجامع البيان ٢٨ / ٥٤ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٣ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٣٦ ، والتفسير الكبير ٢٩ / ٣٠٩ .

قال أبو إسحاق : يقول : يئس اليهود الذين عاندوا النبي ﷺ من أن يكون لهم في الآخرة حظ ، كما يئس الكفار الذين لا يوقنون بالغيب من موتاهم أن يبعثوا^(١) .

* * *

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦١ / ٥ .

تفسير

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢. ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ . قال أكثر المفسرين : إن المؤمنين قالوا : وددنا أن الله يخبرنا بأحب الأعمال إليه حتى نعمله ، ولو ذهب فيه أموالنا وأنفسنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ الآية ، وأنزل قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ﴾ الآية ، فكرهوا الموت ، وأحبوا الحياة ، وتولوا يوم أحد ، فأنزل الله : ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ، وهذا قول مقاتل ومجاهد وعطاء عن ابن عباس^(١) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٢ ب ، وجامع البيان ٥٥ / ٢٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ١١٣ ب ، وأسباب النزول للواحدي ٤٩١ ، ٤٩٢ .

وقال قتادة والضحاك : كان الرجل يقول : قاتلت ولم يقاتل ، وطعنت ولم يطعن ، وفعلت ولم يفعل ، فنزلت هذه الآية ^(١) .

قال الحسن : نزلت في المنافقين ؛ كانوا يقولون ما لا يعتقدون ، ويعدون المؤمنين النصر فيكذبون ^(٢) . ثم ذم القول إذا لم يسعفه الفعل ، فقال :

٣. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ . قال الزَّجَّاج : ﴿أَنْ﴾ في موضع رفع ، و ﴿مَقْتًا﴾ منصوب على التمييز . المعنى : كبر قولكم أَنْ لَا تَفْعَلُوا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ ^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ ، وقد مرَّ ^(٤) .

٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ؛ أي يصفون صفًّا . والمعنى : يصفون أنفسهم عند القتال صفًّا . ﴿كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾ . قال الفرَّاء : مرصوص بالرصاص ^(٥) .

قال المبرد : يقال : رصفت البناء إذا لاءمت ^(٦) بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة ^(٧) .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٩٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٣٧ ، والدر ٢١٣/ ٦ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٣/ ١١٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٠ ، وهو المروي عن ابن زيد أيضاً . معالم التنزيل ٤/ ٣٣٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٦٣ .

(٤) عند تفسيره الآية رقم : ٥ من سورة الكهف .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٥٣ .

(٦) في (ك) : (لامت) .

(٧) انظر : التفسير الكبير ٢٩/ ٣١١ ، ٣١٢ ، وروح المعاني ٢٨/ ٨٤ .

وقال الليث : رصصت البناء رصاً إذا ضمنت بعضه إلى بعض^(١) ، من الرصيص : انضمام الأسنان بعضها إلى بعض ، والتراص : التلاصق^(٢) ، ومنه الحديث : «تراصوا في الصف»^(٣) .

قال ابن عباس : يرفع الحجر على الحجر ثم يرص بحجارة صغار ، ثم يوضع اللبن عليه ، تسميه أهل مكة : المرصوص^(٤) .
وقال مقاتل : ملتزق بعضه ببعض^(٥) .

قال أبو إسحاق : أعلم الله أنه يجب من يثبت في الجهاد في سبيله ، ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ، قال : ويجوز على أن تستوي نياتهم في حرب عدو حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالة بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص^(٦) ؛ فالأول على التشبيه به في رأي العين ، والثاني على التشبيه من حيث التظافر كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

(١) (بعضه إلى بعض) ساقطة من نسخة (ك) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (رص) ١٢ / ١١١ ، واللسان (رصص) ١ / ١١٧٣ .

(٣) هذه رواية بالمعنى ، وفي معناه أحاديث صحيحة ، منها : ما رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم ، والنسائي بإسناد صحيح ، والحاكم في المستدرک ١ / ٢١٧ ، ووافقه الذهبي عنه ﷺ : «رصوا صفوفكم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بالأعناق ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف» .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٩ / ٣١٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٣ ب . وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير (سورة الصف) ، قال : «وقال ابن عباس : ملصق بعضه إلى بعض» ، ونسبه ابن الجوزي إلى الأكثرين . زاد المسير ١ / ٢٥١ ، وقال ابن حجر : «وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن ابن عباس» . فتح الباري ٨ / ٦٤١ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٦٤ .

٥. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ ؛ أي واذكر لقومك هذه القصة .
قوله تعالى : ﴿لَمْ تُؤْذُونِي﴾ . قال الكلبي ومقاتل : كان إيذاؤهم له
أنهم رموه بالأدرة^(١) ، وقد ذكرنا ذلك في آخر سورة الأحزاب^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ إنكاراً عليهم إيذاؤه
بعدما علموا أنه رسول الله ، ورسول الله يُحترم ويعظم ، ولا يؤذى .
قوله : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ . قال ابن عباس : مالوا إلى غير الحق^(٣) .

وقال مقاتل : عدلوا عن الحق ، ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أما لها عن الحق^(٤) .
والمعنى أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم وأظلمهم وصر فهم عن
الدين جزاء لما ارتكبوا ، ويدل عليه قوله : ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ . قال أبو
إسحاق : لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق^(٥) ، وفي هذا تنبيه على عظم إيذاء
الرسول حتى إنه يؤدي إلى الكفر ، ويزيغ القلب عن الهدى .

٦. قوله تعالى : ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَهْمْدُ﴾ : هاتان جملتان في موقع جر ؛
لأنهما صفتان للنكرة التي هي قوله : ﴿رَسُولٍ﴾ . وفي قوله : ﴿مِنْ بَعْدِي
أَسْمُهُ أَهْمْدُ﴾ قراءتان : تحريك الياء بالفتح على الأصل ، وهو الاختيار

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٣ ب ، وجامع البيان ٣٦ / ٢٢ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم : ٦٤ من سورة الأحزاب . الأدرة : نفخة في الخصىة ، وقيل : هو الذي
يصيبه فتق في إحدى الخصيتين . اللسان (أدر) . وقد رُمي موسى - عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة
والسلام - بالأدرة ، ويقتل هارون فأرتموه الملائكة ميتاً ، ويقذفه بالغيء أنه فجر بها ، وبأنه ساحر
مجنون . واختار ابن جرير ٣٧ / ٢٢ العموم ، وقال ابن كثير : «يحتمل أن يكون الكل مراداً ، وأن يكون
معه غيره والله أعلم» . تفسير القرآن العظيم ٥٢١ / ٣ ، وقال ابن حجر : بعد ذكره للروايات في رميه
بالأدرة ، لكن لا مانع أن يكون للشيء سبباً فأكثر . فتح الباري ٥٣٥ / ٨ .

(٣) تنوير المقباس ٦١ / ٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٣ ب ، والتفسير الكبير ٣١٢ / ٢٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦٤ / ٥ .

في كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء الساكنين^(١)، فإن كان موضع يظهر فيه التحريك والإسكان حسناً كقوله: ﴿وَلِي دِينٍ﴾ [الكافرون: ٦]، ﴿وَلَمَن دَخَلَ بَيْتَكَ مُؤْمِنًا﴾^(٢)؛ فمن فتح فعلى الأصل، ومن أسكن فجائز، ومن أسكن في قوله: ﴿مِن بَعْدِي أَسْمُهُ أَتَمُّ﴾ حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين^(٣): الياء من ﴿بَعْدِي﴾، والسين من ﴿أَسْمُهُ﴾، وهمزة الوصل تسقط في الإدراج، وهذا قول المبرّد، وأبي علي^(٤).

قال المبرّد: لا معنى لاختيار أبي عبيد الفتح إذا كان بعد الياء ألف وصل مفتوحاً، نحو: ﴿مَسْفَى الضَّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، و﴿أَهْلَكِي اللَّهُ﴾ [الملك: ٢٨]، وترك الفتح إذا كان ألف الوصل مكسوراً، نحو: ﴿بَعْدِي أَسْمُهُ﴾. والأصل والاختيار ما ذكرنا، وهذا لا معنى له. قال أبو عبيد: إنك إذا ابتدأت بقولك: (الله)، (الضر) كان بالفتح، وإذا ابتدأت بقولك اسمه كان بالكسر، فلهذا أثرنا الإرسال هاهنا، وهذا لا يوجب ما ذكر من الاختيار.

قوله تعالى: ﴿أَتَمُّ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يجعله مبالغة من الفاعل، فيكون معناه: إنه أكثر حمداً لله من غيره.

(١) وهو الاختيار عند الخليل، وسيبويه، وأبي عبيد. قال النحاس: «والقول هذا عند أهل العربية أن هذه ياء النفس، فمن العرب من يفتحها، ومنهم من يسكنها». إعراب القرآن ٣/ ٤٢٢.

(٢) من الآية رقم: ٢٨ من سورة نوح.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو جعفر، ويعقوب: (من بَعْدِي أَسْمُهُ أَتَمُّ) بفتح الياء من (بعدي)، وقرأ عاصم في رواية حفص، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وخلف: ﴿مِن بَعْدِي أَسْمُهُ أَتَمُّ﴾ بتسكين الياء. انظر: النشر ٢/ ٣٨٧، والإتحاف ٤١٥.

(٤) في (ك): (تسقط). انظر: الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٨٨.

وثانيهما : أنه يحمد بما فيه ^(١) من الأخلاق والمحاسن أكثر مما يحمده غيره ^(٢) ، وعلى هذا دلّ كلام الكلبي ؛ فإنه قال : أحمد الذي لا يذم ^(٣) ، وهو رسول الله ﷺ خاتم النبيين ، وأحمد معروف في أسماء نبينا صلوات الله عليه ^(٤) .

٨ . قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ . قال ابن عباس : يظهر دينه ^(٥) . والأصل التنوين ؛ لأنه لما لم يقع ، ومن أضاف نوى التنوين والانفصال أيضاً ^(٦) كما ذكرنا في قوله : ﴿ عَارِضٌ مُّطَرُّنَا ﴾ ^(٧) ، و﴿ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ ^(٨) ، و﴿ كَشَفْتُ ضُرَّوْءَ ﴾ [الزمر : ٣٨] ، وهذه الآية والتي بعدها مُفسَّرات في سورة براءة ^(٩) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ قال أبو إسحاق : هذا جواب ﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ ﴾ ؛ لأن معناه معنى الأمر . المعنى : آمنوا بالله ورسوله

- (١) (غيره . وثانيهما أنه يحمد بما فيه) ساقطة من نسخة (ك) .
- (٢) انظر : الكشف والبيان ١١٥ / ١٣ ب ، والتفسير الكبير ٣١٣ / ٢٩ .
- (٣) انظر : تنوير المقباس ٦٢ / ٦ ، والكشف والبيان ١١٥ / ١٣ ب .
- (٤) أخرج البخاري في كتاب التفسير (سورة الصف) ١٨٨ / ٦ ، ومسلم في الفضائل ، باب : في أسمائه ﷺ ، وغيرها عن جبر بن مطعم . سَمِيَ لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء ، فقال : «أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر» الحديث .
- (٥) انظر : تنوير المقباس ٦٢ / ٦ .
- (٦) قرأ ابن كثير ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص : ﴿ مُتِمُّ ﴾ بغير تنوين ، و﴿ نُورِهِ ﴾ بالخفض ، وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو بكر ، وأبو جعفر ، ويعقوب : ﴿ مُتِمُّ ﴾ بالتنوين ، و(نوره) بالنصب . انظر : حجة القراءات ٧٠٧ ، والنشر ٣٨٧ / ٢ ، والإتحاف ٤١٥ .
- (٧) من الآية رقم : ٢٤ من سورة الأحقاف ، وانظر : الحجة للقراء ٢٨٩ / ٦ .
- (٨) قوله تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ من الآية رقم : ٩٥ من سورة المائدة .
- (٩) عند تفسيره الآيتين (٣٢ ، ٣٣) من سورة براءة .

وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم يغفر^(١) لكم ، والدليل على ذلك أن في قراءة ابن مسعود : ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾^(٢) .

وقال الفرّاء : جزم ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بهل ، وتأويل ﴿هَذَا لَكُمْ﴾ أمر كقولك : هل أنت ساكت ، معناه : اسكت^(٣) .

قال أبو إسحاق : وهذا غلط بين ، ليس إذا دلهم النبي ﷺ على ما ينفعهم غفر الله لهم ، إنما يغفر الله لهم إذا آمنوا وجاهدوا ، وهو جواب ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿وَيُجَاهِدُونَ﴾^(٤) على ما ذكرنا في سورة براءة .

وإدغام الراء في اللام في : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وغيره غير جائز عند النحويين لقوة الراء^(٥) ، والأضعف يُدغم في الأقوى لا الأقوى في الأضعف ، والدليل على قراءة الراء أنه حرف متكرر ، ولذلك غلب المطبق والمستعلي ، وهو أنه لا يمال ما في أوله الصاد والضاد والطاء والظاء نحو : صالح ، وضابط ، وطالب ، وظالم ، ويمال نحو : ضارب ، وصارم ، وطارد مكان الراء ، وجاز ذلك لأن الكسر كأنه تكرر في الكلمة ، وكذلك لا يمال نحو خالد ، ويمال نحو خارج وحارب لما ذكرنا^(٦) .

(١) (في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) ساقطة من نسخة (ك) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٥٤/٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٥ . وقد وجّه قول الفرّاء بأن يحمل على المعنى . قال المهروري : وهو أن يكون (تؤمنون) و(تجاهدون) عطف بيان على قوله : (هل أدلكم) ، كأن التجارة لم يدر ما هي ، فبيّنت بالإيمان والجهاد ، فهي هما في المعنى ، فكأنه قال : هل تؤمنون وتجاهدون ، قال : فإن لم تقدّر هذا التقدير لم يصح ؛ لأنه يصير إن دللتهم يغفر لكم ، والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة . انظر : البحر المحيط ٢٦٣/٨ ، وبنحوه قال الزنجشيري والكشاف ٩٤/٤ . قال الألوسي : والإنصاف أن تخريج الفرّاء لا يخلو عن بُعد . روح المعاني ٨٩/٢٨ .

(٥) قرأ أبو عمرو : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بإدغام الراء في اللام . انظر : النشر ١٢/٢ ، ١٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦٧/٥ ، ومما قال عن أبي عمرو ، وهو إمام عظيم ، ولا أحسبه قرأها

إلا وقد سمعها من العرب . قلت : بل إمامته - رحمه الله - في العلم والقراءة تستلزم أنه لم يقرأ بهذه =

١٣. قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾؛ يجوز عند الزجاج أن يكون المعنى: وتجارة أخرى عطفاً على قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾^(١)، ثم قال: وتجارة أخرى، ويجوز أن يكون المعنى: ولكم تجارة أخرى، وهي نصر من الله^(٢).

وعند الفراء معنى الآية: وخصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة، ثم ذكرها فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، وهو مُفَسِّرٌ لِلْأُخْرَى^(٣)، وهذا هو القول^(٤)؛ لأنه لا يحسن أن يكون نصر من الله تفسيراً للتجارة، إذ ليس نصر الله تجارة لنا كما يكون الإيمان والجهاد، بل هو ربح للتجارة^(٥)، والله تعالى ذكر ثواب الآخرة جزاء لما دل عليه من التجارة، وهو قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

ثم ذكر ما يعطينا أيضاً في العاجل مما نحبه جزاء أيضاً لتلك التجارة، وهو النصر والفتح.

قال ابن عباس: يريد فتح فارس والروم^(٦).

وقال الكلبي: يعني النصر على كفار قريش، وفتح مكة^(٧).

القراءة إلا وقد سمعها ممن نقلها عن النبي ﷺ بسند صحيح، ولا عبرة بقول المخالف إذا ثبتت عن المصطفى ﷺ مهما بلغ علمه وجلالة قدره، والله أعلم.

(١) وهو قول الأخفش. انظر: معاني القرآن ٧٠٨/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٥.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١٥٤/٣.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٤٢٤/٣.

(٥) انظر: التفسير الكبير ٣١٨/٢٩.

(٦) لم أجده عن ابن عباس. وفي معالم التنزيل ٣٣٨/٤، وزاد المسير ٢٥٥/٨ نسب إلى عطاء، ونسبه الزمخشري والرازي إلى الحسن، والكشاف ٩٥/٤، والتفسير الكبير ٣١٨/٢٩.

(٧) وهو المنسوب إلى ابن عباس. انظر: تنوير المقياس ٦٤/٦، ومعالم التنزيل ٣٣٨/٤، وزاد المسير ٢٥٥/٨.

قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال مقاتل : وبشر يا محمد المؤمنين بالنصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة^(١) ، وقد ذكرهما في قوله : ﴿وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ ، وقوله : ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ .

ثم خص المؤمنين على نصره دينه ، فقال :

١٤ . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ : بهذا أمر إدامة النصر والثبات عليه ؛ أي دوموا على ما أنتم عليه من النصر ، يدل على هذا أن في حرف عبدالله : (يا أيها الذين آمنوا أنتم أنصار الله)^(٢) بغير تنوين^(٣) كقوله : ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ، ولم يقل : أنصار الله ، والمعني في : ﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أنصار دين الله^(٤) ، فترك ذكر الدين لتشريف النصر لدين الله .

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ ؛ أي انصروا دين الله مثل نصره الحواريين لما قال لهم عيسى : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ . قال مقاتل : يعني من يمنعني مع الله^(٥) . وقال عطاء : يريد من ينصرني وينصر دين الله^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ أ ، ومعالم التنزيل ٣٣٨ / ٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للقرآء ٣ / ١٥٥ ، والحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٩٠ ، والكشاف ٤ / ٩٥ .

(٣) في قوله : ﴿أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو (أنصاراً لله) منوناً ، وحجتهم في ذلك إجماع الجميع على الإضافة في قوله : (فمن أنصار الله) ، وقرأ ابن عامر ، ويعقوب ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم : ﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ غير منون مضافاً إلى لفظ الجلالة . انظر : حجة القراءات ٧٠٨ ، والنشر ٣٨٧ / ٢ ، والإتحاف ٤١٦ . وقال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك عندي أنها قراءتان صحيحتان المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . جامع البيان ٢٨ / ٥٩ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣١٨ / ٢٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ ب ، ومعالم التنزيل ٣٣٨ / ٤ .

(٦) لم أجده .

وقال مقاتل : أمر الله المؤمنين أن ينصروا محمداً كما نصر الحواريون عيسى^(١) .

وكان الله قد أوحى إلى عيسى : إذا أنت دخلت القرية فأتِ النهر الذي عليه القصارون فسلهم النصر ، فأتاهم عيسى ، فقال لهم : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ، يقول : من ينصرني مع الله ؟ فقالوا : نحن نصرك ، فاتبعوه ، وصدقوه ، ونصروه .

قال مقاتل : مرَّ بهم بيت المقدس وهم يقصرون الثياب فقال لهم هذا^(٢) .

ومضى الكلام في ﴿إِلَى﴾ بمعنى مع عند قوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾^(٣) .

قوله تعالى : ﴿فَأَمْنَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ﴾ . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : يعني الطائفة التي كفرت في زمن عيسى ، والتي آمنت في زمان عيسى ؛ وذلك أن عيسى - عليه السلام - لما رفع إلى السماء تفرَّقوا ثلاث فرق :

فرقة قالوا : كان الله فارتفع .

وفرقة قالوا : كان ابن الله فرفعه الله إليه .

وفرقة قالوا : كان عبدالله ورسوله فرفعه إليه ، وهو المسلمون .

وأتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس ، واجتمعت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة ، فقتلوهم ، وطردوهم ، وظهر أمرهم ، فلم يزالوا كذلك حتى

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ .

(٣) عند تفسيره الآية رقم : ٢ من سورة النساء . انظر : معاني الحروف للرماني ١١٥ .

بعث الله محمداً ﷺ فاقتتلوا ، فظهرت المؤمنة على الكافرة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ ^(١) .

قال مجاهد : ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ يعني من اتبع عيسى ^(٢) ، ونحو هذا قال المقاتلان ^(٣) .

وعلى هذا القول معنى الآية : أن من آمن بعيسى ظهوروا على من كفر به ، وأصبحوا عالىين على أهل الأديان .

وقال إبراهيم : أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ عيسى كلمة الله وروحه ^(٤) .

وهذا قول الكلبي : ظاهرين بالحجة ^(٥) .

* * *

(١) أخرجه ابن جرير ٦٠ / ٢٨ ، ولم يذكر قتالهم بعد بعثة محمد ﷺ ، بل قال : « فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد دينهم على دين الكفار . . . » . انظر : معالم التنزيل ٣٣٩ / ٤ ، والتفسير الكبير ٣١٩ / ٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٦٢ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٦٧٢ / ٢ ، وجامع البيان ٦٠ / ٢٨ ، والدر ٢١٤ / ٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ ب ، والتفسير الكبير ٣١٩ / ٢٩ .

(٤) انظر : جامع البيان ٦٠ / ٢٨ ، وزاد المسير ٢٥٦ / ٨ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٦٥ / ٦ ، والتفسير الكبير ٣١٩ / ٢٩ ، وهو قول زيد بن علي ، والكشاف ٩٥ / ٤ .

تفسير

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . قال أهل المعاني : إنما أعيد ذكر التسبيح في هذه السورة لاستفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبّح له كما يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا جُلُّ المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به ، والفائدة فيه تعظيم ما ينبغي أن يستفتح به على جهة التعظيم لله والتمن بذكره . ومضى تفسير القدوس في آخر سورة الحشر .

٢. قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني العرب . قال المفسرون : كانت العرب أمة لا كتاب لهم ، ولا يقرأون كتاباً ، ولا يكتبون^(١) .

قال ابن عباس : يريد الذين ليس لهم كتاب ، ولا بعث فيهم نبي^(٢) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ ب ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٩١ ، وجامع البيان ٢٨/٦١ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٣٠/٣ .

قال أبو إسحاق : الأميون الذين هم على ما خلقت عليه الأمة قبل تعلم الكتاب^(١) ، وهذا مما سبق تفسيره^(٢) .

وقوله : ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ : قال ابن عباس : يريد محمد ﷺ نسبه نسبهم ، وهو من جنسهم^(٣) كما قال : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

قال أهل المعاني : وكان هو ﷺ أمياً مثل أولئك الأمة الذين بعث فيهم ، وكانت البشارة به قد تقدّمت بأنه النبي الأمي ، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة ، وكانت حاله مشاكلة لحال الذين بعث فيهم ، وذلك أقرب إلى صدقه^(٤) .

قوله تعالى : ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ مُفسّر في سورة البقرة^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَكُونُوا مِنْ قَبْلَ لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ؛ أي ما كانوا من قبل بعثه فيهم إلا في ضلال بين ، وهو الشرك ؛ كانوا يعبدون الأوثان من الحجارة .

٣ . قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ نسق على قوله : ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ . المعنى : وبعث في آخرين منهم . ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ . قال المفسرون : يعني الأعاجم ، وكل من دخل في الإسلام ، وصدّق النبي من العجم . هذا قول ابن عباس ومجاهد^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦٩/٥ .

(٢) عند تفسيره الآية رقم ٧٨ من سورة البقرة . انظر : تهذيب اللغة (أم) ٦٣٦/١٥ ، واللسان (أمم) ١٠١/١ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٦٨/٦ ، والتفسير الكبير ٣٠/٣ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/٣ .

(٥) عند تفسيره الآية رقم ١٢٩ من سورة البقرة .

(٦) أخرجه ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وسعيد بن منصور ، وغيرهم عن مجاهد . انظر : جامع البيان ٦٢/٢٨ ، =

وقال مقاتل : يعني التابعين من هذه الأمة الذين لم يلحقوا بأوائلهم^(١) ،
وجميع الأقوال في هذا معناها أن المراد بالآخرين كل من دخل في الإسلام بعد
النبي ﷺ إلى يوم القيامة .

وقول المفسرين : هم الأعاجم ، يعنون بالأعاجم من ليس من العرب ،
والعرب تسمي من لا يتكلم بلغتهم عجمياً ، من أي جنس كان ، ومنه قول
الشاعر :

سَلُّوْهُ لَوْ أَصْبَحَتْ وَسَطُ الْأَعْجَمِ بِالرُّومِ أَوْ بِالْبَرْكِ أَوْ بِالْذَيْلِمْ^(٢)
فَعَبَّرَ عَنِ الْأَعْجَمِ هَؤُلَاءِ الْأَجْناسُ ؛ فالأُمَيُّونَ هُمُ الْعَرَبُ ، ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾
سِوَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ غَيْرِ الْعَرَبِ ، فالنبي ﷺ مبعوث إلى من شاهده ، وإلى كل من
كان بعدهم من العجم والعرب .

وقوله : ﴿مِنْهُمْ﴾ ؛ أي من الأميين ، وجعلهم منهم ؛ لأنهم إذا أسلموا ودانوا
بدينهم صاروا منهم . فالمسلمون كلهم يد واحدة وأمة واحدة وإن اختلفت
أجناسهم ، قال الله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة : ٧١] ،

والدر ٢١٥ / ٦ . وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ
النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قالوا : من هم يا رسول الله ؟
فلم يراجعهم حتى سُئِلَ ثَلَاثًا ، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ثُمَّ
قَالَ : لَوْ كَانَ الْإِيْمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَاءِ لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رِجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ . صحيح البخاري في كتاب التفسير ،
باب : قوله : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ ١٨٨ / ٦ . قال ابن كثير : نفى هذا الحديث دليلاً على
أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثه ﷺ إلى جميع الناس ؛ لأنه فسر قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾
بفارسي ، ولهذا كتب كتبه إلى فارس ، والروم ، وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل ، وإلى
اتباع ما جاء به . تفسير القرآن العظيم ٣٦٣ / ٤ .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ ب ، والتفسير الكبير ٤ / ٣٠ .

(٢) ورد غير منسوب في اللسان (عجم) ، وعجزه :

في الروم أو فارس أو في الذيل

وقال أيضاً في صفة المؤمنين : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] . فأمّا من لم يؤمن بالنبي ﷺ ولم يدخل في دينه فإنهم ليسوا ممن عناهم الله بقوله : ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ﴾ ، وإن كان ﷺ مبعوثاً إليهم بالدعوة ؛ لأن الله تعالى قال في الآية الأولى : ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ، ومن لم يؤمن فليس ممن زكّاه النبي ﷺ من الكفر ، وعلمه القرآن والسنة .

وذكر أبو إسحاق وجهاً آخر في إعراب : ﴿الْآخِرِينَ﴾ ، وهو النصب بالعطف على الضمير في : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ على معنى : ويعلم ^(١) آخرين منهم ^(٢) ، وهذا كالسعيد ^(٣) ؛ لأن الذين لم يلحقوا من شاهد النبي ﷺ كيف يعلمهم النبي ﷺ ولم يدركوه ، إلا أن يحمل على أنهم إذا تعلموا ما أتى به فهو علمهم وإن لم يشاهدوه ، وكل ما نعلمه من الدين فهو مما علّمنا نبينا ﷺ . ^(٤)

٤ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال ابن عباس : يريد حيث ألحق العجم وأبناءهم بقریش والعرب ^(٥) ، يعني أنهم إذا آمنوا ألحقوا في درجة الفضل بمن ^(٦) شاهد رسول الله ﷺ وشاركوهم في ذلك الفضل .

(١) في (ك) : (ويعلمهم) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٧٠ ، وانظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٥٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤١٧ .

(٣) كذا في (ك) ، ولعل صوابها : (وهذا بعيد) .

(٤) ذكر العلماء هذا الوجه للدلالة على جوازه مع تقديمهم لغيره وتعليقهم للجواز بنحو ما ذكر المؤلف . قال الزمخشري : «ويجوز أن ينتصب عطفاً على المنصوب في : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ ؛ أي يعلمهم ويعلم آخرين أن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستنداً إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه» . الكشف ٤ / ٩٦ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٤ .

(٦) في (ك) : (من) .

وقال مقاتل : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام ^(١) ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ .

وقال مقاتل بن حيان ^(٢) : يعني النبوة فضل الله يؤتيه من يشاء ، فاختص بها محمداً ﷺ . ^(٣)

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ : ذو المن العظيم على جميع خلقه .

ثم ضرب لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة والإيمان بالنبى ﷺ مثلاً .

٥ . فقال : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ . قال المفسرون : حملوا العمل بها فيها ، وكلفوا القيام بها ^(٤) .

وقال صاحب النظم : ليس هو من الحمل على الظهور ، وإنما من الحماله بمعنى الكفالة والضمان ، ومنه قيل للكفيل : الحميل . والمعنى : ضمنوا أحكام التوراة ثم لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها ^(٥) . قال الأصمعي : الحميل الكفيل ، وقال الكسائي : حملت به حمالة : كلفت به ^(٦) .

قوله : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ : جمع سفر ، وهو الكتاب الكبير ؛ لأنه سفر عن المعنى إذا قُرئ ، ومثله شبر وأشبار ^(٧) . شَبَّهَ اليهود إذا لم يتفعلوا بما في التوراة ، وهي دالة على الإيمان بمحمد ﷺ ، بالحمار يحمل كتب العلم ولا يدري ما فيها .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ ب .

(٢) في (ك) : وقال مقاتل .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٤ / ٣٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٤ ب ، وجامع البيان ٦٣ / ٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٦٤ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٥ / ٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ٩٢ / ٥ ، واللسان (حمل) ١ / ٧٢٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (سفر) ، واللسان (سفر) .

قال ميمون بن مهران : الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل .

وقال أهل المعاني : وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ، ولم يعمل به ، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه ، ولهذا قال ميمون بن مهران : يا أهل القرآن : اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم . ثم تلا هذه الآية ^(١) .

﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ﴾ : لم يؤدوا حقها ، ولم يحملوها حق حملها على ما فسرنا ، فشبهم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون ^(٢) بها بالحمار يحمل كتباً وليس له من ذلك إلا نقل الحمل من غير انتفاع بمعاني ما حمل ، كذلك اليهود ليس لهم من كتابهم إلا وبال الحجة عليهم . ثم ذم هذا المثل والمراد به ذمهم ، فقال تعالى : ﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ؛ أي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا كما قال : ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٧] ؛ أي مثل القوم الذين ، فيكون المضاف محذوفاً ، ويكون موضع ﴿الَّذِينَ﴾ رفعاً ، ويجوز أن يكون موضع ﴿الَّذِينَ﴾ جراً ، والمقصود بالذم محذوف ^(٣) كما كان محذوفاً من قوله تعالى : ﴿تَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] ، ولم يذكر أيوب لتقدم ذكره ، وذكر الوجهين أبو علي في كتاب الإيضاح ^(٤) .

والمراد بآيات الله هاهنا قال ابن عباس ومقاتل : بمحمد وما أتى به من القرآن ^(٥) ، ويحتمل أن يكون المراد بالآيات التوراة ؛ لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد ﷺ ^(٦) ، وهذا القول أشبه هنا ^(٧) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٥ .

(٢) في (ك) : (يعلمون) .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤٢٨ ، والكشاف ٤ / ٩٦ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٦٧ .

(٤) انظر : إيضاح الشعر .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس ٦ / ٩٦ ، وتفسير مقاتل ١٥٤ ب ، ولفظه : «يعني القرآن» .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٥ .

(٧) في (ك) : (هاهنا) .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . قال عطاء : يريد الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء^(١) .

قال أبو إسحاق : معناه لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظالماً^(٢) .

٧-٦ . قوله : ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية ، والتي بعدها سبق تفسيرهما في سورة البقرة عند قوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الآيتان^(٣) .

٨ . قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : دخلت الفاء في خبر إن ، ولا يجوز : إن زيدا فمنطلق ؛ لأن ﴿الَّذِي﴾ فيه معنى الشرط والجزاء^(٤) .

وقال الفرّاء : العرب تدخل الفاء في كل خبر كان اسمه مما يوصل ، مثل : من والذي ، وإلقاؤها جائز ، وهي في قراءة عبدالله : (تفرون منه ملائكم) بغير فاء^(٥) ، وهذه المسألة شرحناها في مواضع من هذا الكتاب عند قوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ ، ثم قال : ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾^(٦) ، وفي أي سواها . قال عثمان بن جني : ليست الفاء في (فإنه) زائدة ، ولكنها لما دخلت لما في الكلام معنى الشرط كأنه ، والله أعلم ، قال : إن فررتم منه لاقاكم . فإن قال قائل : الموت ملائكم على كل حال ؛ فروا منه أو لم يفروا ، فما معنى الشرط والجواب هنا ؟ وهل يصح الجواب بما هو واقع لا محالة ؟ قيل : إن هذا على وجه الرد عليهم ؛ إذ

(١) انظر : التفسير الكبير ٥ / ٣٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٧٠ / ٥ .

(٣) عند تفسيره الآيتين (٩٤ ، ٩٥) من سورة البقرة .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٧١ / ٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥٦ / ٣ .

(٦) عند تفسيره الآية رقم : ٢٧٤ من سورة البقرة .

ظنوا أن الفرار ينجيهم . وقد صرَّح هذا وأفصح عنه بالشرط الحقيقي زهير^(١) في قوله :

وَمِنْ هَابِ أَسْبَابِ الْمَنَايَا يَنْلِنُهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ^(٢)

٩ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ .

قال مقاتل : يعني النداء إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة ، وهو كما قال ؛ لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه ، كان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد ، وكذا كان على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^(٣) .

وقوله : ﴿الْجُمُعَةُ﴾ يعني لوقت الصلاة^(٤) ، يدل عليه قوله : ﴿مِنْ يَوْمٍ﴾ . والصلاة لا تكون من اليوم ، وإمّا يكون وقتها من اليوم ، وأمّا الجمعة ، فقال الليث : الجمعة يوم خُصَّ به لاجتماع الناس في ذلك اليوم ، ويجمع على الجُمُعان والجُمُوع ، والفعل جَمَعَ الناس ؛ أي شهدوا الجمعة^(٥) .

وروي عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ : «سُمِّيَتِ الجمعة لأن آدم -عليه السلام- جمع فيها خلقه»^(٦) .

(١) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٧ . والبيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه بشرح ثعلب ٣٠ ، وشرح القصائد العشر ١٩٤ ، والخصائص ٣/ ٣٢٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥أ ، وهو قول مجاهد ، والضحاك ، والسائب بن يزيد . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٩١ ، وجامع البيان ٢٨/ ٦٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦١ .

(٣) روى البخاري في كتاب الجمعة ، باب : المؤذن الواحد يوم الجمعة ٢/ ١٠ عن السائب بن يزيد : كان النداء إذا صعد الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، فلما كان عثمان كثر الناس ، فزاد النداء الثالث على الزوراء .

(٤) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٧٠٨ .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٣٩٨ .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور ، وأحمد ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه عن سلمان . =

وقال بعضهم : سُمِّيت بهذا الاسم ؛ لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء ، فاجتمعت فيه المخلوقات ^(١) .

قال الفرَّاء : وفيها ثلاث لغات ^(٢) : التخفيف ، وهي قراءة الأعمش ، والتثقيل قراءة العامة ^(٣) ، ولغة لبني عقيل ^(٤) يقولون : الجمعة ^(٥) كأنهم ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجتمع الناس كما يقال : ضحكة للذي يكثر الضحك ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . قال ابن عباس : فامضوا ^(٧) .

قال : « قال رسول الله ﷺ : أتدري ما يوم الجمعة ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قالها ثلاث مرات . ثم قال في الثالثة : هو اليوم الذي جُمع فيه أبوكم آدم . . . » . الحديث ، ولم يحلل تسميتها الجمعة بهذه العلة التي ذكرها المؤلف . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٤ / ٢ : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن ، قال : وروى النسائي بعضه .

(١) قال ابن كثير : إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع ؛ فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار ، وفيه كمل جميع الخلائق ، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض ، وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة . تفسير القرآن العظيم ٣٦٥ / ٤ ، وانظر : اللسان (جمع) ٥٠٠ / ١ .

(٢) (لغات) ساقطة من نسخة (ك) .

(٣) قرأ الجمهور : ﴿ الْجُمُعَةُ ﴾ بضم الجيم والميم ، وقرأ الأعمش ، والسلمي ، والزهري ، وغيرهم : (الجُمُعَة) بضم الجيم ، وإسكان الميم . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١٥٦ / ٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٩ / ٣ ، والبحر المحيط ٢٦٧ / ٨ .

(٤) بنو عقيل .

(٥) لغة بني عقيل : (الجُمُعَة) بفتح الميم . انظر : معاني الفرَّاء ١٥٦ / ٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٥٦ / ٣ ، والكشف ١١٨ / ١٣ ب ، ١١٩ أ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١٥٦ / ٣ ، والكشاف ٩٧ / ٤ .

(٧) تنوير المقباس ٧١ / ٦ .

وقال مقاتل : فامشوا^(١) ، وعلى هذا معنى السعي والذهاب في معنى واحد ؛ لأنك تقول : فلان يسعى في الأرض يبتغي الرزق ، وليس هذا باشتداد ، ويدل على هذا قراءة عمر وابن مسعود : (فامضوا إلى ذكر الله)^(٢) .

وقال ابن جريج : قلت لعطاء : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال : الذهاب والمشي^(٣) ، يقال : سعى إلى بني فلان ، وإنما هي مشي .

وقال الزَّجَّاج : معناه : فاقصدوا ، وليس معناه العدو^(٤) ، وهذا معنى قول الحسن ، قال : والله ما هو سعي على الأقدام ، ولكنه سعي بالقلوب ، وسعي بالنية ، وسعي بالرغبة^(٥) ، ونحو هذا قال قتادة : السعي أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المشي إليها^(٦) .

وحمل قوم السعي هاهنا على العمل ، قال محمد بن كعب : السعي العمل^(٧) ، وهو مذهب مالك والشافعي ، قال مالك : السعي في كتاب الله العمل والفعل ، واحتج بقوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ [الليل: ٤] ،

(١) لم أجدّه عن مقاتل ، وإنما ذكره المفسرون لبيان المعنى من دون نسبة إلى قائل . والذي في تفسير مقاتل ١٥٥ ، قال : « يقول فامضوا إلى الصلاة » . انظر : التفسير الكبير ٨ / ٣ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٩١ ، وجامع البيان ٢٨ / ٦٥ ، ومجمع الزوائد ٧ / ١٢٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٤٢ . قال أبو حيان : وقرأ كبراء من الصحابة والتابعين (فامضوا) بدل ﴿ فَاسْعَوْا ﴾ ، وينبغي أن يحمل على التفسير من حيث أنه لا يراد بالسعي هنا الإسراع في المشي ، ففسّروه بالمضي ، ولا يكون قرآناً لمخالفته سواد ما أجمع عليه المسلمون . البحر المحيط ٨ / ٢٦٨ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . الدر ٦ / ٢١٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ١٧١ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٢١ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٤١ ، والدر ٦ / ٢١٩ .

(٦) أخرجه عبد بن حميد ، والبيهقي في شعب الإيمان . الدر ٦ / ٢١٩ ، وانظر : الكشف والبيان ١٣ / ١٢١ ب .

(٧) انظر : الدر ٦ / ٢١٩ ، ونسب تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبي شيبه . انظر : المصنف لابن أبي شيبه .

قال : فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام ولا بالاشتداد ، وإنما ذلك الفعل والعمل .

أخبرنا أحمد بن الحسن الحرشي ^(١) ، حَدَّثَنَا محمد بن يعقوب ^(٢) ، أخبرنا الربيع ، قال : قال الشافعي : السعي في هذا الموضع هو العمل ، وتلا قوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ ، ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] . ويكون المعنى على هذا : فاعملوا على المضي إلى ذكر الله من التفرغ له ، والاشتغال بأسبابه من الطهارة والغسل والتوجه إليه بالقصد والنية . وذهب قوم إلى السعي الذي هو سرعة المشي ، وروي ذلك عن عبدالله بن الصامت ^(٣) أنه بينما هو يمشي إلى الجمعة سمع المؤذّن يؤذّن ، فرفع في مشيه لقول الله : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

وروى عمران بن الحياط ^(٥) أن إبراهيم كان يسعى يوم الجمعة ، وهذا كأنه ليس بالوجه لما روي أن النبي ﷺ قال : « إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ،

(١) هو أحمد بن الحسن الحرشي ، كان رئيساً محتشماً ، انتهى إليه علم الإسناد ، فروى عن أبي الميداني ، والأصم وطبقتهما ، ولي قضاء نيسابور ، وقد صم بآخره ، حتى بقي لا يسمع شيئاً ، ووافق شيخه الأصم في الأصول والحديث ، توفي سنة ٤٢١ هـ وله ست وتسعون سنة . انظر : شذرات الذهب ٢١٧/٣ ، والكمال في التاريخ ٣٥٢/٧ ، والعبر ٢٤٣/٢ .

(٢) هو أبو العباس الأصم .

(٣) هو عبدالله بن الصامت الغفاري البصري ، ثقة ، وهو ابن أخي أبي ذر ، يكنى أبا نصر . انظر : المعارف ٢٥٣ ، والتقريب ٤٢٣/١ .

(٤) أخرجه البيهقي في سننه ، وفيه : « خرجت إلى المسجد يوم الجمعة فلقيت أبا ذر فجذبني جذبة فقال : أولسنا في سعي » . الدرر ٢١٩/٦ . واقتصر المؤلف - رحمه الله - على ما ذكر لبيان من فسّر السعي بالسرعة وإن عارضه غيره ، والله أعلم .

(٥) هو عمران بن حطان بن ظبيان ، يكنى أبا شهاب ، تابعي مشهور ، وكان من رؤوس الخوارج من الصفرية ، ولما طال عمره وضعف عن الحرب اقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه ، وكان شاعراً مغلقاً كثيراً ، توفي سنة ٨٤ هـ . انظر : الإصابة ١٧٨/٣ ، وميزان الاعتدال ٢٣٥/٣ ، والأعلام ٧٠/٥ .

ولكن آتوها وعليكم السكينة»^(١)، فنهى عن السعي في الإتيان إلى الصلاة، فدلَّ أن السعي المأمور به في الآية غير هذا الذي نهى عنه النبي ﷺ، غير أنه يحتمل أن يقال: صلاة الجمعة مخصوصة بجواز السعي إليها للآية، وغيرها من الصلاة تؤتى بالسكينة^(٢)، والوجه الأقوال المتقدمة^(٣).

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي: سعى إذا مشى، وسعى إذا غدا، وسعى إذا عمل، وسعى إذا قصد، قال: وقول الله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ أي اقصدوا^(٤).

ومعنى ﴿ذِكْرُ اللَّهِ﴾ هاهنا الصلاة المفروضة في قول أكثر المفسرين^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾. قال الحسن: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل البيع والشراء^(٦).

قال أصحابنا: إذا جلس الإمام على المنبر يترك البيع لقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، فمن باع في تلك الساعة فقد خالف الأمر وبيعه منعقد؛ لأن النهي عن البيع

(١) الحديث رواه البخاري في الأذان، باب: لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار ١/١٦٤، ومسلم في المساجد، باب: استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ١/٢٣٩ (٦٠٣)، وأحمد ٢/٥٣٢.

(٢) انظر: روح المعاني ٢٨/١٠٢.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/٤٤٥، وقال بعد ذكره الحديث المتقدم: «ولم يفرق بين الجمعة وغيرها، واتفق فقهاء الأمصار على أنه يمشی إلى الجمعة على هيئته».

(٤) انظر: تهذيب اللغة (سعى) ٣/٩١.

(٥) ومراد المؤلف - رحمه الله - أن الذكر يشمل الصلاة والخطبة معاً؛ إذ خص بعض العلماء الذكر بالصلاة، والأكثر من فسروه بالخطبة فقط، فجمع المؤلف بين القولين. انظر: جامع البيان ٢٨/٦٥، والكشف والبيان ١٣/١٢١ ب، وزاد المسير ٨/٢٦٥، والمغني ٣/١٧١، وأحكام القرآن للجصاص ٣/٤٤٦.

(٦) انظر: التفسير الكبير ٣٠/٨، وهذا هو قول مجاهد، والزهري، وأحمد. انظر: المغني ٣/١٦٣، وأحكام القرآن للجصاص ٣/٤٤٨.

تنزيه لقوله : ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، فدلَّ ذلك على الترغيب في ترك البيع في ذلك الوقت^(١) ، ولا يحتاج إلى ذكر الشراء ؛ لأنه بيع أيضاً ، ولأنه لا يوجد شراء من غير بيع ، فإذا منع البيع فقد منع الشراء . قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي ما هو خير لكم وأصلح .

١٠ . قوله : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : إذا صليتم الفريضة^(٢) .

وقال مقاتل : فرغتم من الصلاة يوم الجمعة فانتشروا في الأرض ، هذا أمر بإباحته للانتشار بعد الأمر بالاجتماع للصلاة بالسعي إليها^(٣) .

قال ابن عباس : فإن شئت فخرج وإن شئت فصلَّ العصر ، وإن شئت فاقعد^(٤) ، يعني إن هذا ليس بأمر حتم ، كذلك قوله : ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع بقوله : ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ .

قال مقاتل : أحل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة ؛ فمن شاء خرج إلى تجارته ، ومن شاء لم يفعل^(٥) .

وقال مجاهد : إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل^(٦) .

(١) انظر : الأم ١/ ١٧٣ ، وزاد المحتاج بشرح المنهاج ١/ ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، والمجموع ٤/ ٥٠٠ ، ويرى مالك أن يفسخ البيع ، والمدونة ١/ ١٤٣ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٦/ ٧٤ بلفظ : «إذا فرغ الإمام من صلاة الجمعة» .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ أ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٤٥ ، والتفسير الكبير ٩/ ٣٠ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ أ ، والتفسير الكبير ٩/ ٣٠ .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ١٥٧ عن مجاهد وعطاء ، وانظر : الدر المنثور ٦/ ٢٢ .

وقال الضحاك : هو إذن من الله إذا فرع ؛ إن شاء خرج ، وإن شاء قعد في المسجد^(١) .

والأحسن في الابتغاء من فضل الله أنه طلب الرزق ، وذكر أوجه من طلب الولد ، وطلب العلم ، وعيادة المريض ، وحضور الجنازة . والظاهر هو الأول ؛ لأن إباحة ما منع هو البيع^(٢) .

وروى أن عراك بن مالك^(٣) كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، وقال : « اللهم إني^(٤) أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين »^(٥) .

وأجمع المفسرون على أن الأمر بالانتشار والابتغاء أمر إباحة كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة : ٢٠] ، وليس على كل من حل من إحرامه أن يصطاد . قال أبو إسحاق : هذا مثل قولك في الكلام : إذا حضر تنسي فلا تنطق^(٦) ، وإذا غبت عني فتكلم بما شئت ، إنها معناه الإباحة^(٧) .

(١) انظر : جامع البيان ٦٦/٢٨ ، والدر ٢٢/٦ .

(٢) قال النحاس : وظاهر الآية يدل على إباحة الانتشار في الأرض لطلب رزق في الدنيا أو ثواب في الآخرة . إعراب القرآن ٣/ ٤٣٠ .

(٣) هو عراك بن مالك الغفاري ، الكناي ، المدني ، ثقة فاضل ، توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد المائة . انظر : العبر ١/ ٩٢ ، والتقريب ١٧/٢ .

(٤) (إني) ساقطة من نسخة (ك) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عنه ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٦٧ .

(٦) في (ك) : (تنطلق) .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٢ .

قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ . قال مقاتل : باللسان^(١) ، وقال سعيد : واذكروا الله كثيراً بالطاعة^(٢) .

وقال مجاهد : لا يكون من الذاكرين كثيراً حتى يذكره قائماً وقاعداً ومضطجعاً^(٣) .

١١ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ الآية . قال مقاتل : إن دحية الكلبي أقبل بتجارة من الشام قبل أن يسلم ، وكان يحمل معه من أنواع التجارة ، وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والصفق ، ووافق قدومه يوم الجمعة ، والنبى ﷺ قائم على المنبر يخطب ، فخرج إليه الناس ، وتركوا النبى ﷺ ، ولم يبق إلا اثنا عشر رجلاً ، فقال النبى ﷺ : «لولا هؤلاء لقد سومت لهم الحجارة» ، وأنزل الله هذه الآية^(٤) ، وهذا قول جماعة في سبب نزول هذه الآية . قال جابر بن عبد الله : وكان في الاثني عشر رجلاً الذين بقوا معه أبو بكر وعمر^(٥) .

وقال الحسن : أصاب أهل المدينة جوع ، وغلا سعرهم ، فقدمت عير ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فسمعوا بها وخرجوا إليها ، والنبى ﷺ قائم كما هو ، فقال : «لو أتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي ناراً»^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ أ ، والتفسير الكبير ٩ / ٣ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٩ / ٣ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٦٧ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب ، وفيه : «اثنا عشر رجلاً وامرأة . . .» .

(٥) أخرجه مسلم في رواية هشيم . فتح الباري ٢ / ٤٢٤ ، والإمام أحمد في المسند ، وروى العقيلي : أن منهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود ، وأناساً من الأنصار ، وعنده بسند متصل أن الاثني عشر هم العشرة المبشرة ، وبلال ، وابن مسعود . فتح الباري ٢ / ٤٢٤ .

(٦) انظر : أسباب النزول للواحدي ٤٩٤ ، ونسبه إلى المفسرين ، وتفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٩٢ عن

الحسن ، وجامع البيان ٢٨ / ٦٧ عن الحسن . وقوله : «لو أتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي =

وقال قتادة : فعلوا ذلك ثلاث مرات لغير تقدم ^(١) .

قوله تعالى : ﴿أَوْهَوَّا﴾ : المفسرون على أنه الطبل الذي كان يضرب لقدم الغير . وقال جابر : كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً على المنبر ، وكانوا إذا نكحوا الجواري يضربون المزامير والكبر ^(٢) ، فتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ؛ أي تفرّقوا عنك ، كقوله : ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . قال المبرد : انفضوا إليها ، الضمير للتجارة ^(٤) .

وقال الزّجاج والمبرد : ولو كان انفضوا إليه وإليها جاز كما جاز انفضوا إليها ^(٥) ؛ لأن الشّيين إذا عطف أحدهما على الآخر ومعناها واحد فاردد الخبر إليها أو إلى أحدهما ، أيهما شئت ؛ فإن الآخر داخل معه ^(٦) .

ناراً قال ابن حجر رحمه الله «فائدة : ذكر الحميد في الجمع أن أبا مسعود الدمشقي ذكر في آخر هذا الحديث أنه ﷺ قال : (. . .) ، ولم أر هذه الزيادة في الأطراف لابن مسعود ، ولا هي في شيء من طرق حديث جابر المذكورة ، وإنما وقعت في مرسل الحسن و قتادة » . فتح الباري ٢ / ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(١) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٦٧ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٢٧ أ .

(٢) الكبر : طبل له وجه واحد . تهذيب اللغة ١٠ / ٢١٣ ، واللسان (كبر) ٣ / ٢١٢ .

(٣) وقع عند الشافعي من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه مرسلأ ، ووصله أبو عوانة في صحيحه ، والطبري ، وانظر : جامع البيان ٢٨ / ٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤٣ . قلت : ما صح عن جابر - رضي الله عنه - في سبب النزول وما ذكره المفسرون في المراد باللهو لا تعارض بينهما ؛ إذ تفسر جابر للمراد باللهو بأنه ضرب الطبل في النكاح لم يصرح فيه على ما رواه ابن جرير وغيره بأن ذلك كان في يوم الجمعة ، فلعله كان أثناء خطبته ﷺ في غير الجمعة ، فحملت الآية على العموم ، وربما تكررت الحادثة كما ذكر قتادة ، والله أعلم . فتح الباري ٢ / ٤٢٤ ، وقال : ولا بعد في أن تنزل في الأمرين معاً وأكثر ٢ / ٤٢٤ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ١١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٥ / ١٧٢ .

(٦) انظر : الكشف ٤ / ٩٩ .

وهذا من كلام العرب المستقيم أن يذكروا الشئتين اللذين يرجعان إلى معنى مما يطلب فيهما ، فيردوا الخبر إلى أحدهما استغناء واختصاراً ، كقوله : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥] ، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤] ، ونحو هذا قال الفراء ، وزاد فقال : وأجود من^(١) ذلك أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين ، وإنما اختير هاهنا الرجوع إلى التجارة لأنها كانت أهم إليهم ، وهم بها أسر منهم بضرب الطبل ؛ لأن الطبل إنما دلَّ عليها ، فالمعنى كله لها^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾ : أجمعوا على أن هذا القيام كان في الخطبة ، وهذا دليل على أن من^(٣) أجاز القعود في الخطبة للجمعة .

قال جابر بن سمرة : ما رأيت رسول الله ﷺ خطب إلا وهو قائم ، فمن حدّثك أنه خطب وهو جالس فكذب^(٤) ، وسُئل عبدالله : أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً ؟ فقرأ : ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾^(٥) ، ولذلك سُئل ابن سيرين وعلقمة ، فقرأ هذه الآية^(٦) .

(١) (من) ساقطة من (ك) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١٥٧ / ٣ .

(٣) لعل الصواب : (وهذا دليل على من) من دون (أن) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : ذكر الخطبتين قبل الصلاة ، وما فيها من الجلسة ، وأبو داود في باب : الخطبة قائماً ، من كتاب الصلاة ، وأحمد في المسند ٨٧ / ٥ ، والنسائي في باب : السكوت في القعدة بين الخطبتين في كتاب الجمعة .

(٥) أخرجه ابن مردويه ، وابن أبي شيبه . انظر : المصنف لابن أبي شيبه ، وابن ماجه ، والطبراني ، والدر ٢٢١ / ٦ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٧ / ١٣ ب .

(٦) انظر : المصنف لابن أبي شيبه عن ابن سيرين ، والدر ٢٢٢ / ٦ ، وذكره البغوي فقال : «وقال علقمة : سُئل عبدالله بن عمر . . . » ، ومعالم التنزيل ٣٤٦ / ٤ .

وروي أن كعب بن عجرة دخل المسجد وعبدالرحمن^(١) يخطب قاعداً ، فقال :
انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً ، وقال الله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ ، وتلا
الآية^(٢) .

وقال الشعبي : أول من خطب قاعداً معاوية^(٣) .

قوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَنَّةِ ﴾ . قال مقاتل : يعني من الطبل
والصفق ، ﴿ وَمِنَ الْجَنَّةِ ﴾ التي جاء بها دحية^(٤) .

قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ : المخلوق مرزوق ، فإذا غضب قطع رزقه ، والله
- عز وجل - يسخط ولا يقطع ، وهو أحكم الحاكمين .

* * *

(١) هو عبدالرحمن بن أبي الحكم .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ٥٩٠ / ٢ ، وابن أبي شيبة ١١٢ / ٢ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة ١١٢ / ٢ من طريق الشعبي : أن معاوية إنما خطب قاعداً لما كثر شحم بطنه ولحمه .
وأخرج عن طاوس . . . وأول من جلس على المنبر معاوية . وروى سعيد بن منصور عن الحسن : . . .
وأول من خطب جالساً معاوية . وانظر : فتح الباري ٤٠١ / ٢ ، والدر ٢٢٢ / ٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب .

تفسير

سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ : يعني عبدالله بن أبي وأصحابه . ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ . وتم الخبر عنهم ، ثم ابتداء فقال : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ؛ أي أنه إرسلك ، فهو يعلم أنك رسوله ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) .

قال الفرّاء : جعلهم كاذبين لأنهم أضمرُوا غير ما أظهرُوا^(٢) ، يعني أنهم لما أضمرُوا خلاف ما شهدوا به سَمَّاهم كاذبين ، فدلَّ هذا على أن حقيقة الإيمان بالقلب ، وكذلك حقيقة كل كلام . ومن قال شيئاً واعتقد خلافه فهو كاذب ، ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ . وسَمَّاهم الله كاذبين ؛ لأنه قلوبهم كانت تحالف ألسنتهم في ما يقولون . وقال قوم : لم يكذبهم الله في قوله : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ ، وإنما أكذبهم بغير هذا مما وجد منهم من الكذب

(١) انظر : التفسير الكبير ١٢ / ٣٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٥٨ / ٣ .

الذي أخبر الله عنهم في قوله : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة : ٧٤] الآية ، وقوله : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾^(١) ، والقول هو الأول .

وجواب (إذا) قوله : (نشهد) ؛ أي إنهم إذا أتوك شهدوا لك بالرسالة وهم كاذبون في تلك الشهادة ؛ لأنهم يقولونها عن غير اعتقاد ومواطأة قلب مع اللسان ، وكل قول خالف اللسان فيه القلب فهو كذب ، ألا ترى أن شاهداً لو شهد على حق من غير علم كان كاذباً ؛ لأنه شهد ولم يعلم ، كذلك المنافقون شهدوا ولم تكن شهادتهم مستندة إلى عقيدة وعلم بالقلب فكانوا كاذبين .

٢ . قوله تعالى : ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : مذهب أهل العراق أن^(٢) من قال أشهد بالله لقد كان كذا ، أو قال أشهد ، ولم يقل بالله ونوى يميناً كان ذلك يميناً بالنية ، واحتجوا بهذه الآية ، وهو أن الله تعالى لم يذكر منهم إلا الشهادة ، ثم قال : ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ ، فسمى شهاداتهم أيماناً^(٣) ، وعند الشافعي لا يكون أشهد بالله يميناً وإن نوى ذلك^(٤) .

(١) من الآية رقم : ٥٦ من سورة التوبة ، وهذا هو رأي الزَّجَّاج حيث قال : «أكذبهم في ما تعتقده قلوبهم وفي أنهم يحلفون بالله إنهم لمنكم ، ويحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر» . معاني القرآن للزَّجَّاج ١٧٥/٥ . قلت : ولعل هذا هو الصواب ؛ لأن حمل الآية على العموم أولى ، وشهادتهم تدخل ضمن هذا المعنى ، والله أعلم .

(٢) (أن) ساقطة من (ك) .

(٣) انظر : شرح فتح القدير لابن الهمام ١٢/٤ .

(٤) انظر : المجموع للنووي ٣٦/١٨ ، وفتح الباري ٥٤٤/١١ . وفي الأم ٥٦/٧ قال : وإذا قال : أشهد بالله فإن نوى اليمين فهو يمين ، وإن لم ينو يميناً فليس يمين ؛ لأن قوله أشهد بالله يحتمل أشهد بأمر الله ، وإذا قال : أشهد ، لم يكن يميناً ، وإن نوى يميناً فلا شيء عليه .

ومعنى ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ ما أخبر الله عن حلفهم الباطل في آيات من سورة الحشر^(١).

قال الضحاك ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ : حلفهم إنهم لمنكم^(٢) ، وتفسير هذه الآية قد تقدّم في سورة المجادلة .

٣. قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ قال مقاتل : ذلك الكذب بأنهم آمنوا باللسان ، ثم كفروا في السر ، وجحدوا بقلوبهم^(٣) ، وهذا تأكيد لما فسّرناه في قوله : ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

قوله : ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : ختم الله على قلوبهم^(٤) .

وقال مقاتل : طبع على قلوبهم بالكفر^(٥) . ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ : لا يفهمون الإيمان والقرآن وصدق محمد ﷺ . والمعنى أن الله جازاهم بصنعهم الطبع على قلوبهم .

٤. قوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ . قال الكلبي : يعني عبدالله بن أبي ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر^(٦) .

(١) وذلك عند قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآيات .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٦٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب ، والتفسير الكبير ١٣ / ٣٠ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٧٦ / ٦ ، والتفسير الكبير ١٣ / ٣٠ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب ، والتفسير الكبير ١٣ / ٣٠ .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٤٨ ، والتفسير الكبير ١٤ / ٣٠ ، ولم ينسبها إلى أحد .

قال زيد بن أرقم : كانوا رجالاً أجهل شيء^(١) .

وقال ابن عباس : يريد أن لهم أجساماً ومناظر^(٢) .

وقال مقاتل : كان عبدالله بن أبي جسيماً صحيحاً فصيحاً ذلق اللسان ، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله^(٣) ، وذلك قوله عز وجل : ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ .

وقال الكلبي : وإن يقولوا إنك لرسول الله تسمع لقولهم فتحسب أنه حق وصدق منهم^(٤) .

ثم شبَّههم ، فقال : ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ﴾ . والاختيار في : ﴿خُشْبٌ﴾ التخفيف^(٥) ، نحو : بَدَنَةٌ وبُدْنٌ ، وفي المذكر : أَسَدٌ وأُسْدٌ ، وَوُثْنٌ وَوُثْنٌ .

(١) صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ١٩١ / ٦ ، وفتح الباري ٦٤٧ / ٨ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٧٦ / ٦ ، ومعالم التنزيل ٣٤٨ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب ، ومعالم التنزيل ٣٤٨ / ٤ ، وزاد المسير ٢٧٤ / ٨ .

(٤) انظر : زاد المسير ٢٧٥ / ٨ .

(٥) قرأ أبو عمرو ، والكسائي ، وقنبل في رواية ابن مجاهد : (خُشْبٌ) بضم الخاء وإسكان الشين . انظر : حجة القراءات ٧٠٩ ، والنشر ٢ / ٢١٦ ، والإتحاف ٤١٦ .

وقال ابن جرير - رحمه الله - بعد تصويب القراءتين : وتسكين الأوسط في ما جاء من الجامع لأحكام القرآن فعلة على فعل في الأسماء على ألسن العرب أكثر ، وذلك كجمعهم البدنة بدنا ، والأجمة أجمها . جامع البيان ٧٠ / ٢٨ . قلت : إذا كان العرب في كلامهم على ما ذكر ابن جرير وأكثر القراء على خلاف ذلك فهذا مما يقوِّي قراءة الجمهور ، ويؤكد على صحتها عن رسول الله ﷺ ، وإذا كان للترجيح مجال هنا فترجيح ما تعددت طرقه عن الرسول ﷺ أولى ، والله أعلم .

قال الأخفش : ولغة أهل الحجاز التثقيل في : ﴿حُشْبٌ﴾ ، وذلك نحو : ثمرَ وثمرٌ ، وقالوا : أسدٌ بالتثقيل فيجمع أسدٌ . أنشد المبرد :

يقدم أقداماً عليلٌ كالأسد^(١)

قال المفسرون : الخشب لا أرواح فيها فلا تعقل ولا تفهم ، كذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ، ولا يعقلون ، وليس في أجوافهم إيمان لذلك شبَّههم بالخشب .^(٢)

قال أبو إسحاق : وصفهم بتمام الصور وحسن الإبانة ، ثم أعلم^(٣) أنهم في تركهم^(٤) التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب^(٥) .

قوله : ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ . يقال : أسندت الشيء ، أي أملتة فاستند كالخشب يسند إلى الجدار . ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ للتكثير^(٦) ؛ لأنها صفة خشب ، وهي جمع أشجار^(٧) ، وصفها بالتسنيذ إرادة أنها ليست بأشجار قائمة تنمو وتزيد وتنبت الورق والثمر ويحسن منظرها ، بل هي خشب ملقاة بعضها على بعض مسندة إلى حائط ، كذلك هم لا يسمعون النداء ولا يقبلون ، فشبَّههم بالخشب في أخس أحوالها

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٩١ ، ٢٩٢ ، واللسان (خشب) ١ / ٨٣٢ ، ولم أجد البيت منسوباً إلى قائل .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب ، وجامع البيان ٢٨ / ٦٩ ، وروح المعاني ٢٨ / ١١١ .

(٣) في (ك) : (أعلمهم) .

(٤) في (ك) : (ترك) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ١٧٦ .

(٦) انظر : اللسان (سند) ٢ / ٢١٥ .

(٧) في (ك) : (أثمار) .

ليست بأشجار فتثمر ، ولا منحوتة عمل منها شيء فينتفع به ، وهذا معنى قول الكلبي^(١) .

ثم عابهم بالجبن ، فقال : ﴿يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ . قال المفسرون : من الفرق والجبن لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أن قد أوتوا .

قال مقاتل : إن نادى مناد في العسكر ، أو انفلتت دابة ، أو نشدت ضالة ظنوا أنهم يرادون بذلك مما في قلوبهم من الرعب^(٢) ، قالوا : وسبب ذلك أنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم ، ويكشف أسرارهم ، فهم يتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة^(٣) .

وقال أبو إسحاق : ويجوز أن يكون المعنى : يحسبون أن كل من خاطب النبي ﷺ فإنما يخاطبه في أمرهم بكشف نفاقهم^(٤) .

ثم أعلم رسوله بعداوتهم ، فقال : ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ ؛ أي هم وإن كانوا معك يظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم أن تأمنهم على شرك ؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار يلقون^(٥) إليهم أسرارك .

قوله : ﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ مفسر في سورة براءة^(٦) .

(١) انظر : التفسير الكبير ١٥ / ٣٠ ، ولم ينسبه إلى قائل .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٥ ب ، والكشف والبيان ١٣ / ١٢٨ أ ، والتفسير الكبير ١٥ / ٣٠ ، والبحر المحيط ٢٧٢ / ٨ .

(٣) في (ك) : (ساعة) ، وانظر : جامع البيان ٦٩ / ٢٨ ، والتفسير الكبير ١٥ / ٣٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٧٦ / ٥ .

(٥) في (ك) : (يتلقون) .

(٦) عند تفسيره الآية رقم : ٣٠ من سورة التوبة .

٥. قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ . قال الكلبي :
لما نزل القرآن على رسول الله بصفة المنافقين مشى إليه عشائره من
المؤمنين ، وقالوا لهم : ويلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم ،
فأتوا رسول الله ﷺ ، وتوبوا إليه من النفاق ، وسلوه أن يستغفر لكم ،
فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ^(١) .

قال عطاء عن ابن عباس : لما رجع عبدالله بن أبي من أحد بكثير من الناس
مقته المسلمون وعنفوه ، فقال له بنو أبيه : لو أتيت رسول الله ﷺ حتى يستغفر
لك ويرضى عنك . قال : لا أذهب إليه ، ولا أريد أن يستغفر لي ^(٢) .

قال قتادة : قال قوم عبدالله بن أبي : لو أتيت رسول الله ﷺ فاستغفر لك ،
فجعل يلوي رأسه ، فنزلت هذه الآية ^(٣) .

وقال أكثر المفسرين : إنما دعي إلى الاستغفار ؛ لأنه كان قد قال : ﴿يُخْرِجُكَ
الْأَعْرُضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ ، وقال : ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ، ف قيل له : تعال
يستغفر لكم رسول الله ، فلوى رأسه ، وقال : ماذا قلت ؟ فذلك قوله : ﴿لَوْوَا
رُءُوسَهُمْ﴾ ^(٤) . قال مقاتل : عطفوا رؤسهم رغبة عن الاستغفار ^(٥) .

(١) انظر : التفسير الكبير ١٥ / ٣٠ .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل عن الزهري ، نحو هذا بسياق أطول . الدر ٦ / ٢٢٤ ، وذكره الرازي عن
ابن عباس من غير سند . التفسير الكبير ١٥ / ٣٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، وابن المنذر ، وعبد الرزاق في التفسير ، وعبد بن حميد . انظر : تفسير عبد الرزاق
٢ / ٢٩٤ ، وجامع البيان ٧١ / ٢٨ ، والدر ٦ / ٢٢٤ ، وقال ابن حجر : ووقع في مرسل الحسن ،
وأخرجه عبد بن حميد من طريق قتادة ، ومن طريق مجاهد ، ومن طريق عكرمة . فتح الباري ٨ / ٦٤٨ .

(٤) وهو المروي عن أكثر أهل التفسير والسير . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٩٤ ، وجامع البيان
٧٠ / ٢٨ ، والكشف والبيان ١٣ / ١٢٨ أ ، وأسباب النزول ٤٩٦ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٦ أ ، وزاد المسير ٨ / ٢٧٦ .

وُقِرِّي: (لووا) بالتخفيف من اليِّ، وهو يصلح للقليل والكثير، ويشهد لهذه القراءة قوله: ﴿لَيَأْتِيَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُنُوزُ الَّتِي كُنْتَ تُكْتُمُهَا فِي الْبُيُوتِ﴾^(١)، و﴿لَوْوَا﴾ من اليِّ. وُقِرِّي بالتشديد^(٢)، وهو يختص بالكثرة، والفعل هاهنا لجماعة، فهو كقوله: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ﴾ [ص: ٥٠]، على أنه قد جاء:

تَلْوِيَةَ الْخَاتِنِ زُبَّ الْمُعْذَرِ^(٣)

واختار أبو عبيد بالتشديد، قال: لأنهم كثير^(٤).

قال المبرِّد: لا أعلم الرواية اختلفت في أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي، وهو القائل: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية^(٥)؛ فالعرب قد تكني، فتجعل الكناية جمعاً، والمفعول واحد. قال جرير:

لا بَارَكَ اللهُ فِي مَنْ كَانَ يَحْسِبُكُمْ إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا^(٦)

(١) قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَدَعْنَا لِيَأْتِيَ بِلَايَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ﴾ [النساء: ٤٦].

(٢) قرأ نافع، ويعقوب من طريق روح، والمفضل عن عاصم: ﴿لَوَوَا﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقر: ﴿لَوَوَا﴾ بالتشديد. انظر: حجة القراءات ٧٠٩، والنشر ٣٨٨/٢، والإتحاف ٤١٦، ومعاني الأخفش ٧٠٩/٢.

(٣) أنشده أبو زيد، وورد في اللسان غير منسوب إلى قائل. انظر: الحجة للقراء السبعة ٢٩٣/٦، واللسان (عذر) ٧١٩/٢.

(٤) انظر: زاد المسير ٢٧٦/٨، وهو اختيار ابن جرير أيضاً. جامع البيان ٧٠/٢٨. قلت: واختارهم هذا لا يعني الطعن في قراءة التخفيف لثبوتها عن النبي ﷺ.

(٥) قلت: الروايات تظافرت على هذا، وإنما وقع الخلاف في الغزوة التي نزلت فيها هذه الآيات، والصواب أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، كما ذكر ابن كثير رحمه الله. انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٦٨/٤، وفتح الباري ٦٤٨/٨، ٦٤٩.

(٦) ديوان جرير ١٦٢/١.

وإنما يخاطب بهذه امرأة ، وهذا كثير في أشعارهم وكلامهم . يقول الرجل الواحد : نحن فعلنا ، يعني نفسه ، ويقول للرجل الواحد يخاطبه : أنتم فعلتم ، يعني المخاطب وحده .

وقوله : ﴿وَأَيَّتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ ؛ أي عن الاستغفار ، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن استغفار رسول الله ﷺ .

٦ . ثم ذكر أن استغفاره لا ينفعهم ، فقال : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ . قال قتادة ومقاتل : نزلت هذه الآية بعد قوله : ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٨٠] الآية ؛ وذلك أنها لما نزلت قال نبي الله ﷺ : خيرني ربي ، فلا يزيدنهم على السبعين ، فأنزل الله هذه الآية ^(١) .

﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد المنافقين ^(٢) . والمعنى : لا يجعل جزاءهم على النفاق أن يهديهم ، أو لا يهدي من سبق في علمه وقضائه أنه فاسق منافق .

٧ . ثم أخبر بشنيع مقاتلتهم ، فقال : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ . قال المفسرون : اقتتل أجير لعمر مع أجير

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر ، وفيه : «فقال رسول الله ﷺ : إنما خيرني الله فقال : ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ . وسأزيده على السبعين» . صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ، وباب : «ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، وانظر : التفسير الكبير ١٥ / ٣٠ . قال ابن حجر : وروى عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال النبي ﷺ : «لأزيدن على السبعين» ، فأنزل الله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ . ورجاله ثقات مع إرساله ، ويحتمل أن تكون الآيتان معاً نزلتا في ذلك . فتح الباري ٣٣٦ / ٨ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٧٧ / ٦ ، والتفسير الكبير ١٥ / ٣٠ .

لعبدالله بن أبي في بعض الغزوات ، وأسمع أجير عمر لعبد عبدالله بن أبي المكروه ، واشتد عليه لسانه ، فغضب عبدالله وعنده رهط من قومه ، فقال : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل - يعني بالأعز نفسه ، وبالأذل رسول الله ﷺ - ثم أقبل على قومه ، فقال : لو أمسكتن النفقة عن هؤلاء - يعني المهاجرين - لأوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد ، فأنزل الله فيه هذه الآية ^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال مقاتل : يعني مفاتيح الرزق والمطر والنبات ^(٢) . والمعنى : أن الله هو الرزاق للخلق كلهم ، ولهؤلاء المهاجرين لا هم ؛ لأن خزائن الرزق من السموات والأرض لله تعالى كما قال : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس : ٣١] .

وقال أهل المعاني : خزائن الله مقدوراته ؛ لأن فيها كل ما شاء مما يريد إخراج ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ . قال ابن عباس : لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ^(٤) .

٨. قوله : ﴿يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ من تلك الغزوة التي كانوا فيها - وهي غزوة بني المصطلق - إلى المدينة ﴿لِيُخْرِجَنَا الْأَعْزُ﴾ يعني عبدالله بن أبي بالأعز نفسه وبالأذل ^(٥) رسول الله ، فرد عليه فقال :

(١) انظر : أسباب النزول للواحدي ٤٩٦ ، وزاد المسير ٢٧١ / ٨ ، والتفسير الكبير ١٧ / ٣٠ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٦ ب ، والتفسير الكبير ١٧ / ٣٠ .

(٣) انظر : مفردات الراغب (خزن) ، والتفسير الكبير ١٧ / ٣٠ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٥٠ ، والتفسير الكبير ١٧ / ٣٠ ، ولم ينسبها إلى قائل .

(٥) في (ك) : (بالأذل) من دون الواو .

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ . قال ابن عباس : المنعة ^(١) ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

بإعزاز الله ونصره إياهم وإظهار دينهم على سائر الأديان .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أنه مظهر ^(٢) دينه على الدين كله ، ومُعزُّ رسوله ومن معه من المؤمنين ^(٣) .

٩ . قوله : ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ، ولو علموا ما قالوا مقالتهم هذه .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ . قال عطاء : عن فرائض الله ؛ الحج ، والزكاة ^(٤) .
وقال الضحاك : الصلوات الخمس ^(٥) .

وقال مقاتل : عن الصلاة المكتوبة . وعنده أن هذه الآية والتي بعدها خطاب للمنافقين الذين أقروا بالإيمان ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ؛ أي من ألهاه ماله وولده عن ذكر الله ، فعبر عن هذا بفعله ؛ لأنه ما لم يله بماله لم يلهه المال ، ومن لم يغتر بشيء لم يغره ، وهذا معنى قول صاحب النظم ^(٧) .

(١) انظر : تنوير المقياس ٧٨ / ٦ .

(٢) في (ك) : (يظهر) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٧٧ / ٥ .

(٤) لم أجده منسوباً إلى قائل ، وقد ذكره الرازي في تفسيره ١٨ / ٣٠ .

(٥) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما . جامع البيان ٧٦ / ٢٨ ، والدر ٢٢٦ / ٦ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٥٧ أ ، والتفسير الكبير ١٨ / ٣٠ .

(٧) انظر : التفسير الكبير ١٨ / ٣٠ .

١٠. ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد زكاة الأموال^(١) .

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ، فيسأل الرجعة إلى الدنيا ، وهو قوله : ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ . قال أبو إسحاق : حضَّهم على إدامة الذكر ، وأن لا يرضوا بالأموال من قبل أن يعاين ما يعلم معه أنه ميت^(٢) ، فيقول : ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ : هالاً أمهلتنى وأخَّرت أجلي إلى أجل قريب ، يعني استزاده في أجله حتى يتصدق ويزكي ، وهو قوله تعالى : ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : هذا دليل على أن القوم لم يكونوا مؤمنين ؛ وذلك أن المؤمن لا يسأل الرجعة ، إنما يسأل الكافر^(٣) .

وقال الضحاك : لم ينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤدَّ الزكاة إلا سأل الرجعة . وقرأ^(٤) هذه الآية .

وقال في قوله : ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني الحج^(٥) ، ونحو هذا روي عن ابن عباس أنه قال ذلك ، ف قيل له : اتق الله فإن الكافر يسأل الرجعة ، فقال : أنا أقرأ عليكم به قرأناً ، ثم قرأ هذه الآية إلى قوله : ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، قال : أحج^(٦) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٣٥١/٤ ، والتفسير الكبير ١٨/٣٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٧٧/٥ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ١٩/٣٠ .

(٤) في (ك) : (وقال) .

(٥) أخرجه ابن جرير عنه . جامع البيان ٧٧/٢٨ ، والتفسير الكبير ١٩/٣٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير ، والترمذي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، من طريق أبي حناب ، وهو ضعيف ، وفيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس . انظر : جامع البيان ٧٦/٢٨ ، وسنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ٣٩٠/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٧٣/٤ .

قال أبو إسحاق : معناه : هلاً أُخِّرْتَنِي .

وجزم ﴿وَأَكُنْ﴾ على موضع ﴿فَأَصْدَقْ﴾ ؛ لأنه على معنى : إن أُخِّرْتَنِي أَصْدَقَ وَأَكُنْ من الصالحين ، ومن قرأ : (وَأَكُونَ) فهو على لفظ : (فَأَصْدَقَ) ، (وَأَكُونَ)^(١) . قال المُبَرِّد : من قرأ (وَأَكُونَ) فعلة ما قبله ؛ لأن ﴿فَأَصْدَقْ﴾ جواب للاستفهام الذي فيه التمني ، وهو قوله : ﴿لَوْلَا أُخِّرْتَنِي﴾ ؛ أي هلاً أُخِّرْتَنِي ، والجزم على موضع الفاء ؛ لأن الفاء دخلت على شيء لو لم يكن فيه لكان مجزوماً ولم يتغير المعنى ، فكأنه : لولا أُخِّرْتَنِي إلى أجل قريب أَصْدَقَ وَأَكُنْ . وأنشد سيبويه أبياتاً كثيرة في الحمل على الموضع ، منها قوله :

فلسنا بالجبال ولا الحديد^(٢)

ومنه قول لبید :

فإن لم نجد من دون عدنان والداً ودون معداً فلترعك العوازل^(٣)

فنصب (دون معداً) على الموضع ؛ لأن (من) زائدة ، وزاد أبو علي شرحاً وبياناً فقال : ﴿وَأَكُنْ﴾ عطفاً على موضع قوله : ﴿فَأَصْدَقْ﴾ ؛ لأنه في موضع فعل مجزوم ، ألا ترى أنك إذا قلت : أُخِّرْنِي أَصْدَقَ ، كان مجزماً بأنه جواب الجزاء ، وقد أغنى السؤال عن ذكر الشرط ، والتقدير : أُخِّرْنِي فَإِنْ تَوَخَّرْنِي أَصْدَقَ ، فلماً كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جزاء الشرط حمل قوله :

(١) معاني القرآن للزجاج ١٧٨/٥ . وفي قوله تعالى : ﴿وَأَكُنْ﴾ قرأ الجمهور : ﴿وَأَكُنْ﴾ بجزم النون من غير واو ، وقرأ أبو عمرو : (وَأَكُونَ) بالواو ونصب النون . انظر : حجة القراءات ٧١٠ ، والنشر ٣٨٨/٢ ، والإتحاف ٤١٧ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ١٩/٣٠ . والبيت لعقبة بن هبيرة الأسدي . انظر : شرح الشواهد ٣٤/١ ، والخزانة ٣٤٣/١ ، وشرح المفصل ١٠٩/٢ ، وينسب أيضاً إلى عبدالله بن الزبير الأسدي .

(٣) ديوان لبید ٢٥٥ ، والكتاب ٣٤/١ ، والخزانة ٢٥٢/٢ ، وسر صناعة الإعراب ١٣٠/١ .

﴿وَأَكُنْ﴾ عليه ، وأنشد الأئمة في وجه هذه القراءة قول الشاعر :

فَأَبْلُونِي بَلَّيْكُمْ لَعَلِّي أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجُ نَوِيًّا^(١)

حمل (وأستدرج) على موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلِّي^(٢) . وأما قراءة أبي عمرو : (وأكون) فإنه حملة على اللفظ دون المعنى ، وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره في اللفظ وقربه^(٣) .

١١ . ثم أخبر الله تعالى أنه لا يؤخر من انقضت مدته وحضر أجله ، فقال : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا﴾ ؛ أي عند الموت . ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . قال عطاء : أي لو رُدَّ إلى الدنيا ما زكَّى ولا حجج^(٤) ، ويكون هذا كقوله : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٥) . والمفسرون على أن هذا خطاب شائع لكل عامل عمل خيراً أو شراً .

وروي عن عاصم أنه قرأ : (يعملون) بالياء^(٦) على قوله : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا﴾ ؛ لأن النفس ، وإن كان واحداً في اللفظ ، فالمراد به الكثرة ، فحمل على المعنى^(٧) ، والله تعالى أعلم .

(١) البيت لأبي دؤاد كما في ديوانه ٣٥٠ ، والخصائص ١٧٦/١ ، وشواهد شرح أبيات المغني ٢٩٢/٦ ، واللسان (علل) ، وأما ابن الشجري ٢٨٠/١ ، ومغني اللبيب ٤٢٣ ، والنقائض ٤٠٨ . النوى : الوجه الذي يقصد ، وأستدرج : أرجع أدراجي .

(٢) في نسخة (ك) : (على موضع لعلِّي وما بعدها) ، والتصحيح من الحجة .

(٣) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢٩٣/٦ ، ٢٩٤ .

(٤) التفسير الكبير ١٩/٣٠ ، ولم ينسبه إلى قائل .

(٥) قال تعالى : ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَحْفُوتُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

(٦) قرأ أبو بكر عن عاصم : (يَعْمَلُونَ) خبر غائبين ، وقرأ الباقر : ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب .

انظر : حجة القراءات ٧١١ ، والنشر ٣٨٨/٢ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٢٩٤/٦ .

تفسير

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يُسَبِّحُ﴾ هذه الآية قد تقدّم تفسيرها^(١).

٢. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾. قال الوالبي عن ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم^(٢)؛ مؤمناً وكافراً^(٣)، وقال عطية عنه: يريد فمّنكم مصدّق، ومنكم جاحد^(٤).

وقال أبو إسحاق: خلقكم في بطون أمهاتكم كفاراً ومؤمنين^(٥).

(١) في أول سورة الحشر، والجمعة.

(٢) في (ك): (خلقكم).

(٣) انظر: الكشف والبيان ١٣/١٣ب، ومعالم التنزيل ٤/٣٥٢، وزاد المسير ٨/٢٧٩، وقال:

«والأحاديث تعضد هذا القول . . .».

(٤) التفسير الكبير ٣٠/٢١، ونسبه إلى عطية.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/١٧٩.

وجاء في التفسير أن يحيى بن زكريا خلق في بطن أمه مؤمناً ، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً^(١) ، ودليل صحة هذا قوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٩] ، فأعلم أنه مخلوق كذلك .

وروى أبو سعيد الخدري : خطبنا رسول الله ﷺ عشية ، فذكر شيئاً مما يكون ، ثم قال في خطبته : «يولد الناس على أطباق شتى ، يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت مؤمناً ، ويولد الرجل كافراً ويعيش كافراً ويموت كافراً ، ويولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً ، ويولد الرجل كافراً ويعيش كافراً ويموت مؤمناً»^(٢) .

٥ . قوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾ يخاطب أهل مكة . ﴿ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ : يعني الأمم الكافرة .

٦ . قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ ؛ أي عن إيمانهم وعبادتهم .

٩ . قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ﴾ . قال الزجاج : ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوب بقوله : ﴿ لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَتَنبَوْنَ ﴾^(٣) .

قوله : ﴿ لَيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات وأهل الأرض^(٤) .

(١) قال ﷺ : «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً ، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١٨٣١) ، وصحيح الجامع ١١٣ / ٣ .

(٢) ذكر الثعلبي نحوه عن أبي سعيد الخدري من دون سند ، ومن دون رفع للنبي ﷺ ، وكذا البغوي . انظر : الكشف والبيان ١٣٤ / ١٣ أب ، ومعالم التنزيل ٣٥٢ / ٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٨٠ / ٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٧ أب ، ومعالم التنزيل ٣٥٣ / ٤ ، والتفسير الكبير ٢٤ / ٣٠ .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾ : التغابن تفاعل من الغبن ، والغبن في الشراء والبيع ، يقال : غبنه يغبنه إذا أخذ الشيء عنه من دون قيمته^(١) .

قال ابن عباس : إن قوماً في النار يعذبون ، وقوماً في الجنة يتنعمون^(٢) .

وقال المقاتلان : هو يوم يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل ، وأهل الهدى أهل الضلالة ، وأهل الإيمان أهل الكفر ، فلا غبن أبين منه ، هؤلاء يدخلون الجنة ، وهؤلاء يدخلون النار^(٣) ، وهذا معنى قول جماعة المفسرين^(٤) .

قال : ويرى الكافر مقعده وأزواجه من الجنة لو آمن ليزداد حسرة ، وإذا لم يؤمن ويرثه المؤمنون ، فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة^(٥) . وحقيقة المعنى أننا قد ذكرنا أن أهل الغبن والتغابن في البيع والشراء ، وقد ذكر الله تعالى أن الكافرين اشترؤا الحياة الدنيا بالآخرة^(٦) ، واشترؤا الضلالة بالهدى ، ثم ذكر أنهم ما ربحوا في هذه التجارة ، فقال : ﴿فَمَا رَیَحَتْ بِجَنَّتِهِمْ﴾^(٧) ، ودلّ المؤمنين

(١) تهذيب اللغة (غبن) ١/ ١٤٨ ، ومفردات الراغب (غبن) .

(٢) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٤ .

(٣) تفسير مقاتل ١٥٧ ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٢٤ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٧٥ .

(٤) روى نحوه عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٧٩ ، وجامع البيان ٢٨/ ٧٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٨٢ .

(٥) يشهد لهذا المعنى الحديث الصحيح عن أبي هريرة ، قال : قال النبي ﷺ : «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ، ليزداد شكراً ، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة» . صحيح البخاري في كتاب الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٦ .

قال ابن حجر : «وقع عند ابن ماجه أيضاً ، وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة : بلفظ ما منكم من أحد إلا وله منزلان ؛ منزل في الجنة ، ومنزل في النار . فإذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» ، وذلك قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ . فتح الباري ١١/ ٤٤٢ .

(٦) وذلك في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ [البقرة : ٨٦] .

(٧) قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِجَنَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٦] .

على تجارة رابحة بقوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ لَا تُخْزِيكُمْ﴾ [الصف: ١٠] الآية^(١) . فكل من آمن وجاهد بنفسه وماله فقد ربحت تجارته ، وذكر أنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] الآية ، فخسرت صفقة الكفار ، وربحت صفقة المؤمنين ، غير أن هذا التغابن إنما يظهر في القيامة إذا صار المؤمنون إلى الجنة ، فربحوا الجنة ومنازلها بتجارتهم ، وخسرها الكفار وصارت عاقبتهم النار ، فذلك اليوم يوم التغابن على معنى يوم ظهور التغابن .

١١ . قوله : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : بعلمه وقضائه^(٢) .

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ . قال مقاتل : يهد قلبه عند المصيبة ، فيعلم أنها من الله ، فيسلم لقضاء الله ويستريح ، فذلك قوله : ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ ؛ أي للتسليم والاسترجاع عند المصيبة ، وذلك معنى قوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ إلى قوله : ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣) . قال أهل المعاني : يهد قلبه للشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء^(٤) .

١٤ . ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ . قال عكرمة : سأل رجل عن هذه الآية ابن عباس ، فقال : هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة فلم يدعهم أزواجهم

(١) قوله : «على تجارة رابحة» بقوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ مكررة .

(٢) تنوير المقباس ٦/ ٨٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٨٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٧٥ .

(٣) سورة البقرة ١٥٦ ، ١٥٧ ، وانظر : تفسير مقاتل ١٥٧ ب .

(٤) معاني القرآن للقرطبي ٣/ ١٦١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٦ ، ذكرها عن أبي بكر الوراق ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٧٥ ، وقد استشهد لهذا القول بقول الرسول ﷺ : «عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له» . الحديث .

وأولادهم ، فهو قوله : ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوا وتقبلوا منهم وتدعوا الهجرة .

﴿وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ . قال : إن الرجل من هؤلاء إذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجه وولده الذين ثبطوه عن الهجرة ، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ، ولم يصبهم بخير ، فأنزل الله : ﴿وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) .

قال قتادة : قوله : ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ . قال : ينهاون عن الإسلام ، ويبطئون عنه وهم من الكفار^(٢) .

﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ : فظهر أن هذه العداوة إنما هي للكفر والنهي عن الإيمان ، وهذا لا يكون بين المؤمنين ؛ فأزواجهم^(٣) وأولادهم المؤمنون لا يكونون عدوًّا لكم .

١٥ . وفي هؤلاء الأولاد والأزواج الذين ثبطوا عن الهجرة نزل قوله : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ . قال ابن عباس : أي لا تطيعوهم في معصية الله^(٤) .

قال مقاتل : ﴿فِتْنَةٌ﴾ ؛ أي بلاء وشغل عن الآخرة^(٥) .

(١) أسباب النزول للواحدي ٥٠٠ ، وسنن الترمذي ٣٩١ / ٥ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، والمستدرک ٤٩٠ / ٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، وجامع البيان ٨٠ / ٢٨ .

(٢) تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٩٥ ، وجامع البيان ٨١ / ٢٨ .

(٣) في نسخة (ك) : «وأزواجهم ، ولا يكونون ، في هؤلاء» ، والتصحيح من التفسير الكبير ، وبه تستقيم العبارة .

(٤) التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧ .

(٥) تفسير مقاتل ١٥٨ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٥٤ .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أن الأموال والأولاد مما يفتنون به ^(١) ، وهذا عام في جميع الأولاد ؛ فإن الإنسان مفتون بولده ؛ لأنه ربما عصى الله بسببه ، وتناول الحرام لأجله ، ووقع في العظائم إلا من عصمه الله ، ويشهد لهذا ما روي أن النبي ﷺ كان يخطب ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ، فنزل النبي ﷺ إليهما ، فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر ، وقال : « صدق الله : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ » ، رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما » ، ثم أخذ في خطبته . ^(٢)

وروى المسعودي عن القاسم ، قال : لا يقولن أحدكم : اللهم إني أعوذ بك من الفتنة ، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن ^(٣) .

قوله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال ابن عباس : ثواب جزيل وهو الجنة ^(٤) . والمعنى : لا تعصوه بسبب أولادكم ، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ . قال مقاتل : ما أطقتم ^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٨٢ / ٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٥٤ / ٥ ، وقال ابن حجر : أخرجه أصحاب السنن ، وابن حبان ، والحاكم ، وأحمد ، وإسحاق ، وابن أبي شيبه ، وأبو يعلى ، والبزار ، من رواية حسين بن واقد ، عن ابن بريده ، عن أبيه . قال البزار : لا نعلم له طريقاً إلا هذا . تخريجات الكشف ١٧٣ . والحسين بن واقد ثقة ، له أوهام . التقريب ١ / ١٨٠ .

(٣) ذكره الثعلبي والبغوي من كلام عبد الله بن مسعود . الكشف والبيان ١٣ / ١٣٧ أ ، ومعالم التنزيل ٣٥٤ / ٤ .

(٤) زاد المسير ٨ / ٢٨٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١٥٨ أ .

وقال ابن حيان : هو أن يجتهد المؤمن في تقوى الله ما استطاع^(١) .

قال قتادة : نسخت هذه الآية : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾^(٢) ، وقد تقدم الكلام في تلك الآية .

قوله : ﴿ وَأَسْمِعُوا ﴾ ؛ أي لله ولرسوله ولكتابه . ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ الله في ما يأمركم ، ﴿ وَأَنْفِقُوا ﴾ من أموالكم في حق الله . ﴿ خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ﴾ : منصوب بما دل عليه . ﴿ وَأَنْفِقُوا ﴾ كأنه قيل : وقدّموا خيراً لأنفسكم ، وهو كقوله : ﴿ فَعَامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾^(٣) ، وقد مرّ . ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ ﴾ حتى يعطي حق الله .

قوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . وقد مرّ هذا في سورة الحشر^(٤) ، وباقي السورة مفسّر في ما سبق .

والله تعالى أعلم .

* * *

- (١) التفسير الكبير ٢٧/٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٧٧/٤ ، ولم ينسباه إلى قائل .
- (٢) قوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وانظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٩٥ ، وجامع البيان ٨٢/٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٧٧/٤ ، ذكره عن سعيد بن جبير ، ومما قال : «وروي عن أبي العالية ، وزيد بن أسلم ، وقاتدة ، والربيع بن أنس ، والسُّدِّي ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك» . وقال مكِّي بن أبي طالب : «وأكثر العلماء على أنه محكم لا نسخ فيه ، لأن الأمر بتقوى الله لا ينسخ ، والآيتان ترجعان إلى معنى واحد . وهذا القول حسن ، لأن معنى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ اتقوه بغاية الطاقة ، فهو قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ؛ إذ لا جائز أن يكلف الله أحداً ما لا يطيق . . . » . الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
- (٣) من الآية رقم : ١٧٠ من سورة النساء ، وانظر : الكتاب ١/١٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٤٨/٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٧٣٨/٢ .
- (٤) الآية رقم : ٩٩ من سورة الحشر .

تفسير

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية . روى قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ طلق حفصة فأتت أهلها ، فأنزل الله هذه الآية ، وقيل له : راجعها ؛ فإنها صَوَّامة قَوَّامة^(١) .

وعلى هذا إنما نزلت بسبب خروجها إلى أهلها لما طلقها النبي ﷺ ، فأنزل الله في هذه الآية : ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ ، ونحو هذا ذكر الكلبي في سبب نزول هذه الآية ، قال : غضب رسول الله ﷺ على حفصة لما أسر إليها حديثاً فأظهرته^(٢) لعائشة ، فطلقها تطليقة ، فنزلت هذه الآية^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير . انظر : جامع البيان ٢٨ / ٨٥ ، وأسباب النزول للواحدي ٥٠١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٧٧ . وفي مجمع الزوائد ٩ / ٢٤٥ ، قال : أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢) في (س) : (فأظهرت) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٢٩ .

قال السُّدِّي : نزلت في عبد الله بن عمر لما طلق امرأته حائضاً^(١) .

والقصة في ذلك مشهورة^(٢) . وذكر المقاتلان أن رجالاً فعلوا مثل ما فعل ابن عمر ، منهم : عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن سعيد بن العاص^(٣) ، وعتبة بن غزوان^(٤) ، فنزلت الآية فيهم^(٥) .

وفي قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته ؛ لأنه السيد المقدم ، فإذا نوذي وخطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب .

قال أبو إسحاق : هذا خطاب النبي ﷺ ، والمؤمنون داخلون معه في الخطاب^(٦) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٣٨ ب ، وأسباب النزول للواحدي ٥٠١ .

(٢) قصة تطليق ابن عمر - رضي الله عنهما - لامرأته وهي حائض مشهورة ، رواها البخاري في صحيحه في كتاب الطلاق ٧/ ٥٢ ، ومسلم في كتاب الطلاق ، باب : تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ٢/ ١٠٩٣ ، وأبو داود في سننه في كتاب الطلاق ، باب : في طلاق السنة ٢/ ٤١١ ، وغيرهم .

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق ، تابعي ، ولي إمرة المدينة لمعاوية ، ولابنه ، قتله عبد الملك سنة سبعين صبراً . انظر : العبر ١/ ٥٧ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٧٠ ، وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٣٧ ، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٩ .

(٤) عتبة بن غزوان المازني ، أحد السابقين الأولين ، يقال أسلم سابع سبعة ، وهو الذي اختط البصرة ، توفي سنة سبع عشرة في طريقه إلى البصرة ، وهو ابن سبع وخمسين رضي الله عنه . انظر : صفة الصفوة ١/ ٣٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٠٤ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٩٨ ، والإصابة ٦/ ٣٧٩ ، وتاريخ الإسلام ٢/ ١٥٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٢٩ ، وروح المعاني ٢٨/ ١٣٢ .

قال ابن العربي : والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ . انظر : أحكام القرآن ٤/ ١٨١١ ، والبحر المحيط ٨/ ٢٨١ . وقال القرطبي : إن الأصح أنها نزلت ابتداء لبيان حكم شرعي ، وكل ما ذكر من أسباب النزول لها لم يصح . الجامع ١٨/ ١٤٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٨٣ .

الوجه الثاني : أن المعنى : يا أيها النبي قل لهم : إذا طلقتم النساء . فأضمر القول^(١) ، وإضمار القول كثير في القرآن .

وقوله : ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾ معناه : إذا أردتم التطليق ، كقوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ [المائدة : ٦] ، و ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ [الإسراء : ٤٥] ، وقد مرَّ .

قوله تعالى : ﴿ فَطَلَّقُوهُنَّ إِعْدَتِهِنَّ ﴾ . قال عبدالله : إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته فليطلقها طاهراً من غير جماع^(٢) ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وابن سيرين ، ومقاتل ، والجميع^(٣) ، قالوا : أمر الله تعالى الزوج أن يطلق امرأته إذا شاء الطلاق في طهر لم يجامعها فيه^(٤) ، وهو قوله : ﴿ إِعْدَتِهِنَّ ﴾ ؛ أي لزمان عدتهن ، وهو الطهر بإجماع من الأمة^(٥) ؛ وذلك أن الطلاق سني وبدعي ، فالسني أن يقع في طهر لم يجامع فيه ، فذلك هو الطلاق للعدة ؛ لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها ، ويحصل في العدة عقيب الطلاق ، فلا يطول عليها زمان العدة . فالآية دلَّت على إيقاع الطلاق^(٦) في الطهر ، ودلَّت السنة على أن ذلك الطهر يجب أن يكون غير مجامع فيه حتى يكون الطلاق سنياً ، وهو ما روي في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال لعمر : « مره فليراجعها ، ثم ليطلقها طاهراً من غير جماع »^(٧) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٩/٣٠ ، وفتح الباري ٣٤٦/٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في جامعه ٨٣/٢٨ ، والنسائي في سننه في كتاب الطلاق ، باب : طلاق السُّنة ٧١٥/٢ ، وابن ماجه في الطلاق ، باب : طلاق السُّنة ١/٦٥١ .

(٣) في (س) : قوله (والضحاك) ، و(ابن سيرين ، ومقاتل ، والجميع) زيادة .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨/١ ، وجامع البيان ٨٤/٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٨/٤ .

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٤٥٢/٣ ، والمغني ٣٢٥/١٠ ، حيث قال : ولا خلاف في أنه إذا طلقها في طهر لم يصبها فيه ، ثم تركها حتى تنقي عدتها أنه مصيب للسُّنة .

(٦) قوله : « فالآية دلت على إيقاع الطلاق » في نسخة (س) بدلاً منها « دلت على ذلك الآيتين » . والصواب ما أثبتته .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : تفسير سورة الطلاق ١٩٣/٦ ، ومسلم في =

وذكرنا أيضاً عن جماعة المفسرين أنهم قالوا : الطلاق للعدة أن يطلقها طاهراً من غير جماع .

وروي عن الشعبي أنه قال : إذا طلقها وهي طاهرة فقد طلقها للسنة ، وإن كان قد جامعها^(١) ، والقول هو الأول ، وهو مذهب الفقهاء^(٢) .

والمعنى فيه أنه إذا جامعها لم يؤمن أن تكون قد حملت من هذا الجماع ، فإذا طلقها وبانت حاملاً ربما يندم الزوج على الطلاق لمكان الولد . وهذا كله إنما يتصور في البالغة المدخول بها غير الآيسة ولا الحامل ، فأماً الصغيرة ، وغير^(٣) المدخول بها ، والآيسة ، والحامل ، فلا سنة في^(٤) طلاقهن ولا بدعة ، ولا عدة على غير المدخول بها ، والآيسة والصغيرة الحامل لا يعتدون بالأقراء^(٥) . وأماً الطلاق البدعي فهو أن يقع^(٦) في حال الحيض ، وفي طهر قد جومع فيه ، فهذا طلاق على غير السنة ، وهو واقع وصاحبه آثم^(٧) .

كتاب الطلاق ، باب : تحريم طلاق الحائض ١٠٩٥ / ٢ ، وأبو داود في باب طلاق السُّنة ١٠ / ٢ ، وأحمد في المسند ٤٦ / ٢ ، ٥٨ .

(١) قال الجصاص : وهذا القول خلاف السُّنة الثابتة عن النبي ﷺ وخلاف إجماع الأمة ، إلا أنه قد روي عنه ما يدل على أنه أراد الحامل ، وهو ما رواه يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن بيان عن الشعبي ، قال : إذا طلقها حاملاً فقد طلقها للسُّنة ، وإن كان قد جامعها ، فيشبه أن يكون هذا أصل الحديث ، وأغفل بعض الرواة ذكر الحامل . أحكام القرآن ٤٥٢ / ٣ .

(٢) انظر : المغني ٣٢٦ / ١٠ ، والحاوي الكبير ١١٤ / ١٠ .

(٣) (غير) ساقطة من (ك) .

(٤) قوله : «ولا الحامل ، فأماً الصغيرة وغير المدخول بها والآيسة والحامل فلا سنة في» ساقطة من نسخة (س) ، وذكر بدلاً منها قوله : «والآيسة كالصغيرة وغير المدخول بها ، والآيسة وغيرها في ذلك» .

(٥) انظر : المغني ١١ / ١٩٤ ، والمحلى ١٠ / ٢٥٦ ، ومجموع الفتاوى ٧ / ٣٣ ، والمجموع شرح المذهب ١٥٤ / ١٧ ، ١٥٦ .

(٦) في (ك) : (فهو أربع) .

(٧) وهو قول عامة أهل العلم . قال ابن المنذر وابن عبد البر : لم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والضلال . المغني ١٠ / ٣٢٧ . قلت : وما ذكرناه وهمُّ منها رحمها الله ؛ فقد خالف في ذلك طاوس ، وعكرمة ، =

وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال : « لا يطلق رجل طلاق السنة فيندم »^(١) . هذا الذي ذكرنا في وقت الطلاق ، وليس في عدد الطلاق سنة وبدعة على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، حتى إنه لو^(٢) طلقها ثلاثاً في طهر صحيح لم يكن قد ابتدع^(٣) ، بخلاف ما ذهب إليه أهل العراق ، فإنهم قالوا : السنة في عدد الطلاق أن يواقع كل طلقة في طهر صحيح ، فلو طلق ثلاثاً في طهر واحد كان مبتدعاً^(٤) ، والآية تدل على مذهب الشافعي ، وهو قوله : ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ ﴾ ، وهذا اللفظ للأمر^(٥) بالواحدة فما زاد .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ صفة للطلاق كيف يكون ، وهذه اللام تجيء لمعانٍ مختلفة :

للإضافة وهي أصلها ، ولبيان السبب والعلة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٩] ، وكقوله : قمت لأضرب زيداً . ثبتت اللام بسبب الإطعام والضرب ، وإذا كانت اللام بهذا المعنى سُميت لام أجل .

وتكون بمنزلة (عند) مثل قوله : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] ؛ أي عنده ، وتكون بمنزلة (في) مثل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وخلاس ، وعمر ، ومحمد بن إسحاق ، وحجاج بن أرطاة ، وأهل الظاهر ، كداود ، وأصحابه ، وطائفة من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد . وهو المرجح عند ابن تيمية . انظر : مجموع الفتاوى ٣٣/ ٧٢ ، ١٠١ ، والمحلى ١٠/ ١٦١ .

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الخلع والطلاق ، باب : ما جاء في طلاق السنة وطلاق البدعة ٣٢٣/ ٧ ، وابن أبي شيبه في المصنف في كتاب الطلاق ، باب : ما قالوا في طلاق السنة ومتى يطلق ٢/ ٥ .

(٢) في (س) : قوله (لو) زيادة .

(٣) في نسخة (س) : ابدع ، وانظر : الأم ٥/ ١٦٢ ، والحاوي الكبير ١٠/ ١١٧ ، والمغني ١٠/ ٣٣٠ .

(٤) انظر : شرح فتح القدير ٣/ ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، والحاوي الكبير ١٠/ ١١٨ ، والمغني ١١/ ٣٢٦ .

(٥) في (س) : (لأمر) زيادة .

مِنْ دِيَرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴿الحشر: ٢٠﴾؛ أي في أول الحشر . وهي في هذه الآية بهذا المعنى ؛ لأن المعنى : ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ ^(١) ؛ أي في الزمان الذي يصلح لعدتهن ^(٢) ، ومنه قول الشاعر ^(٣) :

وهم كتموني سرهم حين أزمعوا وقالوا أتعدنا للروح وبكروا

والمعنى : أتعدنا للسير في الروح ، قال : وفي قوله : ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ : وفي إجماع الناس في ^(٤) الطلاق في الحيض مكروه ممنوع منه ، وفي الطهر مأذون فيه ، وفي تسميته - عز وجل - الوقت الذي أذن فيه في الطلاق عدة ، وهي الطهر دليل على أن القراء هو الطهر ؛ إذ سُمِّيَ العدة أقراء في سورة البقرة ^(٥) ، ثم جعلها طهراً في هذه السورة ^(٦) ، فإن قيل : على هذا قوله : ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ معناه لقبل عدتهن ، وهي ^(٧) قراءة النبي ﷺ وابن عباس ^(٨) .

(١) في (س) : (في عدتهن) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٣٠ .

(٣) لم أجده .

(٤) قال ابن قدامة : «أجمع العلماء في جميع الأمصار وكل الأعصار على تحريمه ، ويسمى طلاق البدعة» . المغني ١٠ / ٣٢٤ .

(٥) في قوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

(٦) وهو قول أهل الحجاز ، وعائشة ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، والزهرى ، والشافعي . وقال أهل الكوفة : وعمر ، وعلي ، وابن مسعود وغيرهم ، الأقراء : الحيض . انظر : المغني ١١ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ / ٣٦٤ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١ / ١٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣ / ١١٣ .

(٧) في (س) : (وهو) .

(٨) ذكر هذه القراءة ابن جرير وعبد الرزاق ، ونسبت إلى ابن عباس ، ونسبها الزمخشري إلى النبي ﷺ ، ونسبها أبو حيان إلى جماعة من الصحابة والتابعين . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٣٣٦ ، وجامع البيان ٢٨ / ٨٤ ، والكشاف ٤ / ١٠٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٨١ . قال أبو حيان : هو على سبيل التفسير لا على أنه قرآن ؛ خلافة لسواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون شرقاً وغرباً .

وقال النووي : هذه قراءة ابن عباس ، وابن عمر ، وهي شاذة لا تثبت قرأناً بالإجماع ، ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا ، وعند محققي الأصوليين ، والله أعلم . شرح النووي على صحيح مسلم ١٠ / ٦٩ .

وَقَبْلَ عِدَّتَيْنِ آخِرِ الطَّهَرِ؛ إقبال الحيض الذي هو زمان العدة، قيل: هذا لا يصح؛ لأنه لو كان الأمر على هذا لزم أن يقال: إن من طلق في أول الطهر لا يكون مطلقاً للعدة ولا لقبول العدة؛ لأن الحيض لم يقبل بعد لإقبال الطهر في هذا الوقت، ويستحيل أن يكون الطهر والحيض مقبلين معاً في وقت واحد؛ لأن الشيء إذا كان له إقبال وإدبار وإذا انقضى إقباله ودخل إدباره لا يكون ضده مقبلاً في إدباره إلا بعد انقضاء آخر إدباره، ولو جاز أن يكون إقبال شيء في إدبار غيره الذي هو ضده لكان الصائم مفطراً قبل مغيب الشمس؛ إذ الليل عنده مقبل في إدبار النهار وقبل انقضاء إدبار النهار، وهذا ما لا يقوله أحد. وقوله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا . . .»^(١) يريد إدبار النهار بتماهيه، وإقبال الليل بعد تمام إدبار النهار، وليس قوله - عز وجل - فطلقوهن لِقَبْلِ عِدَّتَيْنِ تحدياً، لئلا يكون الطلاق إلا فيه دون ما بعده من الوقت؛ لأن أول الطهر وآخره كله وقت الطلاق؛ إذ لم يذكر في الكتاب منع الطلاق في شيء منه. وقد قال النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته . . .»^(٢)، يعني الهلال، والصوم لا يكون بعده إلا بساعات مديدة.

- قلت: ونسبة هذه القراءة إلى النبي ﷺ كما ذكر المؤلف والزخشي تجاوز وعدم تحقيق؛ إذ القراءات جميعها لا تثبت إلا عن طريقه ﷺ، فنسبتها إليه يخرج غيرها، وهذا مخالف للعقل والنقل، فنسبتها إلى غيره من الصحابة والتابعين هو الصواب، ثم ينظر في ثبوتها من عدمه، والله أعلم.
- وقال ابن حزم: وهذا مما قرئ، ثم رفعت لفظة: (في قُبْل)، وأنزل الله تعالى: ﴿لِعِدَّتَيْنِ﴾، وهكذا رويناه من طريق الدبري . . . وهذا إسناد في غاية الصحة لا يحتمل التوجيهات. المحل ١٠/١٦٦.
- (١) حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الصوم، باب: يفطر بما تيسر من الماء أو غيره ٣/٤٧، ومسلم في كتاب الصيام، باب: وقت انقضاء الصوم وخروج النهار ٢/٧٧٢.
- (٢) حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الصوم، باب: قول النبي ﷺ: إذا رأيتم الهلال فصوموا ٣/٣٤، ومسلم في كتاب الصوم، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٢/٧٥٩، وأخرجه الترمذي في أبواب الصوم، باب: ما جاء: لا تقدموا الشهر بصوم ٣/٦٨، والنسائي في كتاب الصيام، باب: ذكر الاختلاف على الزهري في هذا الحديث ٢/٤٥٩.

فإن قيل : إذا طلق في آخره^(١) واعتد بذلك الطهر قرءاً واحداً ، وربما كان يوماً أو ساعة ، فقد جعلتم العدة دون ثلاثة أقراء ؛ إذ لم يكن الطهر فيه قرءاً تاماً . قيل : يجوز أن يسمى بعض الطهر قرءاً تاماً لقوله عز وجل : ﴿ أَلَحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، يعني شوالاً وذا القعدة وبعض ذي الحجة ، وكذلك قوله : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ، وهو ينفر في بعض اليوم^(٢) الثاني ، فسمّى الله - عز وجل - يوماً واحداً وبعض آخر يومين^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ . قال أصحابنا : إنما أمرنا بإحصاء العدة لفوائد ، منها : أن يوزع الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً ، وهو أحسن من جمعها في قرء واحد ؛ لأنه ربما يندم ، وإذا فرّق أمكنه المراجعة قبل إيقاع الثلاث ، ومنها أيضاً مراعاة النفقة والسكنى والعلم ببقاء زمان المراجعة وانقضائه وغير ذلك .

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ . قال مقاتل : اخشوا الله ، فلا تعصوه في ما أمركم^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ : لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي يساكنها فيه قبل الطلاق ، إن كان ملكاً له ، أو بكراء في يديه ، وإن كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكتري لها منزلاً ، وعلى المرأة حق الله ألا تخرج^(٥) في عدتها إلا لضرورة ظاهرة ، فإن خرجت أثمت ؛ سواء خرجت ليلاً أو نهاراً ، ولا تنقطع العدة^(٦) .

(١) في (س) : (آخر النهار) ، والصواب ما أثبتته .

(٢) في (س) : (اليوم) زيادة .

(٣) انتهى كلام الجرجاني ، ولم أجد من ذكره بكامله عنه غير المؤلف ، وهو كلام نفيس ظاهر الدلالة والمعنى . انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٣٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ أ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٢ .

(٥) قوله : «المرأة حق الله ألا تخرج» في (س) : (المرأة أيضاً لحق الله أن لا تخرج) .

(٦) انظر : المجموع ١٨ / ١٧٥ .

قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : هو أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها^(١) ، وهو قول الضحاك ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ، والشعبي ، ومجاهد^(٢) ، والأكثرين ؛ فالفاحشة على هذا القول الزنا .

وقال ابن عمر : الفاحشة خروجها قبل انقضاء العدة^(٣) ، وهو قول الشَّدي ، والكلبي ، وروي ذلك عن الشعبي^(٤) .

وقال مقاتل : الفاحشة المبينة هي العصيان البيِّن ، وهو النشوز^(٥) ، وهو قول الضحاك ، وقتادة ، ورواية عكرمة عن ابن عباس ، قال : إلا أن تبذو على

(١) أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن عطاء الخراساني ، قال : كان ذلك قبل أن تنزل الحدود ، وكانت المرأة إذا أتت بفاحشة أخرجت ، ولم يذكر ابن عباس في هذا الأثر . انظر : الدر ٢٣١ / ٦ .

(٢) في (س) : (وعكرمة والشعبي ومجاهد) زيادة . انظر : الكشف والبيان ١٢ / ١٣٩ ب ، وزاد المسير ٨ / ٢٨٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٧٨ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٨٧ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٣٩ ب ، والمستدرک ٢ / ٤٩١ .

(٤) في (س) : (وروى ذلك عن الشعبي) زيادة . انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٥٧ ، وزاد المسير ٨ / ٢٨٩ ، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً . والمراد بأهلها ؛ أي أهل زوجها ؛ لأنها أصبحت منهم ، وانظر : تنوير المقباس ٦ / ٨٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ أ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٢ .

أهلها^(١)، ونحو ذلك روي عن جابر بن زيد، قال: هي الشوز وسوء الخلق إذا نشزت وساء خلقها أخرجه^(٢).

وقال مقسم: أي إذا عصتك أو آذتك، فهي إذا زنت أو نشزت أو خرجت في عدتها كان للزوج إخراجها من البيت وانقطعت سكنها^(٣).

قوله: ﴿وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: يعني ما ذكر من طلاق السنة وما بعده من الأحكام^(٤).

قال مقاتل والضحاك: وتلك طاعة الله وسنته وأمره^(٥).

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾. قال أبو إسحاق: هذا تشديد في من تعدى طلاق السنة^(٦)، وقال مقاتل: ومن يطلق لغير العدة^(٧).

(١) انظر: جامع البيان ٢٨/٨٦، والكشف والبيان ١٢/١٤٠، ومعالم التنزيل ٤/٣٥٧. قال ابن قدامة: وهي أن تطيل لسانها على أحمائها وتؤذيهم بالسب ونحوه. روى ذلك عن ابن عباس، وهو قول الأكثرين. قلت: نسب الثعلبي والواحي القول بأن الفاحشة المبينة هي الزنا للأكثرين، ونسب ابن قدامة القول بأنها إيذاء القرابة باللسان للأكثرين أيضاً، ونسب القول الأول إلى ابن مسعود، والحسن، ثم قال: ولنا أن الآية تقتضي الإخراج عن السكنى، وهذا لا يتحقق في ما قالاه. انظر: المغني ١١/٢٩٣. قلت: ولعل مراده بالأكثرين من الفقهاء، ومراد غيره الأكثرين من المفسرين، والله أعلم. وذكر ابن كثير: شمول الآية للمعنيين، وهو الظاهر، إلا أن خروجها للزنا الذي صدر عنها إنما هو إخراج لإقامة الحد، ولا تنقضي به العدة فحسب، بل تنقضي به الحياة. انظر: تفسير ابن كثير ٤/٣٧٨.

(٢) لم أجده، وهو داخل في الأقوال السابقة.

(٣) لم أجده، ولعله لا يخرج عن الأقوال السابقة.

(٤) وهو اختيار ابن جرير والخصاص وغيرهما. انظر: جامع البيان ٢٨/٨٧، وأحكام القرآن للخصاص ٣/٤٥٤.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٥٨، وجامع البيان ٢٨/٨٧.

(٦) انظر: معاني القرآن ٥/١٨٤.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ١٥٨، والتفسير الكبير ٣٠/٣٣.

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ . قال ابن عباس : أثم^(١) .

وقوله : ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ . قال ابن عباس : يريد الندم على طلاقها ، والمحبة لرجعتها^(٢) .

وقال مقاتل : ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد التطليقة والتطليقتين^(٣) ، ﴿أَمْرًا﴾ يعني : المراجعة ، وقال الشعبي : لا تدري لعلك تندم فيكون لك سبيل إلى المراجعة^(٤) .

وقال الضحاك : لعله أن يراجعها في العدة^(٥) ، وهذا دليل على أن المستحب في التطليق أن يقع متفرقاً ، ولا يجمع بين الثلاث لقوله : ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ، وهو الندم على الطلاق ، وإرادة المراجعة ، وذلك إنما ينفع إذا لم يجمع الطلقات .

قال أبو إسحاق : وإذا طلقها ثلاثاً^(٦) في وقت واحد فلا معنى في قوله : ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٧) .

٢-٣ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ﴾ . قال : أي قارين انقضاء العدة ، وليس يريد انقضاء أجلهن ، فالمراد ببلوغ الأجل هاهنا مقاربة البلوغ ، وهذا كقوله : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة : ٢٣١] يريد

(١) الذي ذكر عنه قوله : (ضر نفسه) . انظر : تنوير المقياس ٨٩ / ٦ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٣ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٨٩ / ٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٥٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٥٧ .

(٤) انظر : الدر ٦ / ٢٣٢ ، وزاد نسبة إخراجها إلى عبد بن حميد عن الضحاك والشعبي .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٤٩٨ ، وجامع البيان ٢٨ / ٨٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٧٨ ، وهو المروي عن عطاء ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، والثوري .

(٦) في (س) : (ثلاثاً) زيادة .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٨٣ .

مقاربة البلوغ هناك وها هنا لقوله : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ ، وهذا مُفسَّر في الآية التي ذكرناها في سورة البقرة ^(١) .

قوله : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ . قال المفسرون : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة ذوي عدل ^(٢) .

وللشافعي - رحمه الله - في الإشهاد على الرجعة قولان :

أحدهما : أنها لا تصح إلا بالإشهاد للآية .

والآخر : أنها تصح من غير إشهاد كما تصح من غير ولي ومن غير رضاها ^(٣) ، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة ^(٤) ؛ ولأنها في حكم الزوجات بدليل ثبوت التوارث ولحقوق الطلاق والظهار ^(٥) ، والإيلاء والانتقال إلى عدة الوفاة إذا مات الزوج . والإشهاد إنما أمر به للاحتياط مخافة أن تنكر المرأة الرجعة ، فتنقضي العدة ، فتكح زوجاً آخر ^(٦) .

(١) وذلك عند تفسيره رقم : ٢٣١ من سورة البقرة . والإمساك بالمعروف هو ما تعارف عليه الناس بينهم مما تقبله النفوس ، ولا تنكره العقول ، وهو القيام بما يجب لها من حق على زوجها من نفقة وغير ذلك . وقيل : هو أن يحسن في أمرها إذا طلقها ، ولم يبق من العدة إلا اليسير ؛ فإمّا أن يشهد على الرجعة ، وينوي حسن العشرة ، وإمّا أن يتركها من غير شقاق ولا مخاصمة . انظر : جامع البيان ٢/ ٢٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٥٦ .

(٢) وبه قال ابن عباس ، وعمران بن حصين ، وابن جريج ، والسُّدي . انظر : تنوير المقياس ٦/ ٩٠ ، وجامع البيان ٢٨/ ٨٨ ، وابن كثير ٤/ ٣٧٩ .

(٣) انظر : الأم ٥/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والمجموع ١٧/ ٢٦٩ .

(٤) انظر : بدائع الصنائع ٤/ ١٩٧٥ .

(٥) في (س) : (والظهار) زيادة .

(٦) انظر : المغني ١٠/ ٥٥٩ .

ثم خاطب الشهداء ، فقال : ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ ، وهو مُفسَّر في سورة البقرة^(١) إلى قوله^(٢) : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ . قال الشعبي : من يطلق للعدة يجعل الله له سبيلاً إلى الرجعة^(٣) .

وقال الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجاً من كل أمر ضاق على الناس^(٤) ، وهو معنى قول ابن عباس : ومن يخف الله يجعل له مخرجاً من كل ضيق^(٥) .

وقال الكلبي : ومن يصبر على المصيبة . يجعل الله له مخرجاً من النار إلى الجنة^(٦) .

وقال أكثر المفسرين : نزل هذا وما بعده في عوف بن مالك الأشجعي ، أسر العدو ابنائاً له ، فأتى النبي ﷺ ، فذكر له ذلك ، وشكا إليه الفاقة ، فقال له : اتق الله واصبر وأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله^(٧) ، ففعل ذلك . فبينما هو في بيته إذا أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو ، فأصاب إبلأً وجاء بها إلى أبيه ، فذلك قوله تعالى :

(١) عند تفسيره الآية رقم : ٢٨٢ من سورة البقرة ، وما قال : وقد ذكر الله الكتاب ؛ لأن الكتاب يذكر الشهود فتكون الشهادة أقوم من أن لو شهدوا على ظن ومخيلة . ومعنى أقوم أبلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج ؛ وذلك أن المنتصب القائم يكون ضد المنحني المعوج .

(٢) في (ك) : إلى (قوله قوله) .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ١٤١ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٣٥٧ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٤ ، وزادوا نسبه إلى عكرمة والضحاك .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٨٩ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٤١ ب ، والدر ٦ / ٢٣٢ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٨٩ ، والدر ٦ / ٢٣٢ ، ولفظه : «ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة» .

(٦) انظر : تنوير المقياس ٦ / ٩٠ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٤ .

(٧) في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : «أكثرُوا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها من كنوز الجنة» . انظر : صحيح الجامع (١٢٢٥) : ١ / ٣٨٨ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٢٨) : ٣٣ / ٤ .

﴿وَرِزْقُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ، وهو قول المقاتلين ، وسالم ابن أبي الجعد ، والكلبي^(١) .

قال أبو إسحاق : وجائز أن يكون المعنى أنه اتقى وأثر الحلال والصبر على أهله ، ففتح الله عليه إن كان ذا ضيقة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، قال : وجائز أن يكون إذا اتقى الله في طلاقه وجرى في ذلك على السنة يرزقه الله أهلاً بدل أهله^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ؛ أي ومن وثق به في ما نابه كفاه الله ما أهمه ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد في جميع خلقه^(٤) . والمعنى : سيبلغ الله أمره في ما يريد منكم ، ومن أضاف حذف التنوين استخفافاً^(٥) ، وهو مراد كما ذكرنا في قوله : ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ﴾^(٦) [القمر: ٢٧] ، و﴿هَدْيًا بَلِّغِ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] .

(١) في (س) : (والكلبي) زيادة . انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ ب ، وتنوير المقباس ٩١/٦ ، وجامع البيان ٨٩/٢٨٧ ، وأسباب النزول للواحدي ٥٠٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١٨٤/٥ . قال النحاس : أهل التفسير على أن المعنى أنه إن اتقى الله جل وعز وطلق واحدة فله مخرج إن أراد أن يتزوج وتزوج وإن لم يتق الله جل وعز وطلق ثلاثاً فلا مخرج له . وهذا قول صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابن عباس بالأسانيد التي لا تدفع . إعراب القرآن ٤٥٢/٣ . قلت : حمل الآية على العموم أولى ، وما ورد عن السلف -رحمهم الله- هو من باب التمثيل لا الحصر ، وليس بين تلك الأقوال تعارض ، والله أعلم .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/٣٤ .

(٥) قرأ حفص : ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ مضافاً ، وقرأ الباقر : ﴿بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ بالتنوين .

(٦) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/٣٠٠ ، وحجة القراءات ٧١٢ ، والنشر ٣٨٨/٢ ، والإنحاف ٤١٨ .

(٦) تقدّم بيان القراءة فيها .

قال مسروق : إن الله واقع قدره على من يتوكل أو لم يتوكل ، إلا أن^(١) من يتوكل عليه يجعل له من أمره مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب^(٢) .

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ . قال الكلبي ومقاتل : لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه قدر الله ، ذلك كله لا يقدّم ولا يؤخّر^(٣) .

وقال ابن عباس : يريد قدر ما خلقت بمشيئتي^(٤) .

٤ . قوله تعالى : ﴿وَالَّتِي بَيِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ : ذكر الله تعالى في سورة البقرة عدة ذات الأقرء ، والمتوفى عنها زوجها^(٥) ، وذكر عدة سائر النسوة اللاتي لم يذكرن هناك في هذه السورة^(٦) .

ويروى أن معاذ بن جبل قال : يا رسول الله : قد عرفنا عدة التي تحيض ، فما عدة الكبيرة التي يئست ، فنزل قوله : ﴿وَالَّتِي بَيِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾^(٧) ، يعني القواعد من النساء اللاتي قعدن من المحيض .

(١) في (س) : (أن) زيادة .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٩٠ ، والكشف والبيان ١٢ / ١٤٢ ب ، ومعالم التنزيل ٣ / ٣٥٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ أ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٤ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٣٤ .

(٥) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ إِلَىٰ أَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْجِعْنَ إِلَىٰ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

(٦) وهن الكبيرات اللاتي انقطع عنهن الحيض ، والصغيرات اللاتي يحضن ، وأولات الأحمال .

(٧) انظر : تنوير المباس ٦ / ٩١ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٥ . وذكره أكثر المفسرين عن أبي بن كعب .

انظر : جامع البيان ٢٨ / ٩٣ ، والكشف والبيان ١٢ / ٢٤٣ أ ، وأسباب النزول للواحيدي ٥٠٣ .

قوله تعالى : ﴿إِنْ أُرَبِّتُمْ﴾ : إن شككتكم ، فلم تدروا ما عدتها ، وهذا قول الأكثرين ، واختيار الفراء^(١) .

وقال أبو إسحاق : معناه إن اربتتم في حيضتها ، وقد انقطع عنها الحيض ، وكانت ممن يحيض مثلها فعدتهن ثلاثة أشهر^(٢) .

وللشافعي - رحمه الله - في كيفية اعتبار اليأس قولان :

أحدهما : أن^(٣) يعتبر غالب عادة نساؤها ومن في مثل حالها ، فإذا مضت عليها تلك المدة ولم تحض علمنا أنها يئست^(٤) .

فمعنى الارتباب على القول الأول : الجهالة بحكم العدة ؛ أي إن جهلتم عدة الكبيرة وشككتكم في عدتها فلم تدروا كم هي ؛ ثلاثة أشهر . وعلى القول الثاني معنى الارتباب الشك في حالة المرأة ؛ أي آيسة أم ذات حيض ؟ ويستأنى بها إحدى العادتين اللتين ذكرناهما . فلما نزل قوله : ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ قام رجل فقال : يا رسول الله : فما عدة الصغيرة التي لم تحض ؟ فنزل : ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنَّ﴾ ؛ أي هن بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدتها ثلاثة أشهر . فقام آخر فقال : فالحامل^(٥) يا رسول الله ، ما عدتهن ؟ فنزل : ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٦) .

(١) في (س) : (واختيار الفراء) زيادة . انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٣ ، وجامع البيان ٢٨/ ٩١ ، وفتح الباري ٩/ ٤٧٠ . قال ابن كثير : وهذا مروى عن سعيد بن جبير ، وهو اختيار ابن جرير ، وهو أظهر في المعنى . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٨١ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٨٥ .

(٣) في (س) : (أن) زيادة .

(٤) في (س) : آيسة . انظر : المجموع ١٨/ ١٤٤ ، والمغني ١١/ ٢١١ .

(٥) في (س) : (فالحوامل) .

(٦) ذكر مقاتل نحوه ، وذكر اسم السائل ، وهو خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري ، ونقله الثعلبي عن مقاتل . انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ ب ، والكشف والبيان ١٢/ ١٤٣ أ ب ، وأسباب النزول للواحدي ٥٠٣ . قلت : ذكر الثعلبي عند سبب النزول أن الآية نزلت بكاملها ، ثم أورد قول مقاتل . وهذه =

معناه : أجلهن في انقطاع ما بينهن وبين الأزواج وضع الحمل ، وهذا عام في كل حامل . قال عبدالله : من شاء قاسمته لنزلت : ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ بعد : ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ . وكان عبدالله يقول : أجل ، كل حامل أن تضع ما في بطنها^(١) ، وكان علي يقول : آخر الأجلين^(٢) . والمأخوذ به قول عبدالله : حتى إن المتوفى عنها زوجها^(٣) لو وضعت حملها قبل دفن الميت حلَّت للأزواج^(٤) .

= دلالة على ترجيحه لغير ما قاله مقاتل ، وهو الصواب إن شاء الله ؛ إذ القرآن لا يليق به غير هذا ، وتقطيع الآية بهذه الصورة يفكك النظم بين مفردات الآية الواحدة . ويشهد لهذا ما أخرجه ابن جرير وإسحاق بن راهوية والحاكم وغيرهم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة . . . قال أبي بن كعب : يا رسول الله إن ناساً يقولون : قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن الصغار وذوات الحمل ، فنزلت : ﴿ وَالَّتِي يَبْسُ مِنْ الْمَجِصِ ﴾ الآية . قال السيوطي في اللباب : صحيح الإسناد ، وقال الحاكم في المستدرک ٤٩٣/٢ : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(١) أخرج البخاري في التفسير ، باب : ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ ﴾ ١٩٤/٦ عن ابن مسعود ، وفيه : «لنزلت سورة النساء القصوى بعد الطولي ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾» . انظر : جامع البيان ٩٢/٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٢/٤ ، وفتح الباري ٦٥٦/٨ .

(٢) أخرجه ابن جرير وعبد الرزاق وغيرهما ، وأخرجه عبد بن حميد ، وسعيد بن منصور عنه بسند صحيح ، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير . (سورة الطلاق) ١٩٣/٦ عن ابن عباس ، ومسلم في كتاب الطلاق ، باب : انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ١١٢٢/٢ عن ابن عباس . انظر : جامع البيان ٩٣/٢٨ ، وفتح الباري ٤٧٤/٩ . قلت : ما ورد في الصحيح ، وما رواه ابن جرير في تفسيره ٥١٢/٢ عن ابن عباس بإسناد حسن من طريق علي بن أبي طلحة يدل على رجوعه عن القول السابق بعد أن بلغه حديث سيعة الأسلمية .

انظر : تفسير ابن عباس ومروياته للحميدي ٨٩٤/٢ .

(٣) (زوجها) ساقطة من نسخة (س) .

(٤) قال ابن حجر : «وقد قال جمهور العلماء من السلف وأئمة الفتوى في الأمصار : إن الحامل إذا مات عنها زوجها تحل بوضع الحمل وتنقضي عدة الوفاة» . فتح الباري ٤٧٤/٩ . ونقل ابن قدامة الإجماع على ذلك ، ورجوع ابن عباس عن قوله . المغني ٢٢٧/١١ .

يدلُّ على ذلك حديث سبيعة بنت الحارث ، وهي أنها وضعت حملها قبل أربعة أشهر وعشر من وفاة زوجها ، فقال النبي ﷺ : «قد حلت حين وضعت حملك» ، وأمرها أن تتزوج^(١) .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في جميع ما أمره بطاعته فيه ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ : ييسر الله عليه في أمره ، ويوفقه للعمل الصالح ، قال ذلك المقاتلان^(٢) .

وقال عطاء : يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة^(٣) .

٥ . ﴿ذَلِكَ﴾ : يعني الذي ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ بطاعته ، فيعمل بها جاء به محمد ﷺ .

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ من الصلاة إلى الصلاة ، ومن الجمعة إلى الجمعة ، ﴿وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾ ، قاله ابن عباس^(٤) .

٦ . قوله تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ . قال الكسائي : ﴿مِنْ﴾ صلة ، والمعنى : أسكنوهم حيث^(٥) سكتتم من وجدكم^(٦) .

قال أبو عبيدة : من سعتكم من الجدة^(٧) .

(١) حديث متفق عليه ، رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب : حدثني عبدالله بن محمد الجعفي ١٠٢ / ٥ ،

ومسلم في كتاب الطلاق ، باب : انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ١١٢٢ / ٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٨ ب .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٣٥٨ / ٤ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٣٦ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٣٦ .

(٥) في نسخة (س) : (من حيث) .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ١٤٤٤ . وعند الزمخشري أنها للتبعيض . والمعنى : أي بعض مكان

سكناكم ، والكشاف ٤ / ١١٠ .

(٧) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٦٠ .

وقال الفرّاء : يقول : على قدر طاقتكم ، على قدر^(١) ما يجد ، فإن كان موسعاً وسّع عليها في المسكن والنفقة ، وإن كان فقيراً مقترأً^(٢) فعلى قدر ذلك^(٣) .

وقال أبو إسحاق : يقال : وجدت في المال وجداً ؛ - أي صرت ذا مال ، ووجدت أوجدةً^(٤) ، وقال الأخفش : الوجدُ المقدرة ؛ أي من حيث سكتكم مما تقدرون عليه^(٥) .

قال المقاتلان : يعني من سعتكم في المسكن والنفقة^(٦) .

وقال الضحاك : أنفقوا عليهن بقدر ما عندكم من السعة ، وقال السّدي : ﴿مِنْ وَجِدِكُمْ﴾ ؛ أي من ملككم^(٧) .

قال قتادة : إن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه^(٨) .

قال أصحابنا^(٩) : السكنى تكون في مسكن النكاح ، ولا يجوز للزوج أن يخرجها منه ، ولا لها أن تخرج .

جاء رجل إلى ابن مسعود ، فقال : يا أبا عبد الرحمن : ما ترى في امرأة طَلّقت ثم أصبحت غادية إلى أهلها ؟ فقال عبد الله : ما أحب أن لي دينها بتمرّة .

(١) في (س) : (قدر) زيادة .

(٢) في (س) : (مقترأ) زيادة .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٦٣ / ٣ .

(٤) في (ك) : (ووجدة) . انظر : معاني القرآن للزّجاج ١٨٦ / ٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٧١٠ / ٢ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٥٩ أ ، ومعالم التنزيل ٣٥٩ / ٤ .

(٧) لم أجدها . وعند ابن جرير عن السّدي : «المرأة يطلقها فعليه أن يسكنها وينفق عليها» . جامع البيان ٩٤ / ٢٨ ، وما ذكره المؤلف عنهما لا يخرج عن أقوال المفسرين المذكورة .

(٨) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٨٣ / ٤ ، والدرر ٢٣٧ / ٦ .

(٩) أي الشافعية . انظر : المجموع ١٦٢ / ١٨ ، والحاوي الكبير ٢٤٩ / ١١ .

فإن كان للزوج المطلق مسكن واحد ودار واحدة لم يجز للمرأة أن تسكنه فيها ساعة إلا مع محرم بالغ من محارمها ، ولكن على الزوج أن يخرج منها لتخلو الدار لها ، وإن كانت الدار واسعة مشتملة على مرافق ، فإن أمكنها أن تنفرد في بعض مرافق الدار جاز أن تسكنه^(١) ، وكل مطلقة مستحقة للسكنى^(٢) .

وفي المتوفى عنها قولان :

أحدهما : أنها تستحق السكنى .

والثاني : أنها لا تستحق ، وليس لها نفقة العدة بحال^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ﴾ : نهى الله عن مضارتهن بالتضييق عليهن في المسكن والنفقة .

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْ أَوْلَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ . وهذا بيان حكم المطلقة البائنة ؛ لأن الرجعية تستحق النفقة وإن لم تكن حاملاً ، وإن كانت مطلقة ثلاثاً أو مختلعة فلا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً فتستحق النفقة^(٤) .

(١) في (س) : من قوله (فيها ساعة) إلى (تسكنه) زيادة . انظر : المجموع ١٨ / ١٦٢ ، والمغني ١١ / ٣٠٢ .

(٢) وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر ، وعائشة ، وسعيد بن المسيب ، والشافعي ، وأصحاب الرأي ، وغيرهم .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٩ ، والمغني ١١ / ٣٠٠ .

(٣) في نسخة (س) : (بحال) زيادة . انظر : المغني ١١ / ٢٩٢ ، وقال : «قال أصحابنا : ولا سكنى للمتوفى عنها إذا كانت حائلاً ، رواية واحدة ، وإن كانت حاملاً فعلى روايتين ، وللشافعي في سكنى المتوفى عنها قولان . . . » ، وقال الجصاص : قد اتفق الجميع على أن لا نفقة للمتوفى عنها زوجها غير الحامل . أحكام القرآن ٣ / ٤٦٢ .

(٤) انظر : الأم ٥ / ٩٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٩ ، والمغني ١١ / ٣٠١ ، وشرح النووي على مسلم ١٠ / ٩٥ ، والمحل ١٠ / ٢٨٨ ، وفتح الباري ٩ / ٤٨٠ ، وهو قول الجمهور . وقال الأحناف والثوري والحسن بن صالح : لكل مطلقة السكنى والنفقة ما دامت في العدة حاملاً كانت أو غير حامل . انظر : بدائع الصنائع ٤ / ٢٠٣٨ ، وشرح فتح القدر ٣ / ٣٣٩ ، والحاوي الكبير ١١ / ٢٤٦ .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَضْعَنَ لَكُمْ فَتَاوُهُنَّ أَجُورُهُنَّ ﴾ : يعني حق الرضاع وأجرته ، وللزوج أن يستأجر امرأته لإرضاع الولد كما يستأجر أجنبية ، وبيان هذا قد تقدم في سورة البقرة^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ مَعْرُوفٍ ﴾ . قال عطاء : يريد بفضل معروف منك^(٢) .

وقال مقاتل بن حيان : يتراضى الأب والأم على أجل مسمى^(٣) .

وقال الشَّدي : يعني اصنعوا المعروف في ما بينكم^(٤) .

وقال المبرِّد : ليأمر بعضهم بعضاً بالمعروف . والخطاب للأزواج من الرجال والنساء يأمرهم أن يأتوا المعروف وما هو الأحسن ، ولا يقصدوا التعاسر والضرر^(٥) .

قال أبو إسحاق : المعروف هاهنا - والله أعلم - أن لا يقصر الرجل في نفقة المرأة التي ترضع ولده إذا كانت هي والدته ؛ لأن الوالدة أرأف بولدها من غيرها ، ولا تقصر هي في إرضاع ولدها ، والقيام بشأنه ، فحق على كل واحد منهما أن ياتم في الولد بمعروف^(٦) . وذكرنا تفسير الائتار عند قوله : ﴿ يَأْتِمُرُونَ بِكَ ﴾^(٧) [القصص : ٢٠] .

(١) عند تفسيره الآية رقم : ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٣٧ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٣٦٠ .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٨ / ٩٦ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٣٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٨٦ .

(٧) قال : الائتار : المشاورة ، وهو أن يأمر بعضهم بعضاً .

قال شمر : يقول ائتمرت فلاناً في ذلك الأمر إذا شاورته ، وائتمر القوم إذا شاوروا ، ثم الائتار يكون =

﴿وَأِنْ تَعَاَسَرْتُمُ﴾ ؛ أي ^(١) في الأجرة ، ولم يتفق بين الوالدة والولد ما يتراضيان به ، ﴿فَسَتَرْضِعُهُ لَكُمْ أُخْرَى﴾ . معناه : فليسترضع له ^(٢) الوالد غير ^(٣) والدته الصبي . ومعنى ﴿تَعَاَسَرْتُمُ﴾ لم تتفقوا على أمر .

٧. ثم بين قدر الإنفاق ، فقال : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ : أمر أهل التوسعة أن يوسّعوا على نسائهم المرضعات أولادهم على قدر سعتهم ، ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك ، وهذا كقوله ^(٤) : ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] .

قوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا﴾ ؛ أي ما أعطاهها من الرزق . قال السُّدِّي : لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني ^(٥) ؛ وذلك أنه لو كلف الفقير أن يوسع فقد كلفه ما لم يؤته ، وإذا كلف الغني ذلك لم يكلفه إلا ما آتاه .

قوله : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ؛ أي من بعد ضيق وشدة غنى وسعة ورخاء .

قال أبو إسحاق : كان الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت الفقر والفاقة ، فأعلمهم الله - عز وجل - أنه سيوسر المسلمون ، ففتح عليهم بعد ذلك ، وجعل

= مرة مع ذوي العقل والرأي من الناس ، وهو المحمود المسنون ، ومرة يكون مع النفس والهوى ، وهو المذموم .

(١) في (س) : (أي) زيادة .

(٢) (له) ساقطة من (س) .

(٣) في (ك) : (غيره) .

(٤) في (ك) : (كله) .

(٥) انظر : جامع البيان ٩٧/٢٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥٦/٣ .

يسراً بعد عسر^(١)، والمؤمنون وإن كانوا في حال ضيقة، فهم على رجاء اليسر من الله تعالى.

٨. قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ﴾: الكلام في (كأين) والاختلاف فيها قد تقدّم ذكره في سورة آل عمران^(٢).

﴿وَكَايْنٍ﴾ في هذه الآية مبتدأة في اللفظ فاعل في المعنى كما أن كم رجل قد قام كذلك^(٣)، وقد تكون مفعولة كقوله: ﴿فَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥]؛ فهذه مفعولة بها في المعنى، ومبتدأة في اللفظ، وأثّث على المعنى كما جعل على المعنى في قوله: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦]. والكلام خرج على لفظ القرية في قوله: ﴿عَنْتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾، والمراد أهلها. قال ابن عباس: عتوا على الله، وعلى أنبيائهم^(٤).

وقال مقاتل: خالفت أمر ربها، وخالفت رسله^(٥).

(١) انظر: معاني القرآن ١٨٧/٥.

(٢) عند تفسيره الآية رقم: ١٤٦ من سورة آل عمران. قال أبو الهيثم: كأَيٍّ بمعنى كم، وكم بمعنى الكثرة. والكاف في (كأين) كاف التشبيه دخلت على (أَيٍّ) التي هي الاستفهام كما دخلت على (ذا) في (كذا)، و(أن) في (كأن)، ولا معنى للتشبيه فيه... وكثر استعمال هذه الكلمة فصارت ككلمة واحدة موضوعة للتكثير. وفي كأين ثلاث لغات: كأين بوزن كعين، وكائن بوزن كاعن، وكاين بوزن ماين. انظر: اللسان (كين) ٣/٣٢٣. وفي قوله تعالى (وكأين) خلاف بين القراء، حيث قرأ ابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة، وقرأ الباقر بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة. انظر: حجة القراءات ١٧٤، والنشر ٢/٢٤٢، والإتحاف ٤١٨.

(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة ٦/٢٩٧.

(٤) لم أجده، والآية ظاهرة المعنى.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٥٩، والتفسير الكبير ٣٠/٣٨.

وقال الضحاك : يعني من أهلك من الأمم بتكذيبهم رسل الله وجحودهم بآياته .

قوله تعالى : ﴿ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾ . قال مقاتل : فحاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب ^(١) ، وهو قوله : ﴿ وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَكْرًا ﴾ ^(٢) ، ففسر المحاسبة بالتعذيب ، ونحو هذا قال الضحاك : ﴿ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾ ^(٣) يقول : في الدنيا ، وهو أن الله تعالى لم يتجاوز عنهم ، وأخذناهم بالعذاب جزاء لما فعلوا من التكذيب ^(٤) ، فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة ؛ وذلك لأنهم لما ^(٥) استحقوا العذاب بالتكذيب صار كأنه حاسبهم فعذبهم .

وقال الكلبي : هذا على التقديم والتأخير ، والمعنى : فعذبناها في الدنيا وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً ^(٦) .

٩ . ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ ؛ أي ثقل عاقبة أمرها . قال ابن عباس : يريد عاقبة كفرها ^(٧) ﴿ وَكَانَ عَقِبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴾ . يقول : كان عاقبة أمرها ^(٨) الخسران في الدنيا ، والآخرة .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١/٥٩ أ ، والتفسير الكبير ٣٠/٣٨ .

(٢) في (س) : (شديداً) .

(٣) من قوله (قال مقاتل) إلى (شديداً) ساقطة من (ك) .

(٤) لم أجده .

(٥) (لما) ساقطة من (ك) .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/١٦٤ ، والكشف والبيان ١٢/١٤٥ ، وزاد المسير ٨/٢٩٨ ، ونسبه إلى

ابن عباس ، والتفسير الكبير ٣٠/٣٨ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٨/٩٢ ، والتفسير الكبير ٣٠/٣٨ .

(٨) في (ك) : (عاقبته) .

١٠. وهو قوله : ﴿أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ . قال : يخوف كفار مكة أن لا يكذبوا محمداً ، فينزل بهم ما نزل بالأمم قبلهم .

ثم قال للذين آمنوا : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلَتَبِ﴾ .

ثم نعتهم ، فقال تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ ﴿١٠﴾ رَسُولًا﴾ . قال أبو إسحاق : رسولا منصوب على ثلاثة أوجه ، أجودها أن يكون قوله : ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ دليلاً^(١) على إضمار أرسل رسولا^(٢) ، والمعنى على هذا : أنزل عليكم^(٣) قرآناً - والذكر هو القرآن - وأرسل رسولا ، وإنزال الذكر يدل على إرسال الرسول ؛ لأن الذكر ينزل على الرسول ، وهذا الوجه هو قول الكسائي^(٤) .

١١. قال أبو إسحاق : ويكون ﴿رَسُولًا﴾ منصوباً بقول : ﴿ذِكْرًا﴾ ، ويكون المعنى : قد أنزل إليكم أن ذكر رسولا يعني به النبي ﷺ .

قال أبو علي : هذا الوجه ﴿رَسُولًا﴾^(٥) معمول المصدر ، والتقدير أن ذكر رسولا^(٦) لأن يتبعوه فيهدتوا بالاقتداء به ، ومثل ذلك من إعمال المصدر قوله : ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ [النحل : ٧٣] ؛ فشيء مفعول المصدر^(٧) .

(١) في (س) : (دليل) .

(٢) انظر : معاني القرآن ١٨٨ / ٥ .

(٣) في (س) : (إليكم) .

(٤) قال أبو حيان : ونجا إلى هذا السُّدِّي ، واختاره ابن عطية . انظر : البحر المحيط ٢٨٦ / ٨ .

(٥) في (س) : (رسولا) زيادة .

(٦) في (ك) : (يكون رسول) .

(٧) في (س) : (المصدر) زيادة .

الوجه الثالث : قال أبو إسحاق : ويكون المعنى قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً ، بدلاً من : ﴿ ذِكْرًا ﴾^(١) . قال أبو علي : هذا يكون على تقدير حذف المضاف إلى الذكر ، والذكر على هذا القول يحتمل تأويلين :

أحدهما : ذا شرف وصيت^(٢) كما قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

الآخر : ذا قرآن كقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، والإنزال على هذا القول يكون بمعنى الإنشاء والإحداث ، كما ذكرنا في قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجَ ﴾ [الزمر : ٦] ، وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

قال أبو إسحاق : ويكون يعني به جبريل ، يريد أن المعنى في قوله : فأنزل الله إليكم ذا ذكر رسولاً ، وهو جبريل^(٣) ؛ لأنه أنزل مع القرآن رسولاً إلى النبي ﷺ ، وهذا محتمل ، وأن يكون النبي ﷺ أولى لقوله بعده : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ ﴾ .

وذكر أبو جعفر^(٤) النحاس وجهين آخرين في نصب ﴿ رَسُولًا ﴾^(٥) لا يصح واحد منها :

أحدهما : أنه قال : ﴿ رَسُولًا ﴾ بدلاً من ﴿ ذِكْرًا ﴾ بمعنى رسالة^(٦) ، وهذا لا يجوز لقوله : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ . . . ﴾ إلى آخر الآية ، وهو من صفة الرسول لا الرسالة^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ١٨٨ / ٥ .

(٢) في (ك) : (وصلب) .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٨٨ / ٥ .

(٤) في (س) : (أبو جعفر) زيادة .

(٥) انظر : القطع والاشتاف ٧٣١ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٥٨ / ٣ .

(٧) انظر : البحر المحيط ٢٨٦ / ٨ ، وروح المعاني ١٤١ / ٢٨ .

الثاني : أنه قال : ﴿رَسُولًا﴾ ؛ أي مع رسول فيكون مفعولاً معه ^(١) ، وهذا أيضاً غير جائز ؛ لأن المفعول معه لا يكون إلا مع الواو كما تقول : استوى الماء والخشبة ، ولا يجوز بغير الواو ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ . قال الزَّجَّاج ^(٣) : أي رزقه الجنة التي لا ينقطع نعيمها ولا يزول ^(٤) .

ثم ذكر - عز وجل - ما يدل على توحيده ، فقال :

١٢ . قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ . قال الكلبي : بعضها فوق بعض مثل القبة ^(٥) .

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ . قال مقاتل : وخلق من الأرض مثل عدد السموات ^(٦) .
﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ . قال عطاء : يريد الوحي بينهن إلى خلقه في كل أرض وفي كل سماء ^(٧) .

وقال الكلبي : يعني الوحي ، وفي كل أرض منهن خلق وماء ^(٨) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢ / ١٤٥ ب .

(٢) انظر : النحو الوافي لعباس حسن ٢ / ٣١٠ .

(٣) في (ك) : (الزجال) .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥ / ١٨٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٥٩ ب ، وهو قول الجمهور . انظر : البداية والنهاية ١ / ٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٨٥ ، وروح المعاني ٢٨ / ١٤٢ . وقال أيضاً ابن حجر عند شرحه حديث البخاري في كتاب المظالم ، باب : إثم من ظلم شيئاً من الأرض ٣ / ١٧٠ : وفيه أن الأرضين السبع طباق كالسموات ، وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ خلافاً لمن قال : إن المراد بقوله : سبع أرضين سبعة أقاليم ؛ لأنه لو كان كذلك لم يطوق الغاصب شبراً من إقليم آخر . فتح الباري ٥ / ١٠٥ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٤٠ .

(٧) انظر : تنوير المباس ٦ / ٩٥ ، ولفظه : ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ سبعاً ، ولكنها منبسطة .

(٨) في (ك) : (ومرض) .

وقال مقاتل : يعني الوحي ^(١) من السماء العليا إلى الأرض السفلى ^(٢) .

وقال مجاهد : يتنزل الأمر بينهن بحياة بعض وموت ^(٣) بعض ، وغنى واحد ^(٤) وفقر آخر ، وسلامة هذا وهلاك ذاك ^(٥) ، قال : وهذه الأرض إلى التي تحتها مثل فسطاط بأرض فلاة ، وهذه السماء إلى التي فوقها مثل حلقة في فلاة ^(٦) .

وقال قتادة : في كل سماء من سمائه ، وأرض من أرضه خَلَقَ من خلقه ، وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه ^(٧) .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ ، قال : بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة ^(٨) .

وروى مجاهد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، قال : لو حَدَّثْتُمْ بتفسيرها لكفرتهم ، وكفرتم تكذيبكم بها ^(٩) .

(١) من قوله : «وفي كل أرض» إلى «يعني الوحي» ساقط من نسخة (ك) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٥٩ ب .

(٣) في (ك) : (ومرض) .

(٤) في (ك) : (بعض واحد) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٤٠ / ٣٠ .

(٦) انظر : جامع البيان ٩٩ / ٢٨ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٩٩ ، وجامع البيان ٩٩ / ٢٨ ، والدر ٢٣٨ / ٦ .

(٨) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٨٢ ، وجامع البيان ١٠٠ / ٢٨ .

(٩) أخرجه ابن جرير ، وعبد بن حيد ، وابن الضريس . انظر : جامع البيان ٩٩ / ٢٨ ، والدر ٢٣٨ / ٦ .

وروى أبو الضحى^(١) عنه ، قال : « في كل أرض نبي كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى ، ونحو ما على الأرض من الخلق »^(٢).

قوله تعالى : ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ . قال الزَّجَّاج : معناه أعلمكم ذلك لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه ، وهو قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، وهو منصوب على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه : علم كل شيء^(٣) ، والله تعالى أعلم .

* * *

-
- (١) هو مسلم بن صبيح الهمداني ، العطار ، ثقة ، فاضل ، مشهور بكنيته ، وقد تقدّم .
- (٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٩٩ / ٢٨ ، والحاكم في المستدرک ٤٩٣ / ٢ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٦٧ / ٢ ، وقال : إسناد هذا عن ابن عباس صحيح ، وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا ، والله أعلم .
- وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢١ / ١ ، وهو محمول إن صح نقله عنه على أنه أخذه ابن عباس - رضي الله عنه - عن إسرائيليات ، والله أعلم . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٨٥ / ٤ .
- وقال أبو حيان : وعن ابن عباس من رواية الواقدي الكذاب . . . ثم ذكر الحديث ، وقال : وهذا حديث لا شك في وضعه . انظر : البحر المحيط ٢٨٧ / ٨ .
- (٣) انظر : معاني القرآن ١٨٩ / ٥ .

